الفتن والملاحم

الواقعة في آخر الزمان

تأليف

الإمام الحافظ أبي الفداء اسماعيل بن كثير الشافعي الدمشقي

(٧٠١ - ٧٧٤ هـ)

تحقيق وتعليق

يوسف علي بديوي

دار ابن كثير

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مضلّ له، ومَن يضللْ فلن تَجدَ له وليّاً مرشداً.

وأشهد أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

اللهم صلِّ على سيدنا محمد، خير الخلق أجمعين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

أمَّا بعد:

فإنَّ الحديثَ عن شأن الساعة، وأشراطها، وأماراتها، شيء مهول، يزلزل النفس، ويهزّ المشاعر، ويدفع للتفكير فيما سيلاقيه الإنسان في الأيام المقبلة، من أمور غريبة، وأحوال عجيبة، تقضّ المضجع، وتحثّ العاقل كي يعملَ للاستعداد لها بكل ما أوتي من جهد واستطاعة.

وقد وردت آيات كثيرة تتحدَّث عن مسألة الساعة، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿**اقتربَ لِلنَّاسِ حسابُهم وهم في غَفْلَةٍ مُعْرِضُون**﴾ [الأنبياء: ١]. وقال عز وجل: ﴿**وما يدريك لعلَّ السَّاعةَ قَرِيبٌ**﴾ [الشورى: ١٧]. وقال سبحانه: ﴿**فهل ينظُرون إلَّا الساعةَ أن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جاءَ أَشْراطُها**﴾ [محمد: ١٨].

والأحاديث النبوية كثيرة أيضاً، وهذا الكتاب بمجمله موسوعة حديثية في الفتن والملاحم الواقعة في آخر الزمان، وقد بيَّن ﷺ أشراط الساعة، وأخبر عن أماراتها؛

تهويلاً لشأنها، وتعظيماً لأمرها، ليحذرها الناس، ويتهيّؤوا لها بالأعمال الصالحة، بعيداً عن الانهماك في الشهوات والمتاع الزائل.

وقد جَمَعَ الإمامُ ابن كثير رحمه الله تعالى ـ طائفةً صالحةً من الآيات والأحاديث والأخبار التي تحدّثت عن موضوع أشراط الساعة، في هذا الكتاب، ويمكن أن نلخّصها في ثلاثة أقسام هي:

- أمارات ظهرت وانقرضت؛ منها: إخبار النبي ﷺ بولاية أبي بكر الصديق بعده، ووصيَّته ﷺ بقبط مصر، وسَلْب مُلْك كسرى، والإخبار بمقتل عمار بن ياسر، وفتح المسلمين قبرص، وغزوهم للقسطنطينية، وغير ذلك.
- أمارات متوسطة ظهرت ولم تنقضِ، بل هي في تزايد وانتشار إلى أن تتكامل، منها: رفع العلم، ونزول الجهل، وشرور كثيرة تحدث في هذه الأمة كالزنى، وفشوّ التجارة، واستحلال الخمر، وسوء الجوار، وقطع الأرحام، ونحو ذلك.
- أمارات عظام، وهي: ظهور المهدي، والدجال، وطلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدابة، وخروج يأجوج ومأجوج، وتخريب الكعبة، ونار تخرج من قعر عدن تحشر الناس إلى محشرهم.

ثم تحدَّث المصنِّف ـ رحمه الله ـ عن دنوّ يوم القيامة واقترابها، ونفخة الصعق.

وكان كلُّ هذا الحديث مقصوداً ليقف الناس على حقيقة هذه الفتن، ويتمعّنوا فيها، ويدركوا أنَّ الحياة لم تُخلق للبقاء، وليست دار إقامة، وإنما هي منزل من منازل الآخرة، جُعِلَتْ للتزوّد منها إلى العَرْض الأكبر على الله عز وجل.

لعمرك ما الدنيا بدار إقامةٍ ... ولكنها دارُ انتقال لمن عقل
إذا أضحكت أبكت، وإن هي أقبلت ... تولّت، وإن أعطت فأيامها دول

والقارىء لهذا الكتاب لا بُدَّ ـ إن شاء الله ـ أن يجدّد توبته مع الله عز وجل، فالموت لا محالة آتٍ، وما بقي من الدنيا أقلّ مِمَّا مضى. قال عليه الصلاة

والسلام: «بُعِثْتُ أنا والساعة كهاتين»، أي كهاتين الأصبعين السبابة والوسطى. وهذا تمثيلٌ لقرب المدة.

وإذا كان الأمرُ كذلك، فإنَّ المطَّلع على هذا الكتاب يلين قلبه، وينتبه من غفلته، فيشمّر عن ساعد الجدّ، ويغتنم المهلة الممنوحة له، فيعبد الله حقّ عبادته، لينال الخير والجزاء الأوفىٰ في دنياه وآخرته.

هذا وقد قمتُ بضبط النص، وعزو الآيات القرآنية إلى أماكنها في السور، وتخريج الأحاديث النبوية من مصادرها التي أشار إليها المؤلف، كذلك الآثار والأخبار الواردة.

كما تمّ التعريف ببعض الأعلام، وشَرْح الكلمات الغامضة بما يناسب المقام، ويوضّح المقصود، مع ترجمة للمؤلف، وفهارس للآيات والأحاديث والموضوعات.

اللهم علِّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علّمتنا، وزدنا علماً يا أرحم الراحمين.

اللهم اجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيّامنا يوم نلقاك وأنت راضٍ عنا، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

يوسف بديوي

بسم الله الرحمن الرحيم

وحسبنا الله ونعم الوكيل

مقدمة المؤلّف

الحمد لله وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، وبعد:

فهذا كتابُ الفتن والملاحم الواقعة في آخر الزمان[1] مما أخبر بـه رسول الله - ﷺ -، وذكر أشراط الساعة والأمور العظام التي تكـون قبل يـوم القيامـة، مما يجب الإخبار بها، لإخبار الصّادق المصدوق عنها، الذي لا ينطق عن الهـوى، إنْ هُوَ إلاَّ وَحْيٌ يُوحى[2]، وقد ذكرنا فيما تقدم إخبارَه - ﷺ - عن الغيوب الماضية[3]، وبسـطناه في بدءالخَلْق، وقصص الأنْبياء، وأيّام الناس إلى زماننا، وأتْبعنا ذلك بـذكر سيـرته ﷺ، وأيّامه، وذكرنا شمَائِله، ودلائل نُبوّته، وذكرنا فيها ما أخبر به من الغيـوب التي وقعت بعده ﷺ طِبْقَ إخْبارِه، كما شوهد ذلك عياناً قَبْل زمانِنا.

هـذا وقد أوردنـا جملة ذلك في آخـر كتاب دلائـل النبوّة من سيـرته - ﷺ -، وذكرنا عند كل زمان ما ورد فيه من الحديث الخاصّ به عند ذكرنـا حوادث الـزمان،

---

(١) إنّ كتاب «الفتن والملاحم» كبير، أفردنا منه جزءاً بعنوان «صفة الجنة»، وصدر عن دار ابن كثير سنة ١٩٨٩م، وها نحن اليوم نفرد هذا الجزء بالنشر، على أن نتابع بمشيئة الله نشر الباقي تحت عنـوانين هما «أهوال يوم القيامة» و«صفة النار».

(٢) قال الله تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى﴾ [النجم: ٣ - ٤].
قال قتادة في قـوله ﴿ومـا ينطق عن الهـوى﴾: ما ينـطق عن هواه. ﴿إن هـو إلا وحي يوحى﴾ قـال: يُوحي الله إلى جبريل، ويُوحي جبريل إلى النبي ﷺ. (الدر المنثور ٦٤٢/٧).
وعن أبي هـريرة، عن النبي ﷺ قـال: «ما أخبـرتُكم أنّه من عنـد الله فهو الـذي لا شـكّ فيـه». رواه البزار.

(٣) وذلك في كتابه «البداية والنهاية».

ووفياتِ الأعيان، كما بسطنا في كل سنة ما حدث فيها من الأمور الغريبة، وترجمنا مَن تُوفِّي فيها من مشاهير الناس: من الصحابة، والخلفاء، والملوك، والوزراء، والأمراء، والفقهاء، والصلحاء، والشعراء، والنُّحاة، والأدباء، والمتكلّمين ذوي الآراء، وغيرهم من النبلاء، ولو أعدنا ذكر الأحاديث المتقدّمة هاهنا مبسوطاً لطال ذلك، ولكن نُشير إلى ذلك إشارة لطيفة، ثم نعودُ لِما قَصَدنا له هاهنا، وبالله المستعان[1].

١ ـ فمن ذلك قوله ـ ﷺ ـ لتلك المرأة التي قال لها: «ارجعي إليّ»، فقالت: أرأيت إنْ لم أجِدْكَ؟ كَأنَّها تُعرِّضُ بِالْمَوْتِ، فقال: «إنْ لَمْ تَجِديني فَأْتي أبا بَكْر» رواه البخاريّ[2]، فكان القائمَ بالأمر بعدَه أبو بكر.

٢ ـ قوله ـ ﷺ ـ حين أراد أن يكتب للصدِّيق كتاباً بالخلافة فتركه: لِعِلْمه أن أصحابه لا يَعْدِلُون عنه لعلمهم بسابِقَته، وفضِيلته ـ رضي الله عنه ـ فقال: «يَأْبَى اللَّهُ والمؤمنون إلا أبا بكر» فوقع كذلك، وهو في الصحيح أيضاً[3].

٣ ـ وقوله ـ ﷺ ـ: «اقتدُوا باللَّذين من بعدي: أبي بكر، وعمر» رواه أحمد، وابن ماجه، والترمذيّ؛ وحسّنه، وصححه ابنُ حِبّان، وهو من رواية حُذَيفَةَ بن اليَمانِ[4].

وقد رُوِيَ من طريق ابن مسعود، وابن عمر، وأبي الدرداء.

وقد بسطنا القولَ في هذا في «فضائل الشيخين»، والمقصود أنه وقع الأمر

---

(١) المستعان: اسم مفعول معناه الاستعانة. والمصادر تجيء على المفعول، لقول العرب: ليس هذا معقول، أي عقل. وليس له معقود رأي بمعنى عقد رأي. وتقول: دعه إلى ميسور بمعنى إلى يُسْر. (معاني القرآن للزجاج ٥/٢٠٥).

(٢) رواه البخاري (٣٦٥٩) في فضائل الصحابة، باب: قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً».

(٣) رواه مسلم (٢٣٨٧) في فضائل الصحابة، باب: من فضائل أبي بكر الصديق؛ من حديث عائشة، وأبو داود (٤٦٦٠) في السنة، باب: في استخلاف أبي بكر؛ من حديث عبدالله بن زمعة، بلفظ: «يأبى الله ذلك والمسلمون» مرتين، وأحمد (٤/٣٢٢).

(٤) رواه أحمد (٥/٣٨٢)، وابن ماجه (٩٧) في المقدمة، باب: في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، والترمذي (٣٦٦٣) وقال: هذا حديث حسن، وابن حبان (٦٨٦٣).

كذلك، وَلِيَ أبو بكر الصديق بعد رسول الله ـ ﷺ ـ الخلافة، ثُمَّ وَلِيَها بعدَه عمرُ بن الخطاب، كما أخبر ﷺ سواء بسواء.

٤ ـ وروى مالك والليث، عن الزهريّ، عن ابنٍ لكعب بن مالك، عن أبيه؛ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «إذا افتَتَحْتُم مصر فاستوْصوا خَيْراً بالقبط»، وفي رواية: «فاستوصوا بأهلها خَيْراً، فإنّ لهم ذِمّة وَرحِماً»[1]. وقد افتتحها عمرو بن العاص في سنة عشرين، أيّامَ عمر بن الخطّاب ـ رضي الله عنه ـ.

٥ ـ وفي صحيح مسلم عن أبي ذرّ، عن رسول الله ـ ﷺ ـ: «إنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضاً يُذْكَرُ فيها القِيراطُ، فاستوصوا بأهلِها خَيْراً، فإنّ لَهم ذِمَّة ورَحِماً»[2].

٦ ـ وقال ـ ﷺ ـ فيما ثبت عنه في الصحيحين: «إِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلاَ قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وإِذَا هَلَكَ كِسْرَىٰ فَلاَ كِسْرى بَعْدَهُ، والَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهما في سَبِيلِ اللَّهِ»[3]. وقد وقع ذلك كما أخبر سواء بسواء، في زمن أبي بكر، وعمر، وعثمان، انزاحت يدُ قيصر ذلك الوقت، واسمُه هِرَقْل عن بلاد الشام والجزيرة، وثَبَت مُلْكُه مقصوراً على بلاد الروم فقط، والعرب إنما كانوا يُسَمُّونَ قيصرَ لِمَنْ ملك بلاد الروم، مع الشام والجزيرة.

وفي هذا الحديث بشارةٌ عظيمة لأهل الشام، وهو أنّ يدَ ملك الروم لا تعودُ إليها أبد الآبدين، ودهرَ الداهرين، إلى يوم الدّين، وسَنُورد هذا الحديث قريباً بإسناده ومتنه، إن شاء الله تعالى.

---

(١) رواه الحاكم (٢/٥٥٣) وصححه، وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد ١٠/٦٣): رواه الطبراني بإسنادين، ورجال أحدهما رجال الصحيح.
«لهم ذمة ورحماً»: الذمة: هي الحرمة والحق، وهي هنا بمعنى الذمام. وقوله: «رحماً» لكون هاجر، أم إسماعيل، منهم.

(٢) رواه مسلم (٢٥٤٣) في فضائل الصحابة، باب: وصية النبي ﷺ بأهل مصر.
«القيراط»: جزء من أجزاء الدينار والدرهم وغيرهما، وكان أهل مصر يكثرون من استعماله.

(٣) رواه البخاري (٣١٢٠) في فرض الخمس، باب: قول النبي ﷺ: «أحلت لكم الغنائم»، ومسلم (٢٩١٨) (٧٦) في الفتن وأشراط الساعة، باب: لا تقوم الساعة حتى يمرّ الرجل بقبر الرجل، فيتمنى أن يكون مكان الميت، من البلاء. من حديث أبي هريرة. ورواه البخاري (٦٦٢٩) ومسلم (٢٩١٩) من حديث جابر بن سَمُرة.

وأما كسرى فإنه سُلِبَ عامَّة مُلكه في زمن عمر، ثم استُؤصِل ما في يده في خلافة عثمان، وقُتل في سنة اثنتين وثلاثين، ولله الحمدُ والمنَّة، وقد بسطنا ذلك مُطوّلًا فيما سلف، وقد دعا عليه رسول الله ـ ﷺ ـ حين بلغه أنه مَزَّق كتابَ رسول الله ـ ﷺ ـ بأن يُمَزَّق ملكهُ كلَّ مُمَزَّق، فوقع الأمر كذلك[1].

٧ ـ وثبت في الصحيحين من حديث الأعمش، وجامع بن أبي راشد، عن شقيق بن سلمة، عن حُذَيْفة، قال: كُنّا جُلُوساً عند عمر بن الخطاب، فقال: أَيُّكُم يَحْفَظُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ـ ﷺ ـ في الفِتْنَة؟ قلت: أنا، قال: هَاتِ، إنّكَ لَجَرِيء، فقلت: ذَكَر فِتْنة الرجل في أهله، وماله، وجاره، وولده، تُكفِّرها الصلاة، والصدقة، والأمرُ بالمعروف، والنهي عن المنكر، فقال: ليس هذا أعني، إنما أعني التي تَموجُ مَوج البِحار، فقلت: يا أمير المؤمنين، إنَّ بينَك وبَيْنَها باباً مُغلقاً، فقال: وَيْحكَ؟ أيُفْتَحُ البابُ أمْ يُكْسَر؟ قلت: بل يكسر، قال: إذاً لا يغلَقُ أبداً، قلت: أجَلْ، فقلنا لحُذَيفة: أكان يَعْلَمُ عمر مَن البابُ؟ قال: نعم، إنِّي حَدَّثْتهُ حديثاً ليس بالأغاليط، قال: فهِبْنا أن نسأل حذيفة: مَن الباب؟ فقلنا لمسروق، فسأله، فقال: عمر[2].

وهكذا وقع الأمر سواءً بعد مقتل عمر في سنة ثلاث وعشرين، وقعت الفتنُ بين الناس، وكان سببَ انتشارها عنهم. وأخبر ﷺ عن عثمان أنه من أهل الجنة، على بلوى تُصيبهُ[3]، فوقع الأمر كذلك، حُصِر في الدار كما بُسطَ ذلك في موضعه،

---

(١) عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود، أنّ عبدالله بن عباس أخبره أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه رجلاً، وأمره أن يدفعَه إلى عظيم البحرين، فدفعه عظيمُ البحرين إلى كسرى، فلمّا قرأه مزّقه، فحسبتُ أنَّ ابن المسيِّب قال: فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يُمَزَّقوا كلّ مُمَزَّق. رواه البخاري (٦٤) في العلم.

(٢) رواه البخاري (٥٢٥) في مواقيت الصلاة، باب: الصلاة كفّارة، ومسلم (١٤٤) في الفتن وأشراط الساعة، باب: في الفتنة التي تموج كموج البحر.
«التي تموج موج البحار»: أي تضطرب ويدفع بعضها بعضاً. وشبّهها بموج البحر لشدة عظمها وكثرة شيوعها. «ليس بالأغاليط» جمع أغلوطة، وهي التي يغالط بها. ومعناه: حدثته حديثاً صدقاً محققاً، ليس هو من صحف الكتابيين، ولا من اجتهاد ذي الرأي، بل من حديث النبي ﷺ.
«فهبنا»: أي خِفْنا.

(٣) قال ﷺ: «ائْذَنْ له وبَشِّرْه بالجنة على بَلْوى ستُصيبه»، قال أبو موسى: فإذا عثمان بن عفان. رواه البخاري (٣٦٩٥) في فضائل الصحابة.

وقُتِل صابراً مُحتسباً شهيداً ـ رضي الله عنه ـ وقد ذكرنا عند مقتله ما ورد من الأحاديث من الإنذار بذلك، والإعلام به قبل كَوْنِه؛ فوقع طِبْقَ ذلك سواء بسواء، وذكرنا في يوم الجَمَل وصِفِّين ما ورد من الأحاديث المُؤْذِنة بكَوْن ذلك، وما وقع فيها من الفتنة والاختبار، وبالله المستعان.

وكذا الإخبار بمقتل عَمّار[1]. وأما ذكر الخوارج[2] الذين قتلهم عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وصفتِهم؛ ونعتِ ذي الثُّدية[3] منهم، فالأحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدّاً، وقد حررنا ذلك فيما سلف، ولله الحمد والمنّة. وذكرنا عند مقتل عليّ الحديثَ الوارد في ذلك بطرقه، وألفاظه.

٨ ـ وتقدّم الحديث الذي رواه أحمدُ، وأبو داود، والنسائيّ، والترمذيّ؛ وحسّنه، من طريق سعيد بن جُمْهَان؛ عن سَفِينَة: أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «الخلافةُ بعدي ثَلاثونَ سنة، ثم تكون مُلْكاً»[4].

وقد اشتملت هذه الثلاثون سنة على خلافة أبي بكر الصديق، وعمر الفاروق، وعثمان الشهيد، وعليّ بن أبي طالب[5] الشهيد أيضاً، وكان ختامها وتمامها الستة أشهر التي وَلِيَهَا الحسنُ بن عليّ بعد أبيه، وعند تمام الثلاثين نزل عن الإمرة لمعاوية بن أبي سفيان عام أربعين[6]، وأضيفت البيعةُ لمعاوية بن أبي

---

(١) قال ﷺ: «يَقْتُلُ عَمَّاراً الفئةُ الباغيةُ» رواه مسلم (٢٩١٦) (٧٣) في الفتن وأشراط الساعة.

(٢) الخوارج: قوم خرجوا على الإمام علي بعد صفين، ورفضوا التحكيم، وأجازوا أن تكون الخلافة في غير قريش. وهم طوائف أشهرها: الإباضية والصُّفْرية والأزارقة. (الملل والنحل للشهرستاني ١١٤/١ وتاج العروس: خرج).

(٣) هو حرقوص بن زهير السعدي: من بني تميم، الملقّب بذي الخويصرة، له صحبة، وله ذكر في فتوح العراق حيث أمدّ عمرُ عتبةَ بن غزوان بحرقوص، شهد صفين مع علي بعد التحكيم قُتِل في النهروان سنة (٣٧هـ).

(٤) رواه أحمد (٢٧٣/٤ و٢٢٠/٥)، وأبو داود (٤٦٤٦) بلفظ: «خلافة النبوة ثلاثون سنة» والترمذي (٢٢٢٦) بلفظ: «الخلافة في أمتي ثلاثون سنة»، وابن حبان (٢٩٠٤). وقال الألباني: صحيح (صحيح الجامع رقم ٣٣٣٦).

(٥) كانت خلافة أبي بكر الصديق من (١١ ـ ١٣هـ)، وخلافة عمر بن الخطاب من (١٣ ـ ٢٣هـ)، وخلافة عثمان بن عفان من (٢٤ ـ ٣٥هـ)، وخلافة علي بن أبي طالب من (٣٥ ـ ٤٠هـ).

(٦) من المعلوم أن مقتل الإمام علي كان سنة (٤٠هـ)، وصلح الحسن مع معاوية كان سنة (٤١هـ).

سفيان، وسُمّي ذلك عامَ الجماعة، وقد بسطنا ذلك فيما تقدم.

٩ - وروى البخاري عن أبي بكرة - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله - ﷺ - يقول: والحسنُ بنُ عليّ إلى جانبه على المنبر: «إنّ ابني هذا سيّد، وسيُصلح اللَّهُ به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[1]، وهكذا وقع سواء.

وثبت في الصحيحين عن أم حَرَام بنت مِلْحانَ، ذكره ﷺ غزو أمته في البحر مرّتين، وكون أم حَرَام مع الأولين، وقد كان ذلك في سنة سبع وعشرين، مع معاوية حين استأذن عثمانَ في غزو قبرص، فأذِنَ له فركب مع المسلمين في المركب حتى وصلها، وفتحها قَسْراً، وتُوفّيت أمّ حَرَام في هذه الغزوة في البحر، وقد كانت مع زوجة معاوية فاختةَ بنت قَرَظة[2]، وأما الثانية فكانت في سنة ثنتين وخمسين في أيام مُلك معاوية، بعث ابنه يزيد بن معاوية، ومعه الجنود إلى غزو القسطنطينية، ومعه في الجيش جماعةٌ من سادات الصحابة، منهم أبو أيّوب الأنصاريّ، وخالد بن زيد - رضي الله عنه - فمات هنالك، وأوصى إلى يَزيد بن معاوية وأمره أن يدفنه تحت سنابك[3] الخيل، وأن يُوغل به إلى أقصىَ ما يُمكن أن يُنتهى به إلى نحو جهة العدُوّ، ففعل ذلك.

١٠ - وتفرّد البخاري بما رواه من طريق ثور بن زيد، عن خالد بن مَعْدان، عن عُمير بن الأسود العَنْسِيّ، عن أمّ حَرَام: أنّها سمعت رسولَ الله - ﷺ - يقول: «أوّلُ جيْشٍ مِن أُمَّتي يغزون البحر قد أوجبوا»، قالت أمّ حرام: فقلت: يا رسول

---

(١) رواه البخاري (٣٧٤٦) في فضائل الصحابة، باب: مناقب الحسن والحسين، بلفظ: «ابني هذا سيد، ولعلّ الله أن يُصْلِحَ به بين فئتين من المسلمين».

(٢) هي فاختة بنت قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف القرشية النوفلية، زوج معاوية بن أبي سفيان. لم يذكروا والدها في الصحابة، فإن كان مات في الجاهلية فكمن وقع له ذكر في العصر النبوي، فما قرب منه من أولاده له صحبة. لها أخبار أنها غزت قبرس مع الغازين. (الإصابة ٤/٣٧٣).

(٣) «سنابك»: جمع سُنْبُك، وهو طرف الحافر.

الله: أنا فيهم؟ قال: «أنتِ فيهم»، ثم قالت: ثم قال النبي - ﷺ - «أول جيش من أمتي يَغْزُون مَدِينَةَ قَيْصَر مَغْفُورٌ لَهُمْ»، قلت: أنا فيهم يا رسول الله؟، قال: «لا»[1].

* * *

---

(١) رواه البخاري (٢٩٢٤) في الجهاد، باب: ما قيل في قتال الروم.

«أوجبوا»: أي فعلوا فعلاً وجبت لهم به الجنة.

«مدينة قيصر»: يعني القسطنطينية.

ذكر قتال الهند

١١ ـ قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن إسحاق، أخبرنا البراء، عن الحسن، عن أبي هريرة، حدثني خليلي الصادق رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «يكون في هذه الأمة بَعْثٌ إلى السِّنْد والهند، فإن أنا أدركتُه فاستُشْهِدتُ فذاك، وإن أنا، فذكر كلمة: رجعتُ، فأنا أبو هريرة المحرر، قد أعتقني من النار»[1].

١٢ ـ ورواه أحمد أيضاً عن هُشيم، عن يسار[2]، عن جبر بن عبيدة، عن أبي هريرة، قال: وعدنا رسولُ الله ـ ﷺ ـ غزوة الهند، فإن استُشْهِدتُ كنتُ من خير الشهداء، وإن رجعت فأنا أبو هريرة المحرر[3].

ورواه النَّسائيّ من حديث هُشيم وزيد بن أبي أُنَيْسة، عن سَيّار، عن جبر، ويقال جبير[4]، عن أبي هريرة فذكره[5].

وقد غزا المسلمون الهند في سنة أربع وأربعين، في إمارة معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنه ـ فجرت هناك أمور، وقد ذكرناها مبسوطة. وقد غزاها الملك الكبير السعيد المحمود، محمود بن سُبُكْتكين[6]، صاحب بلاد غَزْنة، وما والاها، في حدود أربعمائة، ففعل هنالك أفعالاً مشهورة، وأموراً مشكورة؛ كسرَ الصنمَ

(١) رواه أحمد (٢/٣٦٩).
(٢) في المطبوع: سيار.
(٣) رواه أحمد (٢/٢٢٩).
(٤) في سنن النسائي: وقال عُبَيْدُ الله عن جُبَيْر.
(٥) رواه النسائي في سننه (٦/٤٢) في الجهاد، باب: غزوة الهند.
(٦) هو محمود بن سبكتكين الغزنوي، السلطان، يمين الدولة، أبو القاسم: فاتح الهند، وأحد كبار القادة. امتدت سلطنته من أقاصي الهند إلى نيسابور. كان حازماً صائب الرأي، يجالس العلماء ويناظرهم. له كتاب «التفريد» في فقه الحنفية، وخطب، ورسائل، وشعر. أصيب بمرض عانى منه مدة سنتين، ثم توفي عام (٤٢١هـ).

الأعظم، المسمَّى بسومنان، وأخذ قلائده وشُنُوفَه[1]، ورجع إلى بلاده سالماً غانماً.
وقد كان نُوّاب بني أمية يقاتلون الأتراك، في أقصى بلاد السند، والصين، وقهروا ملكهم الأعظم القان، ومزّقوا عساكره، واستحوذوا على أمواله وحواصله، وقد وردت الأحاديث بذكر صفتهم، ولغتهم، ولنذكر شيئاً من ذلك على سبيل الإيجاز.

١٣ ـ قال البخاري: حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب[2]، أخبرنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ قال: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشَّعَر، وحتى تقاتلوا التُّرك، صِغارَ الأعين، حُمر الوجوه، ذُلْفَ الأنوف، كأنّ وجوههم المَجَانُّ المُطْرَقَة. وتجدون من خير الناس أشدّهم كراهية لهذا الأمر، حتى يَدْخل فيه، والناس معادن، خيارهم في الجاهليّة خيارُهم في الإسلام، وليأتيَنّ على أحدكم زمانٌ لأن يَراني أحبُّ إليه من أن يكون له مثل أهله وماله» تفرد به البخاري[3].

١٤ ـ ثم قال: حدثنا يحيى، عن عبدالرزاق، عن مَعْمَر، عن همام بن مُنَبّه، عن أبي هريرة: أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا خُوزاً وكِرمان، من الأعاجم، حُمْر الوجُوه، فُطسَ الأنوف [صغار الأعين] كأنَّ وُجوهَهُم المَجانُّ المُطْرقَة، نِعَالُهُم الشَّعر»[4].

١٥ ـ وقال أحمد بن سفيان بن عُيَيْنَة، عن الزهريّ، عن سعيد، عن أبي

(١) «القلائد»: جمع القِلادة وهي ما يُجعل في العنق من حَلْي ونحوه. و«الشنوف»: جمع الشَّنْف وهو القُرْط، وقد يُخصّص الشَّنْف بما يُعلَّق في أعلى الأذن، والقُرْط بما يُعلَّق في أسْفلها.
(٢) في المطبوع: أبو شعيب.
(٣) رواه البخاري (٣٥٨٧ ـ ٣٥٨٨ ـ ٣٥٨٩) في المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام.
«ذلف الأنوف»: الذلف: غلظ في الأرنبة، وقيل: تطامن فيها، وقيل: ارتفاع طرفه مع صغر أرنبته، وقيل: قصره مع انبطاحه.
«المجان المطرقة»: المجان جمع مجن، وهو الترس: شبه وجوههم بالترسة لبسطها وتدويرها، وبالمطرقة لغلظها وكثرة لحمها.
(٤) رواه البخاري (٣٥٩٠) في المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، وما بين حاصرتين مستدرك منه.
«فطس الأنوف»: فَطِس الأنف: انخفضت قصبتُه. والفَطَسَة: عِرَضُ قصبة الأنف وانخفاضها.

هريرة، يَبْلُغ به النبيَّ ـ ﷺ ـ قال: «لا تقومُ الساعةُ حتّى تُقاتِلوا قوماً كأنَّ وُجوهَهُم المَجَانُّ المُطْرقَة، نِعَالُهُم الشَّعَر»[1]، وأخرجه الجماعة سوى النسائي، من حديث سُفيان بن عُيَيْنة به، ورواه البخاريّ عن عليّ بن المدينيّ، عن سُفيان بن عُيَيْنة به. ورواه مسلم من حديث إسماعيل بن أبي خالد، كلاهما عن قَيْس بن أبي حازم، عن أبي هريرة، فذكر نحوَه. قال سفيان بن عُيَيْنة، وهم أهل البارز، كذا يقول سفيان، ولعلّه البارِز، وهو سوق الفُسوق الذي لهم.

١٦ ـ وقال أحمد: حدثنا عفّان، حدثنا جَرِير بنُ حازم، سمعتُ الحسنَ، حدثنا عمرو بن تغلب، سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «إنّ من أَشْرَاطِ الساعةِ أن تُقاتِلُوا قوماً عِراضَ الوُجوه، كأنّ وجوهَهمُ المَجَانُّ المُطْرقَة»[2] ورواه البخاريّ من حديث جرير بن حازم.

والمقصود أن التُرك قاتلهم الصحابةُ فهزموهم، وغنَمُوهمْ وسَبَوا نساءهم وأبناءهم، وظاهرُ هذا الحديث يقتضي أن هذا يكون من أشراط الساعة، لا يكون إلّا بين يديها قريباً، فقد يكون هذا واقعاً مرة عظيمة بين المسلمين وبين الترك، حتى يكون آخر ذلك خروج يأْجُوجَ ومأجُوجَ؛ كما سيأتي ذكرُ أمرهم، وإن كانت. أشراطُ الساعة أعمَّ من أن يكون بين يَدَيها قريباً منها، أو يكون مما يقع في الجُملة، حتّى ولو تقدّم قبلها بدهر طويل، إلّا أنه مما يقع بعد زمن النبي ـ ﷺ ـ وهذا هو الذي يظهرُ بعد تأمّل الأحاديث الواردة في هذا الباب، كما ترى ذلك قريباً إن شاء الله تعالى، وذكرنا ما ورد في مقتل الحُسَيْن بن عليّ بكَرْبلاءَ، في أيام يزيد بن معاوية، كما سَلَف.

وما ورد من الأحاديث في ذكر خلفاء بني أُمَيّة أُغَيْلمة بني عبد المطلب.

---

(١) رواه البخاري (٢٩٢٩) في الجهاد، باب: قتال الذين ينتعلون الشعر، ومسلم (٢٩١٢) في الفتن وأشراط الساعة، باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، وأبو داود (٤٣٠٤) في الملاحم، باب: في قتال الترك، والترمذي (٢٢١٥) في الفتن، باب: ما جاء في قتال الترك، وابن ماجه (٤٠٩٦) في الفتن، باب: الترك، وأحمد (٢/ ٢٣٩).

(٢) رواه أحمد (٥/ ٧٠)، والبخاري (٢٩٢٧) في الجهاد، باب: قتال الترك.

١٧ ـ قال أحمد: حدثنا روح، حدثنا أبو أُمَيَّة عمرو بن يحيى عن سعيد بن العاص، أخبرني جَدّي سعيد بن عمرو بن سعيد، عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «هَلَكَةُ أُمّتي عَلَى يدَيْ غِلْمَة» فقال مروان، وهو معنا في الحلقة قبل أن يَلِيَ شيئاً، فَلَعْنَةُ الله عليهم غِلْمَةً، قال: والله لو أشاء أن أقول بَني فلان، وبني فلان لفعلتُ. قال: فكنت أخرجُ مع أبي وجدّي إلى بني مروان بعدما ملكوا، فإذا هُم يبايعونَ الصِّبْيانَ، ومنهم من يُبايع له وهو في خِرْقَة، قال لنا: هل عَسَى أَصْحَابُكُمْ هؤلاء أنْ يَكُونوا الذين سمعتُ أبا هريرة يذكر؟ إن هذه الملوكَ يُشبِه بعضها بعضاً. ورواه البخاريّ بنحوه عن أبي هريرة[1].

والأحاديثُ في هذا كثيرة جدّاً، وقد حرّرناها في «دلائل النبوة». وتقدم الحديثُ في ذكر الكذاب والمبير من ثقيف، والكذاب هو المختار بن أبي عُبَيْد[2] الذي ظهر بالكوفة، أيام عبدالله بن الزبير[3]، وكان رافضياً خبيثاً، بل كان يُنْسَبُ إلى الزندقة، وادّعى أنه يُوحى إليه، والمبِيرُ هو الحجاج بن يوسف الثقفيّ[4]، الذي قَتَلَ عبدالله بن الزبير، كما تقدّم، وتقدم حديث الرايات السُّود التي جاء بها بنو العباس حين استلموا الملك من أيدي بني أمية، وذلك في سنة اثنتين وثلاثين ومائة انتقلت

---

(١) رواه البخاري (٧٠٥٨) في الفتن، باب: قول النبي ﷺ: «هلاك أمتي على يدي أغيلمة سفهاء»، وأحمد (٢/ ٣٢٤).

«أمتي»: المراد بالأمة ـ هنا ـ أهل ذلك العصر ومن قاربهم، لا جميع الأمة إلى يوم القيامة.

(٢) هو المختار بن أبي عُبيد بن مسعود الثقفي، أبو إسحاق: من زعماء الثائرين على بني أمية، وأحد الشجعان الأفذاذ، من أهل الطائف. كان مع علي بالعراق، ولما قُتِل الحسين سنة (٦١هـ) انحرف المختار عن عبيدالله بن زياد، فقبض عليه ابن زياد وجلده وحبسه، ونفاه بشفاعة ابن عمر إلى الطائف. وكان همه أن يقتل من قاتلوا الحسين وقتلوه. شاعت في الناس أخبار عنه بأنه ادّعى النبوة ونزول الوحي عليه، وأنه كان لا يوقف له على مذهب. قُتِل سنة (٦٧هـ).

(٣) هو عبدالله بن الزبير بن العوام القرشي، أبو بكر: فارس قريش في زمنه، وأول مولود في المدينة بعد الهجرة. شهد فتح إفريقية زمن عثمان، وبُويع له بالخلافة سنة (٦٤هـ)، فحكم مصر والحجاز واليمن وخراسان والعراق وأكثر الشام. وكانت له مع الأمويين وقائع هائلة، انتهت بمقتله سنة (٧٣هـ).

(٤) هو الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، أبو محمد: قائد، داهية، سفاك، خطيب. قاتل عبدالله بن الزبير وقتله، فولاه عبدالملك مكة والمدينة والطائف. قمع الثورة في العراق، وثبتت له الإمارة عشرين سنة. وبنى مدينة واسط. وكان سفاكاً سفاحاً باتفاق معظم المؤرخين. توفي سنة (٩٥هـ).

الخلافة من مروان إلى محمد بن مَرْوان بن الحكم بن أبي العاص، ويعرف بمروان الحمار، ومروان الجعدي، لاشتغاله على الجعد بن إبراهيم المعتزليّ، وكان آخر خلفاء بني أميّة، وصارت للسفاح بعده، المُصرّح بذكره في حديثٍ رواه أحمد بن حنبل في مُسنده وهو أبو العباس عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العبّاس بن عبدالمطلب، أول خلفاء بني العباس كما تقدّم ذلك.

١٨ ـ وقال أبو داود الطيالسيّ: حدثنا جرير بن حازم، عن ليث، عن عبدالرحمن بن سابط، عن أبي ثعلبة الخُشَنيّ، عن أبي عُبَيْدة بن الجراح ومُعاذ بن جبل، عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «إنَّ الله بَدَأَ هَذَا الأمر بنبوّة ورحمَة، وكَانَتْ خِلافةً ورحمة، وكانَتْ ملكاً عَضُوضاً وعِزّة وجَبْرِيّة وفَساداً في الأمة[١]، ويستحلُّونَ الفروج، والخمور، والحرير، ويُنْصَرون على ذلك ويرزقون أبداً، حتى يَلْقَوا الله عزّ وجَلّ»[٢].

١٩ ـ وروى البَيْهَقيّ من حديث عبدالله بن الحارث بن محمد بن حاطب الجُمَحي[٣]، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «يكونُ بَعْدَ الأنبياء خُلَفاء [يعملون بكتاب الله، ويعدلون في عباد الله، ثم يكون بعد الخلفاء] ملوك يأخذونَ بالثَّأْرِ ويَقْتُلُونَ الرِّجال، ويَصْطَفُونَ الأَمْوالَ، فمُغيِّرٌ بيده، ومُغيِّرٌ بِلِسَانه، ومُغيِّرٌ بقَلْبه، وليس وَرَاء ذلكَ من الإيمانِ شيء»[٤].

٢٠ ـ وثبت في صحيح البخاريّ من حديث شعبة، عن فُرات القزاز، [عن أبي حازم]، عن أبي هريرة، عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «كانَتْ بَنُو إسرائيلَ تَسُوسُهُمُ الأنْبياءُ كلّما هَلَكَ نبيٌّ خَلَفه نبيّ، وإنه لا نبيّ بَعْدي، وإنه سَيَكونُ خلفاءُ، فيكثُرُون» قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: «فُوا بِبَيْعَة الأوّل فالأوّل، وأعْطُوهُمْ

(١) في مسند الطيالسي: ملكاً عضوضاً وكائناً عنوة وجبرية وفساداً في الأرض.
(٢) رواه الطيالسي في مسنده ص (٣١)، والبيهقي في (دلائل النبوة ٦/ ٣٤٠).
(٣) في المطبوع: الحجبي.
(٤) رواه البيهقي في (دلائل النبوة ٦/ ٣٤٠).

حقهم، فإن الله سائلهم عَمّا اسْتَرعاهم»[١].

٢١ ـ وفي صحيح مسلم من حديث أبي رافع، عن عبدالله بن مسعود، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «ما كانَ نَبِيٌّ إلاّ كَانَ له حَوارِيُّون يَهْتَدُونَ بهَدْيِه، ويَسْتَنُّونَ بسُنَّته، ثم تكونُ من بَعْدِهم خُلُوف؛ يقولون ما لا يَفْعَلُون، ويفعلُون ما تُنكرون»[٢].

٢٢ ـ وثبت في الصحيحين من رواية عبدالملك بن عُمير، عن جابر بن سَمُرة، عن النبي ـ ﷺ ـ: «يكونُ اثنا عَشَر خليفةً كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيش»[٣].

٢٣ ـ ورواه أبو داود، من طريق أخرى، عن جابر بن سَمُرة: سمعتُ رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «لا يَزالُ هَذَا الدِّين قائماً حتَّى يكونَ» وفي رواية: «لَا تَزالُ هَذِهِ الأمَّةُ مُسْتَقِيماً أمرُها، ظاهِرَةً على عدوّها، حتى يَمْضِي منهُمْ اثنا عَشَر خليفةً كلُّهُمْ مِنْ قُرَيش» قالوا: ثُمَّ يكُون ماذَا؟ قال: «ثُمَّ يكونُ الهَرْجُ»[٤].

فهؤلاء المبشَّر بهم في هذا ليسُوا بالاثني عَشَر الذين يَزْعمُ فِيهِم الرَّوافضُ ما يَزْعُمُونَ من الكذب والبهتان، وأنهم معصومون؛ لأن أكثرَ أولئك لم يلِ أحدٌ منهم شيئاً من أعمال هذه الأمة في خلافةٍ، بل ولا في قُطْرٍ، ولا بَلَدٍ من البلدان، وإنما وَلِيَ منهم عليٌّ وابنُه الحسن بن عليّ رضي الله عنهما.

وليس المرادُ من هؤلاء الاثني عشر الذين تتابعت ولايتهم سَرْداً إلى أثناء دولة بني أميّة.

٢٤ ـ لأن حديث سَفِينَة: «الخلافَةُ بَعْدِي ثَلاَثُونَ سَنةً»[٥] يمنع من هذا

(١) رواه البخاري (٣٤٥٥) في أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، وما بين حاصرتين مستدرك منه.
«تسوسهم الأنبياء»: أي أنهم كانوا إذا ظهر فيهم فساد؛ بعث الله لهم نبياً يقيم لهم أمرهم، ويزيل ما غيّروا من أحكام التوراة.
«أعطوهم حقهم»: أي أطيعوهم وعاشروهم بالسمع والطاعة.
(٢) رواه مسلم (٥٠) في الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان.
(٣) رواه البخاري (٧٢٢٢ و٧٢٢٣) في الأحكام، باب: حدثنا محمد بن المثنى، ومسلم (١٨٢١) في الإمارة، باب: الناس تبع لقريش والخلافة في قريش.
(٤) رواه أبو داود (٤٢٧٩ و٤٢٨٠ و٤٢٨١) في المهدي، باب (١).
(٥) سبق تخريجه برقم (٨).

الملك، وإن كان البيهقيّ قد رجّحَهُ، وقد بحثنا معه في كتاب «دلائل النبوة» من كتابنا هذا بما أغنى عن إعادته، ولله الحمد.

ولكن هؤلاء الأئمة الاثني عشر وُجد منهم الأئمة الأربعة، أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم عليّ، وابنه الحسن بن علي أيضاً، ومنهم عمر بن عبدالعزيز، كما هو عند كثير من الأئمة، وجمهور الأمّة، ولله الحمد. وكذلك وجد منهم طائفة من بني العباس، وسيوجد بقيّتهم فيما يُستقبل من الزمان، حتى يكون منهم المهديّ المبشَّرُ به في الأحاديث الواردة فيه، كما سيأتي بيانها وبالله المستعان، وعليه التُّكلان، وقد نصّ على هذا الذي قلناه غيرُ واحدٍ، كما قررنا ذلك.

* * *

حديث فيما بعد المائتين من الهجرة

٢٥ ـ قال ابن ماجه: حدثنا الحسن بن عليّ الخلّال، حدثنا عون بن عُمارة، حدثني عبدالله بن المُثَنَّى بن ثُمَامة بن عبدالله بن أنس بن مالك، عن أبيه؛ عن جدّه، عن أنس، عن أبي قتادة؛ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «الآيات بعد المائتين»(١).

ثم أورده ابن ماجه من وجهين آخرين عن أنس عن النبي ـ ﷺ ـ بنحوه، ولا يصح، ولو صحّ فمحمول على ما وقع من الفتنة بسبب القول خَلْق القرآن، والمحنة للإمام أحمد بن حنبل، وأصحابه، من أئمة الحديث، كما بسطنا ذلك هنالك.

٢٦ ـ وروى رواد بن الجرّاح، وهو مُنْكَر الرواية عن سفيان الثوريّ، عن ربْعيّ، عن حُذَيفة، مرفوعاً: «خيرُكم بَعدَ المِائتين خَفِيفُ الحَاذِ»، قالوا: وما خَفيفُ الحَاذِ يا رسول الله؟ قال: «مَنْ لاَ أَهْلَ لَهُ، ولا مَالَ ولا ولد»(٢)، وهذا منكر.

٢٧ ـ وثبت في الصَّحيحين من حديث شُعْبَة، عن أبي جمرة، عن زَهْدَم بن

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٠٥٧) في الفتن، باب: الآيات.
وفي إسناده: عون بن عمارة، قال البخاري: يعرف وينكر، وقال أبو داود: ضعيف، وقال أبو حاتم: ضعيف، منكر الحديث، أدركته ولم أكتب عنه. (ميزان الاعتدال ٣/٣٠٦). وقال محمد فؤاد عبدالباقي: جاء في هامش الهندية: عبدالله بن المثنى، في التقريب: عبدالله بن المثنى بن عبدالله بن أنس بن مالك الأنصاري، أبو المثنى البصري، صدوق، كثير الغلط، عن السادسة. ولم أجد فيه عبدالله بن المثنى بن ثمامة، لكن وجدت في جميع النسخ الموجودة هكذا. وقال الألباني: موضوع (ضعيف سنن ابن ماجه ص ٣٢٦).

(٢) رواه أبو يعلى في مسنده عن حذيفة بن اليمان، والخطابي في (العزلة ص ١٢٠)، والديلمي في الفردوس رقم (٢٨٥٢)، وعزاه العراقي في تخريجه على الإحياء (٢/٢٤) لأبي يعلى من حديث حذيفة، وللخطابي من حديثه وحديث أبي أمامة، وكلاهما ضعيف. وانظر: (الأسرار المرفوعة رقم ١٣٢٤ وفيض القدير ٣/٤٩٧).
ورواد بن الجراح: حدّث عن سفيان بمناكير، وقال الدارقطني: متروك. وقال النسائي: ليس بقوي. (ميزان الاعتدال ٢/٥٥ ـ ٥٦).

مُضرِّب، عن عِمران بن حُصَيْن، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «خيرُ أمّتي قَرْني، ثم الـذين يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» قـال عمران: فـلا أدري ذكَرَ بعـد قرنـه قرنَيْن، أو ثلاثةً «ثمّ إنّ بَعْدَكم قوماً يَشْهَدُونَ ولا يُسْتَشْهَدُونَ، ويَخُونُون ولا يُؤْتمنون، ويَنذِرُون ولا يَفُونَ، ويظهر فيهم السِّمَنُ»[1] وهذا لفظ البخاريّ.

* * *

(١) رواه البخاري (٣٦٥٠) في فضائل أصحاب النبي ﷺ، ومسلم (٢٥٣٥) في فضائل الصحابة، باب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم.

ذكر سنة خمسمائة

٢٨ ـ قـال أبو داود: حـدثنا عمـرو بن عثمان، حـدثنا أبـو المُغيـرة، حـدثني صَفوان، عن شُرَيح بن عُبَيْد، عن سعد بن أبي وقّاص، عن النبي ـ ﷺ ـ أنـه قال: «إنّي لأرْجُو أنْ لا تَعْجز أُمَّتِي عِنْـدَ رَبِّها أَنْ يُؤَخِّـرَها نِصْفَ يَوْمٍ» قِيلَ لِسَعْـد: وكَمْ نِصْفُ يَوْم؟ قال: خَمْسُمائة سنة[1]. وقد تفـرّد به أبـو داود، وأخرج الإمـام أحمد بن حنبل عن أبي ثعلبة الخُشَنيّ من قوله مثلَ ذلك، وهذا التحديـد بهذه المـدة لا ينفي ما يزيدُ عليها إن صحّ رفعُ الحديث، والله أعلم.

فأما ما يُوردُه كثيـر من العامّـة أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «لا يـولَّف تحت الأرض» فليس لـه أصـل ولا ذكـر في كتب الحـديث المعتمـدة، ولا سمعنـاه في شيء من المبسوطات، والأجزاء المختصرات، ولا ثَبتَ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه حَدَّ الساعة بمُدَّة محصورة، وإنما ذكر شيئاً من أشراطها وأماراتهـا وعلامـاتها، على ما سنذكره إن شاء الله.

* * *

(١) رواه أبو داود (٤٣٥٠) في المـلاحـم، باب: قيام الساعة.

ذكر الخبر الوارد

في ظهور نار من أرض الحجاز أضاءت لها أعناق الإبل ببصرى

٢٩ ـ قال البخاري: حدّثنا أبو اليمانِ، حدثنا شُعَيْبٌ، عن الزهريّ، قال: قال سعيد بن المُسيّب، أخبرني أبو هُرَيْرَة أن رسول الله ـ ﷺ قال: «لا تقوم السَّاعَةُ حتّى تَخْرُجَ نارٌ مِن أرض الحِجَاز تُضيءُ أعناقَ الإبل ببُصْرى»[١]، ورواه مسلم من حديث الليث، عن عَقِيل، عن ابن شهاب.

وقد ذكر الشيخ شهابُ الدين أبو شامة، وكان شيخَ المُحدِّثين في زمانه، وأستاذَ المؤرخين في أوانه، أن في سنة أربع وخمسين وستمائة في يوم الجمعة خامس جُمادَى الآخرة منها ظهرت نار بأرض المدينة النبويّة، في بعض تلك الأودية طول أربعة فراسخ، وعرض أربعة أميال، تُسيل الصخر، حتى يبقى مثل الآنُك[٢] ثم يصِيرُ مثلَ الفحم الأسود، وأن ضوءها كان الناسُ يسيرون عليه بالليل إلى تَيْماء[٣]، وأنها استمرّت شهراً، وقد ضبط ذلك أهلُ المدينة، وعملوا فيها أشعاراً، وقد ذكرناها فيما تقدّم.

وأخبرنا قاضي القضاة، صدرُ الدين عليّ بن أبي القاسم، الحنفيّ قاضيهم بدمشق، عن والده الشيخ صفيّ الدين مدرّس الحنفية ببُصْرَى، أنه أَخبره غيرُ واحد من الأعراب صَبِيحَة تلك الليلة، ممنّ كان بحَاضِرَة بلد بُصْرى: أنهم شاهدُوا أعْنَاقَ

---

(١) رواه البخاري (٧١١٨) في الفتن، باب: خروج النار، ومسلم (٢٩٠٢) في الفتن وأشراط الساعة، باب: لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز.

(٢) «الآنك»: الرصاص الأسود.

(٣) «تيماء»: بليد في أطراف الشام، بين الشام ووادي القرى.

الإبل في ضَوْء هذه النار التي ظهرت من أرض الحجاز[١]. وقد تقدم بسط ذلك من سنة أربع وخمسين وستمائة بما فيه كفاية عن إعادته هنا.

* * *

---

(١) انظر هذه الأخبار في (فتح الباري ١٣/٧٩).

ذكر اخباره صلى الله عليه وسلم بالغيوب المستقبلة بعد زماننا

٣٠ ـ قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: حدثنا أبو عاصم، حدثنا عَزْرة بن ثابت، حدثنا علباء بن أحمر اليَشْكُرِيّ، حدثنا أبو زيد الأنصارِيّ، قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح، ثم صَعِد المنبر، فخطبنا حتى حضرت الظهرُ، ثم نزل فصلى الظهر، ثم صعِد المنبر، فخطبنا حتى حضرت العصرُ، ثم نزل فصلى العصر، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غابت الشمس، فحدثنا بما كان، وما هو كائن، فأعلمُنا أحفظُنا[1].

وقد رواه مسلم مُنفرداً به في كتاب «الفتن» من صحيحه، عن يعقوب بن إبراهيم الدّوْرَقِيّ، وحجاج بن الشاعر، عن أبي عاصم الضحّاك بن مَخْلَد النبيل، عن عَزْرة، عن علباء، عن أبي زيد، وهو عمرو بن أخطب بن رفاعة الأنصاريّ به[2].

٣١ ـ وقال البخاريّ في كتاب «بدء الخلق» من صحيحه: ورُوي عن عيسى بن موسى غُنْجار، عن رقبة، عن قَيْس بن مُسلم، عن طارق بن شهاب، قال: سمعتُ عمر بن الخطاب يقول: قام فينا رسول الله ـ ﷺ ـ مَقاماً، فأخبرنا عن بدء الخلق، حتى دخل أهلُ الجنة منازلَهم، وأهلُ النار منازلَهم، حفظ ذلك مَنْ حَفِظَهُ ونَسيَهُ من نسيه. هكذا ذكره البخاريّ مُعلّقاً بصيغة التمريض عن غُنْجار، عن رقبة فالله أعلم[3].

٣٢ ـ وقال أبو داود في أول كتاب «الفتن» من سُنَنِه: حدثنا عثمانُ بن أبي شَيْبَة،

(١) رواه أحمد (٥/٣٤١).
(٢) رواه مسلم (٢٨٩٢) في الفتن وأشراط الساعة، باب: إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة.
(٣) رواه البخاري (٣١٩٢) في بدء الخلق، باب: ما جاء في قول الله تعالى: **﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده﴾**.

حدثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن حُذَيْفَة قال: قام فينا رسول الله ﷺ قائماً، فما ترك شيئاً يكون في مقامِه ذلك إلى قيام الساعة إلّا حدّثه، حفظه مَنْ حفظه، ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون منّي الشيءُ فأذكره، كما يذكرُ الرجل وَجْهَ الرَّجُل إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عرفه[1].

وهكذا رواه البخاريّ، من حديث سُفيان الثوريّ، ومسلم من حديث جرير، كلاهما عن الأعمش به[2].

٣٣ ـ وقال الإمام أحمد: حدثنا عبدالرزّاق، أنبأنا مَعْمَر، عن عليّ بن زيد، عن أبي نضْرة، عن أبي سعيد، قال: صلى بنا رسول الله ـ ﷺ ـ صلاةَ العصر ذاتَ يوم بنهار، ثم قام فخطبنا إلى أن غابت الشمس، فلم يدَع شيئاً مما يكون إلى يوم القيامة إلّا حدّثَناه، حفظ ذلكَ مَن حَفِظَهُ، ونسيه من نَسِيهُ، فكان مما قال: «يا أيُّها الناسُ، إنّ الدُّنيا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، وإنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فناظِرٌ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فاتقوا الدُّنْيا، واتّقوا النِّساء» وذكر تمامَها إلى أن قال: وقد دنتِ الشمسُ أن تغرب «وإنّ ما بقيَ من الدُّنيا فيما مَضَى مثلُ ما بَقي في يَومِكُمْ هذَا فِيمَا مَضَى منه»[3] علي بن زيد بن جُدْعَان التيميّ، له غرائب ومنكرات.

ولكن لهذا الحديث شواهدُ من وجوه أُخَر، وفي صحيح مسلم من طريق أبي نضرة، عن أبي سعيد بعضه، وفيه الدلالة على ما هو المقطوع به، أن ما بقي من الدُّنيا بالنسبة إلى ما مضى منها شيء يسير جدّاً، ومع هذا لا يَعلَمُ مقداره على اليقين والتحديد إلّا اللَّهُ تعالى، كما لا يَعلَمُ مقدار ما مضى إلّا اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ، والذي في كتب الإسرائيليّين وأهل الكتاب من تحديد ما سلف بألوف ومائتين من السنين قد نصّ غيرُ واحدٍ من العلماء على تخطئتهم فيه وتغليطهم، وهم جديرون بذلك، حقيقون به.

(١) رواه أبو داود (٤٢٤٠) في الفتن والملاحم، باب: ذكر الفتن ودلائلها.
(٢) رواه البخاري (٦٦٠٤) في القدر، باب: وكان أمر الله قدراً مقدوراً، ومسلم (٢٨٩١) (٢٣) في الفتن وأشراط الساعة، باب: إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة.
(٣) رواه أحمد (٣/٦١).

٣٤ ـ وقد ورد في حديث: «الدُّنيا جُمُعَةٌ مِن جُمَعِ الآخِرَة»(١)، ولا يَصحُّ إسناده أيضاً، وكذا كلّ حديث ورد فيه تحديدٌ بوقت يوم القيامة على التعيين، لا يثبتُ إسنادهُ.

وقال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا * فِيمَ أَنْتَ مِن ذِكْرَاهَا * إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا * إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَن يَخْشَاهَا * كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٤٢ ـ ٤٦].

وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرساهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمواتِ والأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

والآيات، في هذا، والأحاديث كثيرة.

وقال الله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١].

وفي حديث: «بُعِثْتُ أنا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»(٢) وفي رواية: «إنْ كَادَتْ لتسبقني»(٣)، وهذا يَدُلّ على اقْتِرَابِها بالنسبة إلى ما مضى من الدنيا.

وقال تعالى: ﴿اقترب للنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١].

وقال تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١].

وقال تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُ بها الّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِهَا والَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أنَّها الْحَقّ﴾ [الشورى: ١٨].

٣٥ ـ وفي الصحيح أن رجلاً من الأعراب سأل رسول الله ـ ﷺ ـ عن الساعة، فقال: «إنّها كائنة، فما أعددْتَ لها؟» فقال الرجل: والله يا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ

---

(١) رواه الطبري في تاريخه (١٠/١)، وقال المناوي: غير ثابت. (فيض القدير ٥٤٧/٣).

(٢) رواه البخاري (٦٥٠٤) في الرقاق، باب: قول النبي ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين»، ومسلم (٢٩٥١) في الفتن وأشراط الساعة، باب: قرب الساعة.

(٣) رواه أحمد (٣٠٩/٤).

أعِدَّ لَهَا كَثِيرَ صَلاَةٍ وَلاَ عَمَلٍ، ولكنّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فقال: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ» فما فرح المسلمون بشيء فرحهم بهذا الحديث(١).

٣٦ ـ وفي بعض الأحاديث: «أنه ﷺ سُئِل عن السَّاعةِ، فنظَر إلى غُلامٍ فقال: «لَن يُدْرِكَ هَذا الْهَرَمُ، حتّى تَأْتِيَكُمْ سَاعتُكُمْ»(٢) والمراد انْخرامُ قَرْنِهِمْ، ودُخولهم في عالم الآخرة، فإنّ كُلَّ من مات، فقد دخل في حكم الآخرة، وبعض الناس يقول: من مات فقد قامت قيامتهُ، وهذا الكلام بهذا المعنى صحيح، وقد يقول هذا بعض الملاحِدَة، ويُشيرُون به إلى شيء من الباطل، فأما الساعة العظمى وهو اجتماع الأولين والآخرين في صعيد واحد، فهذا مما استأثر الله تعالى بعلم وقته، كما ثبت في «خَمْسٌ لا يَعْلَمُهُنّ إلاّ اللَّهُ» ثم قرأ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ، وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤](٣).

٣٧ ـ ولما جاء جبريل عليه السلام في صورة أعرابيّ، فسأل عن الإسلام، ثم الإيمان، ثم الإحسان، أجابه ﷺ عن ذلك، فلمّا سأله عن الساعة قال له: «ما المسؤولُ عنها بأعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قال: فأخْبِرْني عَنْ أَشْرَاطِهَا، فأخْبَرهُ عن ذلك(٤)، كما سيأتي إيرادهُ بسنده ومَتْنِه مع أمثاله، وأشكاله، من الأحاديث.

* * *

---

(١) رواه البخاري (٦١٧١) في الأدب، باب: علامة الحب في الله، و(٧١٥٣) في الأحكام، باب: القضاء والفتيا في الطريق، ومسلم (٢٦٣٩) في البر والصلة والآداب، باب: المرء مع من أحب.

(٢) رواه البخاري (٦٥١١) في الرقاق، باب: سكرات الموت، ومسلم (٢٩٥٢) في الفتن وأشراط الساعة، باب: قرب الساعة.

(٣) رواه البخاري (١٠٣٩) في الاستسقاء، باب: لا يدري متى يجيء المطر إلا الله.

(٤) رواه البخاري (٥٠) في الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، من حديث أبي هريرة، ومسلم (٨) في الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان، من حديث عمر.

باب ذكر الفتن جملة

ثم تفصيل ذكرها بعد ذلك إن شاء الله تعالى

٣٨ ـ وقال البخاري: حدثنا يحيى بن موسى، حدثنا الوليد، حدثني ابن جابر، حدثني بُسْر بن عُبَيْد الله الْحَضرميّ، حدثني أبو إدريس الْخَولَاني، أنّه سمع حُذَيْفَةَ بنَ اليمانِ يقول: كان الناسُ يسألون رسولَ الله ـ ﷺ ـ عن الخير، وكنتُ أسأله عن الشرّ مخافةَ أن يُدْرِكني، فقلت: يا رسول الله، إنّا كُنّا في جَاهِليَّة وشَرّ، فجاء اللَّهُ بهذا الخير، فهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيرِ مِنْ شَرّ؟ قال: «نَعَمْ» قلت: وهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشرّ مِنْ خَيْر؟ قال: «نعم، وفيه دَخَنٌ»، قلت: وما دَخَنُه؟ قال: «قوم يَهْتَدُونَ بغير هديي، تعرِفُ منهُمْ وتُنْكِرُ» قلت: فهلْ بعد ذلك الخير من شَرّ؟ قال: «نعم، دُعَاةٌ على أبوابِ جهنم، من أجابهُمْ إليها قَذَفُوهُ فيها» قلت: يا رسول الله، صِفْهُمْ لنا، قال: «هُمْ من جلدتنا، ويتكَلَّمُونَ بألسنتِنَا» قلت: فما تأْمُرني إن أدْرَكَني ذلك؟ قال: «تلزمُ جماعةَ المسلمين وإمامهُمْ» قلت: فإن لم يكن لهم إمام، ولا جماعةٌ؟ قال: «فاعْتَزِل تلك الفِرَق كُلّها، ولو أن تَعَضَّ بأصْلِ شجرةٍ، حتى يُدْرِكك الموتُ وأنتَ على ذلك»[1].

ثم رواه البخاريّ أيضاً ومسلم، عن محمد بن المثنى، عن الوليد بن مسلم، عن عبدالرحمٰن بن يزيد بن جابر، به نحوه[2].

وقد رُوي هذا الحديث من طُرُق كثيرةٍ، عن حُذَيفَة، فرواه أحمدُ، وأبو داود، والنسائيّ، من طريق نصر بن عاصم، عن خالد اليَشْكُريّ الكوفي[3]، عنه مبسوطاً،

---

(١) رواه البخاري (٣٦٠٦) في المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام.
«دخن»: أصل الدخن أن تكون في لون الدابة كدورة إلى سواد، والمراد ـ هنا ـ أن لا تصفو القلوب بعضها لبعض، ولا يزول خبثها، ولا ترجع إلى ما كانت عليه من الصفاء.

(٢) رواه البخاري (٧٠٨٤) في الفتن، باب: كيف الأمر إذا لم تكن جماعة؟ ومسلم (١٨٤٧) في الإمارة، باب: وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن.

(٣) رواه أحمد (٥/٣٨٦)، وأبو داود (٤٢٤٦) في الفتن والملاحم، باب: ذكر الفتن ودلائلها.

وفيه تفسير لما فيه من مُشْكِل.

ورواه النسائي وابن ماجه، من رواية عبدالرحمٰن بن قُرْط، عنه[1].

وفي صحيح البخاري، من حديث إسماعيل بن أبي خالد، عن قَيْس بن أبي حازم، عن حُذَيْفَة، قال: تعلَّمَ أصحابي الخيرَ، وتَعَلَّمْتُ الشَّرَّ[2].

٤٠ ـ وثبت في الصحيح من حديث الأعمش، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبدالله بن مسعود، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إن الإسلام بدأ غَرِيباً، وسيعُودُ غَرِيباً كما بدأ، فطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»، قيل: وَمَن الغُرَبَاء؟ قال: «النُّزَّاعُ من القبائل»[3]. ورواه ابنُ ماجه عن أنس، وأبي هريرة[4].

باب افتراق الأمم

٤١ ـ قال ابن ماجه: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا محمد بن بِشْر، حدثنا محمد بن عمرو، عن أبي سَلَمَة، عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «تفرَّقت اليَهُودُ عَلى إحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وتفرَّقَتْ أُمَّتِي على ثلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً»[5].

٤٢ ـ ورواه أبو داود عن وهب بن بَقِيَّة، عن خالد، عن محمد بن عمرو، به.

قال: حدثنا عمرو بن عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار الجمحي، حدثنا عماد بن يوسف، حدثنا صفوان بن عمرو، عن راشد بن سعيد، عن عوف بن مالك، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «افترقت اليهودُ على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٩٨١) في الفتن، باب: العزلة.

(٢) رواه البخاري (٣٦٠٧) في المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام.

(٣) رواه ابن ماجه (٣٩٨٨) في الفتن، باب: بدأ الإسلام غريباً، والترمذي (٢٦٢٩) في الإيمان، باب: ما جاء أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.
«النّزاع»: جمع نازع ونزيع، وهو الغريب الذي نـزع عن أهله وعشيرته، أي بَعُد وغاب. أي طوبى للمهاجرين الذين هجروا أوطانهم في الله تعالى.

(٤) رواه ابن ماجه (٣٩٨٧) من حديث أنس، و(٣٩٨٦) من حديث أبي هريرة.

(٥) رواه ابن ماجه (٣٩٩١) في الفتن، باب: افتراق الأمم.

الجنة، وسبعون في النار، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، فإحدى وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، والذي نفسي بيده لَتَفْتَرِقَنَّ أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، وثنتان وسبعون في النار» قيل: يا رسول الله؛ من هم؟ قال: «الجماعة»[1]. تفرد به أيضاً، وإسنادُه لا بأس به أيضاً.

٤٣ ـ وقال ابن ماجه أيضاً: حدثنا هشام وهو ابن عَمّار، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا أبو عمرو، حدثنا قتادة، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة، كلُّها في النار إلّا واحدة، وهي الجماعة»[2] وهذا إسناد قويّ على شرط الصحيح، تفرد به ابنُ ماجه أيضاً.

٤٤ ـ وقد روى أبو داود من حديث الأوزاعيّ، عن قتادة، عن أنس، وأبي سعيد، قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «سيكون في أمتي اختلافٌ وفُرْقة، وقوم يُحسِنون القول، ويُسِيئون الفعل»[3] الحديث.

٤٥ ـ وقال أبو داود: حدثنا أحمد بن حنبل، ومحمد بن يحيى بن فارس، قالا: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا صفوانُ، هو ابن عمرو، حدثنا أزهر بن عبدالله الحَرازيّ، عن أبي عامر الهوزنيّ، عن معاوية بن أبي سفيان، أنه قام، فقال: ألا إنّ رسول الله ـ ﷺ ـ قام فينا، فقال: «ألا إنّ مَنْ كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملّة، وإنّ هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان [وسبعون] في النار وواحدة في الجنة، وهي الجماعة»[4] تفرّد به أبو داود، وإسناده حسن.

٤٦ ـ وفي مُستدرك الحاكم أنهم لما سألوه عن الفرقة الناجية: من هم؟ قال: «ما أنا عليه اليوم وأصحابي»[5].

---

(١) رواه أبو داود (٤٥٩٦) في السنة، باب: شرح السنة.
(٢) رواه ابن ماجه (٣٩٩٣)، باب: افتراق الأمم.
(٣) رواه أبو داود (٤٧٦٥) في السنة، باب: في قتال الخوارج.
(٤) رواه أبو داود (٤٥٩٧) في السنة، باب: شرح السنة. وما بين حاصرتين مستدرك منه.
(٥) رواه الحاكم (١/١٢٩).

وقد تقدم في حديث حُذَيْفة، أن من أشراط الساعة أن يُرفَع العلم، ويَظْهر الجهل، ويَفْشُوَ الزنا، ويُشْرَب الخمر، ويذهب الرجال، وتبقى النساء، حتى يكون لخمسين امرأة قيِّمٌ واحد، وأخرجاه في الصحيحين، من حديث غُنْدَر به.

٤٧ ـ وقال ابن ماجه: حدثنا محمد بن عبدالله بن نُمَيْر، حدثنا أبيّ ووكيع، عن الأعمش، عن شقيق، عن عبدالله، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «يكون بين يدي السّاعة أيامٌ، يُرْفَعُ فيها العلمُ، ويَنْزِلُ فيها الجهلُ، ويَكْثُرُ فيها الهَرْجُ»[1] والهرج القتل. وهكذا، رواه البخاري ومسلم من حديث الأعمش به[2].

٤٨ ـ وقال ابن ماجه: حدثنا أبو معاوية، عن أبي مالك الأشجعي، عن رِبْعِيّ بن حِرَاش، عن حُذَيْفة بن اليَمان، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «يَدْرُس الإسلام كما يَدْرُس وشْيُ الثوب، حتى لا يُدرى ما صيامٌ [ولا صلاة] ولا صدقة ولا نسك، ويُسْرَى على الكتاب في ليلة، فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائفُ من الناس: الشيخُ الكبير، والعجوز، يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة: لا إله إلا الله، فنحن نقولها» فقال له صِلَة: ما تُغني عنهم لا إله إلا الله، وهم لا يدرون ما صلاةٌ ولا صيامٌ ولا نُسُكٌ ولا صدقة؟ فأعرض عنه حُذَيْفة، ثم ردّها عليه ثلاثاً، كلّ ذلك يُعرض عنه حذيفة، ثم أقبل عليه في الثالثة، [فقال]: يا صلة، تُنجيهم من النار، ثلاثاً[3].

وهذا دال على أن العلمَ قد يُرفع من الناس في آخر الزمان، حتى القرآن يُسرَى عليه من المصاحف والصدور، ويبقى الناس بلا علم، وإنما الشيخ الكبير والعجوز المسنّة، يخبرون بأنهم أدركوا الناس وهم يقولون: لا إله إلا الله، فهم يقولونها على وجه التقرُّب إلى الله، فهي نافعة لهم، وإن لم يكن عندهم من العمل

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٠٥٠) في الفتن، باب: ذهاب القرآن والعلم.
(٢) رواه البخاري (٦٠٣٧) في الأدب، باب: حسن الخلق والسخاء، ومسلم (١٥٧) في العلم، باب: رفع العلم وقبضه.
(٣) رواه ابن ماجه (٤٠٤٩) في الفتن، باب: ذهاب القرآن والعلم. وما بين حاصرتين مستدرك منه. «يدرس الإسلام»: من درس الرسم دروساً، إذا عفا وهلك. ومن درس الثوب درساً، إذا صار عتيقاً. «وشي الثوب»: نقشه. «ويسرى على الكتاب»: أي يذهب بالليل.

الصالح والعلم النافع غيرُها. وقوله: تنجيهم من النار، يحتمل أن يكون المراد أن تدفع عنهم دخول النار بالكلية، ويكون فرضُهم القول المجرد لعدم تكليفهم بالأفعال التي لم يُحاطوا بها، والله أعلم. ويحتمل أن يكون المعنى أنها تُنجيهم من النار بعد دُخولها.

٤٩ ـ وعلى هذا فيحتمل أن يكونوا من المراد بقوله في الحديث: «وعزتي وجلالي لأُخْرِجنّ من النار من قال يوماً من الدهر لا إله إلا الله»[1]، كما سيأتي بيانه في مقامات الشفاعة، ويحتمل أن يكون أولئك قوماً آخرين، والله أعلم.

والمقصود أن العلم يُرفع في آخر الزمان، ويكثرُ الجهل، وفي هذا الحديث: وينزلُ الجهلُ، أي ويُلْهَمُ أهلُ ذلك الزمان الجهل، وذلك من الخذلان، نعوذ بالله منه، ثم لا يزالون كذلك في تزايد من الجهالة والضلالة، إلى منتهى الحال.

٥٠ ـ كما جاء في الحديث الذي أخبر به الصادق المصدوق في قوله: «لا تقومُ الساعة على أحدٍ يقول: الله، الله»[2]، و«لا تقوم إلّا على أشرار الناس»[3].

ذكر شرور تحدث في هذه الأمة في آخر الزمان وإن كان قد وجد بعضها في زماننا أيضاً

٥١ ـ قال أبو عبدالله بن ماجه ـ رحمه الله ـ في كتاب الفتن من سننه: حدَّثنا محمود بن خالد الدمشقي، حدَّثنا سليمان بن عبدالرحمٰن؛ أبو أيُّوب، عن ابن أبي مالك، عن أبيه، عن عطاء بن أبي رَباح، عن عبدالله بن عمر، قال: أقبل علينا رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: «يا معشر المهاجرين، خمسُ خصال إذا ابتُليتُم بهنّ، وأعوذ بالله أن تدركوهُنَّ: لم تظهر الفاحشة في قوم قطّ، حتى يُعلِنُوا بها، إلَّا فَشَا فيهم الطاعون والأوجاعُ الَّتي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ في أَسْلَافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا. ولم يَنْقصُوا

(١) رواه البخاري (٧٥١٠) في التوحيد، باب: كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، ومسلم (١٩٣) في الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

(٢) رواه مسلم (١٤٨) في الإيمان، باب: ذهاب الإيمان آخر الزمان، وأحمد (١٦٢/٣)، وعبد بن حميد في المنتخب رقم (١٢٤٧).

(٣) رواه مسلم (٢٩٤٩) في الفتن وأشراط الساعة، باب: قرب الساعة، وأحمد (١ [illegible]

المكيال والميزان إلَّا أُخِذُوا بالسنين وشدة الْمَؤُونة وجَوْر السلطان عليهم. ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلَّا مُنعوا القَطْرَ من السماء، ولولا البهائمُ لم يُمْطَروا. ولم يَنْقُضُوا عهد الله وعهدَ رسوله إلَّا سَلَّطَ الله عليهم عَدُوّاً من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم. وما لم تحكم أَئِمَّتُهُمْ بكتاب الله، ويتخيروا بما أنزل الله إلَّا جعل الله بأسهم بينهم»[1] تفرّد به ابنُ ماجه، وفيه غرابة.

٥٢ ـ وقال الترمذيّ: حدثنا صالح بن عبدالله، حدثنا الفرَجُ بن فَضَالة الشاميّ أبو فضالة، عن يحيى بن سعيد، عن محمد بن عمر بن علي، عن علي ابن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا فعلت أمتي خمس عشرة خَصْلة حلّ فيها البلاء» قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: «إذا كان المَغْنَم دُوَلاً، والأمانةُ مغنماً، والزكاةُ مَغْرماً، وأطاع الرجلُ زَوْجَتَهُ وعَقّ أُمَّهُ، وبرّ صديقه وجفا أباه، وارتفعت الأصواتُ في المساجد، وكان زعيمُ القوم أرذَلهم، وأُكْرِمَ الرجلُ مخافة شرّه، وشُربت الْخُمور، ولُبس الحرير، واتُّخذت القَيْنات والمعازف، ولَعَن آخِرُ هذه الأمة أوّلَها، فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء، أو خَسْفاً، أو مَسْخاً»[2] ثمّ قال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه من حديث عليّ إلّا من هذا الوجه، ولا نعلم أحداً روى هذا الحديث عن يحيى بن سعيد الأنصاريّ غير الفَرَج بن فضالة، وقد تكلم فيه بعضُ أهل العلم من قِبَل حِفْظِهِ، وقد رَوَى عنه وكيعٌ، وغيرُ واحد من الأئمة.

٥٣ ـ وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا محمد بن الحصين القيسي، حدثنا يونس بن أرقم، حدثنا إبراهيمُ بن عبدالله بن حسن، عن زيد بن عليّ بن الحسن، عن أبيه، عن جَدِّه، عن عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنهم ـ صلّى بنا رسول الله ـ ﷺ ـ صلاةَ الصبح، فلما صلَّى صلاته ناداه رجل: متى الساعة؟ فزبره رسول الله ـ ﷺ ـ وانتهره، وقال: «اسكت» حتى إذا أسفر رفع طَرْفَه إلى السماء، فقال:

(١) رواه ابن ماجه (٤٠١٩) في الفتن، باب: العقوبات.
«الفاحشة»: الزنا. «السنين»: القحط. «القطر»: المطر. «عهدالله»: هو ما جرى بينهم وبين أهل الحرب.

(٢) رواه الترمذي (٢٢١٠) في الفتن، باب: ما جاء في علامة حلول المسخ والخسف.

الصالح والعلم النافع غيرُها. وقوله: تنجيهم من النار، يحتمل أن يكون المراد أن تدفع عنهم دخول النار بالكلية، ويكون فرضُهم القول المجرد لعدم تكليفهم بالأفعال التي لم يُحاطوا بها، والله أعلم. ويحتمل أن يكون المعنى أنها تُنجيهم من النار بعد دُخولها.

٤٩ - وعلى هذا فيحتمل أن يكونوا من المراد بقوله في الحديث: «وعزتي وجلالي لأخرجنّ من النار من قال يوماً من الدهر لا إله إلا الله»[١]، كما سيأتي بيانه في مقامات الشفاعة، ويحتمل أن يكون أولئك قوماً آخرين، والله أعلم.

والمقصود أن العلم يُرفع في آخر الزمان، ويكثرُ الجهل، وفي هذا الحديث: وينزلُ الجهلُ، أي ويُلْهَمُ أهلُ ذلك الزمان الجهل، وذلك من الخذلان، نعوذ بالله منه، ثم لا يزالون كذلك في تزايد من الجهالة والضلالة، إلى منتهى الحال.

٥٠ - كما جاء في الحديث الذي أخبر به الصادق المصدوق في قوله: «لا تقومُ الساعة على أحدٍ يقول: الله، الله»[٢]، و«لا تقوم إلّا على أشرار الناس»[٣].

ذكر شرور تحدث في هذه الأمة في آخر الزمان وإن كان قد وجد بعضها في زماننا أيضاً

٥١ - قال أبو عبدالله بن ماجه - رحمه الله - في كتاب الفتن من سننه: حدَّثنا محمود بن خالد الدمشقي، حدثنا سليمان بن عبدالرحمٰن؛ أبو أيُّوب، عن ابن أبي مالك، عن أبيه، عن عطاء بن أبي رَباح، عن عبدالله بن عمر، قال: أقبل علينا رسول الله - ﷺ - فقال: «يا معشر المهاجرين، خمسُ خصال إذا ابتُليتُم بهنّ، وأعوذ بالله أن تدركوهُنّ: لم تظهر الفاحشة في قوم قطّ، حتى يُعلِنُوا بهـا، إلّا فَشَا فيهم الطاعون والأوجاعُ التي لم تكُنْ مَضَتْ في أسْلَافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا. ولم يَنْقصُوا المكيال والميزان إلّا أُخِذُوا بالسنين وشدة الْمؤونة وجَوْر السلطان عليهم. ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلّا مُنعوا القَطْرَ من السماء، ولولا البهائمُ لم يُمْطَروا. ولم يَنْقُضُوا عهد الله وعهدَ رسوله إلّا سَلَّطَ الله عليهم عَدُوّاً من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم. وما لم تحكم أئِمَّتُهُمْ بكتاب الله، ويتخيّروا بما أنزل الله إلّا جعل الله بأسهم بينهم»[١] تفرّد به ابنُ ماجه، وفيه غرابة.

٥٢ - وقال الترمذيّ: حدثنا صالح بن عبدالله، حدثنا الفرجُ بن فَضَالة الشاميّ أبو فضالة، عن يحيى بن سعيد، عن محمد بن عمر بن علي، عن علي ابن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا فعلت أمتي خمس عشرة خَصْلة حلَّ فيها البلاء» قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: «إذا كان المَغْنَم دُوَلاً، والأمانةُ مَغْنماً، والزكاةُ مَغْرَماً، وأطاع الرجلُ زَوْجَتَهُ وعقَّ أُمَّهُ، وبرَّ صديقه وجفا أباه، وارتفعت الأصواتُ في المساجد، وكان زعيمُ القوم أرذلَهم، وأُكْرِمَ الرجلُ مخافة شرّه، وشُربت الْخُمور، ولُبس الحرير، واتُّخذت القَيْنات والمعازف، ولَعن آخِرُ هذه الأمة أوّلَها، فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء، أو خَسْفاً، أو مَسْخاً»[٢] ثمَّ قال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه من حديث عليّ إلّا من هذا الوجه، ولا نعلم أحداً روى هذا الحديث عن يحيى بن سعيد الأنصاريّ غير الفرَجَ بن فَضالة، وقد تكلم فيه بعضُ أهل العلم من قِبَل حِفْظِهِ، وقد رَوَى عنه وكيعٌ، وغيرُ واحد من الأئمة.

٥٣ - وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا محمد بن الحصين القيسي، حدثنا يُونُس بن أرقم، حدثنا إبراهيمُ بن عبدالله بن حسن، عن زيد بن عليّ بن الحسن، عن أبيه، عن جَدِّه، عن عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنهم - صلّى بنا رسولُ الله - ﷺ - صلاةَ الصبح، فلما صلّى صلاته ناداه رجل: متى الساعة؟ فزبره رسولُ الله - ﷺ - وانتهره، وقال: «اسكت» حتى إذا أسفر رفع طَرْفَه إلى السماء، فقال:

---

(١) رواه البخاري (٧٥١٠) في التوحيد، باب: كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، ومسلم (١٩٢) في الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

(٢) رواه مسلم (١٤٨) في الإيمان، باب: ذهاب الإيمان آخر الزمان، وأحمد (٣/ ٢٦٨)، وعبد بن حميد في المنتخب رقم (١٢٤٧).

(٣) رواه مسلم (٢٩٤٩) في الفتن وأشراط الساعة، باب: قرب الساعة، وأحمد (١/ ٤٣٥).

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٠١٩) في الفتن، باب: العقوبات.
«الفاحشة»: الزنا. «السنين»: القحط. «القطر»: المطر. «عهدالله»: هو ما جرى بينهم وبين أهل الحرب.

(٢) رواه الترمذي (٢٢١٠) في الفتن، باب: ما جاء في علامة حلول المسخ والخسف.

قال: «إنّ الجَنَّةَ حُرِّمَتْ عَلَى الأنْبياءِ كُلِّهِمْ حَتّى أَدْخُلَها، وحُرِّمَتْ عَلَى الأُمَمِ حَتّى تَدْخُلَها أُمّتي»[1].

٦٠ - وفي سنن أبي داود، من حديث أبي خالد الدالاني مولى جَعْدَة، عن أبي هريرة، عن النبي - ﷺ -، قال: «أتاني جبريلُ، فأراني بَابَ الجَنَّةِ الَّذي تَدخلُ منه أمّتي» فقال أبو بكر: يا رسول الله، وَدِدْتُ أنّي مَعكَ حَتَّى أَنْظُرَ إلَيْه، فقال رسول الله - ﷺ -: «أمَا إنَّكَ يَا أبَا بَكْرٍ أوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أمّتي»[2].

٦١ - وثبت في الصحيح: «فيقول الله: أَدْخِلْ من لَا حِسَابَ عليهِ مِنْ أُمَّتِكَ من البابِ الأيْمَنِ، وهم شركاء الناس في بقية الأبواب»[3].

٦٢ - وفي الصحيحين من حديث الزهريّ، عن حُمَيد بن عبدالرحمٰن، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - ﷺ -: «مَنْ أنفقَ زَوْجَيْنِ مِنْ ماله في سبيل اللّهِ، دُعِيَ من أبوابِ الجَنَّةِ، ولِلْجَنَّةِ أبواب، فمنْ كَانَ مِنْ أهْلِ الصَّلاَةِ يُدعَى من بَابِ الصَّلاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعي من باب الصَّدقةِ، ومَنْ كَانَ مِنْ أهلِ الجِهادِ دُعِيَ من باب الجهاد، ومَنْ كَانَ من أهل الصِّيام، دُعِيَ من بَابِ الرَّيّان» فقال أبو بكر: والله يا رسول الله، ما على أحد من ضرورة دُعِيَ من أيِّها دُعي، فهل يُدعى منها كُلِّها أحد، يا رسول الله؟ قال: «نعم، وأرجو أن تكون منهم»[4].

٦٣ - وفي الصحيحين من حديث أبي حازم، عن سهل بن سعد: أن رسول الله - ﷺ - قال: «في الجَنّة ثَمانيَةُ أبْوابٍ، باب منها يسمّى الرَّيّان، لا يدخلهُ إلّا الصَّائِمون فإذا دَخلُوا منه أُغْلِقَ فَلَمْ يَدخُل منه أحد غيرُهم»[1].

ذكر دخول الفقراء الجنة قبل الأغنياء

٦٤ - قال أحمد: حدثنا عفّان، حدثنا حمّاد بن سَلَمَة، عن محمد بن عمرو، عن أبي سَلَمة، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «يدخُلُ فُقراءُ المُسْلِمِين الْجَنَّةَ قَبْلَ أغْنِيَائِهِم بِنِصْفِ يَوْمٍ، وهُوَ خَمْسُمائَةِ عام»[2] وأخرجه الترمذيّ، وابن ماجه، من حديث محمد بن عمرو، قال الترمذيّ: حسن صحيح.

٦٥ - وله طرق عن أبي هريرة، فمن ذلك ما رواه الثوريّ، عن محمد بن زيد، عن أبي حازم، عن أبي هريرة، عن رسول الله - ﷺ - قال: «إنَّ فُقَراءَ المُؤْمِنينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبلَ أَغْنِيائِهِمْ بِنِصْفِ يوم، وذلك خمسمائة عام»[3] الحديث بطوله.

٦٦ - وقال أحمد: حدثنا أبو عبدالرحمٰن، حدثنا حَيْوة هو ابن شُرَيْح، أخبرني أبو هانيء؛ أنّه سمع أبا عبدالرحمٰن الحُبُليّ، يقول: سمعت عبدالله بن عمرو، يقول: سمعتُ رسول الله - ﷺ - يقول: «إنَّ فُقَراءَ المُهاجِرينَ يَسْبِقُونَ الأَغْنِياءَ يَوْمَ القِيَامة - يعني إلى الجَنّة - بأرْبَعِينَ خَرِيفاً»[4]. وكذا رواه مُسلم، من حديث أبي هانيء حُمَيْد بن هانيء، به.

٦٧ - وقال أحمد: حدثنا حسن[5]، هو ابن محمد، حدثنا دويد[6]، هو ابن

---

(١) رواه الدارقطني في الأفراد، وقال: غريب عن الزهري، ولا أعلم روي عن عبدالله بن محمد بن عقيل عن الزهري غير هذا الحديث، ولا رواه إلا عمرو بن أبي سلمة عن زهير. (حادي الأرواح ص ١٦٢). ورواه أبو أحمد بن عدي الحافظ، والثعلبي كما في تفسير ابن كثير (١/٤٠٤)، ورواه ابن النجار كما في كنز العمال (١١/٤١٦).

(٢) رواه أبو داود (٤٦٥٢) في السنة، باب: في الخلفاء.

(٣) رواه البخاري (٤٧١٢) في [illegible] رية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً﴾، ومسلم (١٩٤) في الإيمان، باب: ادنى أهل الجنة منزلة فيها.

(٤) رواه البخاري (١٨٩٧) في الصوم، باب: الريان للصائمين، ومسلم (١٠٢٧) في الزكاة، باب: من جمع الصدقة وأعمال البر.

«من أنفق زوجين»: أي فرسَيْن أو عبدين أو بعيرين، وقال ابن عرفة: كل شيء قرن بصاحبه فهو زوج.

(١) رواه البخاري (١٨٩٦) في الصوم، باب: الريان للصائمين، ومسلم (١١٥٢) في الصيام، باب: فضل الصيام.

(٢) رواه أحمد (٢/٣٤٣)، والترمذي (٢٣٥٣) في الزهد، باب: ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم، وابن ماجه (٤١٢٢) في الزهد، باب: منزلة الفقراء.

(٣) رواه الطبراني. (حادي الأرواح ص ١٦٩).

(٤) رواه أحمد (٢/١٦٩)، ومسلم (٢٩٧٩) في الزهد والرقائق.

(٥) في المطبوع: حسين.

(٦) في المطبوع: داود.

نافع، عن مسلم بن بشير[1]، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله - ﷺ -: «التقى مُؤْمِنَانِ على باب الْجَنّة، مؤمن غَنِيٌّ، ومُؤْمِنٌ فَقِير، كانا في الدُّنيا، فأُدْخِلَ الفقيرُ الجَنَّةَ، وحُبِسَ الغَنِيّ ما شاء الله أنْ يُحْبَس، ثم أدْخِلَ الْجَنَّةَ، فَلَقِيَهُ الفَقِيرُ، فقال: يا أخي، ماذا حبسك؟ والله لَقَدِ احْتَبَسْتَ حَتَّى خِفْتُ عَلَيْكَ، فيقول: أيْ أخي، إني حُبِسْتُ بَعْدَكَ مَحْبِساً فَظِيعاً كَرِيهاً، ما وَصَلْتُ إلَيْكَ حَتَّى سال مِنِّي مِنَ العَرَقِ ما لَوْ وَرَدَهُ أَلْفُ بَعِيرٍ كُلُّها أكَلَت حَمْضاً لَصَدَرَتْ عَنْهُ رَاوِية»[2].

٦٨ - وثبت في الصحيحين من حديث أبي عثمان النَّهديّ، عن أسامة بن زيد؛ أن رسول الله - ﷺ - قال: «قمتُ على باب الجنَّة؛ فإذا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَها المَساكِينُ، وقمتُ على بَابِ النار، فإذا عَامَّةُ مَنْ يَدْخُلُها النِّساء»[3].

وفي صحيح البخاريّ، من حديث سَلْم[4] بن زُرَيْر، عن أبي رجاء، عن عمران بن حُصَيْن مِثْله[5].

٦٩ - ورواه عبدُ الرزّاق، عن مَعْمَر، عن قَتَادَة، عن أبي رجاء؛ عِمْران بن مِلْحان، عن عمران بن حُصَيْن، سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «نَظَرْتُ في الجَنَّة فرَأَيْتُ أكْثَرَ أَهْلِهَا الفُقَرَاء، ونظرتُ في النار فرأيتُ أكْثَرَ أَهْلِهَا النساء»[6].

٧٠ - وروى مسلم عن شيبان بن فَرّوخ، عن أبي الأشهب، عن أبي رجاء، عن ابن عباس؛ أن رسول الله - ﷺ - اطّلع في النار؛ فرأى أكثر أهْلِها النّساءَ،

(١) في المطبوع: بشر.
(٢) رواه أحمد (٣٠٤/١)، وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد ٢٦٣/١٠): رواه أحمد، وفيه دويد غير منسوب، فإن كان هو الذي روى عن سفيان فقد ذكره العجلي في كتاب الثقات، وإن كان غيره لم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح غير مسلم بن بشير، وهو ثقة.
«حمضاً»: الحمض: كلّ نبت في طعمه حموضة.
(٣) رواه البخاري (٦٥٤٧) في الرقاق، باب: صفة الجنة والنار، ومسلم (٢٧٣٦) في الرقاق، باب: أكثر أهل الجنة الفقراء.
(٤) في المطبوع: مسلمة.
(٥) رواه البخاري (٥١٩٨) في النكاح، باب: كفران العشير.
(٦) قال القرطبي: إنما كان النساء أقلّ ساكني الجنة، لما يغلب عليهن من الهوى، والميل إلى عاجل زينة الدنيا، والإعراض عن الآخرة؛ لنقص عقلهنّ وسرعة انخداعهن. (فتح الباري ٤٢٠/١١).

واطّلعَ في الجَنَّة؛ فرأى أكْثَر أهْلِهَا الفُقَراء[1]. وقد رواه ابن مالك، عن يحيى بن سعيد، مُرْسَلاً.

٧١ - ثم روى من حديث صالح المُرّي، عن سعيد الجُرَيْريّ، عن أبي عثمان النهديّ، عن أبي هُرَيْرة، قال: قال رسول الله - ﷺ -: «إذَا كَانَ أمَراؤُكُمْ خِيَارَكم، وأغنياؤكم سمحاءَكُم، وأموركُم شُورَى بَيْنَكم، فظَهْرُ الأَرْضِ خَيْرٌ لكُم مِنْ بَطْنِهَا»[2] ثم قال: غريب، لا نعرفه إلّا من حديث صالح المُرّي، وله غرائب، لا يُتابَع عَلَيْها، وهو رجل صالح.

٧٢ - وقال الإمام أحمد: حدثنا خَلَف بن الوليد، حدثنا عَبّاد بن عَبّاد، عن مجالد بن سعيد، عن أبي الوَدّاك، عن أبي سعيد الخُدْريّ قال: قال رسول الله - ﷺ -: «لَتَضْرِبَنَّ مُضَرُ عبادَ الله حتى لا يُعبَد إليه اسم، ولَيَضْرِبَنَّهُمُ المؤمنون حتى لا يَمْنَعُوا ذَنَبَ تَلْعَة»[3] تفرّد به أحمد من هذا الوجه.

٧٣ - وقال أحمد: حدّثنا عبدُ الصمد، حدثنا حَمّادٌ، يعني ابن [سلمة، عن] أيُّوبَ، عن أبي قِلَابَة، عن أنَسٍ، عن النبي - ﷺ - قال: «لَا تقومُ الساعةُ حَتّى يَتَبَاهى الناسُ في الْمَسَاجِد»[4] ورواه أبو داود، والنسائيّ، وابن ماجه، من حديث حَمّاد بن سَلَمَة، عن أبي أيوب، عن أبي قِلَابَة، عن عبدالله بن زيد الجرميّ، زاد أبو داود: عن قتادة، كلاهما عن أنس، عن النبي - ﷺ -[5].

(١) رواه مسلم (٢٧٣٧) في الرقاق، باب: أكثر أهل الجنة الفقراء.
(٢) رواه الترمذي (٢٢٦٦) في الفتن، باب (٧٨). وهو ضعيف. (ضعيف الجامع ٧٤٦).
(٣) رواه أحمد (٨٦/٣ - ٨٧)، وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد ٣١٣/٧): رواه أحمد، وفيه مجالد بن سعيد؛ وثقه النسائي وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات.
«لا يمنعوا ذنب تلعة»: يريد كثرته، وأنه لا يخلو منه موضع.
(٤) رواه أحمد (١٣٤/٣)، وما بين حاصرتين مستدرك منه.
(٥) رواه أبو داود (٤٤٩) في الصلاة، باب: في بناء المسجد، والنسائي (٣٢/٢) في المساجد، باب: المباهاة في المساجد، وابن ماجه (٧٣٩) في المساجد والجماعات، باب: تشييد المساجد.
«يتباهى»: يتفاخر. «في المساجد»: أي في بنائها، أو يأتون بهذا الفعل الشنيع، وهي المباهاة بما لا ينبغي، وهم جالسون في المساجد.

وسيأتي في ذكر أشراط الساعة حديث ابن مسعود، ومنه: «وَتُـزَخْـرَفُ المحَاريبُ، وتَخْرَبُ القُلوبُ».

٧٤ ـ وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا شَريك بن عبدالله، عن عثمان بن عُمَيْر، عن زَاذَان؛ أبي عمر، عن عليم قال: كُنَّا جُلوساً على سطح، معنا رجل من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ، قال يزيد: لا نعرفه، أعلمه الأعبس الغفاري، والناس يخرجون في الطاعون، فقال أعبس: يا طاعون خذني، يقولها ثلاثاً، فقال له عليم: لم تقول هذا؟ ألم يقلْ رسول الله ـ ﷺ ـ: «لا يتمن أحدُ الموت فإنه عند ذلك انقطاع عمله، ولا يرد فيستعتب؟» فقال: إني سمعتُ رسولَ الله ـ ﷺ ـ يقول: «بادروا بالموت ستاً: إمرة السفهاء، وكثرة الشرط، وبيع الحكم، واستخفافاً بالدم، وقطيعة الرحم، ونشواً يتخذون القرآن مزامير؛ يقدمونه يغنيهم وإن كان أقل منهم فقهاً»(١) تفرّد به أحمد.

* * *

(١) رواه أحمد (٣/٤٩٤)، وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد ٥/٢٤٥): رواه أحمد والبزار والطبراني في الأوسط والكبير بنحوه... وفي إسناد أحمد عثمان بن عمير البجلي وهو ضعيف، وأحد إسنادي الكبير رجاله رجال الصحيح.
«الشُرط»: جمع شُرْطيّ. «نشواً»: جماعة.

فصل في ذكر المهدي الذي يكون آخر الزمان

وهو أحد الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، وليس هو بالمنتظر الذي تزعمه الرافضة، وترتجي ظهوره من سرداب سامراء، فإن ذلك ما لا حقيقة له ولا عين ولا أثر، ويزعمون أنه محمد بن الحسن العسكري، وأنه دخل السرداب وعمره خمسُ سنين، وأما ما سنذكره فقد نطقت به الأحاديث المرويّة عن رسول الله ـ ﷺ ـ؛ أنه يكون في آخر الدهر، وأظن ظهوره يكون قبل نزول عيسى ابن مريم، كما دلّت على ذلك الأحاديث.

٧٥ ـ قال الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ: حدثنا حجّاج وأبو نُعَيم، قالا: حدثنا فِطْر، عن القاسم بن أبي بَزَّة، عن أبي الطُّفَيْل، قال حجّاج: سمعت عليًا يقول: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لو لم يَبْقَ من الدنيا إلا يومٌ لبَعَثَ اللَّهُ رجلاً منّا يملؤها عَدْلاً، كما مُلئت جَوْراً»(١) وقال أبو نُعيم: رجل مني، وقال مرّة يذكره عن حَبيب، عن أبي الطُّفَيل، عن عليّ، عن النبي ـ ﷺ ـ. ورواه أبو داود عن عثمان بن أبي شَيْبة، عن أبي نُعَيْم الفَضْل بن دُكَيْن.

٧٦ ـ وقال الإمام أحمد: حدثنا فضل بن دُكَيْن، حدثنا ياسين العِجْليّ، عن إبراهيم بن محمد بن الحَنَفِيّة، عن أبيه، عن عليّ، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «المهديّ منّا أَهلَ البَيْتِ يُصْلِحُه اللَّهُ في لَيْلَةٍ»(٢) ورواه ابن ماجه عن عثمان بن أبي شَيْبَة، عن أبي داود الحَفَرِيّ، عن ياسين العِجْليّ، وليس هو ياسين بن معاذ الزّيات ضعيف، وياسين العِجْلي هذا أوثقُ منه.

٧٧ ـ وقال أبو داود: حُدِّثْتُ عن هارون بن المغيرة، حدثنا عمرو بن أبي

(١) رواه أحمد (١/٩٩)، وأبو داود (٤٢٨٣) في المهدي، باب (١).
(٢) رواه أحمد (١/٨٤)، وابن ماجه (٤٠٨٥) في الفن، باب: خروج المهدي، وهو حديث حسن (صحيح سنن ابن ماجه ٢/٣٨٩).

قَيْس، عن شُعَيْب بن خالد، عن أبي إسحاق، قال: قال عليّ، ونَظَر إلى ابنه الحسن، فقال: إنّ ابني هذا سيّد، كما سَمّاهُ رسول الله - ﷺ -، وسيخرُج من صُلبه رجلٌ يُسَمَّى باسم نبيكم ﷺ، يُشْبِهُهُ في الخُلُق ولا يُشبِهه في الخَلْقِ، ثم ذكر قصة يملأ الأرض عَدْلاً [1].

٧٨ - وقد عقد أبو داود السجستاني - رحمه الله - كتاب المهدي مُفرداً في سُنَنِه، فأورد في صدره حديث جابر بن سَمُرة، عن رسول الله - ﷺ -: «لا يزالُ هذا الدينُ قَائماً، حَتَّى يَكُونَ عَلَيْكُمْ اثْنَا عَشر خَلِيفَةً، كُلُّهُمْ تَجْتَمع عَلَيه الأُمَّة» [2]، وفي رواية: «لا يزالُ هذا الدينُ عزيزاً إلى اثْنَيْ عَشَر خَليفةً» قال: فكبّر الناسُ، وضَجُّوا، ثم قال كلمةً خَفِيّة، قلت لأبي: ما قال؟، قال: «كُلُّهم من قريش» [3]، وفي رواية قال: فلمّا رجع إلى بيته أتَتْهُ قريش، فقالوا: ثُمَّ يكونُ ماذا؟ قال: «ثم يكون الهَرْجُ» [4].

٧٩ - ثم رَوى أبو داود من حديث سُفيان الثوريّ، وأبي بكر بن عيّاش، وزائدة، وفِطْر، ومحمد بن عُبَيْد، كلهم عن عاصم بن أبي النَّجُود، وهو ابن بَهْدَلة، عن زِرّ بن حُبَيْش، عن عبدالله، هو ابن مسعود، عن النبي - ﷺ - قال: «لو لم يَبْقَ من الدُّنيا إلّا يومٌ» قال زائدة: «لطَوَّل الله ذلك اليوم» ثم اتفقوا «حتى يبعث فيه رجلاً منِّي، أو من أهل بيتي، يُواطئُ اسمُه اسمِي، واسمُ أبيه اسم أبي» زاد في الحديث فطر «يملأ الأرضَ قِسْطاً وعَدْلاً، كما مُلِئَتْ ظُلْماً وَجُوراً». وقال في حديث سفيان: «لا تذهبُ أو لا تَنْقَضي الدُّنْيا حَتَّى يَمْلِكَ العَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يُواطئُ اسمُه اسمي» [5]. وهكذا رواه أحمد، عن عمر بن عُبَيْد، وعن سُفيانَ بن عُيَيْنَة، ومن حديث سُفْيان الثوريّ، كلُّهُمْ عن عاصم، به، رواه الترمذيّ

(١) رواه أبو داود (٤٢٩٠) في المهدي، باب (١).
(٢) رواه أبو داود (٤٢٧٩).
(٣) رواه أبو داود (٤٢٨٠).
(٤) رواه أبو داود (٤٢٨١).
(٥) رواه أبو داود (٤٢٨٢).
«يواطىء»: يوافق.

من حديث السفيانيين به، وقال: حسن صحيح. قال الترمذيّ: وفي الباب عن عليّ، وأبي سعيد، وأمّ سَلَمة، وأبي هريرة [1].

٨٠ - ثم قال الترمذيّ: حدثنا عبدالجبّار بن العلاء بن عبدالجبار العطار، حدثنا سفيانُ بنُ عُيَيْنَة، عن عاصم، عن زِرّ، عن عبدالله، عن النبي - ﷺ - قال: «يلي رجلٌ مِن أَهْلِ بَيْتِي يُواطِئُ اسمُه اسمِي» قال عاصم: وأخبرنا أبو صالح عن أبي هريرة، قال: لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنيا إلا يَوْمٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذلك اليَوْمَ حَتَّى يلِيَ. هذا حديث حسن صحيح [2].

٨١ - وقال أبو داود: حدثنا سَهْلُ بن تمّام بن بزيع، حدّثنا عِمران القطّان، عن قتادة، عن أبي نَضْرَة، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله - ﷺ -: «المهديّ منّي، أجلى الجَبْهَةِ، أقْنَى الأنف، يملأُ الأرْضَ قِسْطاً وعَدْلاً، كما مُلئت جَوْراً وظُلماً، يملِكُ سَبْع سِنِين» [3].

٨٢ - وقال أبو داود: حدثنا أحمدُ بن إبراهيم، حدثنا عبدالله بن جعفر الرَّقِّي، [حدثنا] أبو المليح، الحسن بن عمر، عن زياد بن بيان، عن علي بن نُفَيل، عن سعيد بن المسيّب، عن أمّ سَلَمة، قالت: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «المهديّ مِنْ عِترتي، مِنْ وَلَدِ فاطِمَة» [4]. قال عبدالله بن جعفر: سمعتُ أبا المَليح، يُثني على ابن نُفَيل، ويذكر منه صَلاحاً. ورواه ابن ماجه، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن أحمد بن عبدالملك، عن أبي المَلِيح الرّقّي، عن زياد بن بيان، به.

٨٣ - وقال أبو داود: حدثنا محمدُ بن المُثَنّى، حدثنا معاذُ بن هشام، حدثني أبي، عن قتادة، عن صالح أبي الخليل، عن صاحب له، عن أمّ سَلَمة؛ زوج النبي - ﷺ - [عن النبي ﷺ] قالت: «يكونُ اختلافٌ عِنْدَ موت خليفةٍ، فيخرج رجل

(١) رواه الترمذي (٢٢٣٠) في الفتن، باب: ما جاء في المهدي.
(٢) رواه الترمذي (٢٢٣١).
(٣) رواه أبو داود (٤٢٨٥) في المهدي، باب (١).
«وأجلى»: الجلي: هو انحسار الشعر عن مقدم الرأس.
(٤) رواه أبو داود (٤٢٨٤)، وابن ماجه (٤٠٨٦) في الفتن، باب: خروج المهدي، وما بين حاصرتين مستدرك منهما.

من أهْل المدينة هارباً إلى مَكَّة، فيأتيه ناسٌ من أهل مكة، فيُخْرِجُونه، وهو كارهٌ، فيُبَايِعُونه بَيْنَ الرُّكن والمَقام، ويُبعثُ مِنَ الشام فَيُخْسَفُ بِهِمْ بالبَيْداءِ، بين مكة والمدينة، فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدالُ الشام وعصائب أهل العراق فيبايعونه، ثم ينشأ رجل من قريش، أخواله كَلْب، فيبعث إليهم بعثاً، فيظهرون عليهم، وذلك بَعْثُ كَلْب، والخَيْبَةُ لمن لم يشهد غَنِيمة كَلْب، فيغنم، فيقسِم المال، ويعمل في الناس بسُنَّة نبيهم ﷺ، ويُلْقي الإسلامُ بِجِرانِه إلى الأرض، فيلبثُ سبعَ سنين، ثم يَتوفَّى، ويصلّي عليه المسلمون»(١).

٨٤ ـ وقال أبو داود: قال هارون يعني ابنَ المُغيرة، حدّثنا عمرو بن أبي قيس، عن مُطَرِّف بن طريف، عن أبي الحسن، عن هلال بن عمرو(٢)، سمعت عليّاً يقول: قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «يخرجُ رجل من وراء النَّهْر، يقال له الحارث [بن] حرَّاث، على مقدمته رجل يقال له منصور، يُوطِّيء أو يُمكِّنُ لآلِ محمد، كما مَكَّنت قريش لرسول الله ـ ﷺ ـ وَجَبَتْ على كلِّ مُؤمن نُصْرتُه» أو [قال]: «إجابتُه»(٣).

٨٥ ـ وقال ابن ماجه: حدثنا حَرْمَلَةُ بن يحيى المِصريّ، وإبراهيم بن سعيد الجوهريّ؛ قالا: حدثنا أبو صالح عبدالغفار بن داود، حدثنا ابن لَهِيعة، عن أبي زُرْعة؛ عمرو بن جابر الحَضْرمِيّ، عن عبدالله بن الحارث بن جَزْء الزَّبِيدِيّ، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «يخرج ناسٌ من المشرق، فيوطِّئون للمَهْدِيّ»، يعني سلطانَه(٤).

---

(١) رواه أبو داود (٤٢٨٦) في المهدي، وما بين حاصرتين مستدرك منه.
«الأبدال»: جمع بَدَل، وهم العبّاد، سمّوا بذلك لأنهم كلما مات واحد أبدل الله منه آخر.
«عصائب»: أراد خيار أهل العراق.
«الجران»: مقدم العنق. وضرب الجران مثلاً للإسلام إذا استقرّ قراره فلم يكن فتنة ولا هَيْج، وجرت أحكامه على العدل والاستقامة.
(٢) في المطبوع: عميرة.
(٣) رواه أبو داود (٤٢٩٠) في المهدي، باب (١)، وما بين حاصرتين مستدرك منه.
(٤) رواه ابن ماجه (٤٠٨٨) في الفتن، باب: خروج المهدي. وهو ضعيف. (ضعيف سنن ابن ماجه ص ٣٣٥ وضعيف الجامع ٦٤٣٨).

٨٦ ـ وقال ابن ماجه: حدثنا عثمان بن أبي شَيْبة، حدثنا معاوية بْن هشام، حدثنا عليّ بن صالح، عن يزيد(١) بن أبي زياد، عن إبراهيم بن عَلْقمة، عن عبدالله، قال: بينما نَحْنُ عِنْدَ رسول الله ـ ﷺ ـ إذ أقْبلَ فِتْيَةٌ من بني هاشم، فلما رآهم رسولُ الله ـ ﷺ ـ اغْرَوْرَقَتْ عَيْناه، وَتَغَيَّر لَوْنُهُ، فقلت: ما نَزالُ نَرى في وجهك شيئاً تَكْرهُه، فقال: «إنَّا أهلُ بيتٍ اختار اللَّهُ لنا الآخِرَة على الدنيا، وإنَّ أهْل بيتي سَيَلْقَوْنَ بعدي بَلاءً وتشريداً وتَطْريداً، حتى يأتي قومٌ من قِبَل المشرق معهم رايات سُود؛ فيسألون الخيْر فلا يُعْطونَه، فيقاتلُون فيُنْصَرُون، فيُعْطَوْنَ ما سألوا فلا يقبلونه، حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي، فيملؤها قِسْطاً كما ملؤوها جَوْراً، فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم، ولو حَبْواً على الثلج»(٢) ففي هذا السِّياق إشارة إلى مُلْك بني العبّاس، كما تقدم التنبيه على ذكر ذلك عند ابتداء ذكر دولتهم في سنة ثنتين وثلاثين ومائة، وفيه دلالة على أن يكون المهديّ بعد دولة بني العباس، وأنه يكون من أهل البيت من ذُريّة فاطمة بنتِ رسول الله ـ ﷺ ـ ثم مِنْ ولد الحسن لا الحُسَيْن، كما تقدّم النص على ذلك في الحديث المرويّ عن عليّ بن أبي طالب، والله أعلم.

٨٧ ـ وقال ابن ماجه: حدثنا محمد بن يحيى، وأحمد بن يوسف، قالا: حدثنا عبد الرزّاق، عن سفيان الثوريّ، عن خالد الحَذّاء، عن أبي قِلابة، عن أبي أسماء الرحَبِيّ، عن ثَوْبان، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «يَقْتَتِلُ عند كنزكُمْ ثلاثَةٌ كُلُّهم ابن خليفة، ثم يصيرُ إلى واحدٍ مِنْهُمْ، ثم تَطْلُع الرَّايات السُّودُ من قِبَل المَشْرق، فيقتلونكم قتلاً لم يُقْتَلْهُ قوم» ثم ذَكَرَ شيئاً لا أحْفظُه فقال: «فإذا رأيْتُموه، فَبايِعُوهُ ولو حَبْواً على الثَّلْج، فإنّه خَليفةُ الله المهديّ»(٣)، تفرّد به ابنُ ماجه وهذا إسنادٌ قويّ صحيح. والمراد بالكنز المذكور في هذا السياق كنزُ الكعبة، يَقْتتلُ عنده

---

(١) في المطبوع: زيد.
(٢) رواه ابن ماجه (٤٠٨٢)، وهو ضعيف. (ضعيف سنن ابن ماجه ص ٣٣٤).
«فتية»: أي جماعة. «يدفعوها»: أي الإمارة. «حبواً»: الحبو: أن يمشي على يديه وركبتيه، وذلك صعب جداً لا سيما على الثلج.
(٣) رواه ابن ماجه (٤٠٨٤) في الفتن، باب خروج المهدي. وهو ضعيف. (ضعيف سنن ابن ماجه ص ٣٣٤).

لِيأخذه[1]. ثلاثة من أولاد الخلفاء، حتى يكونَ آخر الزمان فيخرج المهديّ، ويكون ظهور من بلاد المشرق، لا من سِرداب سامراء، كما يَزْعُمُهُ جَهَلَةُ الرافِضَة، من أنّه موجود فيه الآن، وهم ينتظرون خروجه في آخر الزمان، فإنّ هذا نوع من الهَذَيانِ، وقِسْطٌ كبير من الخِذْلان، شديد من الشيطان، ؛ إذ لا دليل على ذلك ولا بُرهان، لا من كتاب ولا سُنّة ولا معقول صحيح ولا استِحْسانٍ.

٨٨ ـ قال الترمذيّ: حدثنا قُتَيْبَةُ، حدّثنا رِشْدِينُ بن سعد، عن ابن شهاب الزهريّ، عن قَبيصَةَ بن ذُؤَيْب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «تخرج من خُراسان راياتٌ سودٌ، فلا يَرُدُّها شَيْءٌ حَتّى تُنْصَب بإيلياء»[2]، هذا حديث غريب.

وهذه الرايات ليست هي التي أقبل بها أبو مُسْلِم الخُراسَانيّ[3]؛ فاستَلَبَ بها دولة بني أميّة في سنة ثنتين وثلاثين ومائة، بل رايات سود أُخَر، تأتي صُحْبَةَ المهديّ، وهو محمد بن عبدالله العَلَوِيّ الفاطِميّ الحَسَنيّ[4]، رضي الله عنه، يُصلحه الله في ليلة واحدةٍ، أي يَتُوب عليه ويُوَفِّقه ويُلهِمه رُشْدَه بعد أن لم يكن كذاكَ، ويؤيده بناس من أهل المَشْرِق ينصرونه، ويُقيمون سُلطانه، ويُشيّدون أركانه، وتكون راياتهم سُوداً أيضاً، وهو زيٌّ عليه الوقار؛ لأنّ رايةَ رسول الله ـ ﷺ ـ كانت سوداء، يُقال لها العُقَاب، وقد ركزها خالدُ بن الوليد على الثنيّة التي شرقيّ

(١) في المطبوع: ليأخذوه.
(٢) رواه الترمذي (٢٢٦٩) في الفتن، باب (٧٩).
(٣) هو عبدالرحمن بن مسلم الخراساني: مؤسس الدولة العباسية، وأحد كبار القادة. كان فصيحاً مقداماً داهية حازماً راوية للشعر يقوله. اتصل بإبراهيم بن الإمام محمد ـ من بني العباس ـ فأرسله إبراهيم إلى خراسان داعية، فأقام فيها واستمال أهلها، ووثب على ابن الكرماني ـ والي نيسابور ـ فقتله واستولى على نيسابور، وسُلم عليه بإمرتها، فخطب باسم السفاح العباسي، ثم سيَّر جيشاً لمقاتلة مروان بن محمد ـ آخر ملوك بني أمية، وهزمه، وصفا الجوّ للسفاح إلى أن مات. وخلفه أخوه المنصور، فرأى من أبي مسلم ما أخافه أن يطمع بالملك، فقتله سنة (١٣٧هـ).
(٤) هو محمد بن عبدالله، أبو عبدالله، الملقّب بالأرقط وبالمهدي وبالنفس الزكية: أحد الأمراء الأشراف من الطالبيين. كان غزير العلم، فيه شجاعة وحزم وسخاء. ثار على المنصور، وقبض على أمير المدينة، وبايعه أهلها بالخلافة، وأرسل أخاه إلى البصرة فغلب عليها وعلى الأهواز وفارس. وكتب إليه المنصور يحذّره، ثم انتدب لقتاله وليّ عهده عيسى بن موسى العباسي، فقتله سنة (١٤٥هـ).

دمشق؛ حين أقبل من العِراق، فعُرِفَتْ بها الثنيّة، فهي إلى الآن يُقال لها ثَنِيّة العُقاب، وقد كانت عقاباً على الكفّار من نصارى الرُّوم والعرب، وأطّدت[1] حُسن العاقبة لعباد[2] الله المؤمنين من المهاجرين والأنصار، ولمن كان معهم وبعدهم إلى يوم الدين، ولله الحمد.

وكذلك دخل رسولُ الله ـ ﷺ ـ يوم الفتح إلى مكة وعلى رأسه المِغْفَر، وكان أسود، وجاء في حديثٍ أنه كان مُتَعَمّماً بِعَمامةٍ سوداء فوق البَيْضاءِ صلوات الله وسلامه عليه.

والمقصود أنّ المهديّ الممدوح الموعود بوجوده في آخر الزمان يكون أصلُ ظهوره وخروجِهِ من ناحية المَشْرِق ويُبايَع له عند البيت، كما دلّ على ذلك بعضُ الأحاديث، وقد أفردتُ في ذكر المهديِّ جُزءاً على حِدَة، ولله الحمد.

٨٩ ـ وقال ابن ماجه أيضاً: حدثنا نصرُ بن علي الجَهْضَمِيّ، حدثنا محمد بن مَرْوانَ العُقَيْلِيّ، حدثنا عُمارةُ بن أبي حَفْصة، عن زيد العَمِّيّ؛ عن أبي الصِّدِّيق النّاجي، عن أبي سعيد الخُدْرِيّ؛ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «يكون في أمّتي المهديّ، إنْ قُصِرَ فَسَبْع وإلا تسع، تنعم فيه أمتي نِعْمَةً لم ينعموا مثلها قط، تؤتي الأرض أكُلَها، ولا تدَّخِرُ منهم شيئاً، والمالُ يومئذ كُدُوسٌ، يقوم الرجل فيقول: يا مهديّ أعطني، فيقول: خذ»[3].

٩٠ ـ وقال الترمذيّ: حدثنا محمد بن بَشّار، حدثنا محمد بن جَعفر، حدثنا شُعبة، سمعتُ زيداً العَمِّيّ، سمعتُ أبا الصدّيق الناجي يحدّث عن أبي سعيد الخُدري، قال: خَشِينا أن يكون بعدَ نَبِيّنا حَدَثٌ، فسألنا نبيَّ الله ـ ﷺ ـ فقال: «إنّ في أمتي المهديّ، يخرجُ يعيش خمساً أو سبعاً أو تِسْعاً» زيدٌ الشاكُّ، قال: قلنا وما ذاك؟ قال: «سنين» قال: «فيجيء إليه الرجل فيقول: يا مهديّ أعطني أعطني»

(١) «أطّدت»: مكّنت ومهّدت وثبّتت.
(٢) في المطبوع: لعبادة.
(٣) رواه ابن ماجه (٤٠٨٣) في الفتن، باب: خروج المهدي.
«كدوس»: أي مجموع كثير.

قال: «فيَحْثي له في ثَوْبه ما استطاع أن يحمله»[١] هـذا حديث حسن، وقد رُوي من غير وجه عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ. وأبو الصدّيق الناجي اسمُه بكر بن عمرو، ويقال: بكر بن قَيْس هو هذا دليل على أن أكثر مُدّته تسعٌ، وأقلّها خمس أو سبع، ولعلّه هو الخليفة الذي يَحْثي المالَ حَثْياً والله أعلم، وفي زمانه تكون الثِّمارُ كبيرة، والزروعُ غَزيرةً، والمالُ وافراً، والسلطان قاهراً، والدينُ قائماً، والعدوّ راغماً، والخيرُ في أيامه دائماً».

٩١ ـ وقال الإمام أحمد: حدثنا خَلَفُ بن الوليد، حدثنا عَبّاد بن عبّاد، حدثنا مُجالد بن سعيد، عن أبي الودّاك، عن أبي سعيد، قال: قلت: والله ما يأتي علينا أميرٌ إلّا شَرٌّ من الماضي، ولا عامٌ إلّا هو شرّ من الماضي، قال: لولا شيء سمعتُه من رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «إن من أمرائكم أميراً يَحْثو المَالَ حَثْواً، ولا بعده يأتيه الرجلُ يسألُه، فيقول: خذ، فيَبْسُطُ ثَوْبَهُ فيَحْثُو فيه» وبَسَط رسولُ الله ـ ﷺ ـ مِلْحَفَةً غَلِيظَةً كانت عليه، يَحْكِي صُنْعَ الرجُلِ، ثُمّ جمع إليه أكنافها، قال: «فيأخذه، ثم ينطلق»[٢] تفرّد به أبو داود وأحمد، من هذا الوجه.

٩٢ ـ وقال ابن ماجه: حدثنا هَدِيّة بن عبدالوهاب، حدثنا سعدُ بن عبدالحميد[٣] بن جعفر، عن علي بن زياد[٤] اليماميّ، عن عِكْرِمة بن عمّار، عن إسحاق بن عبدالله بن أبي طَلْحة، عن أنس بن مالك، قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «نحن وَلَدُ عَبْدِ المُطّلبِ سادةُ أهل الجنّةِ أنا وحمزة، وعليّ وجعفرُ والحسنُ والحسينُ والمهدي»[٥].

---

(١) رواه الترمذي (٢٢٣٢) في الفتن، باب (٥٣).
(٢) رواه أحمد (٣/٩٨).
«ملحفة»: هي اللباس فوق سائر الثياب من دثار البرد ونحوه. «أكنافها»: جمع كَنَف وهو جانب الشيء.
(٣) في المطبوع: المجيد.
(٤) في المطبوع: زيادة.
(٥) رواه ابن ماجه (٤٠٨٧) في الفتن، باب: خروج المهدي. وهو موضوع. (ضعيف سنن ابن ماجه ص ٣٣٤).

قال شيخنا أبو الحجاج المِزّيّ: كذا وقع في سنن ابن ماجه في هذا الإسناد عليّ بن زياد اليماميّ، والصواب عبدالله بن زياد السُّحَيْمِي، قلت: وكذا أورده البخاريّ في التاريخ، وابن أبي حاتم في الجَرْح والتعديل، وهو رجل مجهول، وهذا الحديث مُنكر.

٩٣ ـ فأمّا الحديثُ الذي رواه ابن ماجه في سننه، حيث قال رحمه الله: حدثنا يونُس بن عبدالأعلى، حدثنا محمد بن إدريس الشافعيّ، حدثني محمد بن خالد الجنديّ، عن أبان بن صالح، عن الحسن، عن أنس بن مالك، أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «لا يزداد الأمرُ إلّا شِدّةً، ولا الدنيا إلا إدباراً، ولا الناسُ إلا شُحّاً، ولا تقوم الساعة إلا على شِرار الناس، ولا المهديّ إلا عيسى ابن مريم»[١]، فإنه حديث مشهور بمحمد بن خالد الجنديّ الصَّنْعاني المؤذّن، شيخ الشافعي، وروى عنه غيرُ واحد أيضاً، وليس هو بمجهول، كما زعمه الحاكم، بل قد رُوي عن ابن مَعِين أنه وَثَّقه، ولكن من الرُّواة من حَدّث به عَنْه عن أبان بن أبي عَيّاش، عن الحسن البَصري مُرسلاً، وذكر ذلك شيخنا في التهذيب عن بعضهم: أنه رأى الشافعيَّ في المنام وهو يقول: كذب عليّ يونُس بنُ عبدالأعلى، ليس هذا من حديثي، قلت: يونس بن عبدالأعلى الصَّدَفيّ من الثقات، لا يُطْعَنُ فيه بمجرد منامٍ، وهذا الحديث فيما يظهر بادي الرأي مُخالفٌ للأحاديث التي أوردناها في إثبات مهديٍّ غير عيسى ابن مريم، إما قبل نزوله كما هو الأظهر، والله أعلم، وإما بعده، وعند التأمل لا يتنافيان، بل يكون المراد من ذلك أن المهدي حقّ المهديّ هو عيسى ابنُ مريم، ولا ينفي ذلك أن يكون غيرُه مَهْدياً أيضاً، والله أعلم.

* * *

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٠٣٩) في الفتن، باب: شدة الزمان. وهو ضعيف جداً إلا جملة «الساعة...» فصحيحة. (ضعيف سنن ابن ماجه ص ٣٢٥).

ذكر أنواع من الفتن

وقعت وستكثر وتتفاقم في آخر الزمان

٩٤ ـ قال البخاري: حدثنا مالك بن إسماعيل، حدثنا ابنُ عُيَيْنَة، أنه سمع الزهري، عن عُروة، عن زينب بنت أم سَلَمة، عن أم حَبِيبَة، عن زينب بنتِ جَحْش، أنها قالت: استيقظ رسولُ الله ﷺ من النوم مُحْمَرّاً وَجْهُهُ، يقول: «لا إله إلا الله، ويل للعرب من شرّ قد اقترب، فُتِح اليوم من رَدْم يأجوجَ ومأجُوجَ مثلُ هذه» وعقد سفيان تسعين أو مائةً، قيل: أنَهْلِكُ وفينا الصالحون؟ قال: «نعم، إذا كَثُر الخَبَثُ»[1]. وهذا رواه مسلم عن عمرو الناقد، عن سفيان بن عُيَيْنَة به، قال: وعقد سُفيانُ بيده عَشَرة. وكذلك رواه عن حَرْمَلة، عن ابن وهب، عن يونس، عن الزهري؛ وقال: وحلّق بين إصْبَعَيْه الإبهام والتي تليها. ثم رواه عن أبي بكر بن أبي شَيْبَة، وسعيد بن عمرو، وزُهَير بن حرب، وابن أبي عمر، عن سفيان، عن الزهري، عن عروة، عن زينب، عن حَبِيبة، عن أمّ حَبِيبَة، عن زينب، فاجتمع فيه تابعيّان وزينبان، وزوجتان، أربع صحابيات، رضي الله عنهنّ.

٩٥ ـ وقال البخاري: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا وُهَيْب [حدثنا] ابن طاووس، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «فُتِحَ اليومَ مِنْ رَدْم يأجُوج ومأجوج مثلُ هذه»[2] وعقد وُهَيْبٌ تِسْعِين. وقد رواه مسلم من حديث وُهَيْب مثله.

٩٦ ـ وروى البخاري من حديث الزهري، عن هندٍ بنت الحارث الفِرَاسِيّة، أن أُم سَلَمة زوج النبي ـ ﷺ ـ قالت: استيقظ النبي ـ ﷺ ـ ذات لَيْلَةٍ فزعاً، يقول:

(١) رواه البخاري (٧٠٥٩) في الفتن، باب: قول النبي ﷺ: «ويل للعرب من شرّ قد اقترب»، ومسلم (٢٨٨٠) في الفتن وأشراط الساعة، باب: اقتراب الفتن. «الخبث»: أي المعاصي.

(٢) رواه البخاري (٧١٣٦) في الفتن، باب: يأجوج ومأجوج، ومسلم (٢٨٨١) في الفتن وأشراط الساعة، باب: اقتراب الفتن. وما بين حاصرتين مستدرك منهما.

«سُبْحَانَ اللَّهِ!، ماذا أنزل الله من الخزائن، وماذا أنزل من الفتن؟ مَنْ يُوقِظُ صَواحِبَ الحُجُراتِ ـ يُريد أزواجه ـ لكي يُصَلّين، رُبَّ كاسِيَةٍ في الدنيا عَارِيةٌ في الآخرة»[1].

٩٧ ـ ثم روى البخاري ومسلم من حديث الزهري، عن عروة، عن أسامة بن زيد، قال: أشرف النبي ـ ﷺ ـ على أُطُمٍ من آطَامِ المدينة، فقال: «هل تَرَوْنَ مَا أَرى؟» قالوا: لا؛ قال: «فإني لأرى الفِتَنَ تقع خِلالَ بُيُوتِكم، كمواقع القَطْر»[2].

٩٨ ـ وروى البخاري من حديث الزهري، عن سعيد، عن أبي هريرة، عن النبي ـ ﷺ ـ: «يتقاربُ الزَّمَانُ، وينْقُصُ العِلْم، ويُلْقَى الشح، وتظهر الفِتَن، ويكْثُرُ الهَرْجُ» قالوا: يا رسول الله، أيّما هو؟ قال: القتل القتل»[3]، ورواه أيضاً عن الزهري، عن حُمَيْد، عن أبي هريرة[4]، ثم رواه من حديث الأعمش، عن شقيق، عن عبدالله بن مسعود، وأبي موسى[5].

٩٩ ـ وقال البخاري: حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا سُفيانُ، عن الزبير بن عدي، قال: أتينا أنسَ بن مالك، فشكونا إليه ما نَلْقَى من الحَجّاج، فقال: اصبروا؛ فإنه «لا يأتي على الناس زمانٌ إلّا الذين بعدَه شَرٌّ منه، حتى تَلْقَوْا رَبّكم»[6]، سمعتُه من نبيكم ﷺ.

(١) رواه البخاري (٧٠٦٩) في الفتن، باب: لا يأتي زمان إلا الذي بعده شرّ منه.

(٢) رواه البخاري (١٨٧٨) في فضائل المدينة، باب: آطام المدينة، ومسلم (٢٨٨٥) في الفتن وأشراط الساعة، باب: نزول الفتن كمواقع القطر.
«أشرف على أطم»: أشرف: علا وارتفع، والأطم: هو القصر والحصن.
«كمواقع القطر»: التشبيه بمواقع القطر في الكثرة والعموم، أي أن الحروب كثيرة وتعمّ الناس.

(٣) رواه البخاري (٧٠٦١) في الفتن، باب: ظهور الفتن.
«يتقارب الزمان»: أي تقارب أحوال أهله في قلة الدين؛ حتى لا يكون فيهم من يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر؛ لغلبة الفسق وظهور أهله.

(٤) رواه البخاري (٦٠٣٧) في الأدب، باب: حسن الخلق والسخاء.

(٥) رواه البخاري (٧٠٦٢، ٧٠٦٣، ٧٠٦٤) في الفتن، باب: ظهور الفتن.

(٦) رواه البخاري (٧٠٦٨) في الفتن، باب: لا يأتي زمان إلا الذي بعده شرّ منه.

١٠٠ ـ ورواه الترمذيّ[1] من حديث الثوري، وقال: حسن صحيح. وهذا الحديث يعبّر عنه العوام بلفظ آخر: «كُلّ عَامٍ تُرْذَلُون».

١٠١ ـ وروى البخاري ومسلم من حديث الزهريّ، عن سعيد بن المسيّب، وعن أبي سَلَمة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «ستكون فتن، القاعدُ فيها خيرٌ من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من تَشرّف لها تَسْتَشْرِفْهُ، من وجد فيها ملْجأً أو مَعاذاً فليَعُذْ به»[2]، ولمسلم عن أبي بكرة نحوُه بأبسط منه[3].

١٠٢ ـ وقال البخاريّ: حدثنا محمد بن كثير، أخبرنا سُفْيان، حدثنا الأعمش، عن زيد بن وهب، حدثنا حُذَيفة، قال: حدثنا رسول الله ـ ﷺ ـ حديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخرَ، حدّثنا أن الأمانة نزلت في جَذر قلوبِ الرجال، ثم عَلِمُوا مِنَ القرآن، ثم علموا من السنة. وحدثنا عن رَفْعها قال: «يَنام الرجلُ النومةَ فَتُقْبَضُ الأمانةُ من قلبه فيظلّ أثرها مثل أثر الوَكْت، ثم ينام النومة فتقبض؛ فيبقى أثرها مثل أثرِ المَجْل، كجمر دحرجته على رجلك فَنَفِط، فتراه مُنْتبِراً وليس فيه شيء، فيصبح الناسُ يتبايعون، ولا يكاد أحد يُؤدي الأمانة، فيقال: إن في بني فلان رجلاً أميناً، ويقال للرجل: ما أعقله! وما أظرفه! وما أجلده! وما في قلبه مثقالُ حبة خردل من الإيمان»، ولقد أتى عليّ زمان وما أبالي أيَّكم بايعْتُ، لئن كان مسلماً ردّه عليّ الإسلام، وإن كان نصرانياً ردّه عليّ ساعيه، وأما اليوم فما كنتُ أبايع إلّا فلاناً، وفلاناً[4]. ورواه مسلم من حديث الأعمش به.

---

(١) رواه الترمذي (٢٢٠٦) في الفتن، باب (٣٥).

(٢) رواه البخاري (٧٠٨١، ٧٠٨٢) في الفتن، باب: تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، ومسلم (٢٨٨٦) في الفتن وأشراط الساعة، باب: نزول الفتن كمواقع القطر.

«من تشرف لها تستشرفه»: تشرّف لها: أي تطلّع لها بأن يتصدّى ويتعرّض لها ولا يعرض عنها. وتستشرفه: أي تهلكه بأن يشرف منها على الهلاك. «معاذاً»: المعاذ: الملجأ. «فليعذ به»: أي ليعتزل فيه ليسلم من شرّ الفتنة.

(٣) رواه مسلم (٢٨٨٧) في الفتن وأشراط الساعة.

(٤) رواه البخاري (٧٠٨٦) في الفتن، باب: إذا بقي في حُثالة من الناس، ومسلم (١٤٣) في الإيمان، باب: رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب. =

١٠٣ ـ وروى البخاري من حديث الزهري، عن سالم، عن أبيه، ومن حديث الليث، عن نافع، عن ابن عمر؛ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قام إلى جَنْب المِنْبر، وهو مُستقبل المَشرِق، فقال: «ألا إن الفتنةَ هاهنا، من حيث يطلُع قرن الشيطان» أو قال: «الشمس»[1]. رواه مسلم من حديث الزهريّ، عن سالم، عن أبيه، ومن حديث الليث، عن نافع به. ورواه أحمد من طريق عبدالله بن دينار. والطبرانيّ من رواية عطية، كلاهما عن عبدالله بن عمر به.

١٠٤ ـ وقال البخاريّ: حدثنا إسماعيل، حدثني مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: سمعتُ رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «لا تقوم الساعة حتى يَمُرّ الرجلُ بقبر الرجل، فيقول: يا ليتني كنتُ مكانه»[2].

١٠٥ ـ وقال البخاريّ: حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب، عن الزهريّ، أخبرني سعيد بن المسيّب أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «لا تقوم الساعةُ حتى تَضطربَ أَلْيَاتُ نساءِ دَوْس على ذي الخَلَصة» وذو الخَلَصة: طاغِيَةُ دَوْس التي كانوا يعبدون في الجاهلية[3].

١٠٦ ـ وقال البخاريّ: حدثنا عبدالله بن سعيد الكنديّ، عن عُقبة بن خالد، حدثنا عبيدالله، عن خُبَيْب بن عبدالرحمن، عن جده حفص بن عاصم، عن أبي

= «جذر»: أصل. «الوكت»: هو الأثر اليسير، وقيل: هو سواد يسير، وقيل: هو لون يحدث مخالف للون الذي كان قبله. «المجل»: هو التنفّط الذي يصير في اليد من العمل بفأس أو نحوها، ويصير كالقبة فيه ماء قليل. «نفط»: إذا صار بين الجلد واللحم ماء. «منتبراً»: مرتفعاً.

(١) رواه البخاري (٧٠٩٢، ٧٠٩٣) في الفتن، باب: قول النبي ﷺ: «الفتنة من قبل المشرق».

(٢) رواه البخاري (٧١١٥) في الفتن، باب: لا تقوم الساعة حتى يُغْبَط أهلُ القبور.

«يا ليتني كنت مكانه»: أي كنتُ ميتاً. قال ابن بطال: تمنّي الموت عند ظهور الفتن إنما هو خوف ذهاب الدين بغلبة الباطل وأهله وظهور المعاصي والمنكر. قال ابن حجر: وليس هذا عاماً في حقّ كل أحد، وإنما هو خاص بأهل الخير، وأما غيرهم فقد يكون لما يقع لأحدهم من المصيبة في نفسه أو أهله أو دنياه؛ وإن لم يكن في ذلك شيء يتعلّق بدينه.

(٣) رواه البخاري (٧١١٦) في الفتن، باب: تغيّر الزمان حتى تُعبَد الأوثان، ومسلم (٢٩٠٦) في الفتن وأشراط الساعة، باب: لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة.

«تضطرب»: أي يضرب بعضها بعضاً. «أليات»: جمع ألية، وهي العجيزة.

«ذو الخلصة»: هو بيتٌ كان فيه صَنَم لدوس وخَثْعم وبَجِيلة وغيرهم.

«طاغية دوس»: أي صنمهم.

هريرة، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ «يُوشِك الفُراتُ أن يَحْسِر عن كنز من ذهب، فمن حضره فلا يأخُذْ منه شيئاً»، قال عقبة: وحدّثنا عبيدالله، حدثنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي ـ ﷺ ـ مثله: إلّا أنه قال: «يَحْسِرُ عن جَبَلٍ مِنْ ذهب»[1].

١٠٧ ـ وكذلك رواه مسلم من حديث عُقبة بن خالد، من الوجهين، ثم رواه عن قُتَيْبَة، عن يعقوب بن عبدالرحمٰن، عن سُهَيْل، عن أبيه، عن أبي هريرة: أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «لا تقوم الساعة حتى يَحْسِر الفُراتُ عن جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ، يَقْتتِلُ الناسُ، فيُقتل من كل مائة تسعة وتسعون، يقول كلُّ رجلٍ منهم: لَعَلِّي أكونُ أنَا الذي أنجو»[2].

١٠٨ ـ ثم روى من حديث عبدالله بن الحارث بن نَوْفل، قال: كنت واقفاً مع أبيّ بن كعب في عمل أُجُم حَسّان فقال: لا يزال الناسُ مُختلفةً أعناقُهم في طلب الدنيا، قلت: أجل، قال: إني سمعتُ رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «يُوشِكُ الفُراتُ أن يَحْسِرَ عن جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ، فإذا سَمِعَ بهِ الناسُ سَارُوا إليه، فيقولُ مَنْ عِنْدَهُ: لئن تركنَا الناسَ يأخذُونَ مِنْهُ لَيُذْهَبَنَّ به كُلِّه» قال: «فَيَقْتَتِلُونَ عليه، فيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مائةٍ تِسْعَةٌ وتِسْعُونَ»[3].

١٠٩ ـ وقال البخاري: حدثنا أبو اليَمان، أخبرنا شُعَيْب، حدثنا أبو الزناد، عن عبدالرحمٰن، عن أبي هريرة: أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «لا تقومُ السَّاعَةُ حتى تَقْتتلَ فِئَتَان عَظِيمتَان، يكونُ بَيْنهمَا مقتلةٌ عظيمةٌ، دعْوَاهُما واحدةٌ، وحتى يُبْعَث دَجَّالُون كَذَّابُونَ، قَرِيبٌ مِنْ ثَلاثين، كلٌّ يزعمُ أنه رسولُ الله، وحتى يُقْبَضَ العلمُ، وتَكْثُر الزلازلُ، ويتقارَبَ الزمَانُ، وتَظْهرَ الفِتَنُ، ويكْثُرَ الهَرْجُ، وهو القتل، وحتى يكثر فيكم المالُ، فيفيضَ حتى يُهِمَّ ربَّ المالِ مَنْ يقبلُ صَدَقته، وحتى يَعْرِضَه،

(١) رواه البخاري (٧١١٩) في الفتن، باب: خروج النار.
«يحسر»: ينكشف لذهاب مائه.
(٢) رواه مسلم (٢٨٩٤) في الفتن وأشراط الساعة، باب: لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات.
(٣) رواه مسلم (٢٨٩٥) في الفتن وأشراط الساعة.
«أجم»: هو الحصن. «مختلفة أعناقهم»: المراد بالأعناق ـ هنا ـ الرؤساء والكبراء. وقيل: الجماعات.

فيقولُ الذي يَعْرِضُه عليه: لا أرَبَ لي فيه، وحتى يَتَطاول الناسُ في البُنْيانِ، وحَتّى يَمُرَّ الرجل بقبْرِ الرَّجُل، فيقول: يا لَيْتَنِي مَكانَه، وحَتّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغربها، فإذا طلعتْ ورآها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين **﴿لا يَنْفَعُ نفْساً إيمانُها لَمْ تكنْ آمنتْ مِنْ قَبْلُ أوْ كَسَبَتْ في إيمانها خَيْراً﴾** [الأنعام: ١٥٨] ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعةُ وقد انصرف الرجلُ بلبن لَقحتهِ فلا يَطْعَمُهُ، ولتَقُومنَّ الساعةُ وهو يَليطُ حوضه فلا يَسْقِي فيه، ولتقُومن السَّاعةُ وقد رفع أكْلَتَهُ إلى فَمِه فَلَا يَطْعَمُها»[1].

١١٠ ـ وقال مسلم: حدثني حَرْمَلة بن يحيى التُّجِيبيّ، حدثنا ابنُ وهب، حدثنا يونُس، عن ابن شِهَاب، أن أبا إدريس الْخَوْلَاني، قال: قال حُذيفة بن اليمان: والله إني لأعلم الناسِ بكلّ فِتْنَة كائِنَةٍ فيما بَيْني وبينَ الساعة، وما بي إلّا أن يكون رَسُول الله ﷺ أسرَّ إليّ في ذلك شَيْئاً لم يُحَدِّثْه غيري، ولكن رسول الله ﷺ قال وهو يُحدّث مَجْلساً أنا فيه عن الفتن، فقال رسولُ الله ـ ﷺ ـ وهو يَعُدُّ الفتنَ: «منهنّ ثلاث لا يَكَدْنَ يَذَرْنَ شَيْئاً، ومنهنّ فِتَنٌ كرِيَاح الصيف، منها صِغار ومنها كِبَار»، قال حُذَيفة: فذهب أولئك الرَّهْطُ كلُّهم غيري[2].

١١١ ـ وروى مسلم من حديث زهير، عن سُهَيْل، عن [أبي صالح، عن] أبيه، عن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «إذا مَنَعت العِرَاقُ دِرْهَمَها وقَفِيزها، ومَنَعتِ الشامُ مُدَّها ودِينَارَها، ومَنعتْ مصرُ إرْدَبَّها ودِينَارَها، وعُدْتم مِنْ حَيْثُ بَدأتُمْ، وعدتم من حيث بدأتم، وعدتم من حيث بدأتم» شهد على ذلك لَحمُ أبي هُريرة ودمُه[3].

(١) رواه البخاري (٧١٢١) في الفتن، باب: حدثنا مسدد.
«لقحته»: اللقحة: الناقة الحلوب الغزيرة اللبن. «يليط حوضه»: أي يصلحه بالطين والمدر فيسد شقوقه ليملأه ويسقي منه دوابه.
(٢) رواه مسلم (٢٨٩١) في الفتن وأشراط الساعة، باب: إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة.
(٣) رواه مسلم (٢٨٩٦) في الفتن وأشراط الساعة، باب: لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات.
«قفيزها»: القفيز: مكيال معروف لأهل العراق. «مديها»: المد: مكيال معروف لأهل الشام.
«إردبها»: مكيال معروف لأهل مصر.

١١٢ ـ وقال أحمد: حدثنا إسماعيل، حدثنا الجُرَيْريّ، عن أبي نضرة، قال: كُنّا عند جابر، قال: يُوشِكُ أهْلُ العِراقِ أن لا يُجْبَى إليهم قفيزٌ ولا دِرْهَمٌ، قلنا: مِنْ أينَ ذاكَ؟ قال: من قِبَلِ العَجَم، يمنعون ذاكَ، ثم قال: يوشك أهلُ الشام أن لا يُجْبَى إليهم دِينارٌ ولا مُدّ، قُلنا: مِنْ أيْنَ ذاكَ؟ قال: مِنْ قِبَلِ الرُّوم يمنعون ذاكَ، ثم سكتَ هُنَيّة ثم قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «يكون في آخر أُمتي خَلِيفَةٌ يحثو المال حَثْياً، لا يَعُدُّه عدّاً» قال الجُرَيْرِيّ: فقلت لأبي نُضرة وأبي العلاء: أَتُرَيَانِ أَنَّه عمرُ بن عبدالعزيز؟ فقالا: لا[1]. ورواه مسلم من حديث الجُرَيْريّ، بنحوِه.

١١٣ ـ وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو عامر، حدثنا أفلَح بن سعيد الأنصاريّ، شيخٌ من أهل قُباءَ من الأنصار، وحدّثني عبدالله بن رافع، مولى أمّ سَلمة، قال: سمعتُ أبا هريرة يقول: سمعتُ رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «إنْ طَالَتْ بكُمْ حَيَاةٌ مُدّةً أوشَكَ أنْ تَرَى قوماً يَغْدُونَ في سَخَطِ اللَّهِ، ويروحونَ في لَعْنَتِهِ، في أيديهم مثلُ أذْنَابِ البقر»[2].

وأخرجه مسلم عن محمد بن عبدالله بن نُمَير، عن زيد بن الحُبَاب، عن أفلح بن سعيد، به.

١١٤ ـ ثم روى عن زهير بن حَرْب، عن جَرير، عن سُهَيل، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «صِنْفانِ مِن أهل النار لم أرَهُمَا بعدُ: قومٌ مَعَهُمْ سِياطٌ كأذْنَابِ البَقَرِ يَضْرِبُونَ بها النَّاسَ، ونِساءٌ كاسِيَاتٌ عَارِياتٌ مائلات مُمِيلات، رؤوسهنّ كأسنمة البُخْتِ المائلة لا يَدْخُلْنَ الجَنّة، ولا يَجِدْنَ رِيحَها، وإنّ رِيحَها لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرة كذا وكذا»[3].

---

(١) رواه أحمد (٣/٣١٧)، ومسلم (٢٩١٣) في الفتن وأشراط الساعة، باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل.
«هنية»: فترة قليلة من الزمن. «يحثي»: الحثو هو الحفن باليدين. وهذا الحثو الذي يفعله هذا الخليفة يكون لكثرة الأموال والغنائم والفتوحات، مع سخاء نفسه.

(٢) رواه أحمد (٢/٣٢٣)، ومسلم (٢٨٥٧) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارون.

(٣) رواه مسلم (٢١٢٨) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها. =

١١٥ ـ وقال أحمد: حدّثنا زيدُ بن يحيى الدّمشقيّ، حدثنا أبو مُعَيْد[1]، حدثنا مكحول، عن أنس بن مالك، قال: قيل: يا رسول الله؛ متى نَدَعُ الائتمارَ بالمَعْرُوفِ، والنَّهْيَ عَنِ المُنْكَر؟ قال: «إذا ظَهَرَ فِيكُمْ ما ظَهَر في بَني إسْرائِيل، إذا كانَتِ الفَاحِشَةُ في كِبَارِكُمْ، والعِلْمُ في رُذَالَتِكُم، والمالُ في صِغَارِكم»[2] رواه ابن ماجه عن العباس بن الوليد الدِّمَشْقِيّ، عن زيد بن يحيى، عن الهَيْثَم بن حُمَيد، عن أبي مُعَيْد حفص بن غَيْلان، عن مكحول، عن أَنس، فذكره نحوه.

١١٦ ـ وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن حمّاد، حدثنا أبو عوانة، عن عطاء بن السَّائب، عن أبيه، عن عبدالله بن عمرو، أنّه حدَّثهم عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «ضيّف رجلٌ رجلاً من بني إسرائيل، وفي داره كَلْبَة مجح، فقالت الكلبة: والله لا أنبحُ ضَيْفَ أهْلي، قال: فَعَوَى جِراؤها في بَطنِها، قال: قيل: ما هذا؟ قال: فأوحَى الله عز وجل إلى رَجُلٍ منهم: هَـذَا مثل أمّةٍ تَكُونُ مِن بعدكم يقهَرُ سُفهاؤُهَا حُلماءَها»[3].

= «قوم معهم سياط»: هم غلمان والي الشرطة وغيره.
«كاسيات عاريات»: فيه أوجه: أحدها: معناه كاسيات من نعمة الله عاريات من شكرها. والثاني: كاسيات من الثياب عاريات من فعل الخير والاهتمام لآخرتهن والاعتناء بالطاعات. والثالث: تكشف إحداهن شيئاً من بدنها إظهاراً لجمالها، فهن كاسيات عاريات، والرابع: يلبسن ثياباً رقاقاً تصف ما تحتها، كاسيات عاريات في المعنى.
«مائلات»: زائغات عن طاعة الله تعالى وما يلزمهن من حفظ الفروج وغيرها.
«مميلات»: يعلّمن غيرهن مثل فعلهن.
وقيل: مائلات: متبخترات في مشيتهن. ومميلات: أي أكتافهن وأعطافهن.
«رؤوسهن كأسنمة البخت»: معناه يُعظِّمن رؤوسهن بالخُمُرِ والعمائم وغيرها مما يلفّ على الرؤوس حتى تشبه أسنمة الإبل البخت. والبخت: هي الإبل الخراسانية. والمراد بالتشبيه بأسنمة البخت إنما هو لارتفاع الغدائر فوق رؤوسهن وجمع عقائصها هناك، وتكثّرها بما يضفرنه، حتى تميل إلى ناحية من جوانب الرأس كما يميل السنام.

(١) في المسند: سعيد.

(٢) رواه أحمد (٣/١٨٧)، وابن ماجه (٤٠١٥) في الفتن، باب: قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم﴾.

(٣) رواه أحمد (٢/١٧٠)، وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد ٧/ ٢٨٠): رواه أحمد والبزار والطبراني، وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط. «مجح»: هي الحامل التي دنا ميلادها.

١١٧ ـ وقال أحمد: حَدّثنا معاوية بن عمرو، حدثنا أبو إسحاق، عن الأوزاعيّ، حدثني أبو عمّار، حدثني جار لجابر بن عبدالله، قال: قَدِمْتُ من سَفر، فجاءني جابر يُسَلّم عليّ، فجعلت أحدّثه عن افتراق الناس وما أحدثوا، فجَعَل جابر يبكي، ثم قال: سمعتُ رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «إنَّ النَّاسَ دَخَلُوا في دين اللَّهِ أفواجاً، وسَيَخْرُجُونَ مِنْه أفواجاً»[1].

١١٨ ـ وقال أحمد: حدثنا يحيى بن إسحاق، حدثنا ابن لَهِيعَةَ، حدثنا أبو يونس، عن أبي هريرة، وقال حسن: حدّثنا ابن لهيعَة، حدّثنا يونُس، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «ويلٌ للعرب من شَرّ قد اقْتَرب، قِطعاً كالليْل المُظلم، يُصبحُ الرجل مؤمناً، ويُمْسي كافراً، يبيعُ قومٌ دينَهُمْ بعَرَضٍ من الدُّنْيا قَليلٍ، المتمسِّكُ يَومئذٍ بدِينِه كالقَابِض على الجَمْر» أو قال «على الشوك» وقال حسن في حديثه: بخبط الشوك[2].

١١٩ ـ وقال أحمد: حدثنا أبو جعفر المدائني، حدثنا عبدالصمد بن حبيب الأزديّ، عن أبيه حبيب بن عبدالله، عن شبيل[3] بن عوف، عن أبي هريرة، قال: سمعتُ رسول الله ـ ﷺ ـ يقول لثَوْبَان: «يا ثَوْبَان، إذا تداعتْ عليكُم الأُمَمُ، كتداعيهِمْ إلى قُصَيْعَة الطَّعَام، يُصِيبُونَ مِنْه» قال ثوبان: بأبي وأمّي يا رسول الله؟ مِنْ قلَّةٍ بنا؟ قال: «لا، بل أَنتُم يَوْمئِذٍ كثير، ولكنْ يُلقى في قلوبكم الوهَن» قالوا: وما الوهَن يا رسول الله؟ قال: «حُبُّكم الدُّنيا، وكَراهِيتُكم القِتال»[4].

١٢٠ ـ وقال الإمامُ أحمد: حدثنا عبدالرزّاق، حدثنا مَعْمَر، عن رجل، عن عمرو بن وابصة الأَسَديّ، عن أبيه، قال: إنّي بالكوفة في داري، إذ سمعتُ على باب الدار: السلامُ عليكم أألج؟ فقلت: عليكُم السلامُ، فَلِجْ. فلما دخل، فإذا هو

---

(١) رواه أحمد (٣٤٣/٣)، وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد ٢٨١/٧): رواه أحمد، وجابر لم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه أحمد (٣٩١/٢)، وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد ٢٨٢/٧): رواه أحمد، وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٣) في المطبوع: شنين.

(٤) رواه أحمد (٣٥٩/٢).

عبدالله بن مسعود، فقلت: يا أبا عبدالرحمٰن، أيَّةُ ساعة زيارة هذه؟ وذلك في نحو الظَّهيرة، قال: طال عليَّ النهار، فذكرتُ مَنْ أتحدَّث إليه. قال: فجَعَلَ يُحدِّثني عن رسول الله ـ ﷺ ـ وأحدّثه، ثم أنشأ يُحدّثني، قال: سمعتُ رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «تَكُونُ فِتْنَةٌ النَّائِمُ فيها خيرٌ من المُضْطجِع، والمُضْطجِعُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ القَاعِد، والقاعدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ القَائِم، والقائمُ فِيهَا خَيْرٌ من الماشي، والماشي خَيْرٌ مِنَ الرّاكِب، والراكبُ خَيْر من المُجرِي قتلاها، كلّها في النار» قال: قلت: يا رسول الله متى ذلك؟ قال: «ذلك أيام الهَرْج» قلتُ: ومَتَى أيامُ الهَرْج؟ قال: «حين لا يَأْمَنُ الرَّجُلُ جَلِيسَهُ»، قال: فما تَأْمُرُني إن أَدْرَكْتُ ذلك؟ قال: «اكْفُفْ نَفْسَك ويدك، وادْخُلْ دَارَك» قال: قلت: يا رسول الله، أرأيتَ إن دَخَلَ عليّ داري؟ قال: «فادخل بيتك» قال: قلت: أفرأيت إن دَخل عَلَيَّ بيْتِي؟ قال: «فادْخُلْ مَسْجِدَكَ، واصْنَعْ هَكَذا» وقَبَض بِيَمِينِه عَلَى الكُوع «وقُلْ: ربّيَ اللَّهُ، حَتّى تَمُوتَ على ذلك»[1].

١٢١ ـ وقال أبو داود: حدثنا عمرو بن عثمان، حدثنا أبي، حدثنا شهاب بن خراش، عن القاسم بن غَزْوان، عن إسحاق بن راشد الجزري، عن سالم، حدثني عمرو بن وابصة، عن أبيه، عن ابن مسعود قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول، فذكر بعض حديث أبي بَكْرة، قال: «قَتْلاهَا كُلُّها في النَّار» قال فيه: قلتُ: متى ذلك يا بن مسعود؟ قال: «تِلْك أيامُ الهَرْج، حيث لا يأمَنُ الرَّجُلُ جَلِيسَه» قلت: فما تأمرنِي إنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ الزَّمان؟ قال: «تكفُّ لسانَكَ ويَدَك، وتكونُ حِلساً من أحْلاسِ بَيْتِكَ» قال ـ يعني وابصة ـ: فلما قُتِلَ عُثمانُ طار قَلْبي مَطَارَهُ، فركبت حتى أتيتُ دِمَشْقَ، فَلَقِيتُ خُرَيْم بن فَاتِك الأَسَديّ، فحلف بالله الذي لا إله إلا هُوَ لَسَمِعَهُ مِنْ رسول الله ﷺ، كما حدَّث به ابن مسعود[2].

١٢٢ ـ وقال أبو داود: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدّثنا وَكِيع، عن عُثمانَ

---

(١) رواه أحمد (٤٤٨/١)، وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد ٣٠٢/٧): رواه أحمد بإسنادين، ورجال أحدهما ثقات.

«المجري»: المسرع.

(٢) رواه أبو داود (٤٢٥٨) في الفتن والملاحم، باب: في النهي عن السعي في الفتنة.

«الحِلْس»: الكِساء الذي يلي ظَهْر البعير تحت القَتَب، شَبَّهها به للزومها ودوامها.

الشحّام، حدثني مسلم بن أبي بَكْرَةَ، عن أبيه، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إنها ستكون فتنةٌ المضطجع فيها خيرٌ من الجالس، والجالس فيها خيرٌ من القائِم، والقائِمُ خَيْرٌ من الماشي، والماشي خيرٌ من الساعي» قال: يا رسول الله، ما تأمرني؟ قال: «مَنْ كانت له إبلٌ فَلْيَلْحَقْ بإبِلِه، ومَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بغَنَمِهِ، ومَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بأَرْضِه» قال: فمنَ لمْ يكُنْ لَهُ شيْءٌ مِنْ ذلِك؟ قال: «فليَعْمِدْ إلى سَيْفِهِ فلْيَضْرِبْ بحدّه على حَرّةٍ، ثم لينْجُ ما اسْتَطَاعَ النَّجاء»(1). وقد رواه مسلم من حديث عثمان الشحّام بنحوه.

١٢٣ ـ وقال أبو داود: حدثنا المفضّل، عن عيّاش، عن بُكَير، عن بُسْر(2) بن سعيد، عن حسين بن عبدالرحمن الأشجعيّ؛ أنه سمع سعد بن أبي وقّاص، عن النبي ﷺ في هذا الحديث، قال: فقلت: يا رسول الله، أرأيتَ إن دَخلَ عليّ بيْتي، وبَسطَ يَدَهُ لِيَقْتُلني؟ فقال رسول الله ﷺ: «كُنْ كابْنِ آدَمَ» وتلا ﴿**لئن بَسَطتَ إليّ يَدَكَ**﴾ الآية [المائدة: ٢٨](3)، انفرد به أبو داود من هذا الوجه.

١٢٤ ـ وقال أحمد: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ليث بن سعد، عن عيّاش بن عباس، عن بُكَيْر بن عبدالله، عن بُسْر بن سعيد، أن سعد بن أبي وقّاص قال عند فتنة عثمان بن عفّانَ: أشهد أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّها ستكُونُ فتنةٌ، القاعدُ فيها خير من القائم، والقائم فيها خيرٌ من الماشي، والماشي خَيْرٌ من السّاعي» قال: أفرأيتَ إنْ دَخلَ عَليّ بَيتي فَبسطَ يَدَه إليّ ليقْتُلني؟ قال: «كن كابن آدم»(4). وهكذا رواه مسلم والترمذيّ عن قتيبة، عن الليث، عن عيّاش بن عباس القِتْبانيّ، عن بُكَير بن عبدالله الأشج، عن بُسر بن سعيد الحَضرميّ، عن سعد بن أبي وقّاص، فذكره، وقال: هذا حديث حسن. ورواه مسلم عن بعضهم عن

(1) رواه أبو داود (٤٢٥٦) في الفتن والملاحم، باب: في النهي عن السعي في الفتنة، ومسلم (٢٨٨٧) في الفتن وأشراط الساعة، باب: نزول الفتن كمواقع القطر.
(2) في المطبوع: يسر.
(3) رواه أبو داود (٤٢٥٧) في الفتن والملاحم، باب: في النهي عن السعي في الفتنة.
(4) رواه أحمد (١/١٨٥)، والترمذي (٢١٩٤) في الفتن، باب: ما جاء تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم.

الليث، فزاد في الإسناد رجلاً يعني الحُسَيْن، وقيل الحسن بن عبدالرحمٰن، ويقال عبدالرحمٰن بن حسَين، عن سعد، كما تقدم آنفاً.

١٢٥ ـ ثم قال أبو داود: حدثنا مُسَدَّد، حدّثنا عبدُ الوارث بن سعيد، عن محمد بن جُحادة، عن عبدالرحمٰن بن ثروان، عن هُزَيل، عن أبي موسى الأشعريّ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ بين يدَي الساعة فِتناً كقِطع الليل المُظْلِم، يُصْبِحُ الرجلُ فيها مؤمناً ويُمْسِي كافراً، ويُمْسِي مُؤْمِناً ويُصْبحُ كافراً، القاعِدُ فيها خيرٌ من القائم، والماشي فيهَا خيرٌ من السَّاعي، فكَسِّرُوا قِسِيَّكم، وقطِّعُوا أوْتارَكُم، واضْرِبُوا سيُوفَكُمْ بِالحِجَارَة، فإنْ دُخِلَ على أحَد مِنْكمْ فَلْيَكُنْ كخَيْرِ ابْني آدم»(1).

١٢٦ ـ وقال الإمام أحمد: حدثنا مرحوم، حدثني أبو عمران الجَوْنيّ، عن عبدالله بن الصامت، عن أبي ذرّ قال: ركب رسولُ الله ﷺ حماراً، وأردفَني خَلْفَه، فقال: «يا أبا ذرّ، أرأيتَ إنْ أصابَ النَّاسَ جُوعٌ شَديدٌ، لَا تَسْتَطيعُ أَنْ تَقُومَ مِنْ فِراشك إلَى مَسْجِدِكَ كَيْفَ تَصْنَعُ؟» قال: الله ورسوله أعلم، قال: «تَعَفَّفْ». قال: «يا أبا ذرّ، أرأيْت إنْ أصَابَ النّاسَ مَوتٌ شَدِيدٌ، يكونُ المَوْتُ فِيهِ بالعَبْد، يَعْني القَبْر، كَيْفَ تَصْنَع؟» قلت: اللَّهُ ورسولهُ أعْلَمُ، قال: «اصْبِرْ». قال: «يا أبا ذرّ، أرأيتَ إنْ قَتَلَ النَّاسُ بَعْضُهمْ بَعْضاً، يعني حتى تُغْرَقَ حِجَارةُ الزيت من الدماء، كيف تَصْنع؟» قال: الله ورسوله أعلم، قال: «اقْعُدْ في بَيْتِك، وأغلقْ عَلَيْكَ بَابَك». قال: فإنْ لَمْ أُترك؟ قال: «فَائتِ مَنْ أنْتَ مِنْهم فكُنْ فيهِمْ». قال: فأخذْتُ سلَاحي؟ قال: «إذَنْ تُشارِكُهمْ في ما هُمْ فِيه، ولكن إنْ خَشيتَ أن يَرْدَعك شُعاعُ السَّيْف، فألقِ طَرَفَ رِدَائكَ عَلَى وَجْهك كَيْ تَبُوءَ بإثْمِهِ وإثمك» هكذا رواه الإمام أحمد(2).

(1) رواه أبو داود (٤٢٥٩) في الفتن والملاحم، باب: في النهي عن السعي في الفتنة.
(2) رواه أحمد (٥/١٤٩).
«يكون الموت فيه بالعبد»: أي يكون العبد قيمة القبر بسبب كثرة الأموات. وقيل: المراد بالبيت المتعارف، والمعنى أن البيوت تصير رخيصة لكثرة الموت وقلة من يسكنها، فيُباع البيت بعبد.
«حجارة الزيت»: موضع بالمدينة في الحرّة، سُمّي بها لسواد الحجارة، كأنّها طليت بالزيت، أي الدم يعلو حجارة الزيت ويسترها لكثرة القتلى. وهذا إشارة إلى وقعة الحرّة التي كانت زمن يزيد.

وقد رواه أبو داود[1] عن مسدّد، وابن ماجه[2] عن أحمد بن عَبْدة، كلاهما عن حمّاد بن زيد، عن أبي عِمْران الجَوْنيّ، عن المُشَعّث بن طريف، عن عبدالله بن الصامت، عن أبي ذرّ بنحوه، ثم قال أبو داود: لم يذكر المشعثَ في هذا الحديث غيرُ حمّاد بن زيد.

١٢٧ ـ وقال أبو داود: حدثنا محمد بن يحيى بن فارس، حدثنا عفان بن مسلم، حدثنا عبدالواحد بن زياد، حدثنا عاصم الأحول، عن أبي كَبْشة، قال: سمعت أبا موسى يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن بين أيديكم فِتناً كقِطع الليل، يُصبحُ الرجل فيها مؤمناً ويُمسي كافراً، ويُمْسي مؤمناً ويصبح كافراً، القاعد فيها خيرٌ من القائم، والقائم فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من السّاعي»، قالوا: فما تأمُرنا؟ قال: «كونوا أحلاس بيوتكم»[3].

١٢٨ ـ قال الإمام أحمد: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، عن أيُّوب، عن أبي قِلَابة، عن أبي أسماء، عن ثَوْبَان، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن مُلك أمّتي سيبلُغُ ما زُوِيَ لي منها، وإني أُعطيتُ الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألْتُ رَبّي لأمتي أن لا يهلكوا بسَنَةٍ بعامة، وأن لا يُسلّط عَلَيْهِمْ عدوّاً من سوى أنفسهم؛ فيَسْتَبِيح بَيْضَتهُم ولو اجتمع عليهم مَنْ بَيْنَ أقطارها» أو قال: «مَنْ بأقطارها» «حتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يسبي بعضاً، وإنما أخافُ على أمتي الأئمة المضلّين. وإذا وُضع السيف في أمتي لم يُرفَعْ عَنْهُمْ إلى يوم القِيامَة. ولا تَقُومُ السَّاعَةُ حتى تلحق قبائلُ مِنْ أمتي بالمُشْرِكِينَ؛ وحتّى تعْبُد قبائلُ مِنْ أمتي الأوْثانَ، وإنه يكونُ في أمّتي كَذَّابُونَ ثَلاَثُون، كلُّهُمْ يزعم أنه نبي، وأنه خاتَم النَّبِيِّين، لا نبيَّ بعدي. ولا تزالُ طَائِفةٌ مِنْ أمّتي ظَاهرين عَلَى الحق؛ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفُمْ؛ حتى يَأْتي أمرُ الله عزّ وجلّ»[4].

---

(١) رواه أبو داود (٤٢٦١) في الفتن والملاحم، باب: في النهي عن السعي في الفتنة.
(٢) رواه ابن ماجه (٣٩٥٨) في الفتن، باب: التثبت في الفتنة.
(٣) رواه أبو داود (٤٢٦٢) في الفتن والملاحم، باب: في النهي عن السعي في الفتنة.
(٤) رواه أحمد (٥/٢٧٨).
«زوى»: جمع.

ورواه مسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه[1]، من طرق عن أبي قلابة عبدالله بن زيد الجرمي، عن أبي أسماء عمرو بن مَرْثد، عن ثوبان بن بُجْدُد، بنحوه، وقال الترمذي: حسن صحيح.

١٢٩ ـ وقال أبو داود: حدثنا هارون بن عبدالله، حدثنا أبو داود الحَفَرِيّ، عن بدر بن عُثْمان، عن عامر، عن رجل، عن عبدالله، عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «تَكُونُ في هَذِه الأُمة أربَعُ فِتَن، [في] آخرها الفَنَاءُ»[2].

١٣٠ ـ ثم قال أبو داود: حدثنا يحيى بنُ عُثْمان بن سعيد الحِمْصِي، حدثنا أبو المغيرة، حدثني عبدالله بن سالم، حدثني العلاء بن عُتْبَة، عن عمير بن هانىء العنسي، سمعتُ عبدالله بن عمر يقول: كُنَّا قُعوداً عند رسول الله ـ ﷺ ـ فذكر الفتن، فأكثرَ في ذِكرها، حتى ذكر فِتْنَة الأَحلاَسِ، فقال قائل: يا رسول الله، ما هي فِتْنَة الأحْلاَس؟ قال: «هي حَرْبٌ وَهَرَبٌ، ثم فِتْنَةُ السُّوءِ دَخَنُها مِنْ تحت قدمي رجلٍ من أهلِ بيتي، يَزْعُمُ أنه مِنّي وليس مِنّي، وإنّما أوليَائي المُتَّقُون، ثم يَصْطَلِحُ النّاسُ على رجل كَوَرِكٍ على ضِلَع، ثم فتنة الدُّهَيْماءِ لا تَدَعُ أحداً مِنْ هده الأمة إلا لَطَمَتْهُ [لطمة]، حتى إذا قيل انْقَضَتْ عادَتْ، يصبحُ الرَّجُلُ فيهَا مُؤمناً ويُمْسِي كافراً، حتى يصير الناسُ إلى فُسْطَاطَيْن؛ فُسْطَاط إيمَانٍ لا نفاق فيه، وفُسْطَاط نِفَاقٍ لا إيمان فيه، فإذَا كانَ ذَاكُمْ فانتظروا الدجال مِنْ يَوْمِهِ أوْ مِنْ غده»[3] تفرد به أبو داود، وقد رواه أحمد في مسنده عن أبي المُغيرة بمثله.

= «الكنزين الأحمر والأبيض»: المراد بالكنزين الذهب والفضة، والمراد كنزا كسرى وقيصر، ملكي العراق والشام.
«فيستبيح بيضتهم»: أي جماعتهم وأصلهم، والبيضة ـ أيضاً ـ العزّ والملك.
«بسنة عامة»: أي بقحط يعمّهم.

(١) رواه مسلم (٢٨٨٩) في الفتن وأشراط الساعة، باب: هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، وأبو داود (٤٢٥٢) في الفتن والملاحم، باب: ذكر الفتن ودلائلها، والترمذي (٢٢٠٢) في الفتن، باب (٣٢)، وابن ماجه (٣٩٥٢) في الفتن، باب: ما يكون من الفتن.
(٢) رواه أبو داود (٤٢٤٢) في الفتن والملاحم، وما بين حاصرتين مستدرك منه.
(٣) رواه أبو داود (٤٢٤٢) في الفتن والملاحم، وما بين حاصرتين مستدرك منه، وأحمد (٢/١٣٣).
«فتنة الأحلاس»: إنما أضيفت الفتنة إلى الأحلاس لدوامها وطول لبثها. يُقال للرجل ـ إذا كان يلزم

١٣١ ـ وقال أبو داود: حدثنا القعنبي، حدثنا عبدالعزيز، يعني ابن أبي حازم، عن أبيه، عن عُمَارَة بن عمرو، عن عبدالله بن عمرو بن العاص؛ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «كيف بكم وزمان» أو «أوشك أن يأتي زمان يُغَرْبلُ فيهِ النَّاسُ غَرْبَلَةً تَبْقَى حُثَالَةٌ مِنَ النَاسِ، قَدْ مَرِجت عُهُودُهم وأماناتهم، واختلفُوا فكَانُوا هَكَذا» وشبك بين أصابعه، فقالوا: كيفَ بنا يا رسول الله؟ قال: «تَأْخُذُون بِمَا تَعْرِفُونَ، وتدَعون ما تنكرون، تُقْبلُونَ عَلى أمر خَاصَّتِكُمْ وتَدَعُونَ أمْرَ عَامّتكم»[1]، قال أبو داود: وهكذا رُوي عن عبدالله بن عمرو بن العاص، عن النبي ﷺ من غير وجه.

وهكذا رواه ابن ماجه، عن هشام بن عمار، ومحمد بن الصباح، عن عبدالعزيز بن أبي حازم به. ورواه أحمد في مُسنده عن سعيد بن منصور، عن يعقوب بن عبدالرحمٰن، عن أبي حازم به. وقد رواه الإمام أحمد عن حُسين بن محمد، عن مُطرِّف، عن أبي حازم، عن عمرو بن شُعَيْب، عن أبيه، عن جده، فذكر نحوه أو مثله.

بيته لا يبرح منه ـ هو حلس بيته؛ لأنَّ الحلس يفترش فيبقى على المكان ما دام لا يرفع. وقد يحتمل أن تكون هذه الفتنة إنما شبهت بالأحلاس لسواد لونها وظلمتها.

«هي حرب»: الحرب: ذهاب المال والأهل. يقال: حرب الرجل فهو حريب إذا سلب أهله وماله.

«دخنها»: الدخن: الدخان، يريد أنها تثور كالدخان.

«كورك على ضلع»: مَثَل، ومعناه: الأمر الذي يثبت ولا يستقيم، وذلك أن الضلع لا يقوم بالورك ولا يحمله، وإنما يقال ـ في باب الملاءمة والموافقة إذا وصفوا ـ هو ككفّ في ساعد، وكساعد في ذراع، أو نحو ذلك: يريد أن هذا الرجل غير خليق للملك ولا مستقلّ به.

«الدهيماء»: تصغير الدهماء، وصغّرها على مذهب المذمة لها.

«الفسطاط»: المدينة التي يجتمع فيها الناس، وكل مدينة فسطاط، ويكون الفسطاط مجتمع أهل الكورة حول جامعها.

(١) رواه أبو داود (٤٣٤٢) في الملاحم، باب: الأمر والنهي، وابن ماجه (٣٩٥٧) في الفتن، باب: التثبت في الفتنة، وأحمد (٢/٢٢١).

«يغربل»: أي يذهب بخيار الناس ويبقي أراذلهم، كما يفعل من يغربل الطعام بالغربال، ويجوز أن تكون من الغربلة وهي القتل.

«حثالة»: الحثالة: الرديء من كلّ شيء، والمراد أراذلهم.

«مرجت»: أي اختلفت وفسدت.

«على أمر خاصتكم»: أي على من يختص بكم من الأهل والخدم، أو على إصلاح الأحوال المختصة بأنفسكم.

١٣٢ ـ ثم قال أبو داود: حدثنا هارونُ بن عبدالله، حدثنا الفَضْل بن دُكَيْن، حدثنا يُونس؛ يعني ابن أبي إسحاق، عن هلال بن خَبَّاب أبي العلاء، حدثنا عِكْرَمَةُ، حدثني عبدالله بن عمرو بن العاص، قال: بينما نحنُ حول رسول الله ـ ﷺ ـ إذ ذكر الفتنة، أو ذُكرت عنده، فقال: «إذا رأيتم الناسَ قد مَرِجت عهودُهم، وخَفَّت أمَانَاتُهُمْ، وكانُوا هكذا» وشبَّك بَيْن أصابعه، قال: فقمت إليه، فقلت: كيف أفعل عند ذلك جعلني الله فداك؟ قال: «الزم بَيْتَك، وامْلِك عَلَيْكَ لِسانَكَ، خُذْ بما تعرفُ، ودعْ ما تُنْكر، وعليك بأَمْرِ خَاصَّةِ نفسك، ودع عنك أمر العَامة»[1]. وهكذا رواه أحمد عن أبي الفضل بن دُكين به، وأخرجه النسائي في عمل[2] اليوم والليلة عن أحمد بن بكّار، عن مخلد بن يزيد، عن يونُس بن أبي إسحاق، فذكر إسناده نحوه.

١٣٣ ـ قال أبو داود: حدثنا محمد بن عُبَيد حدثنا حَماد بنُ زيد، حدثنا اللّيْثُ، عن طاووس، عن رجل، يقال له زياد، عن عبدالله بن عمرو، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إنّها ستكونُ فِتْنَةٌ تَسْتَنْظِفُ العرَبَ، قَتْلاهَا في النّارِ، اللّسَانُ فِيهَا أشَدُّ مِنْ وَقْعِ السَّيفِ»[3]، وقد رواه أحمد عن أسود بن عامر، عن حمّاد بن سَلَمة، والترمذيّ وابن ماجه من حديثه عن اللّيث، عن طاووس، عن زياد وهو الأعجم، ويقال له زياد سمين كُوش. وقد حكى الترمذيّ عن البخاريّ أنه ليس لزياد حديث سواه، وأن حمّاد بن زيد رواه عن الليث، فرفعه. وقد استدرك ابنُ عساكر على البخاري هذا، فإنّ أبا داود رواه من طريق حمّاد بن زيد، مرفوعاً، فالله أعلم.

١٣٤ ـ وقال أبو داود: حدثنا عبدالملك بن شُعَيْب، حدّثنا ابنُ وهب،

---

(١) رواه أبو داود (٤٣٤٣) في الملاحم، باب: الأمر والنهي، وأحمد (٢/٢١٢)، والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم (٢٠٥).

(٢) في المطبوع: نعيم.

(٣) رواه أبو داود (٤٢٦٥) في الفتن والملاحم، باب: في كف اللسان، والترمذي (٢١٧٨) في الفتن، باب: (١٦)، وابن ماجه (٣٩٦٧) في الفتن، باب: كف اللسان في الفتنة.

«تستنظف العرب»: أي تستوعبهم هلاكاً. يقال: استنظفت الشيء؛ إذا أخذته كلّه.

«قتلاها في النار»: لأنهم ما قصدوا بالقال إعلاء كلمة الله ودفع ظلم أو إعانة أهل حق، وإنما قصدوا التباهي والتفاخر، وفعلوا ذلك طمعاً في المال والملك.

حدثني الليث، عن يحيى بن سعيد، قال: قال خالد بن أبي عمران، عن عبدالرحمٰن بن البيلماني، عن عبدالرحمٰن بن هُرْمز، عن أبي هريرة: أن رسول الله - ﷺ - قال: «ستكون فِتْنَةٌ صَمّاءُ بكماءُ عَمْياءُ، مَن أشرفَ لهَا استَشْرَفَتْ له، وإشرافُ اللسانِ فيها كوقوع السيف»[1].

١٣٥ - وقال الإمام أحمد: حدثنا وَكِيعٌ، وحدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن زيد بن وَهْب، عن عبدالرحمٰن بن عبد ربّ الكعبة، عن عبدالله بن عمرو، وكنتُ جالساً معه في ظِلّ الكعبة، وهو يُحدِّث الناسَ، قال: كُنّا مع رسول الله - ﷺ - في سَفَرٍ، فنزلنا مَنزلاً، فمِنّا من يضرب خباءه، ومنّا مَنْ هو في جَشَرِه، ومِنّا من ينْتَضِلُ، إذ نادى مُنادي رسول الله - ﷺ -: الصلاةُ جامعةٌ، قال: فانتهيتُ إليه، وهو يخطبُ الناس، ويقول: «أيُّها الناسُ: إنّه لَمْ يَكُنْ نبيٌّ قبْلي إلّا كَانَ حَقّاً عليْهِ أنْ يَدُلَّ أمّتَهُ عَلى مَا يَعْلَمُه خيْراً لَهُمْ، ويُنْذِرهُمْ ما يَعْلمُه شَرّاً لَهُمْ، ألا وإنّ عَافِيَةَ هذه الأمّةِ في أوّلِهَا، وسَيصيبُ آخِرهَا بَلاء وفِتَنٌ، يُرَقِّقُ بعضُها بعضاً، تجيء الفتنة؛ فيقول المؤمن: هذه مُهْلِكَتي، ثم تنكشف، ثم تجيء فيقول: هذه هذه، ثم تجيء فيقول: هذه هذه، ثم تنكشف، فمن أحبّ أن يُزَحْزَحَ عن النار ويُدْخَلَ الجَنَةَ فلْتُدْرِكْهُ مَنِيّتُهُ وهو يُؤْمِنُ باللّهِ واليَومِ الآخِرِ، ويؤتي إلى النّاسِ ما يُحِبّ أنْ يُؤتى إلَيْهِ، ومَنْ بايع إماماً فأعطاهُ صَفْقَةَ يَدِه وثَمرةَ قَلْبِهِ فليطِعْهُ إن اسْتطَاعَ» وقال مَرّةً: «ما اسْتَطاعَ».

قال عبدالرحمٰن: فلمّا سَمِعْتُها أدْخَلْتُ رَأسي بَيْن رَجُلَيْن، قلت: فإنّ ابنَ عَمِّكَ معاوية يأمرنا أن نأكلَ أموالَنَا بَيْنَنا بالباطِلِ، وأنْ نَقْتُلَ أنْفُسنا، وقد قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أموالَكُم بَيْنَكُمْ بالْبَاطِلِ﴾ [النساء: ٢٩] الآية.

قال: فوضع يديه، فوضعهما على جبهته، ثم نَكَّس عَيْنَيْه، ثم رَفَعَ رأسَه، فقال: أطِعْهُ في طَاعَةِ اللّهِ واعْصِه في مَعْصِيَةِ اللّهِ، قلت له: أنتَ سمعت هذا من رسول الله - ﷺ -؟ قال: نعم، سمعتهُ أُذُنايَ، ووعاهُ قَلْبي[2].

(١) رواه أبو داود (٤٢٦٤) في الفتن والملاحم، باب: في كف اللسان.

(٢) رواه أحمد (٢/١٩١)، ومسلم (١٨٤٤) في الإمارة، باب: وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول

ورواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث الأعمش به، وأخرجه مسلم أيضاً من حديث الشعبيّ، عن عبدالرحمٰن بن عبد ربّ الكعبة، عن عبدالله بن عمرو بنحوه.

١٣٦ - وقال أحمد: حدثنا ابن نُمير، حدّثنا الحسن بن عمرو، عن أبي الزبير، عن عبدالله بن عمرو قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «إذا رأيتم أمتي تَهابُ الظالمَ أنْ تَقولَ لَهُ إنّكَ لَظالِمٌ فَقَدْ تُوُدِّعَ منهم»، وقال رسول الله - ﷺ -: «يكون في أمتي خسف وقذف ومسخ»[1].

١٣٧ - وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن إسحاق، حدثنا يحيى بن أيوب، حدثنا أبو قُبَيل، قال: كنّا عند عبدالله بن عمرو، وسُئل: أيُّ المَدينتَيْن تُفْتَحُ أوّلاً، القُسْطَنْطِينِيّة أو رُوميّة؟ قال: فدعا عبدُ الله بصندوقٍ له حَلَق، قال: فأخْرَجَ مِنْهُ كتاباً، قال: فقال عبدالله: بينما نحنُ حَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ نكتبُ، إذ سئل رسول الله ﷺ: أيُّ المدِينَتَيْن تفتح أولاً: قسطنطينية أو روميّة؟ فقال رسول الله ﷺ: «مدينةُ هِرَقْلَ تُفْتَحُ أوّلاً» يَعْنِي القسطنطينية[2].

= فالأول، وأبو داود (٤٢٤٨) في الفتن والملاحم، باب: ذكر الفتن ودلائلها، والنسائي (٧/١٥٣) في البيعة، باب: ذكر ما على من بايع الإمام وأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه، وابن ماجه (٣٩٥٦) في الفتن، باب: ما يكون من الفتن.

«خباءه»: الخباء: بيت من صوف أو وبر لا من شعر.

«جشره»: الجشر: الماشية ترعى في مكانها ولا ترجع إلى أصحابها عند المساء، والقوم يبيتون مكانهم في الإبل لا يرجعون إلى بيوتهم.

«ينتضل»: انتضل القوم؛ إذا رموا للسبق، ويقال: انتضلوا بالكلام والأشعار.

«عافية هذه الأمة»: أي خلاصها ممّا يضرّ في الدين.

«يرقّق»: أي يزن بعضها بعضاً، أو يجعل بعضها بعضاً رقيقاً. والحاصل أن المتأخرة من الفتن أعظم من المتقدمة، فتصير المتقدمة عندها دقيقة رفيقة.

«ثمرة قلبه»: كناية عن الإخلاص في العهد، والتزامه.

(١) رواه أحمد (٢/١٦٣)، وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد ٧/٢٦٢): رواه أحمد والبزار بإسنادين، ورجال أحد إسنادي البزار رجال الصحيح، وكذلك رجال أحمد، إلا أنه وقع منه في الأصل غلط فلهذا لم أذكره.

(٢) رواه أحمد (٢/١٧٦)، وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد ٦/٢١٩): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح: غير أبي قبيل وهو ثقة.

١٣٨ ـ وقال القرطبيّ في «التذكرة»: ورُوِيَ من حديث حُذَيفة بن اليمان، عن النبي ﷺ: أنه قال: «ويَبْدأ الخَراب في أطرافِ الأرْضِ حَتّى تَخْرَبَ مِصْرُ، ومِصْرُ آمِنةٌ مِنَ الخرابِ حتّى تخربَ البَصْرَةُ، وخَرابُ البَصْرَةِ مِنَ الغرق، وخراب مصْر من جفاف النِّيل، وخَرابُ مكة من الحَبشة، وخرابُ المدينة من الجُوع، وخَرابُ اليَمنِ مِنَ الجراد، وخرابُ الأُبُلّة من الحِصَار، وخَرابُ فَارس مِنَ الصَّعَالِيك، وخَرابُ التّرك من الدَّيْلَم، وخراب الديلم من الأرمن والخزر، وخراب الخَزر من الترك، وخراب الترك من الصواعق، وخرابُ السِّند من الهنْد، وخرابُ الهِنْدِ مِنَ الصّين، وخَرابُ الصِّينِ مِنَ الرَّمل، وخرابُ الحَبَشَةِ مِنَ الرَّجْفِ، وخرابُ الرُّوز من السّفياني، وخَرابُ الدَّوْحاء من الخسف، وخَرابُ العِراقِ من القَحْطِ»[1] ثمّ قال: ذكره أبو الفرج ابن الجَوزيّ، قال: وسمعت أن خراب الأندلس بالرِّيح العَقِيم، والله أعلم.

وهذا الحديث لا يُعرف في شيء من الكتب المعتمدة، وأخلق به أن لا يكون صحيحاً.

* * *

(1) ذكره القرطبي في (التذكرة ٣/٣٥٦).

فصل في تعداد الآيات والأشراط

١٣٩ ـ قال الإمام أحمد: حدثنا حسن، حدثنا خَلَف؛ يعني ابن خليفة، عن أبي جناب، عن أبيه، عن عبدالله بن عمرو قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يتوضّأ وضوءاً مكيناً، فرفع رأسه، فنظر إليّ فقال: «ستٌّ فيكُمْ أيتها الأمّةُ: موت نبيّكُم» قال: فكأنّما انْتزِعَ قَلْبي مِنْ مَكَانه، قال رسول الله ﷺ: «واحدة» قال: «ويفيضُ المَالُ فيكُمْ، حتّى إنّ الرَّجُلَ لَيُعْطى العَشَرَةَ آلافٍ فيظَلّ يَسْخَطُها»، [قال رسول الله ﷺ: «ثنتين»، قال: «وفتنة تدخل بيت كل رجل منكم»] قال رسول الله ﷺ: «ثلاث»، قال: «وَمَوْتٌ كقُعَاص الغَنَم»، قال رسول الله ﷺ: «أرْبَعٌ، وهدنة تكون بينكم، وبين بني الأَصْفر، فيجمعون لَكُمْ تسعة أشهر كَقدْرِ حَمْل المَرأةِ، ثمّ يكونون أولى بالغَدْرِ منكم» قال رسول الله ﷺ: «خَمْسٌ»، قال: «وفتح مَدينَة» قال رسول الله ﷺ: «سِتّ»، قلت: يا رسول الله أي مدينة؟ قال: «قُسْطَنْطِينيّة»[1]، وهذا الإسناد فيه نَظَر من جهة رجاله، ولكن له شاهد من وجه آخر صحيح.

١٤٠ ـ وقال البخاري: حدثنا الْحُمَيْدِي، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا عبدالله بن العَلاَء بن زَبْر، سمعتُ بسر بن عبيدالله، سمع أبا إدريس؛ سمعتُ عوف بن مالك رضي الله عنه، قال: أتيتُ رسول الله ﷺ في غزوة تَبُوك، وهو في قُبّة أدَم فقال: «اعْدُدْ سِتاً بَيْن يدي السَّاعَة: مَوْتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم مُوتَانٌ يأخُذ فيكم كقُعَاص الغنم، ثم استفاضةُ المال، حتى يُعْطى الرَّجُلُ مِائة دِينارٍ فيظَلُّ سَاخِطاً، ثم فِتْنَةٌ لاَ يَبْقى بيْتٌ من العَرب إلّا دَخَلَتْهُ، ثم هُدْنَةٌ تكون بينكم وَبَيْنَ بني

(1) رواه أحمد (٢/١٧٤)، وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد ٧/٣٢٢): رواه أحمد والطبراني، وفيه أبو جناب الكلبي، وهو مدلس. وما بين حاصرتين مستدرك منهما.
«كقعاص»: هو داء في الغنم يُميتها سريعاً.

الأَصْفر فيَغْدِرون؛ فيَأْتونكُمْ تَحْتَ ثَمانين رايَةً، تَحْتَ كُلِّ رايَةٍ اثْنا عَشَر ألفاً»[1] ورواه أبو داود وابن ماجه والطبرانيّ من حديث الوليد بن مسلم. ووقع في رواية الطبرانيّ عن الوليد بن زَبْر، عن زيد بن واقد، عن بسر بن عُبَيْدالله، وقد صرّح البخاريّ في روايته بسماع ابن زَبْر مِنْ بسر بن عبيدالله. فاللَّهُ أَعْلَمُ.

وعند أبي داود: فقلت: أدخل يا رسول الله؟ قال: «نعم». قلت: كُلِّي؟ قال: «نعم». وإنما قلتُ ذلك من صِغَر القُبَّة.

١٤١ - وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو المُغِيرة، حدثنا صفوان، حدثنا عبدالرحمٰن بن جُبَيْر بن نُفَيْر، عن أبيه، عن عوف بن مالك الأشجعيّ قال: أَتَيْتُ النبيّ ﷺ فسلّمتُ عليه. فقال: «عوف؟» فقلت: نعم. فقال: «ادخل». قال: قلت: كُلِّي أو بَعْضي؟ قال: «بل كُلُّك». قال: «اعدُدْ يا عوف سِتاً بين يدي الساعة: أوّلهُنّ موتي» فاستبكيتُ حتى جَعَل رسول الله ﷺ يُسْكِتُني. قال: «قل: إحدى». قلت: إحدى. «والثانية: فتح بيت المقدس، قل اثنتين. والثالثة: موتان في أمّتي يأْخُذُهم مثلُ قُعاصِ الغنم. قل ثلاثاً. والرّابِعَةُ فِتْنَة تَكونُ في أُمّتي وعظمها، قل أربعاً. والخامسة يَفِيضُ المال فيكُمْ، حتى إن الرَّجُل لَيُعْطَى المائة دينار فيَسْخَطُها، قلْ: خمساً. والسادسة: هُدْنَةٌ تَكونُ بينكم وبين بني الأصفر، فيَسيرُونَ إلَيْكُمْ على ثَمانِين غايةً» قلت: وما الغاية؟ قال: «الراية، تحتَ كُلِّ غايةٍ اثنا عَشَرَ ألفاً، فُسطاط المُسلمين يَوْمَئِذٍ في أرْضٍ يُقال لَهَا الغُوطَةُ، في مدينة يقال لها دِمَشْق»[2]، تفرّد به أحمد من هذا الوجه.

١٤٢ - وقال أبو داود: حدثنا هشام بن عمار، حدّثنا يحيى بن حمزة، حدثنا ابن[3] جابر، حدثني زيدُ بن أرطأة، سمعتُ جُبَيْر بن نُفَيْرٍ يُحدّث عن أبي الدرداء:

---

(١) رواه البخاري (٣١٧٦) في الجزية والموادعة، باب: ما يُحذَرُ من الغَدر، وأبو داود (٥٠٠٠) في الأدب، باب: ما جاء في المزاح، وابن ماجه (٤٠٤٢) في الفتن، باب: أشراط الساعة.
«أَدَم»: الأدم هو الجلد.
«هدنة»: هي الصلح على ترك القتال بعد التحرُّك فيه.

(٢) رواه أحمد (٦/٢٥).

(٣) في المطبوع: أبو.

أن رسول الله ﷺ قال: «إنّ فُسطاطَ المُسلمين يوم المَلْحَمة بالغُوطَةِ إلى جانب مدينة يقال لها دمشق، من خَيْرِ مَدائِن الشام»[1].

١٤٣ - وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، عن النهّاس بن قَهْم، حدّثني شدّاد أبو عمّار، عن مُعاذ بن جَبَل، قال: قال رسول الله ﷺ: «سِتٌّ من أشراط الساعة: مَوْتي، وفتحُ بَيْتِ المقدس، وموتٌ يأخُذُ في النّاس كقُعاصِ الغَنَم، وفِتْنةٌ يَدْخُلُ حَرابُها بَيْتَ كُلِّ مُسْلِمٍ، وأن يُعْطَى الرَّجُلُ أَلْفَ دِيْنارٍ فيَسْخَطُها، وأن يَغْدِرَ الرُّوم فيَسِيرُونَ بِثَمانين بنداً، تحت كل بَنْدٍ اثنا عشر ألفاً»[2].

١٤٤ - وقال الإمام أحمد: حدثنا عبدالصمد، وعفّان، قالا: حدّثنا همام، حدثنا قتادة، عن الحسن، عن زياد بن رباح، عن أبي هريرة: أنّ رسول الله ﷺ قال: «بادرُوا بالأعمال سِتّاً قبل طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مغرِبِهَا: الدّجالَ، والدُّخانَ، ودابّة الأرض، وخُويصة أحدِكُم، وأُمَراء العامّة»، وكان قَتادَةُ يقول: إذا قال: وأمر العامّة، يعني أمر الساعة[3]، وهكذا رواه مسلم من حديث شُعْبة، وعبدالصمد، كلاهما عن همام به. ثم رواه أحمد مُنفرداً به عن أبي داود، عن عمران القطّان، عن قتادة، عن عبدالله بن رَباح، عن أبي هريرة، مرفوعاً مثله.

١٤٥ - وقال أحمد: حدثنا سليمان، حدثنا إسماعيل، أخبرني العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعْمالِ ستاً: طُلوع الشمس من مغربها، والدّجال، والدُّخان، والدّابّة، وخاصّة أحدِكم، وأمْر العامة»[4]، ورواه

---

(١) رواه أبو داود (٤٢٩٨) في الملاحم، باب: في المعقل من الملاحم، وضعّفه السيوطي. (فيض القدير ٢/٤٦٣).

(٢) رواه أحمد (٥/٢٢٨)، وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد ٧/٣٢٢): رواه أحمد والطبراني، وفيه النهاس بن قهم، وهو ضعيف.
«بنداً»: البند: العَلَم الكبير.

(٣) رواه أحمد (٢/٤٠٧)، ومسلم (٢٩٤٧) في الفتن وأشراط الساعة، باب: في بقية من أحاديث الدجال.

(٤) «بادروا بالأعمال ستاً»: أي سابقوا ست آيات دالة على وجود القيامة، قبل وقوعها وحلولها؛ فإنّ العمل بعد وقوعها وحلولها لا يقبل ولا يعتبر.
رواه أحمد (٢/٣٧٢)، ومسلم (٢٩٤٧) في الفتن وأشراط الساعة.

مسلم من حديث إسماعيل بن جعفر المدني.

١٤٦ ـ وقال الإمام أحمد: حدثنا سُفيان بن عُيَيْنة، عن فُرات، عن أبي الطُّفَيل، عن حُذَيفة بن أسيد، قال: اطّلع النبيّ ﷺ علينا ونحن نتذاكر الساعة، فقال: «ما تَذْكُرون»؟ قالوا: نذكر الساعة، فقال: «إنّها لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَروا عَشر آيات: الدُّخَان، والدَّجّال، والدابّة، وطلوع الشمس من مَغْرِبها، ونُزُولَ عِيسَى بن مَرْيم، ويأجُوجَ ومأجوجَ، وثلاثة خُسُوفٍ: خَسْف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخَسْف بجَزيرَةِ العَرَب، وآخِرُ ذلك نارٌ تَخرُجُ من قِبَلِ عَدَن، تطرُدُ الناس إلى مَحْشَرِهم» قال أبو عبدالرحمٰن، عبدالله بن الإمام أحمد: سقط كلمة[1].

ثمّ رواه أحمد من حديث سُفيان الثوريّ، وشُعْبَة، كلاهما عن فُرات القَزّاز، عن أبي الطُّفَيلِ، عامر بن واثِلَة، عن حُذَيْفة بن أسيد؛ أبي سَريحةِ الغِفاريّ، فذكره، وقال فيه: «نارٌ تخرجُ من قَعْرِ عَدَن، تَسُوقُ أو تَحْشُر النَّاس، تبيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وتَقِيلُ مَعَهُمْ حيث قَالُوا» قال شعبة: وحدثني بهذا الحديث رجل عن أبي الطُّفَيْل عن أبي سَرِيحَة، ولم يرفعهُ إلى النبيّ ﷺ، [فقال] أَحَدُ هذين الرَّجُلَيْنِ نزولَ عِيسَى بن مَرْيم، وقال الآخرُ: ريحٌ تلقيهم في البَحْرِ[2].

وقد رواه مسلم من حديث سفيان بن عُيَيْنَة وشُعْبَة، عن فُرات القَزّاز، عن أبي الطُّفَيل، عن حُذَيفة بن أسيد به، وفي رواية له عن شعبة، عن عبدالعزيز بن رُفَيع، عن ابن الطُّفيل، عن حُذَيفةَ بن أسيد موقوفاً. ورواه أهل السُّنن الأربعة من طُرق عن فُراتٍ القزّاز، به. وقال الترمذي: حسن صحيح[3].

* * *

(١) رواه أحمد (٤/٦).
(٢) رواه أحمد (٤/٧)، وما بين حاصرتين مستدرك منه.
(٣) رواه مسلم (٢٩٠١) في الفتن وأشراط الساعة، باب: في الآيات التي تكون قبل الساعة، وأبو داود (٤٣١١) في الملاحم، باب: أمارات الساعة، والترمذي (٢١٨٣) في الفتن، باب: ما جاء في الخسف، وابن ماجه (٤٠٤١) في الفتن، باب: أشراط الساعة.

ذكر
الملحمة مع الروم الذي آخره فتح القسطنطينية

وعند ذلك يخرج المسيح الدّجال، فينزل المسيح عيسى ابن مريم من السماء الدُّنيا إلى الأرض؛ على المَنارةِ البَيْضاءِ الشرقية بدِمَشْق، وقتَ صلاة الفَجْر، كما سيأتي بيانُ ذلك كله بالأحاديث الصحيحة.

١٤٧ ـ قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن مُصْعَب، هو القُرْقُسائيّ، حدثنا الأوزاعيّ، عن حسان بن عطيّة، عن خالد بن مَعْدان، عن جُبَيْر بن نُفَير، عن ذي مِخْبَر، عن النبي ﷺ قال: «تصالحون الروم صُلْحاً آمناً، وتَغْزون أنتم وهُمْ عَدُوّاً مِنْ وَرائهم، فتَسْلَمُونَ وتَغْنَمُونَ، ثمّ تنزلُونَ بِمرْجٍ ذي تُلُول، فيقوم [إليه] رجل مِنَ الرُّوم؛ فيرفعُ الصَّلِيبَ، ويقول: غُلِبَ الصليبُ، فيقوم إليه رجل من المسلمين فيقتلهُ، فعند ذلك تغدر الرُّوم، وتكون الملاحم، فيجتمعُونَ لكم، فيأتونكم في ثمانين غايَة، مع كلّ غاية عَشَرةُ آلافٍ»[1].

ثم رواه أحمد عن رَوح، عن الأوزاعيّ به، وقال فيه: «فعند ذلك يغدر الرُّوم ويجمعون للمَلْحَمةِ» وهكذا رواه أبو داود وابن ماجه من حديث الأوزاعي[2].

وقد تقدم في حديث عوف بن مالك في صحيح البخاريّ: «فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كلّ غاية اثنا عَشَر ألفاً» وهكذا في حديث شدّاد أبي عمّار، عن مُعاذ «فيسيرونَ إليكُمْ بثمانِين بَنْداً، تحت كلّ بَنْدٍ اثنا عَشَر ألفاً».

١٤٨ ـ قال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل، حدثنا أيوب، عن حُمَيْد بن هلال، عن أبي قتادة، عن أسير بن جابر، قال: هاجت ريحٌ حمراء بالكوفة، فجاء

(١) رواه أحمد (٤/٩١). وذكره ابن حجر في الإصابة (١/٤٨٨).
(٢) رواه أحمد (٥/٣٧٢)، وأبو داود (٤٢٩٢) في الملاحم، باب: ما يذكر من ملاحم الروم، وابن ماجه (٤٠٨٩) في الفتن، باب: الملاحم.

رجل ليس له هِجِّيرى إلاَّ يا عَبْدَالله بن مسعود، جاءت الساعة، قال: فقعد، وكان مُتّكئاً، فَجَلَس، فقال: «إنَّ الساعة لا تقومُ حَتَّى لا يُقْسَمَ مِيراثٌ، ولا يُفْرَحُ بِغَنيمة - ثم قال بيده هكذا، ونحّاها نحو الشّام - فقال: «عدو يجْمَعُونَ لأَهلِ الإسلام، ويجمعُ لهم أهلُ الإسلام» قلت: الروم تعني؟ قال: «نعم، وتكون عند ذاكم القتال رَدَّةٌ شديدة، فيشترط المسلمون شُرْطَةً للموت، لا ترجع إلاّ غالبةً، فيقتتلون حتى يَحْجِزَ بينهم الليل، فيفيءُ هؤلاء وهؤلاء كلٌّ غيرُ غالب، وتَفْنَى الشُّرطَةُ. ثم يشترط المسلمون شُرْطة للموت، لا ترجعُ إلاّ غالبةً، فيقتتلون حتى يَحْجزَ بينَهُمُ الليلُ، فيفيءُ هؤلاء وهؤلاء كلّ غير غالب وتفنى الشرطة. ثم يشترط المسلمون شُرطَةً للموت، لا ترجع إلاّ غالبةً، فيقتتلون حتى يُمْسُوا، فيفيءُ هؤلاء وهؤلاء كلّ غيرُ غالب، وتفنى الشّرطة: فإذا كان اليوم الرابع نَهَدَ إليهم بقية أهل الإسلام، فيجعل الله الدَّبْرة عليهم، فيقتتلون مَقْتَلَةً - إمّا قال لا يُرى مثلُها، وإمّا قال لم يُرَ مِثْلُها - حتّى إنّ الطائر لَيَمُرُّ بِجَنَباتِهِمْ، فَمَا يُخَلِّفُهُمْ حَتّى يَخِرّ ميتاً، فيتعادُّ بنو الأب، كانوا مائةً فلا يجدُونَهُ بقي منهم إلا الرجل الواحدُ، فبأيّ غنيمة يُفْرَحُ؟، أو أيّ ميراث يُقَاسَم؟ فَبَيْنما هم كذلك إذ سَمِعُوا بِبَأْس هو أكبرُ من ذلك، فَجَاءهم الصّريخ؛ إن الدّجالَ قد خَلَفَهُمْ في ذَرَارِيهم، فَيَرْفُضُونَ ما في أيديهِمْ، ويُقْبِلُونَ فيبعثون عَشَرةَ فَوارِسَ طَلِيعة» قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف أسماءهم، وأسماء آبائهم، وألوان خُيُولِهِم، هُمْ خير فَوارِسَ عَلَى ظَهْرِ الأرض يومئذٍ»[1].

تفرد بإخراجه مسلم فرواه عن أبي بكر بن أبي شَيْبَة وعليّ بن حُجْر، كلاهما عن إسماعيل بن عُلَيَّة، ومن حديث حمّاد بن زيد، كلاهما عن أيّوب، ومن حديث سُلَيْمان بن المُغِيرة، كلاهما عن حُمَيْد بن هلال العَدَوِيّ، عن أبي قتادة العدويّ، وقد اختُلِف في اسمه، والأشهرُ ما ذكره ابن مَعين: أنه تَمِيمُ بن نُذَيْر، ووثّقه، وقال

(١) رواه أحمد (١/٣٨٤ - ٣٨٥)، ومسلم (٢٨٩٩) في الفتن وأشراط الساعة، باب: إقبال الروم في كثرة القتل عند خروج الدجال.
«ليس له هجيرى»: أي شأنه ودأبه ذلك. «لأهل الإسلام»: أي لقتالهم. «ردة شديدة»: أي عطفة قوية. «يفيء»: يرجع. «نهد»: نهض وتقدم. «الدبرة»: الهزيمة. «بجنباتهم»: أي نواحيهم. «يخلفهم»: أي يجاوزهم. «يتعادّ بنو الأب»: أي يعدّ بعضهم بعضاً. «فيرفضون»: أي يتركون.

ابن مَنْده وغيره: كانت له صُحْبَة، فالله أعلم.

وتقدّم من رواية جُبَيْر بن نُفَيْر، عن عَوْف بن مالك، في تَعْدَادِ الأَشْراط بين يَدَي الساعة، عن النبيّ ﷺ: «والسادسة هُدْنَةٌ تكونُ بَيْنَكُمْ وبينَ بَني الأصفر، فيَسِيرون إليكم في ثمانين غايةً، تحتَ كلِّ غاية اثنا عشر ألفاً، وفُسْطاطُ المسلمين يومئذ في أرضٍ يُقال لها الغُوطة، في مدينة يقال لها دمشق» رواه أحمد.

١٤٩ - وروى أبو داود من حديث جُبَيْر بن نُفَيْر أيضاً، عن أبي الدرداء[1]: أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ فُسطاطَ المُسلمين يوم المَلْحَمَةِ بالغُوطَةِ إلى جانب مدينةٍ يقالُ لها دِمَشْقُ، مِنْ خَيْر مدائن الشام»[2].

وتقدّم حديثُ أبي حَيَّة، عن عبدالله بن عمرو، في فتح القسطنطينية، وكذا حديث أبي قُبَيْل - في فتح روميّة بعدها أيضاً -.

١٥٠ - وقال مسلم بن الحجاج: حدثني زُهَيْر بن حَرْب، حدثنا مُعَلَّى بن منصور، حدثنا سُليمان بن بلال، حدثني سُهَيْلٌ، عن أبيه، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تنزل الرومُ بالأعماق أو بدابق، فيخرج إليهم جيشٌ من المدينة، من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافُّوا قالت الروم: خلُّوا بيننا وبين الذين سُبُوْا مِنا نُقَاتِلْهُمْ، فيقول المسلمون: لا والله لا نُخَلِّي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم، فينهزمُ ثلثٌ لا يتوب الله عليهم أبداً، ويُقْتَلُ ثلثهم، أَفْضَلُ الشهداء عند الله وَيَفْتَتِحُ الثلث، لا يُفْتَنُونَ أبداً. فَيَفْتَحُون قسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم، وقد عَلَّقُوا سُيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان: إنّ المسيح قد خَلَفَكُمْ في أهليكم، فيخرجون، وذاك باطل، فإذا جاؤوا الشام خرج، فبينما هم يُعِدُّون للقتال، يُسَوّون الصفوف إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابنُ مريم ﷺ فأمّهم، فإذا رآه عدوّ الله ذابَ كما يذوب المِلْح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يَهْلِكَ، ولكن يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ، فيريهِمْ دَمه في حَرْبته»[3].

(١) في المطبوع: داود.
(٢) سبق تخريجه برقم (١٤٢).
(٣) رواه مسلم (٢٨٩٧) في الفتن وأشراط الساعة، باب: في فتح قسطنطينية.

١٥١ ـ وقال مسلم: حدثنا قُتيبَةُ بن سعيد، حدثنا عبدالعزيز، يعني ابن محمد، عن ثور، وهو ابن زيد الدِّيلي، عن أبي الغَيْث، عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: «سمعتم بمدينةٍ جانبٌ منها في البرّ وجانبٌ منها في البحر»؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: «لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق، فإذا جاؤوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح، ولم يَرمُوا بسهم، قالوا: لا إلهَ إلا اللَّهُ والله أكبر، فيسقط أحدُ جانبَيْها» قال ثور: لا أعلمه إلّا قال: «الذي في البحر، ثم يقولون الثانية: لا إله إلّا الله والله أكبر، فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولون الثالثة: لا إله إلّا الله والله أكبر، فتُفْرجُ لهم؛ فيدخلونها فيَغْنَمُون، فبينما هم يقتسمون المغانم إذ جاءهم الصريخ فقال: إنّ الدَّجال قد خرج، فيتركون كلّ شيء ويرجعون»(١).

١٥٢ ـ وقال ابن ماجه: حدثنا عليّ بن ميمون الرَّقّي، حدثنا أبو يعقوب الحُنَيْني، عن كَثِير بن عبدالله بن عمرو بن عوف، عن أبيه، عن جدّه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعةُ حتى تكون أدنى مسالح المسلمين بِبَوْلاَءَ»، ثم قال ﷺ: «يا عليّ» قال: بأبي وأمي، قال: «إنّكم ستقاتلون بني الأصفر، ويقاتلهم الذين مِنْ بعدكم، حتى تَخرجَ إليهم رُوقَةُ الإسلام، أهلُ الحجاز الذين لا يخافون في الله لَوْمَةَ لائم، فيفتتحون القُسطنطينية بالتسبيح والتكبير، فيُصيبون غنائم لم يُصِيبُوا مثلَها، حتّى يقتسموا بالأَتْرسَة، ويأتي آتٍ، فيقول: إنّ المَسِيح قَدْ خَرَجَ في بِلادِكُم، ألا وهي كِذْبة، فالآخذُ نادم والتارك نادم»(٢).

١٥٣ ـ وقال مسلم: حدثنا قُتَيْبَةُ، حدثنا جرير، عن عبدالملك بن عُمَيْر، عن

(١) رواه مسلم (٢٩٢٠) في الفتن وأشراط الساعة، باب: لا تقوم الساعة حتى يمرّ الرجل بقبر الرجل.

(٢) رواه ابن ماجه (٤٠٩٤) في الفتن، باب: الملاحم.

«مسالح»: جمع مسلحة، وهم القوم الذي يحفظون الثغور من العدو، وسمّوا مسلحة لأنهم يكونون ذوي سلاح، أو لأنهم يسكنون المسلحة وهي كالثغر والمرقب؛ يكون فيه أقوام يرقبون العدو لئلا يطرقهم على غفلة، فإذا رأوه أعلموا أصحابهم ليتأهبوا له.

«روقة الإسلام»: أي خيار المسلمين وسراتهم. جمع رائق.

«فالآخذ نادم»: لظهور أنه كذب.

«والتارك نادم»: لأن الدجال يخرج بعده بقريب، بحيث يرى التارك أنه لو تأهب له حين سمع ذلك القول كان يحسن.

جابر بن سَمرة، عن نافع بن عُتْبَة: أن رسول الله ﷺ قال: «تَغْزُون جزيرة العرب، فيفتحها الله. ثم فارس، فيفتحها الله. ثم تغزون الروم، فيفتحها الله. ثم تغزون الدجّال فيفتحه الله»(١).

١٥٤ ـ وقد روى مسلم من حديث الليث بن سعد، حدثني موسى بن عليّ، عن أبيه، قال: قال الْمُسْتَورِد القرشي، عند عمرو بن العاص: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «تقوم الساعةُ والروم أكثرُ الناس» فقال له عمرو: أبْصِرْ ما تقول، قال: أقول ما سمعتُ من رسول الله ﷺ، قال: لئن قلت ذلك إن فيهم لَخِصالاً أربعاً، إنهم لأحلمُ الناس عند فِتنةٍ، وأسرعُهم إفاقةً بعد مُصِيبة، وأوشكهم كَرَّةً بعد فَترة، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة؛ وأمنعهم من ظُلْم الملوك»(٢).

١٥٥ ـ ثم قال مسلم: حدثني حرملة بن يحيى التجيبيّ، حدثنا عبدالله بن وَهْب، حدثني أبو شُرَيح؛ أنّ عبدالكريم بن الحارث حدّثه؛ أن المستورد القُرشيّ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تقوم الساعة والروم أكثرُ الناس»، قال: فبلغ ذلك عمرو بن العاص، فقال: ما هذه الأحاديث التي تُذكر عنك أنك تقولها عن رسول الله ﷺ؟ فقال له المستورد: قلت الذي سمعتُ من رسول الله ﷺ. قال: فقال عمرو: لئن قلت ذلك إنّهم لأحلمُ الناس عند فِتْنةٍ، وأصبرُ الناس عند مصيبة، وخير الناس لمسَاكِينهم وضُعَفائهم.

وهذا يدلّ على أن الروم يُسْلِمُونَ في آخر الزمان، ولعلّ فتح القُسطنطينية يكون على يدي طائفةٍ منهم، كما نطق به الحديث المتقدّم أنّه يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق.

والروم من سُلالة العِيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم الصلاة والسلام، فهم أولاد عمّ بني إسرائيل، وهو يعقوب بن إسحاق، فالروم يكونون في

(١) رواه مسلم (٢٩٠٠) في الفتن وأشراط الساعة، باب: ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال.

(٢) رواه مسلم (٢٨٩٨) في الفتن وأشراط الساعة، باب: تقوم الساعة والروم أكثر الناس.

آخر الزمان خيراً من بني إسرائيل، فإنّ الدّجال يتبعُه تسعون ألفاً من يهود أصْبهان، فهم أنصار الدجّال، وهؤلاء ـ أعني الروم ـ قد مُدِحُوا في هذا الحديث، فلعلَّهم يُسلمون على يدي المسيح ابن مريم، والله أعلم. على أنه قد وقع في بعض الروايات من بني إسماعيل، وقوَّى ذلك عياضٌ وغيره، والله أعلم.

١٥٦ ـ وقال إسماعيل بن أبي إدريس: حدثنا كَثِيرُ بن عبدالله بن عمرو بن عَوْف، عن أبيه، عن جدّه؛ أنّ رسول الله ﷺ قال: «ستقاتلون بني الأصفر، ويقاتلهم مِنْ بعدكم من المؤمنين أهلُ الحجاز، حتى يفتح الله عليهم القُسطنطينية وروميّة بالتسبيح والتكبير، فيُهْزَمُ حِصْنُها، فتصيبون مالاً لم تصيبوا مثله قطّ، حتى إنّهم يقتسمون بالأترسة، ثم يصرخ صارخ: يا أهلَ الإسلام، المسيحُ الدجّال في بلادكم وذراريكم، فينفَضّ الناس عن المال، منهم الآخذ، ومنهم التارك، الآخذ نادم والتارك نادم، يقولون: من هذا الصارخ؟ ولا يعلمون من هو، فيقولون: ابعثوا طليعةً إلى إيلياء، فإن يكن المسيحُ قد خرج فسيأتُونَكُمْ بعلمه، فيأتون، فينظرون، لا يرون شيئاً، ويرون الناس ساكتين ويقولون: ما صرخ الصارخ إلا لنبأٍ عظيم، فاعْتَزِمُوا، ثم ارتقبوا، فيعتزمون أن نخرج بأجمعنا إلى إيلياء، فإن يكن الدّجال خرج نُقاتِلْهُ بأجمعنا، حتى يحكم اللَّهُ بيننا وبينه، وإن تكن الأخرى فإنّها بلادُكم وعشائرُكم إن رجعتم إليها»[١].

١٥٦/م ـ وقد روى الحافظ بهاءُ الدين بن عساكر في كتابه «المستقصَى في فضائل الأقصى» بسندٍ له عن الأوزاعيّ، عن خالد بن مَعْدَانَ، عن كعب الأحبار أنّه قال: إنّ مدينة القسطنطينية سُمِّيَتْ بخراب بَيْت المقدس، يعني زمن بُخْتَ نصر، فتعززّت، وتجبَّرت، وشَمَخَتْ، فسماها اللَّهُ تعالى العاتِيَة المُسْتكبرة، وذلك أنّها قالت مع سِمَايتها بَيْت المقدس: إن يكن عرشُ رَبِّي كان على الماء، فقد بُنِيتُ أنا على الماء، فغضب الله عليها، ووعدها العذابَ، وقال لها: حلفتُ يا مُستكبرة بما

(١) في إسناده: كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف، قال الشافعي وأبو داود: ركن من أركان الكذب، وضرب أحمد على حديثه، وقال الدارقطني: متروك، وقال ابن حبان: له عن أبيه عن جده نسخة موضوعة. (ميزان الاعتدال ٣/٤٠٦ ـ ٤٠٨).

قد عَتَيْتِ من أمري، وتَجبَّرتِ لأبعثنّ عليكِ عباداً لي مؤمنين، من مساكن سَبَأ، ثم لأشجِّعَنّ قلوبهم حتى أدعها كقلوب الأُسْدِ الضواري، ولأجعلنّ صوتَ أحدهم عند البأس كصوت الأسد حين يخرُج من الغابة، ثم لأُرْعِبَنّ قلوبَ أهلك كرُعْب العُصفور، ثم لأنْزِعَنّ عنكِ حَلْيَكِ وديباجَكِ ورياشَكِ، ثم لأتْرُكَنَّكِ جَلْحاءَ قزعاءَ صلْعاءَ[١]، فإنّه طالَما أشْرِكَ بي فيكِ، وعُبِدَ غيري، وافْتُرِيَ عليّ، وأمهَلْتُكِ إلى اليوم الذي فيه خِزْيُكِ، فلا تستعجلي يا عاتية، فإنّه لن يفوتني شيء أريده.

١٥٧ ـ وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو النضر، حدثنا عبدالرحمٰن بن ثابت بن ثوبان، عن أبيه، عن مكحول، عن جُبَيْرِ بن نُفَيْر، عن مالك بن يُخامِر، عن معاذ بن جَبَل، قال: قال رسول الله ﷺ: «عُمرانُ بَيْتِ المَقْدسِ خرابُ يَثْرِب، وخرابُ يَثْرِبَ خروج المَلْحَمَة، وخروجُ الملحمةِ فتحُ القسطنطينية، وفتحُ القسطنطينية خروجُ الدَّجال»، قال: ثم ضرب بيده على فخذ الذي حدّثه أو مَنْكِبِهِ، ثم قال: إنّ هذا لحقّ كما أنك هاهُنا، أو كما أنّك قاعد، يعني مُعاذَ بن جبل[٢]؛ وهكذا رواه أبو داود عن عباس العنبريّ، عن أبي النضر؛ هاشم بن القاسم به، وهذا إسناد جيّد، وحديثٌ حَسَن، عليه نُور الصّدق، وجلالَةُ النبوّة.

وليس المرادُ أن المدينة تخربَ بالكلية قبل خروج الدّجال، وإنما ذاك في آخر الزمان، كما سيأتي بيانهُ في الأحاديث الصحيحة، بل يكون عِمَارةُ بَيْت المقدس سبباً في خراب المدينة النبوّية، فإنهُ قد ثبت في الأحاديث؛ أن الدّجال لا يقدر على دُخولها فَيُمنعُ من ذلك بما على أنقابها من الملائكة، بأيديهم السُّيوف المُصْلَتَة.

١٥٨ ـ وفي صحيح البخاريّ من حديث مالك، عن نُعيم المُجمِر، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «المدينة لا يدخلها الطاعون ولا الدّجال»[٣].

(١) «جلحاء»: التي لا قرن لها. «قزعاء»: التي حلق شعرها وبقي منه مواضع لم تحلق. والمراد أن هذه المدينة تخلو من زينتها وعوامل الدفاع عنها؛ لأنَّ القرن سلاح والشعر زينة.

(٢) رواه أحمد (٥/٢٤٥)، وأبو داود (٤٢٩٤) في الملاحم، باب: في أمارات الملاحم.

(٣) رواه البخاري (٧١٣٣) في الفتن، باب: لا يدخل الدجال المدينة، بلفظ: «على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال».

وفي جامع الترمذيّ: أن المسيح ابن مريم عليه الصلاةُ والسلامُ إذا مات يُدفَنُ في الحُجْرة النبويّة(١).

١٥٩ ـ وقد قال مسلم: حدثني عمرو الناقد، حدثنا الأسود بن عامر، حدثنا زُهَيْرٌ، عن سُهَيْل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «تبلغ المساكنُ إهَابَ، أو يَهَابَ»(٢) قال زهير: قلت لسُهَيل: فكم ذلك من المدينة؟ قال: كذا وكذا ميلاً.

فهذه العمارة إمّا أن تكون قبل عِمارة بيت المقدس، وقد تكون بعد ذلك بدَهْر، ثم تخرَب بالكليّة، كما دلّت على ذلك الأحاديث التي سَنُوردها.

١٦٠ ـ وقد روى القرطبيّ من طريق الوليد بن مُسلم، عن ابن لَهِيعَةَ، عن أبي الزُّبير، عن جابر: أنه سمع عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، على المنبر يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يخرج أهلُ المدينة منها، ثمّ يعودون إليْها فيَعْمُرونَها حتّى تَمتلىء، ثم يخرجون منّها، ثم لَا يعودُونَ إلَيْها أبداً»(٣).

١٦١ ـ وفي حديث عن أبي سعيد مرفوعاً مثله: «وَلَيَدَعُنَّها وهي خير ما تكون، مُونِقَةً» قيل: فمن يأكلُها؟ قال: «الطيرُ والسباع»(٤).

١٦٢ ـ وفي صحيح مسلم، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: «يَتْرُكُونَ المدينة على خَيْرِ ما كانَتْ، لا يغشاها إلا العَوَافي ـ يريد عَوَافِي السِّباع والطير ـ ثم يخْرجُ راعيانِ من مُزَيْنَةَ يُريدان المدينةَ يَنْعِقانِ بغنمهما، فيجدانها وَحْشاً، حتى إذا بلغا ثَنِيَّةَ الوداع خَرّا على ـ وُجوهِهِمَا»(٥).

= «أنقاب»: جمع نقب. والمراد: المداخل والطرق التي يسلكها الناس.

(١) رواه الترمذي (٣٦١٧) في المناقب، باب: في فضل النبي ﷺ، بلفظ: مكتوب في التوراة صفة محمد وصفة عيسى ابن مريم يُدْفَن معه. قال: فقال أبو مودود: وقد بقي في البيت موضع قبر.

(٢) رواه مسلم (٢٩٠٣) في الفتن وأشراط الساعة، باب: في سكنى المدينة وعمارتها قبل الساعة.

(٣) في إسناده ابن لهيعة، ضعيف. (ميزان الاعتدال ٢/٤٧٥) والمجروحين ٢/١١).

(٤) ذكره القرطبي في (التذكرة ٣/٢٠٣).

(٥) رواه مسلم (١٣٨٩) (٤٩٩) في الحج، باب: في المدينة حين يتركها أهلها.

١٦٣ ـ وفي حديث حُذَيْفة: سألت رسول الله ـ ﷺ ـ عن أشياء، إلاّ أنّي لم أسألهُ: ما يُخرِجُ أهلَ المدينة منها؟.

١٦٤ ـ وفي حديث آخر، عن أبي هريرة: «يَخْرُجُونَ منها، ونصفُ ثَمرِها زُهورٌ، ونصفها رُطَبٌ» قيل: ما يُخْرِجهم منها يا أبا هريرة؟ قال: «أمراءُ السُّوءِ».

١٦٥ ـ وقال أبو داود: حدثنا ابن نُفَيْل، حدثنا عيسى بن يونس، عن ابن أبي مريم، عن الوليد بن سفْيان الغسّاني، عن يزيد بن قطيب السَّكُوني، عن أبي بَحْرِيّة(١)، عن مُعاذ بن جبل، قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «المَلحَمَةُ الكُبرى، وفَتْحُ القُسطَنْطِينيّة، وخروج الدجّال، في سبعة أشهر»(٢)، ورواه الترمذيّ عن عبدالله بن عبدالرحمٰن الداريّ، عن الحكم بن المبارك، عن الوليد بن مسلم، وقال: حسن غريب، لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه، وفي الباب عن الصعب بن جَثّامة، وعبدالله بن بُسْر، وعبدالله بن مسعود، وأبي سعيد الخُدْريّ. ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمّار، عن الوليد بن مسلم، وإسماعيل بن عيّاش، عن أبي بكر بن أبي مَرْيَم، به.

١٦٦ ـ وقال الإمام أحمد، وأبو داود، واللفظ له: حدثنا حَيْوَةُ بنُ شُرَيْح الحِمْصيّ، حدثنا بقيّة، عن بَحِير بن سَعْد، عن خالد هو ابن مَعْدَان، عن ابن أبي بلال، عن عبدالله بن بُسْر؛ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «بين الملحمة وفتح المدينة ستُّ سنين، ويخرجُ الدجّال في السابعة»(٣).

وهكذا رواه ابن ماجه(٤) عن سُوَيد بن سعيد، عن بَقِيَّة بن الوليد، وهذا مشكل مع الذي قبله، اللهمّ إلاّ أن يكون بين أول الملحمة وآخرها ستُّ سنين، ويكون بين آخرها وفتح المدينة، وهي القسطنطينية، مدّة قريبة، بحيث يكون ذلك مع

= «ينعقان»: يصيحان. «وحشاً»: أي خلاء ليس فيها أحد، سوى الوحوش. «خرّا على وجوههما»: أي سقطا ميتين.

(١) في المطبوع: مجزأة.

(٢) رواه أبو داود (٤٢٩٥) في الملاحم، باب: في تواتر الملاحم، والترمذي (٢٢٣٨) في الفتن، باب ما جاء في علامات خروج الدجال، وابن ماجه (٤٠٩٢) في الفتن، باب: الملاحم.

(٣) رواه أحمد (٤/١٨٩)، وأبو داود (٤٢٩٦) في الملاحم، باب: في تواتر الملاحم.

(٤) رواه ابن ماجه (٤٠٩٣) في الفتن، باب: الملاحم.

خروج الدّجّال في سبعة أشهر، والله أعلم.

١٦٧ ـ وقال الترمذيّ[1]: حدثنا محمود بن غَيْلان، حدثنا أبو داود، عن شُعْبة، عن يحيى بن سعيد، عن أنس بن مالك، قال: فتح القسطنطينية مع قيام الساعة، قال محمود: هذا حديث غريب. والقسطنطينية هي مدينة الرُّوم تُفتحُ عند خروج الدجّال، والقسطنطينية قد فُتِحَتْ في زمان بعض أصحاب النبيّ ﷺ.

هكذا قال إنّها فُتحت في زمن الصحابة، وفي هذا نظر، فإنّ مُعاوية بَعث إليها ابنه يزيدَ في جيش فيهم أبو أيُّوبَ الأنصاريّ، ولكن لم يتّفق فتحها، وحاصرها مَسْلَمةُ بن عبدالملك بن مروان[2]، في زمان دولتهم، ولم تُفتح أيضاً، ولكنْ صالحهم على بناء مسجد بها، كما قدمنا ذلك مبسوطاً.

* * *

(١) رواه الترمذي (٢٢٣٩) في الفتن، باب: ما جاء في علامات خروج الدجال.

(٢) هو مسلمة بن عبدالملك بن مروان بن الحكم: أمير قائد، من أبطال عصره، من بني أمية في دمشق، يلقّب بالجرادة الصفراء. له فتوحات مشهورة. ذكر الزركلي أنه سار في مئة وعشرين ألفاً لغزو القسطنطينية في دولة أخيه «سليمان»، وبنى «مسجد مسلمة» بالقسطنطينية سنة (٩٦هـ)!، وولاه أخوه «يزيد» إمرة العراقين ثم أرمينية، وغزا الترك والسند سنة (١٠٩هـ). ومات بالشام سنة (١٢٠هـ).

ذكر خروج الدجال بعد وقوع الملحمة الرومية وفتح القسطنطينية

ولنذكر قبل ذلك مُقدّمة فيما ورد في ذكر الكذّابين الدجّالِيْن الذين هم كالمقدّمة بين يَدَيْه، ويكون المسيح الدجّال خاتَمهمْ ـ قبحه الله وإيّاهُمْ، وجعل نار الجحيم مُنْقَلَبَهُمْ ومَثْواهُمْ ـ.

١٦٨ ـ روى مسلم من حديث شُعْبة وغيره، عن سِمَاك، عن جابر بن سَمُرة قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنّ بَيْنَ يدي الساعة كذّابين» قال جابر: فاحذروهم[1].

١٦٩ ـ وقال الإمام أحمد: حدّثنا موسى، حدثنا ابن لَهيعَة، عن أبي الزبير، عن جابر أنّه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ، يقول: «بين يدي الساعة كذّابون، منهم صاحب اليمامة، ومنهم صاحب صنعاء العَنْسِيّ، ومنهم صاحبُ حِمْير، ومنهم الدجّال، وهو أعظمهم فتنةً» قال جابر: وبعض أصحابي يقول: قريبٌ من ثلاثين كذّاباً[2]. تفرّد به أحمد.

١٧٠ ـ وثبت في صحيح البخاريّ، عن أبي اليمان، عن شُعَيْب، عن أبي الزّناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة: أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «لا تقوم الساعة حتى يُبْعَثَ دجّالون، كذّابون، قريباً من ثلاثين، كلٌّ يزعمُ أنّه رسول الله» وذكر تمام الحديث بطوله[3].

(١) رواه مسلم (٢٩٢٣) في الفتن وأشراط الساعة، باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل.

(٢) رواه أحمد (٣/٣٤٥)، وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد ٧/٣٣٢): رواه أحمد والبزار، وفي إسناد البزار عبدالرحمٰن بن مغراء؛ وثّقه جماعة وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح، وفي إسناد أحمد بن لهيعة؛ وهو لين.

(٣) رواه البخاري (٧١٢١) في الفتن، باب: حدثنا مسدد.
«حتى يُبعث دجالون»: المراد ببعثهم إظهارهم، لا البعث بمعنى الرسالة.

١٧١ ـ وفي صحيح مسلم من حديث مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يُبْعَثَ دجّالون، كذّابون قريب من ثلاثين، كلٌّ يزعمُ أنه رسول الله»(١).

حدثنا محمد بن رافع، حدثنا عبد الرزّاق، حدثنا مَعْمَرٌ، عن هَمّام بن مُنبّه، عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ بمثله، غير أنّه قال: «ينبعث».

١٧٢ ـ وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شُعبة، سمعت العَلاء بن عبدالرحمٰن يُحدّث عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى يظهر ثلاثُونَ دَجّالُونَ كذّابونَ، كلّهم يزعم أنه رسول الله، ويَفيضُ المالُ فيكثر، وتظهرُ الفِتَنُ، ويكثرُ الهَرْجُ» قال: قيل: وأيُّما الهَرْجُ؟ قال: «القتلُ، القتل» ثلاثاً(٢)، تفرّد به أحمد من هذا الوجه، وهو على شرط مُسلم.

١٧٣ ـ وقد رواه أبو داود عن القَعْنَبيّ، عن الدّارَوَرْدِيّ، عن العَلاء به من حديث محمد بن عمرو بن عَلْقَمَة، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يَخْرُجَ ثلاثون دجّالاً كذّاباً، كلهم يكذبُ على الله ورسوله»(٣).

١٧٤ ـ وقال أحمد: حدثنا يحيى، عن عوف، حدثنا خلاس، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: «بين يدي الساعة قريبٌ من ثلاثين دجّالين، كذّابين، كلهم يقول: أنا نبيّ، أنا نبيّ»(٤) وهذا إسناد جيّد حسن، تفرّد به أحمد أيضاً.

١٧٥ ـ وقال أحمد: حدثنا ابن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا سَلامَانُ بن عامر، عن أبي عُثمانَ الأَصْبَحِيّ: سمعت أبا هريرة يقول: إنّ رسول الله ﷺ قال: «سيكون في أمّتي دَجّالُونَ كذّابُون، يأتونكم ببدع من الحديث بما لم تَسْمَعُوا أنْتُم ولا

(١) رواه مسلم (١٥٧) في الفتن وأشراط الساعة، باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل.
(٢) رواه أحمد (٢/٤٥٧).
(٣) رواه أبو داود (٤٣٣٤) في الملاحم، باب: في خبر ابن صائد.
(٤) رواه أحمد (٢/٤٢٩).

آباؤكُم، فإيّاكُمْ وإيّاهُمْ لا يَفْتِنُونكُمْ»(١).

١٧٦ ـ وقال الحافظ أبو يَعْلى: حدثنا أبو كُرَيْب، حدّثنا محمد بن الحَسَن الأسديّ، حدّثنا هارون بنُ صالح الهَمْدَانيّ، عن الحارث بن عبدالرحمٰن، عن أبي الجُلاس، قال: سمعتُ علياً يقول لعبدالله السَّبائي: ويلك والله ما أفْضَى إليّ بِشَيْءٍ كتمتهُ أحداً من الناس، ولقد سمعتهُ يقول: «إنّ بين يدي الساعة ثلاثينَ كذَّاباً» وإنك لأحدُهم(٢)، ورواه أيضاً عن أبي بكر بن أبي شَيْبَة عن محمد بن الحسن به.

١٧٧ ـ وفي صحيح مسلم من حديث أبي قِلَابَة، عن أبي أسماء، عن ثَوْبانَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّه سيكونُ في أُمّتي ثلاثون كذّابُونَ، كلّهُم يزعمُ أنّه نبي، وأنا خاتمُ النبيين، لا نبيّ بعدي»(٣) الحديث بتمامه.

١٧٨ ـ وقال الإمامُ أحمد: حدثنا أبو الوليد، حدثنا عُبَيْدُ الله بن إياد بن لَقيط، حدثنا إياد، عن عبدالرحمٰن بن نُعْم أو نُعَيم الأعْرجيّ، شَكَّ أبو الوليد، قال: سأل رجل ابن عمر عن المُتْعَة، وأنا عنده، مُتْعَةِ النِّساءِ [فغضب] وقال: والله ما كُنّا على عهد رسول الله ﷺ زنائين، ولا مُسَافِحينَ، ثم قال: والله لقد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ليكونَنّ قبل يوم القيامة المسيحُ الدجال، وكذَّابُون ثلاثون، أو أكثر»(٤).

ورواه الطبرانيّ من حديث مُوَرّق العِجْليّ، عن ابن عمر، بنحوه، تفرّد به أحمد.

١٧٩ ـ وقال الإمامُ أحمد: حدثنا عبدالصمد، حدثنا حَمَّادٌ وهو ابن سَلَمة، عن عليّ بن زيد، عن يوسف بن مِهران، عن عبدالله بن عمر: أنه كان عنده رجل من أهل الكوفة، فجعل يحدّثه عن المختار، فقال ابن عمر: إنْ كان كما تقول فإني سمعتُ

(١) رواه أحمد (٢/٣٤٩).
(٢) قال الهيثمي في (مجمع الزوائد ٧/٣٣٣): رواه أبو يعلى (٤٤٩ ـ ٤٥٠) ورجاله ثقات.
(٣) جزء من حديث رواه الترمذي (٢٢١٩) في الفتن، وقال: حسن صحيح، ولم أجده في صحيح مسلم بهذا اللفظ.
(٤) رواه أحمد (٢/١٠٤)، وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد ٧/٣٣٣): رواه أحمد وأبو يعلى بقصة المتعة وما بعدها، والطبراني.

رسول الله ﷺ يقول: «إنّ بينَ يدي الساعة ثلاثين دجالاً كذاباً»(١)، تفرّد به أحمد من هذا الوجه، وقد رواه سعيد بن عامر، عن ابن عمر، ولكن قال: سبعون.

١٨٠ - وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا واصل بن عبدالأعلى، حدثنا ابن فضل، عن لَيْث، عن سعيد بن عامر، عن ابن عمر، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ، يقول: «إنّ في أمتي لَنَيِّفاً وسبعين داعياً، كلّهم دَاعٍ إلى النار، لو أشاءُ لأنبأتُكُمْ بأسمائهم وقبائِلهم»(٢)، وهذا إسناد لا بأس به، وقد روى ابن ماجه به حديثاً في الكَرْع والشُّرْب باليد.

١٨١ - وقال أبو يعلى: حدثنا زُهَيْر، حَدّثنا جَرِير، عن لَيْث، عن بِشْر، عن أَنَس، قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون قبل خروج الدّجّال نيّف على سبعين دجالاً»(٣) فيه غرابة، والذي في الصحاح أثبت، والله أعلم.

١٨٢ - وقال أحمد: حدثنا عبدالرزّاق، حدثنا مَعْمَر، عن الزهريّ، عن طلحة بن عبدالله بن عوف، عن أبي بَكْرَةَ، قال: أكثَرُوا في مُسَيْلمة قبل أن يقول رسول الله ﷺ فيه شيئاً، فقام رسولُ الله ﷺ خطيباً، فقال: «أمّا بعدُ، ففي شأن هذا الرجل الذي قد أكثرتُمْ فيه، وإنه كذاب من ثلاثين كذَّاباً يخرجون بين يدي الساعة، وإنه ليس من بلدٍ إلا يبلغها رُعْبُ المسيح إلا المدينة، على كل نقب من نقابها ملكان يَذُبّانِ عنها رُعْبَ المسيح»(٤).

١٨٣ - وقد رواه أحمد أيضاً عن حجّاج، عن الليث بن سعد، عن عَقِيل، عن ابن شهاب، عن طلحة بن عبدالله بن عوف، أنّ عياض بن مُسافِع أخبره عن أبي بَكْرَة، فذكره، وقال فيه: «إنّه كذّاب من ثلاثين كذّاباً يخرجون قبل الدجّال، وإنّه ليس بلدٌ إلاّ سَيَدْخُله رُعْب المسيح الدجال إلاّ المدينة، على كلّ نَقْب من نِقَابها مَلَكَان

(١) رواه أحمد (٢/١١٨)، وذكره الهيثمي في (مجمع الزوائد ٧/٣٣٢) وقال: رواه أحمد.
(٢) رواه أبو يعلى في مسنده (٥٧٠١)، وقال محققه: إسناده صحيح.
(٣) قال الهيثمي في (مجمع الزوائد ٧/٣٣٣): رواه أبو يعلى، وفيه ليث بن أبي سليم وهو مدلس، وبشر صاحب أنس لم أعرفه.
(٤) رواه أحمد (٥/٤١).

يذُبّان عنها رُعْبَ المسيح»(١) تفرّد به أحمد من الوجهين.

١٨٤ - وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو جعفر المدائنيّ، وهو محمد بن جعفر، حدثنا عبّاد بن العوّام، حدثنا محمد بن إسحاق، عن محمد بن المُنْكَدِر، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أمام الدجّال سنينَ خدّاعة، يُصَدَّقُ فيها الكاذِبُ، ويُكذَّب فيها الصَّادِقُ، ويُخَوَّنُ فيها الأمين، ويُؤْتَمَنُ فيها الخَائِنُ، ويَتَكَلَّمُ فيها الرُّوَيبِضَةُ» قيل: وما الرويبضةُ؟ قال: «الفُوَيْسِقُ، يتكلم في أمر العامَّة»(٢) وهذا إسناد جيّد قوي، تفرَّد به أحمد من هذا الوجه.

* * *

(١) رواه أحمد (٥/٤٦)، وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد ٧/٣٣٢): رواه أحمد والطبراني، وأحد أسانيد أحمد والطبراني رجاله رجال الصحيح.
(٢) رواه أحمد (٥/٢٢٠)، وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد ٧/٢٨٤): رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني في الأوسط، وفيه ابن إسحاق وهو مدلس، وفي إسناد الطبراني ابن لهيعة وهو ليّن.
«الرويبضة»: تصغير الرابضة، وهو العاجز الذي ربض عن معالي الأمور، فهو تافه لا شأن له.
«الفويسق»: تصغير الفاسق.

الكلام على أحاديث الدجّال

١٨٥ ـ قال مسلم: حدثني حَرْمَلَةُ بن يحيى بن عبدالله بن حَرْمَلة بن عِمْران التُّجِيبي، أخبرني ابن وهب، أخبرني يونس، عن ابن شهاب، أن سالم بن عبدالله أخبره؛ أن عبدالله بن عمر أخبره أن عمر بن الخطاب انطلق مع رسول الله ﷺ في رَهْطٍ قِبَل ابن صَيَّاد حتى وجده يلعبُ مع الصِّبيانِ عند أُطُمِ بني مَغَالة، وقد قارب ابنُ صيّاد يَوْمَئِذٍ الحُلُمَ، فلم يَشْعُرْ حتى ضَرَبَ رسول الله ﷺ ظَهْرَهُ بيَدِهِ، ثم قال رسول الله ﷺ لابن صياد: «أتَشْهدُ أنّي رسول الله؟» فنظر إليه ابن صَيّاد فقال: أشهدُ أنّك رسول الأميِّين، فقال ابنُ صَيّاد لرسول الله ﷺ: أتشـهدُ أنّي رسول الله؟ فرفضه رسول الله ﷺ، وقال: «آمنتُ بالله وبرُسُله» ثم قال له رسول الله ﷺ: «ماذا ترى؟» قال ابن صياد: يأتيني صادق وكاذب، فقال له رسول الله ﷺ: «خُلِّطَ عليك الأمرُ» ثم قال له رسول الله ﷺ: «إنّي قد خَبَأْتُ لك خَبْئاً» فقال ابنُ صَيّاد: هو الدُّخُّ، فقال له رسول الله ﷺ: «اخْسَأْ فلن تَعْدُوَ قَدْرَك» فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ذَرْني يا رسول الله أضربْ عُنُقَهُ، فقال له رسول الله ﷺ: «إنْ يَكُنْهُ فَلَنْ تُسَلَّطَ عَلَيْه، وإن لا يكنه فلا خير لك في قتله»(١).

١٨٦ ـ وقال سالم بن عبدالله: سمعتُ عبدالله بن عمر يقول: انطلق بعد ذلك رسولُ الله ﷺ وأُبَيُّ بنُ كعب الأنصاريّ إلى النخل التي فيها ابنُ صيّاد، حتى إذا دخل رسولُ الله ﷺ النخلَ طَفِقَ يتّقي بجُذُوع النَّخْلِ وهو يَخْتِلُ أن يسمع من ابن صيّاد شيئاً

(١) رواه مسلم (٢٩٣٠) في الفتن وأشراط الساعة، باب: ذكر ابن صياد.
«أطم بني مغالة»: الأطم: الحصن. وبنو مغالة: كل ما كان على يمينك إذا وقفت آخر البلاد مستقبل مسجد رسول الله ﷺ.
«فرفضه»: الرفض: الضرب بالرجل. ورواه الخطابي في غريبه: فَرَصَّه، أي ضغطه حتى ضمّ بعضه إلى بعض. وقال محمد فؤاد عبدالباقي: ويجوز أن يكون معنى رفضه أي ترك سؤاله الإسلام ليأسه فيه حينئذ، ثم شرع في سؤاله عما يرى.

قبل أن يراه ابنُ صيّاد، فرآه رسول الله ﷺ وهو مضطجع على فراش في قطيفة له فيها زَمْزَمة، فرأت أمُّ ابنِ صياد رسولَ الله ﷺ وهو يتّقي بجذوع النخل، فقالت لابن صيّاد: يا صاف، وهو اسم ابن صيّاد، هذا محمد، فثار ابنُ صيّاد، فقال رسول الله ﷺ: «لو تَرَكَتْهُ بَيَّن».

قال سالم: قال عبدالله بن عمر: فقام رسول الله ﷺ في الناس، فأثنى على الله تعالى بما هو أهله ثم ذكر الدجال، فقال: «إني لأنذركموه، ما من نبيّ إلا وقد أنذره قومه، لقد أنذر نوح قومه، ولكن أقول لكم فيه قولاً لم يقله نبيّ لقومه: تَعَلَّمُوا أنّه أعورُ، وأن الله تبارك وتعالى ليس بأعور».

وقال ابن شهاب: وأخبرني عمر بن ثابت الأنصاريّ؛ أنه أخبره بعضُ أصحاب رسول الله ﷺ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال يوم حذَّر الناسَ الدّجّال: «إنّه مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه من كَرِهَ عَمله، أو يقرؤه كلّ مؤمن» وقال: «تَعلَّمُوا أنّه لن يرى أحدٌ منكم ربه حتى يموت»(١).

وأصل الحديث عند البخاريّ من حديث الزهريّ، عن سالم، عن أبيه، بنحوه.

١٨٧ ـ وروى مسلم أيضاً من حديث عبيدالله، عن نافع، عن ابن عمر؛ أنّ رسول الله ﷺ ذكر الدجّال بين ظهراني الناس فقال: «إنّ الله تبارك وتعالى ليس بأعور، ألا وإنّ المسيح الدجّال أعورُ العين اليُمْنى، كأنّ عينه عِنَبةٌ طافية»(٢).

١٨٨ ـ ولمسلم من حديث شُعْبة، عن قَتَادَة، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نبي إلا وقد أنذر أمّته الأعورَ الكذّاب، ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس

(١) رواه مسلم (٢٩٣١) في الفتن وأشراط الساعة، باب: ذكر ابن صياد.
«وهو يختل أن يسمع من ابن صياد شيئاً»: يختل أي يخدع ابن صياد، ويستغفله ليسمع شيئاً من كلامه، ويعلم هو والصحابة حاله في أنه كاهن أم ساحر، ونحوهما.
«في قطيفة فيها زمزمة»: القطيفة: كساء مخمل. والزمزمة: صوت خفي لا يكاد يفهم أو لا يفهم.
«فثار»: أي نهض من مضجعه وقام.
(٢) رواه مسلم (١٦٩) في الفتن وأشراط الساعة، باب: ذكر الدجال وصفة ما معه.
«طافية»: ظاهرة ناتئة.

بأعور، مكتوب بين عينيه ك ف ر»[1]، رواه البخاريّ من حديث شُعْبَة بنَحْوِه.

١٨٩ ـ قال مسلم: وحدثني زُهير بن حرب، حدثنا عَفّان، حدثنا عبدالوارث، عن شُعيب بن الحَبْحَابِ، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «الدجّال مَمْسُوحُ العَيْنِ، مكتوم بين عينيه كافر» ثم تَهَجّاهَا ك ف ر «يقرؤه كل مسلم»[2].

١٩٠ ـ ولمسلم من حديث الأعمش، عن شقيق[3]، عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «لأنا أعلم بما مع الدجّال منه، معه نهران يَجْريان، أحدهما رَأْيَ العَيْنِ ماءٌ أبيضُ، والآخرُ رَأْيَ العَيْنِ نارٌ تأجّجُ، فإما أدركه أحدٌ فلْيَأْتِ النَهرَ الذي يراه ناراً ولْيُغَمِّضْ، ثم لِيُطَأْطِئ رَأْسَهُ فيَشْرب، فإنّه ماء باردٌ، وإنّ الدجّالَ مَمسوحُ العَيْنِ، عليها ظَفْرَةٌ غَلِيظَةٌ، مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه كل مؤمن، كاتب وغير كاتبٍ»[4].

ثم رواه من حديث شُعْبة، عن عبدالملك بن عُمَيْر، عن ربعيّ، عن حُذَيْفَةَ، عن النبي ﷺ بنحوه، قال ابن مسعود: وأنا سمعتُه من رسول الله ﷺ. ورواه البخاريّ من حديث شُعْبَةَ بنحوه[5].

١٩١ ـ ورواه البخاري ومسلم من حديث شيبان بن عبدالرحمٰن، عن يحيى بن أبي كَثِير، عن أبي سَلَمة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم عن الدجّال حديثاً ما حَدّثه نبيّ قومَه؟ إنه أعور، وإنه يجيء معه مثلُ الجَنّة والنار، فالتي يقول إنها الجنة هي النار، وإنّي أنذرْتُكُم به، كما أَنْذَرَ به نوح قَوْمه»[6].

(١) رواه مسلم (٢٩٣٣) في الفتن وأشراط الساعة، باب: ذكر الدجال وصفة ما معه، والبخاري (٧١٣١) في الفتن، باب: ذكر الدجال.
(٢) رواه مسلم (٢٩٣٣) (١٠٣) في الفتن وأشراط الساعة.
(٣) كذا في المطبوع. وفي صحيح مسلم: عن أبي مالك الأشجعي، عن ربعي بن خراش، عن حذيفة. وأما حديث الأعمش عن شقيق عن حذيفة فهو قوله ﷺ: «الدجال أعور العين اليسرى، جُفَال الشعر، معه جنة ونار؛ فناره جنة وجنته نار». و«جفال الشعر»: أي كثيره.
(٤) رواه مسلم (٢٩٣٤) (١٠٥) في الفتن وأشراط الساعة.
«ظفرة»: هي جلدة تغشي البصر، وقال الأصمعي: لحمة تنبت عند المآقي.
(٥) رواه البخاري (٧١٣٠) في الفتن، باب: ذكر الدجال.
(٦) رواه البخاري (٣٣٣٨) في الأنبياء، باب: قول الله عز وجل: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾، ومسلم (٢٩٣٦) في الفتن وأشراط الساعة، باب: ذكر الدجال.

١٩٢ ـ وروى مسلم من حديث محمد بن المُنْكَدِر قال: رأيت جابر بن عبدالله يحلف بالله أنَّ ابن صياد الدجّال، فقلت: أتحلف بالله تعالى؟ قال: إنّي سمعتُ عمر يحلف على ذلك عند النبي ﷺ، فلم ينكره النبي ﷺ[1].

١٩٣ ـ وروى من حديث نافع أن ابن عمر لقي ابن صيّاد في بعض طرق المدينة، فقال له ابن عمر قولاً أغضبه، فانتفخ حتى ملأ السِّكّة، وفي رواية أن ابن صيّاد نَخر كأشدّ نَخِير حمارٍ يكون، وأن ابن عمر ضربه حتى تكسّرت عصاه، ثم دخل على أخته أم المؤمنين حفصة، فقالت له: ما أردتَ من ابن صياد؟ أما علمت أن رسول الله ﷺ قال: «إنّما يخرج من غضبةٍ يغضبُها»[2].

قال بعض العلماء: ابن صيّاد كان بعضُ الصحابة يظنّه الدجّال الأكبر، وليس به، إنّما كان دجّالاً صغيراً.

١٩٤ ـ وقد ثبت في الصحيحين أنه صحب أبا سعيد فيما بين مكة والمدينة، وأنه تَبرَّم إليه مما يقول الناس فيه أنه الدّجّال، ثم قال لأبي سعيد: ألم يقل رسول الله ﷺ: «إنه لا يدخل المدينة» وقد وُلِدْتُ بها، «وإنه لا يولد له» وقد وُلِدَ لي «وإنه كافر» وأنا أسلمت؟ قال: ومع هذا إني لأعلم الناس به، وأين مكانهُ؟ ولو عُرِضَ عليّ أن أكون إياه لما كَرِهْتُ ذلك[3].

١٩٥ ـ وقال أحمد: حدثنا عبدالمتعال بن عبدالوهّاب، حدثنا يحيى بن سعيد الأموي، حدثنا مجالد، عن أبي الوداك، عن أبي سعيد، قال: ذُكر ابن صياد عند رسول الله ﷺ، فقال عمر: إنه يَزْعُمُ أنه لا يمر بشيء إلا كلَّمه[4].

والمقصود أن ابن صياد ليس بالدجّال الذي يخرجُ في آخر الزمان قطعاً، لحديث فاطمة بنت قَيْس الفِهْرية، [وهو][5] فَيْصَلٌ في هذا المقام، والله أعلم.

* * *

(١) رواه مسلم (٢٩٢٩) في الفتن وأشراط الساعة، باب: ذكر ابن صياد.
(٢) رواه مسلم (٢٩٣٢) في الفتن وأشراط الساعة، باب: ذكر ابن صياد.
«السكة»: الطريق. «النخير»: صوت الأنف.
(٣) رواه مسلم (٢٩٢٧) في الفتن وأشراط الساعة، باب: ذكر ابن صياد.
(٤) رواه أحمد (٧٩/٣).
(٥) زيادة ليستقيم سياق المعنى.

حديث فاطمة بنت قيس في الدجال

١٩٦ ـ قال مسلم: حدثنا عبد الوارث بن عبدالصمد بن عبدالوارث، وحجاج ابن الشاعر، كلاهما عن عبدالصمد، واللفظ لعبدالوارث بن عبدالصمد؛ حدثني أبي، عن جدّي؛ عن الحسين بن ذَكْوانَ، حدثنا ابن بُرَيدة، حدثني عامر بن شَراحِيل الشعبيّ، شعب هَمْدان؛ أنه سأل فاطمة بنت قيس أختَ الضحّاك بن قَيْس؛ وكانت من المهاجرات الأول؛ فقال: حدّثيني حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ لا تُسْنِديه إلى أحدٍ غيره، فقالت: لئن شِئْتَ لأَفْعلَنّ، فقال لها: أجَلْ حدّثيني، فقالت: نَكَحْتُ ابنَ المُغيرة، وهو من خيار شباب قُرَيْش يومئذٍ، فأصيب في أول الجهاد مع رسول الله ﷺ، فلما تأَيَّمتُ خطبني عبدالرحمٰن بن عوف، في نفر من أصحاب محمد ﷺ، وخطبني رسولُ الله ﷺ على مَوْلاهُ أسامة بن زيد، وكنت قد حُدِّثْتُ أنّ رسول الله ﷺ قال: «مَنْ أَحَبَّني فَلْيُحِبَّ أسامة» فلمّا كلّمني رسول الله ﷺ قلت: أمري إليك فأنكِحْني مَنْ شِئْتَ، فقال: «انتقلي إلى أمّ شَريك» وأُمُّ شريك امرأةٌ غَنِيَّةٌ من الأنصار، عظيمة النفقات في سبيل الله، ينزل عليها الضِّيفَانُ، فقلت: سأفعل، فقال: «لا تفعلي، إن أُمّ شَريك كثيرةُ الضِّيفَان وإني أكرهُ أن يَسْقُط عنك خِمارُك أو ينكشِفَ الثوبُ عن ساقيك، فيرى القوم منك بعضَ ما تكرهين، ولكن انتقلي إلى ابن عَمِّكِ عبدالله بن عمرو بن أم مَكْتوم» وهو رجل من بني فِهْر، فهر قريش، وهو من البطن الذي هي منه، فانتقلتُ إليه، فلَمّا انقضت عِدَّتي سمعتُ نِداء المنادي، منادي رسول الله ﷺ، يُنادي: الصلاةَ جامعةً، فخرجتُ إلى المسجد؛ فصلّيتُ مع رسول الله ﷺ، وكنت في النساء اللاتي يلين ظهور القوم، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته جلس على الْمِنبروهو يَضْحَكُ، فقال: «ليلزم كلُّ إنسانٍ مُصلاه» ثم قال: «أتدرون لِمَ جمعتكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «والله إني ما جمعتكم لرغبة ولا لِرَهْبةٍ، ولكن جمعتكم لأنّ تميماً الداريَّ كان رجلاً نصرانياً، فجاء فبايَع وأسلم، وحدَّثني حديثاً وافق الذي كنتُ أحدثكم عن مَسيح الدّجّال.

حدثني أنه ركب في سفينة بَحْرِيّة مع ثلاثين رجلاً من لَخْمٍ وجُذامٍ، فلَعب بهم المَوْجُ شَهْراً في البحر، ثم أرفؤوا إلى جزيرة في البحر حين مَغْرِبِ الشمس، فجلسوا في أقرُب السفينة، فدخلوا الجزيرة، فلقيتهم دابة أهلبُ كثير الشعر، لا يدرون ما قُبله من دُبره من كثرة الشعر، فقالوا: وَيلك، ما أنت؟ فقالت: أنا الجسَّاسة، قالوا: وما الجسَّاسةُ؟ قالت: أيها القوم، انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير، فإنه إلى خَبَركم بالأَشْواق. قال: لمّا سَمَّتْ لنا رَجُلاً فَرِقْنا منها أنْ تكون شَيْطانَةً، قال: فانطلقنا سِرَاعاً حتى دَخَلْنا الدَّيْرَ، فإذا فيه أعظمُ إنسانٍ رَأَيْناهُ قَطُّ خَلْقاً، وأشدّ وثاقاً، مجموعةٌ يداهُ إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كَعْبَيْهِ بالحديد، قلنا: ويلك، ما أنت؟ قال: قد قَدَرْتُمْ على خبري، فأخبروني ما أنتم؟ قالوا: نحن أناس من العَرَب، ركبنا في سفينةٍ بَحْرِيَّة، فصادَفْنا البحرَ حِينَ اغتلم فلعب بنا الموج شهراً، ثم أرفأنا إلى جَزيرَتِك هذه، فجلسنا في أَقْرُبها، فدخلنا الجزيرة، فلقِيَنا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعْرِ، لا ندري ما قُبُلَه من دُبُرِه من كثرة الشعر، فقلنا: وَيْلك، ما أنت؟ فقالت: أنا الجسّاسةُ، قلنا: وما الجساسة؟ قالت: اعمِدُوا إلى هذا الرجل في الدَّيْر، فإنّه إلى خبركم بالأشواق، فأقبلنا إليك سِرَاعاً، وفزِعنا منها، ولم نأمن أن تكون شيطانة.

فقال: أخبروني عن نَخْل بَيْسَان، قلنا: عن أي شأنها تَسْتَخْبِرُ؟ قال: أسألكم عن نخلها، هل يُثْمِرُ؟ قلنا: نعم، قال: أمّا إنها يُوشك أن لا يُثْمِرَ. قال: أخبروني عن بُحَيْرة الطَّبرية، قلنا: عن أيّ شأنها تَسْتَخْبِرُ؟ قال: هل فيها ماء؟ قلنا: هي كثيرة الماء، وأهلها يزرعون من مائها. قال: أما إنّ ماءها يوشك أن يذهب. قال: أخبروني عن عين زُغَر، قالوا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل في العين ماء؟ وهل يَزْرَعُ أهلها بماء العين؟ قلنا له: نعم، هي كثيرة الماء، وأهلها يزرعون من مائها.

قال: أخبروني عن نبيّ الأمّيين ما فعل؟ قالوا: قد خرج من مكة ونزل يَثْرِبَ، قال: أَقاتَلَهُ العرب؟ قلنا: نعم، قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب، وأطاعوه، قال لهم: قد كان ذلك؟ قلنا: نعم، قال: أما إن ذلك خيرٌ لهم أن يطيعوه، وإني مخبركم عني؛ إني أنا المسيح الدجال، وإني أوشكُ أنْ يُؤذنَ لي في الخروج، فأخرج، فأسير في الأرض، فلا أدع قريةً إلّا

هَبَطْتُها، في أربعين ليلةً، غير مكة وطَيْبَة فهما مُحَرَّمتان عليّ كِلْتَاهُما، كلما أَرَدْتُ أن أدخل واحدةً أو واحداً منهما استقبلني مَلَك بيده السيفُ صَلْتاً، يصدّني عنها، وإنّ على كل نَقْبٍ منها ملائكة يَحْرُسُونَها» قالت: قال رسول الله ﷺ وطعن بمِخْصَرتهِ في المِنْبَر: «هذه طَيْبَةُ، هذه طَيْبَةُ، هذه طَيْبَةُ» يعني المدينة «ألا هَلْ كنتُ حَدَّثتُكُم عن ذلك؟» فقال الناس: نعم، قال: «فإنه أعجبني حديثُ تميم، إنّه وافق الذي كنتُ أحَدّثكم عنه وعن المدينة ومكة، ألا إنّه في بحر الشام أو في بحر اليمن، لا بل من قِبَل المشرق، ما هو من قِبَلِ المشرقِ، ما هو من قِبَلِ المشرقِ، ما هو» وأومأ بيده إلى المشرق، قالت: فَحَفِظْتُ هذا من رسول الله ﷺ[1].

١٩٧ ـ ثم رواه مسلم من حديث سيّار، عن الشعبي، عن فاطمة، قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ وهو على المنبر يخطبُ، فقال: «إنّ بني عَمٍّ لتميمٍ الداريّ ركبوا في البحر»[2] وساق الحديث.

١٩٨ ـ ومن حديث غَيْلانَ بن جرير، عن الشعبيّ، عنها، فذكرتْهُ: أنّ تميماً الداريّ ركب في البحر، فتاهت به السفينة، فسقط في الجزيرة، فخرج إليها يلتمسُ الماءَ، فلَقِي إنساناً يَجُرّ شعرَهُ، واقتصّ الحديث، وفيه: فأخرجه رسول الله ﷺ إلى الناس، فحدّثهم، قال: «هذه طَيْبَةُ، وذاك الدجّال»[3].

١٩٩ ـ حدثني أبو بكر بن إسحاق، حدثنا يحيى بنُ بُكَير، حدثنا المُغيرة

(١) رواه مسلم (٢٩٤٢) في الفتن وأشراط الساعة، باب: قصة الجساسة.
«فأصيب في أول الجهاد»: ليس معناه أنه قتل في الجهاد مع النبي ﷺ، وتأيمت بذلك، إنما تأيمت بطلاقه البائن.
«تأيمت» الأيم: التي لا زوج لها.
«أرفؤوا إلى جزيرة»: أي التجؤوا إليها.
«أقرب»: جمع قارب.
«أهلب»: غليظ الشعر كثيره.
«فرقنا منها»: أي خفنا.
«اغتلم»: هاج وجاوز حدّه المعتاد.
«صلتاً»: أي مسلولاً.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.

يعني الحزاميّ، عن أبي الزناد، عن الشعبيّ، عن فاطمة بنت قيس: أن رسول الله ﷺ قعد على المنبر، فقال: «أيها الناس، حدثني تميم الداري: أن أُناساً من قومه كانوا في البحر، في سفينةٍ لهم، فانكسرت بهم، فركب بعضهم على لَوْح من ألواح السفينة، فخرجوا إلى جزيرة في البحر»[1] وساق الحديث.

وقد رواه أبو داود وابن ماجه من حديث إسماعيل بن أبي خالد، عن مجالد، عن الشعبي، عنها، نحوه[2].

ورواه الترمذيّ من حديث قتادة، عن الشعبيّ، عنها، وقال: حسن صحيح غريب، من حديث قتادة، عن الشعبي[3].

ورواه النَّسائي من حديث حَمّاد بن سَلَمة، عن داود بن أبي هِنْد، عن الشعبيّ، عنها، نحوه، وكذلك رواه الإمام أحمد عن هَفّان، وعن يونس بن محمد المؤدّب، كلٌّ منهما عن حمّاد بن سَلَمة، به.

٢٠٠ ـ وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا مجالد، عن عامر، قال: قدمتُ المدينةَ فأتيتُ فاطمةَ بنتَ قيس، فحدّثتني أن زوجها طَلّقها على عهد رسول الله ﷺ، فبعثه رسول الله ﷺ في سَرِيّةٍ، فقال لي أخوه: اخرُجي من الدار، فقلت: إنّ لي نَفَقةً وسُكْنَى حتّى يَحِلّ الأجَلُ، قال: لا، قالت: فأتيتُ رسول الله ﷺ، فقلت: إن فُلاناً طلّقني، وإنّ أخاه أخرجني، ومنعني السكنى والنفقة. فأرسَلَ إليه، فقال: «مالك، ولابنةِ آلِ قَيْس؟» قال: يا رسول الله إنّ أخي طَلّقها ثلاثاً جميعاً، قالت: قال رسول الله ﷺ: «انظري يا ابنة آل قيس إنما النفقة والسُّكْنى للمرأة على زوجها، ما كانت له عليها رَجْعَة، وإذا لم يكن له عليها رجعة فلا نفقة ولا سُكْنى، اخرجيْ فانزلي على فُلانة» ثم قال: «إنّه يتحدّث إليها، انزلي على ابن أم مكتوم فإنّه أعمَى لا يراك» ثم قال: «لا تنكحي حتى أكونَ أنا أُنْكحكِ».

(١) المصدر السابق.
(٢) رواه أبو داود (٤٣٢٧) في الملاحم، باب: في خبر الجساسة، وابن ماجه (٤٠٧٤) في الفتن، باب: فتنة الدجال.
(٣) رواه الترمذي (٢٢٥٣) في الفتن، باب (٦٦).

قالت: فخطبني رجل من قُريش، فأتيتُ رسول الله ﷺ أستأمِرُه، فقال: «ألا تَنْكِحين مَنْ هُوَ أحبُّ إليّ منه؟» فقلت: بلى، يا رسول الله، فأنكِحْني مَنْ أحبَبْتَ، قالت: فأنكحَني مِنْ أسامةَ بنِ زَيْد، قال: فلمّا أردتُ أن أخرج، قالت: اجلس حتى أحَدّثك حديثاً عن رسول الله ﷺ.

قالت: خرج رسول الله ﷺ يوماً من الأيام، فصلّى صلاة الهَاجِرةِ، ثم قَعَد، ففزِع الناسُ، فقال: «اجلسوا أيُّها الناس، فإنّي لم أقم مقامي هذا لفزع، ولكنّ تميماً الداريَّ أتاني، فأخبرني خبراً فمنعني من القَيْلُولةِ من الفَرح وقُرّةِ العَيْن، فأحببتُ أن أنْشُر عليكم فرح نبيكم.

أخبرني أن رهطاً من بني عمِّه ركبوا البحر، فأصابتهم ريحٌ عاصف، فألجأتهم الريحُ إلى جزيرة لا يعرفونها فقعدوا في قُوَيْرب سفينة، حتى خرجوا إلى الجزيرة فإذا هم بشيء أهْلَبَ كثيرِ الشعر، لا يدرون؛ أرجلٌ هو أو امرأة؟ فسلّموا عليه، فردّ عليهم السلام، فقالوا له: ألا تُخبرنا؟ فقال: ما أنا بمُخبركم، ولا بمُستخبركم، ولكن هذا الدَّير الذي قد رَهِقْتُموه فيه مَنْ هو إلى خبركم بالأشواق أن يخبركم ويستخبركم، قالوا: قلنا: ما أنت؟ قالت: أنا الجَسّاسة، فانطلقوا حتى أتوا الدير، فإذا هم برجل مُوثَقٍ شَدِيد الوِثاق، مُظْهِر الحُزْن، كثيرِ التّشكي، فسلّموا عليه، فردّ عليهم، فقال: ممن أنتم؟ قالوا: من العرب، قال: ما فعلت العرب؟ أخرَجَ نَبِيُّهُمْ بَعْدُ؟ قالوا: نعم، قال: ما فعلوا به؟ قالوا: خيراً، آمنوا به وصدقوه، قال: ذلك خير لهم، قال: فكان له عدوّ فأظهره الله عليهم؟ قالوا: نعم، قال: فالعرب اليوم إلههم ونَبِيّهُمْ واحد وكلمتهم واحدة؟ قالوا: نعم، قال: فما فعلت عين زغر؟ قالوا: صالحة، يشرب منها أهلها سَقْيَهُم، ويَسْقُونَ منها زَرْعَهُمْ.

قال: فما فعل نخل بين بَيْسانَ وعَمَّانَ؟ قالوا: صالح، يُطْعِمُ جَناهُ كُلَّ سنة، قال: فما فعلت بُحَيْرة طَبرية؟ قالوا: ملأى، قال: فَزَفَر ثُمّ زفر ثم زفر، ثم حلف: لو خَرَجْتُ من مكاني هذا ما تركتُ أرضاً من أرض الله إلّا وطِئْتها غير طَيْبَةَ، فليس لي عليها سُلْطان» قال: فقال رسول الله ﷺ: «إلى هذا انتهى فرحي، ثلاثَ مرّات، إن طَيْبَةَ المَدينة، إنّ الله عزّ وجلَّ حرّمَ حَرَمَها على الدجّال أن يدخلَها» ثم حلف

رسول الله ﷺ: «والله الذي لا إله إلّا هو ما لها طريق ضَيّق ولا واسع في سهل ولا جَبَل، إلّا عليه ملَك شاهرٌ بالسيف، إلى يوم القيامة، ما يستطيع الدجّال أن يدخلها على أهلها».

قال عامر: فلقيتُ المحرَّر بن أبي هُرَيرة، فحدّثته بحديث فاطمةَ بنتِ قيس، فقال: أشهد على أبي أنّه حدّثني كما حَدّثَتْكَ فاطمةُ، غيرَ أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّه في نحو المَشْرِق». قال: ثم لَقِيتُ القاسمَ بن محمد، فذكرت له حديث فاطمة، فقال: أشهد على عائشة أنّها حدّثتني كما حَدَّثَتْكَ فاطِمَةُ غير أنها قالت: «الحَرَمان عليه حَرام مكة والمدينة»[1].

وقد رواه أبو داود وابن ماجه[2] من حديث إسماعيل بن أبي خالد، عن مُجالد، عن عامر الشعبيّ، عن فاطمةَ بنتِ قَيْس، بَسَطَهُ ابن ماجه، وأحاله أبو داود على الحديث الذي رواه قبله، ولم يَذْكُر مُتابعةَ أبي هريرة وعائشة، كما ذكر ذلك الإمامُ أحمد.

٢٠١ ـ وقال أبو داود: حدثنا النُفَيْليّ، حدثنا عُثمان بن عبدالرحمٰن، حدثنا ابن أبي ذِئْب، عن الزهريّ، عن أبي سَلَمة، عن فاطمة بنت قيس: أن رسول الله ﷺ أخّر العِشاء الآخِرة ذات ليلة، ثم خرج فقال: «إنّه حبسني حديثٌ كان يُحدِّثنيهُ تميمٌ الداريّ، عن رجل في جزيرة من جزائر البحر، فإذا بامرأةٍ تَجُرّ شعرها، قال: ما أنتِ؟ قالت: أنا الجَسّاسَةُ، اذهبْ إلى ذلك القَصْر، فأتَيْتُهُ، فإذا رجل يَجُرّ شعره، مُسَلْسَل في الأغلال، ينزو فيما بين السماء والأرض، فقلت: من أنت؟ قال: أنا الدجّال، خرج نبيّ الأُمّيّين بعدُ؟ قلت: نعم، قال: أطاعوه أم عَصَوْه؟ قلت: بل أطاعوه، قال: ذاك خير لهم»[3] فهذه متابعة ابن شَراحيل الشعبي عن فاطمة بنت قيس، ببعضه، ثم أورد أبو داود حديث عبدالله بن بريدة[4]، عن عامر

---

(١) رواه أحمد (٦/٤١٦ ـ ٤١٨).

(٢) رواه أبو داود (٤٣٢٧) في الملاحم، باب: في خبر الجساسة، وابن ماجه (٤٠٧٤) في الفتن، باب: فتنة الدجال.

(٣) رواه أبو داود (٤٣٢٥) في الملاحم، باب: في خبر الجساسة.

(٤) في المطبوع: زيد.

الشعبيّ، عن فاطمة بنت قيس، بطوله، نحوُهُ كنحوٍ مما تقدّم[١].

٢٠٢ ـ ثم قال أبو داود: حدثنا واصل بن عبدالأعلى، حدثنا ابن فضيل، عن الوليد بن عبدالله بن جُميع، عن أبي سلمة بن عبدالرحمٰن، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ ذات يوم على المنبر: «إنه بينما أُناسٌ يسيرون في البحر، فَنَفِدَ طعامهم، فرُفِعَتْ لهم جزيرة، فخرجوا يريدون الخُبْزَ، فلقيتهم الجَسّاسَةُ» قلت لأبي سَلمة: وما الجساسة؟ قال: امرأة تجرّ شعر جلدها وراءها، وقالت: في هذا القصر، وذكر الحديث، وسأل عن نخل بَيْسان، وعين زغر، قال: هو المسيح، فقال لي ابنُ أبي سَلَمة: إنّ في هذا الحديث شيئاً ما حفظتهُ، قال: شهد جابر أنّه ابن صيّاد، قلت: فإنه قد مات، قال: وإن مات، قلت: فإنه أسلم، قال: وإن أسلم، قلت: فإنه قد دخل المدينة، قال: وإن دخل المدينة. تفرد به أبو داود وهو غريب جداً[٢].

٢٠٣ ـ وقال الحافظ أبو يَعْلَى: حدثنا محمد بن بكر، حدثنا أبو عاصم سعد بن زياد، حدثني نافع مولاي، عن أبي هريرة، أنّ رسول الله ﷺ استوى على المنبر، فقال: «حدثني تميم» فرأى تميماً في ناحية المسجد، فقال: «أبا تميم حدِّثِ الناس ما حَدَّثْتني» قال: كنّا في جزيرة، فإذا نحنُ بدابةٍ لا نَدْرِي قُبُلَها مِنْ دُبُرِهَا، فقالت لنا: تعجبون من خَلْقي، وفي الدَّيْر من يَشْتَهي كلامكم! فدخلنا الدَّيْر، فإذا نحنُ برجُلٍ مُوثَقٍ في الحديد من كعبه إلى أذنه، أحدُ مُنْخُرَيْه مسدودٌ، وإحدى عَيْنَيْهِ مَطْمُوسَةٌ، قال: من أنتم؟ فأخبرناه، فقال: ما فَعَلَتْ بُحَيْرَةُ طَبَرِيّة؟ قلنا: بعهدها، قال: فما فعل نَخْلُ بَيْسانَ؟ قلنا: بعهده، قال: لأَطَأَنّ الأرض بِقَدميّ هاتين، إلاّ بَلدةَ إبراهيم وطابة، فقال رسول الله ﷺ: «طابة هي المدينة» وهذا حديث غريب جدّاً.

وقد قال أبو حاتم: أبو عاصم هذا ليس بالمتين[٣].

---

(١) رواه أبو داود (٤٣٢٦).

(٢) رواه أبو داود (٤٣٢٨).

(٣) ميزان الاعتدال (٢/١٢٠).

٢٠٤ ـ وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن سابق، حدثنا إبراهيم بن طهمان، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبدالله أنه قال: إنّ امرأةً من اليهود بالمدينة ولَدَتْ غُلاماً مَمْسوحَةً عينه طالعة ناتئة، فأشفق رسول الله ﷺ أن يكون الدجال، فوجده تحت قَطِيفَةٍ يُهَمْهِمُ، فآذَنَتْه أمُّه، فقالت: يا عبدالله، هذا أبو القاسم قد جاء، فاخرج إليه، فخرَجَ مِن القَطيفة، فقال رسول الله ﷺ: «مالها قاتلها الله؟ لو تركته لَبَيَّن».

ثم قال: «يا بن صياد ما ترى؟» قال: أرى حقاً وأرى باطلاً، وأرى عَرْشاً على الماء، قال: فَلَبَّسَ قال: «أتشهد أني رسولُ الله؟» فقال هو: أَتَشْهَدُ أني رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «آمنتُ بالله ورُسله» ثم خرج وتركه. ثم أتاه مَرّةً أخرى فوجده في نَخْلٍ لهم يُهمهِمُ، فآذَنَتْه أمُّه، فقالت: يا عبدالله، هذا أبو القاسم قد جاء، فقال رسول الله ﷺ: «مالها قاتلها الله؟ لو تَرَكَتْهُ لَبيَّنَ» قال: وكان رسول الله ﷺ يطمع أن يسمع من كلامه شيئاً، ليعلم هل هو أم لا، قال: «يا بن صياد، ما ترى؟» قال: أرى حقاً، وأرى باطلاً، وأرى عَرْشاً على الماء، قال: «أتشهد أنّي رسولُ الله؟» قال هو: أتشهدُ أنّي رسولُ الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «آمنتُ بالله ورسوله» فلبّس عليه، ثم خرج وتركه.

ثم جاء في الثالثة أو الرابعة، ومعه أبو بكر وعمر بن الخطاب في نَفَرٍ من المهاجرين والأنصار، وأنا معه، قال: فبادر رسول الله ﷺ بَيْن أيدينا، ورجا أن يسمع من كلامه شيئاً، فَسَبَقَتْهُ أمّه إلَيْه، فقالت: يا عبدالله، هذا أبو القاسم قد جاء، فقال رسول الله ﷺ: «مالها قاتلها الله؟ لو تركته لبيَّن»، فقال: «يا بن صياد ما ترى؟» قال: أرى حقاً وأرى باطلاً، وأرى عرشاً على الماء، فقال: «أتشهد أني رسول الله؟» قال: أتشهد أنت أنِّي رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «آمنت بالله ورسوله» فلبّس عليه.

فقال رسول الله ﷺ: «يا بن صائد إنا قد خَبَأنا لك خَبْأً، فما هو؟» قال: الدخّ الدخّ، فقال له رسول الله ﷺ: «اخسأْ اخسأْ» فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ائذَنْ لي في قتله يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «إنْ يكنْ هُوَ فلستَ بصاحبه، إنّما صاحبُه عِيسَى ابنُ مَرْيَم، وإن لا يكون هُوَ، فليس لك أن تَقْتُلَ رَجُلاً

من أهلِ العَهْدِ» قال، يعني جابر: فلم يزل رسول الله ﷺ مُشْفِقاً أنّه الدَّجال[1].
وهذا سياق غريب جداً.

٢٠٥ ـ وقال الإمام أحمد: حدثنا يونس، حدثنا المعتمر، عن أبيه، عن سُليمان الأعمش، عن شقيق بن سلمة، عن عبدالله بن مسعود، قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ نمشي إذ مرّ بصِبْيانٍ يلعبون، فيهم ابنُ صَيّاد، فقال رسول الله ﷺ: «تربت يداك، أتشهدُ أني رسولُ الله؟» فقال هو: أتشهد أني رسول الله؟ قال: فقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: دَعْني فلأضربْ عنقه، قال: فقال رسول الله ﷺ: «إن يكن الذي تخاف فلن تَسْتطيعه»[2].

والأحاديث الواردة في ابن صيّاد كثيرة، وفي بعضها توقّف في أمره، هل هو الدجّال؟ ويحتمل أن يكون هذا قبل أن يوحى إلى النبيّ ﷺ في أمر الدجال، وتعيينه، وقد تقدّم حديثُ تميم الداريّ في ذلك، وهو فاصل في هذا المقام، وسنورد من الأحاديث ما يدل على أنه ليس بابن صيّاد، والله أعلم وأحكم.

٢٠٦ ـ وقال البخاري: حدثنا يحيى بن بُكَيْر، حدثنا الليث، عن عَقِيل، عن ابن شهاب، عن سالم، عن عبدالله بنِ عمر، أن رسول الله ﷺ قال: «بينما أنا نائم بالكعبة فإذا رجل آدمُ سَبْطُ الشعر، ينطُفُ ـ أو يُهراق ـ رأسه، قلت: من هذا؟ قالوا: ابنُ مريم، ثم ذهبتُ ألتفتُ، فإذا رجل جَسيمٌ أَحْمَرُ جَعْدُ الرأس، أعْوَرُ العَيْن، كأن عينه عِنبةٌ طَافِيَةٌ، قالوا: هذا الدجّال، أشبه الناس به ابنُ قَطَنَ رجل من خُزاعَة»[3].

٢٠٧ ـ وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن سابق، حدثنا إبراهيم بن طَهْمَانَ، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبدالله، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرجُ الدجّال في خَفقة من الدين وإدبار من العلم، فله أربعون ليلةً يسيحُها في الأرض، اليوم منها كالسنة، واليوم منها كالشهر، واليوم منها كالجمعة، ثم سائر أيامه كأيّامكم هذه، وله حمار يركبه، عَرْضُ ما بين أُذُنَيْه أربعون ذِراعاً، فيقول للناس: أنا ربُّكم وهو أعْوَرُ، وإنّ رَبّكم ليس بأعْور، ومكتوب بين عينيه كافر، هجاؤه ك ف ر، يقرؤه كلُّ مؤمن، من كاتب وغير كاتب، يَرِدُ كلَّ ماء ومَنْهَلٍ إلا المدينة ومكة حرّمهما الله عليه، وقامت الملائكة بأبوابهما، ومعه جبال من خبز، والناس في جَهْد إلا من اتبعه، ومعه نهران، أنا أعلم بهما منه، نهر يقول له الجنة ونهر يقول النار، فمن أُدْخِلَ الذي يُسَمّيه الجنّة فهو النار، ومن أُدْخِلَ الذي يُسَمّيه النار فهو الجنة، قال: ويبعث الله معه شياطين تُكلِّم الناس، ومعه فِتْنَةٌ عظيمة، يأمر السماء فتُمْطِر، فيما يرى الناس، ويقتل نَفْساً، ثم يحييها، فيما يرى الناس، لا يسلط على غيرها، ويقول للناس: هل يفعلُ مثلَ هذا إلا الربُّ؛ عز وجل؟ قال: فيفر المسلمون إلى جبل الدخان بالشام، فيأتيهم، فيحاصرهم، فيشتدّ حصارُهم، ويَجهدُهم جَهْداً شديداً، ثم ينزل عيسى ابنُ مريم، فينادي من السَّحَرِ، فيقول: يا أيُّها الناس، ما يمنعكم من الخروج إلى الكذّاب الخبيث؟ فيقولون: هذا رجل جِنّي، فينطلقون؛ فإذا هم بعيسى ابن مريم ﷺ فتقام الصلاة، فيقال له: تقدّم يا رُوحَ الله، فيقول: ليتقدّم إمامُكم فيُصلّي بكم، فإذا صَلّوا صلاة الصبح، خرجوا إليه.

قال: فحين يراه الكذّاب يَنْماث كما يَنْماثُ المِلْحُ في الماء، فيَمْشي إليه فيقتله، حتى إن الشَّجَر والحَجَر ينادي: يا روح الله، هذا يَهُودِيّ، فلا يَتْرُك مِمَّنْ كان يَتْبَعُهُ أحداً إلّا قتله»[1] تفرّد به أحمد أيضاً، وقد رواه غيرُ واحد عن إبراهيم بن طَهْمان، وهو ثقة، وحديث النوّاس بن سمعان الكلابيّ في معناه، وأبسط منه.

٢٠٨ ـ قال مسلم: حدثني أبو خَيْثمة زهيرُ بن حرب، حدّثنا الوليد بن مُسلم، حدثني عبدالرحمٰن بن يزيد بن جابر، حدثني يحيى بن جابر الطائيّ قاضي حِمْص،

---

(١) رواه أحمد (٣/٣٦٨).
«لبّس»: أي خلّط ودلّس.
(٢) رواه أحمد (١/٤٥٧).
«تربت يداك»: دعاء عليه، أي خسرت ولا أصبت خيراً.
(٣) رواه البخاري (٧١٢٨) في الفتن، باب: ذكر الدجال.

(١) رواه أحمد (٣/٣٦٧ ـ ٣٦٨).
«في خفقة من الدين»: أي في حال ضعف من الدِّين وقلّة أهله، من خَفَق الليل إذا ذهب أكثره، أو خفق، إذا اضطرب، أو خَفَق إذا نعس.
«ينماث»: يذوب.

حدثني عبدالرحمٰن بن جُبَيْر، عن أبيه جُبَيْر بن نُفَيْر الْحَضْرَمي؛ أنّه سمع النَّوّاس بن سَمْعان الكِلابيّ، وحدثني محمد بن مِهْرانَ الرازيّ، واللفظ لـه، حدّثنا الوليد بن مُسلم، حدثنا عبدُالرحمٰن بن يزيد[1] بن جابر الطائي، عن يحيى بن جابر الطائي، عن عبدالرحمٰن بن جُبَيْر بن نُفَيْر، عن أبيه جُبَيْر بن نُفَيْر، عن النَّوّاس، قال:

ذكر رسولُ الله ﷺ الدجَّالَ ذات غَداةٍ فَخفَّض فيه، ورفَّع، حتى ظَنَنّاهُ في طائفة النَّخْل فلما رُحْنا إلَيْه، عرفَ ذلك فينا، فقال: «ما شأنكم؟» قلنا: يا رسول الله، ذكرتَ الدجّال غداةً فَخَفَّضْتَ فيه ورفَّعْتَ، حتى ظَنَنّاه في طائفة النخل، فقال: «غيرُ الدَّجّالِ أخْوَفُني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم، فأنا حَجيجه دونكم، وإنْ يخْرُج ولَسْتُ فيكم فامرؤٌ حَجيجُ نَفْسِه، واللَّهُ خليفتي على كُلِّ مُسلم.

إنه شابٌ قَطَطٌ، عَيْنُهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ، كَأَنّي أُشَبِّهُهُ بعَبْد العُزَّى بن قَطَن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتحَ سورة الكهف، إنّه خارج خَلَّةٍ بين الشام والعراق، فعاثَ يَميناً وعاثَ شِمَالاً، يا عباد الله فاثْبُتُوا»، قلنا: يا رسول الله، وما لُبْثُهُ في الأرض؟ قال: «أربعون يوماً، يومٌ كسَنَة، ويومٌ كشَهْر، ويومٌ كجُمعة، وسائر أيامه كأيامكم» قلنا: يا رسول الله فذلك اليومُ الذي كَسَنَةٍ أتكفينا فيه صَلاَةُ يوم؟ قال: «لا، اقدُروا له قَدْرَه»، قلنا: يا رسول الله وما إسراعهُ في الأرض؟ قال: «كالغيث اسْتَدْبَرَتْه الرِّيحُ، فيأتي على القوم فيدعوهم، فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمرُ السماءَ فتُمْطِر، والأرضَ فَتُنْبِتُ، فتروحُ عليهم سارحتُهُمْ أطولَ ما كانت ذُراً، وأسبغَهُ ضُرُوعاً، وأمدّه خَواصِرَ، ثم يأتي القومَ، فيدعوهم فيردّون عليه قولَه، فينصرفُ عنهم، فيُصبحون مُمْحِلين ليس بأيديهم من أموالهم شيء، ويمر بالْخَرِبةِ فيقول لها: أخرجي كُنُوزَك، فَتَتْبَعُهُ كنوزُها كيعاسِيب النَّحْل، ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً، فيَضْربه بالسيف فيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ، رَمْيَةَ الغَرَض، ثم يدعوه فيُقبل ويتهلّل وجهه يَضْحَك.

فبينما هو كذلك إذ بَعَثَ اللَّهُ المسيحَ ابنَ مريم، فينزل عند المنارة البيضاء، شرقيّ دِمشْق، بين مَهْرُودتين، واضعاً كفيه على أجنحة مَلكَيْنِ، إذا طَأْطأ رأسه قَطَر،

(١) في المطبوع: مرثد.

وإذا رفعه تحَدّر مِنْهُ جُمانٌ كاللؤلؤ، فلا يحلّ لكافر يجدُ ريحَ نَفَسِه إلّا مات، ونَفَسُهُ ينتهي حيث ينتهي طَرْفُه، فيطلُبه حتى يُدركه بباب لُدّ فيقتله.

ثم يأتي قومٌ عيسى ابنَ مريم قد عصمهم الله منه، فيمسحُ عن وجوههم ويُحدّثهم بدرجاتهم في الجنّة، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى: إنّي قد اخرجتُ عباداً لي، لا يَدَانِ لأحدٍ بقتالهم، فحرِّزْ عبادي إلى الطور.

ويبعث الله يأجُوجَ ومأجوج، وهم من كلّ حَدَبٍ يَنْسِلون، فيمرّ أوائلُهم على بحيرة طَبَريّة، فيشرَبُون ما فيها، وَيَمُرّ آخرُهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء، ويُحصَرُ نبيُّ الله وأصحابُه، حتى يكونَ رأسُ الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغَبُ نبيُّ الله عيسى وأصحابه، فيرسل اللَّهُ عليهم النَّغَفَ في رقابهم، فيصبحون فَرْسَى كموت نَفْس واحدة، ثم يهبط نبيُّ الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شِبْرٍ إلّا ملأه زَهَمُهُمْ ونَتْنُهُمْ، فيرغَبُ نبيّ الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيراً كأعناق البُخْتِ فتحملهم، فتطرحُهم حيثُ شاء الله تعالى، ثم يُرسل الله مطراً لا يَكُنُّ منه بيت مَدَر ولا وَبَر، فيغسل الله الأرض حتى يتركها كالزَّلَفَة، ثم يقال للأرض: أنْبتي ثَمَرَتَكِ ورُدّي بَرَكَتكِ، فيومئذٍ تأكل العصابةُ من الرمّانةِ، ويستظلّون بقِحْفِها، ويُبارَكُ في الرِّسْل؛ حتى أنَّ اللِّقْحَةَ من الإبل لتكفي الفِئامَ من الناس، واللِّقْحَة من البقر لتكفي القَبِيلَةَ من الناس، واللِّقْحَةَ من الغنم لتكفي الفَخِذَ من الناس، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيّبة، فتأخذهم تحت آباطهم، فَتَقْبِضُ روحَ كُلِّ مؤمن وكلّ مسلم، ويَبْقَى شِرارُ الناس، يتهارَجُونَ فيها تهارُجَ الحُمُرِ، فعليهم تقومُ الساعة»[1].

(١) رواه مسلم (٢٩٣٧) في الفتن وأشراط الساعة، باب: ذكر الدجال.
«فخفّض فيه ورفّع»: خفّض: حقّر، رفّع: عظّم وفخّم. فمن تحقيره: عوره وقتله لرجل واحد فحسب، واضمحلال أمره ثم قَتْله بعد ذلك. ومن تفخيمه وتعظيم فتنته أنه ما من نبي إلا وقد أنذره قومه.
«قطط»: شديد جعودة الشعر، مباعد للجعودة المحبوبة.
«خلّة»: أي ما بين البلدين.
«فعاث»: العيث: الفساد، أو أشدّ الفساد والإسراع فيه.

حدثني عليّ بن حُجْر السعدي، حدثنا عبدالله بن عبدالرحمٰن بن يزيد بن جابر، والوليد بن مُسلم، قال ابن حُجْر: دخل حديث أحدهما في حديث الآخر، عن عبدالرحمٰن بن يزيد بن جابر، بهذا الإسناد نحو ما ذكرنا، وزاد بعد قوله: «لقد كان بهذه مرة ماء: ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخَمْر، وهو جبل بيت المقدس، فيقولون: لقد قَتَلْنا مَن في الأرض، هَلُمَّ فلنقتل مَنْ في السماء، فيرمون بنُشَّابِهِمْ إلى السّماء، فَيَرُدّ الله عليهم نُشَّابهم مَخْضُوبَةً دَماً» وفي رواية ابن حجر:

= «فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرا»: تروح: ترجع آخر النهار، والسارحة: هي الماشية التي تذهب أول النهار إلى المرعى. والذرا: الأعالي.

«أسبغه ضروعاً»: أي أطوله لكثرة اللبن.

«أمده خواصر»: لكثرة امتلائها من الشبع.

«فيصبحون ممحلين»: أي أصابهم المحل؛ من قلة المطر ويبس الأرض من الكلأ.

«كيعاسيب النحل»: هي ذكور النحل، والمراد: جماعة النحل لا ذكورها خاصة.

«جزلتين»: أي قطعتين.

«بين مهرودتين»: أي لابس ثوبين مصبوغين بورس ثم بزعفران، وقيل: هما شقتان، والشقة نصف الملاءة.

«جمان»: الجمان: حبات من الفضة تُصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار.

«فلا يحل»: لا يمكن ولا يقع.

«لا يدان لأحد بقتالهم»: معناه لا قدرة ولا طاقة.

«فحرز عبادي إلى الطور»: أي ضمّهم واجعله لهم حرزاً.

«من كل حدب ينسلون»: الحدب: النشز. وينسلون: يمشون مسرعين.

«النغف»: دود يكون في أنوف الإبل والغنم. الواحدة: نغفة.

«فرسى»: أي قتلى. واحدهم فريس.

«زهمهم»: أي دسمهم.

«البخت»: الإبل الخراسانية، وهي طويلة الأعناق.

«مدر»: هو الطين الصلب.

«كالزلقة»: أي أن الماء يستنقع فيها حتى تصير كمصانع الماء. وقيل: معناه كالمرآة.

«العصابة»: هي الجماعة.

«بقحفها»: هو مقعر قشرها.

«الرسل»: اللبن.

«اللقحة»: القريبة العهد بالولادة. واللقوح: ذات اللبن.

«الفئام»: هي الجماعة الكثيرة.

«فإني قد أنزلت عباداً لي لا يَدَيْ لأحدٍ بقتالهم» انتهى ما رواه مسلم إسناداً ومَتْناً[١].

وقد تفرّد به عن البخاري.

ورواه الإمام أحمد بن حنبل في مُسنده[٢] عن الوليد بن مسلم بإسناده نحوه، وزاد في سياقه بعد قوله: «فتطير بهم حيثُ شاء الله»: قال ابن جابر: فحدثني عطاء بن يزيد السكسكي، عن كعب أو غيره، قال: فتطرحهم بالمهيل، قال ابن جابر: وأين المهيل؟ قال: مطلع الشمس.

ورواه أبو داود عن صفوان بن صالح[٣] المؤذن، عن الوليد بن مسلم ببعضه[٤].

ورواه الترمذي[٥] عن علي بن حجر، وساقه بطوله، وقال: غريب حسن صحيح، لا نعرفه إلا من حديث ابن جابر.

ورواه النّسائي[٦] في «فضائل القرآن» عن علي بن حجر مختصراً.

ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمَّار، عن يحيى بن حمزة، عن عبدالرحمٰن بن يزيد، عن جابر بإسناده، قال: «تستوقد النار من قسيّ يأجوج ومأجوج ونُشَّابِهم وأترستهم سبع سنين» وذكره قبل ذلك بتمامه عن هشام بن عمّار، ولم يذكر فيه القصة، ولا ذكر في إسناده يحيى بن جابر الطائيّ[٧].

* * *

= «الفخذ من الناس»: الجماعة من الأقارب.

«يتهارجون»: أي يجامع الرجالُ النساء علانية بحضرة الناس كما يفعل الحمير ولا يكترثون لذلك.

(١) رواه مسلم (٢٩٣٧) (١١١) في الفتن وأشراط الساعة.

«إلى جبل الخمر»: الخمر: هو الشجر الملتف الذي يستر من فيه.

«بنشابهم»: أي سهامهم، واحده نشابة.

(٢) رواه أحمد (٤/١٨١).

(٣) في المطبوع: عمرو.

(٤) رواه أبو داود (٤٣٢١) في الملاحم، باب: خروج الدجال.

(٥) رواه الترمذي (٢٢٤٠) في الفتن، باب: ما جاء في فتنة الدجال.

(٦) رواه النسائي في (فضائل القرآن رقم ٤٩).

(٧) رواه ابن ماجه (٤٠٧٥) في الفتن، باب: فتنة الدجال.

حديث أبي أمامة الباهلي

٢٠٩ ـ حدثنا عجْلَانُ في معنى حديث النوّاس بن سَمْعان، قال أبو عبدالله بن ماجه: حدثنا علي بن حجر[١]، حدثنا عبدالرحمٰن المحاربيّ، عن إسماعيل بن رافع، عن أبي زُرْعة الشَّيْبانيّ يحيى بن أبي عمرو، عن أبي أمامة الباهليّ، قال: خطبنا رسولُ الله ﷺ، فكان أكثرُ خطبته حديثاً حَدَّثَناهُ عن الدجّال، وحذّرناه، فكان من قوله أنْ قَال: «إنّه لم تكن فِتْنَةٌ في الأرض، منذ ذرأ اللَّهُ ذُرّيةَ آدم، أعظمَ من فتنة الدجّال، وإن الله لم يبعث نبياً إلا حَذّر من الدجال، وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة، فإن يخرج وأنا بين ظَهْرَانيكم، فأنا حجيجٌ لكلّ مسلم، وإن يخرجْ مِن بعدي، فكلٌّ حجيجُ نَفْسه، والله خليفتي على كلّ مسلم، وإنه يخرجُ من خَلَّةٍ بين الشام والعراق، فيَعيثُ يميناً ويعيثُ شمالاً.

يا عباد الله، أيُّها الناس، فاثبتوا، فإني سأصفه لكم صفةً لم يصفها إيّاه نبيّ قبلي، إنه يبدأ فيقول: أنا نبيٌّ، ولا نبيّ بعدي، ثم يُثنّي فيقول: أنا ربُّكم الأعلى، ولا ترونَ ربَّكُمْ حتى تَمُوتوا، وإنه أعور، وإن رَبّكم عز وجل ليس بأعور، وإنه مكتوبٌ بين عينيه كافر، يقرؤه كل مؤمن كاتب أو غير كاتب، وإن من فتنته أنّ معه جَنّةً وناراً، فنارُه جَنّة، وجنّتُه نار، فمن ابتليَ بناره فليستغثْ بالله، وليقرأ فواتح الكهف، فتكونُ عليه بَرْداً وسلاماً كما كانت النارُ على إبراهيم، وإن من فتنته أن يقول لأعرابي: أرأيت إن بعثتُ لك أباك وأمك أتشهدُ أني ربّك؟ فيقول: نعم، فيتَمَثّل له شيطانان في صورة أبيه وأمّه، فيقولان: يا بُنَي اتّبِعْه، فإنّه ربُّك، وإنّ من فتنته أن يُسَلَّط على نَفْسٍ واحدَةٍ فيقتلها، ويَنْشُرَها بالمنْشار؛ حتّى يُلقى شقتين، ثم يقول: انظروا إلى عبدي هذا، فإنّي أبعثُهُ الآن، ثم يزعُم أنّ له رَبّاً غَيْري، فيبعَثه الله، فيقول له الخبيثُ: من ربّك؟ فيقول: ربي الله، وأنت عدو الله، أنت

(١) في سنن ابن ماجه: محمد.

الدجال، والله ما كنت بعد أشدّ بصيرة بك مني اليوم».

وقال أبو الحسن الطنافسيّ: فحدثنا المحاربي، حدثنا عبيدالله بن الوليد الوصّافيّ، عن عطية، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «ذلك الرجل أرفع أمتي درجة في الجنة» قال: قال أبو سعيد: والله ما كنا نرى ذلك الرجل إلا عمر بن الخطاب، حتى مضى لسبيله.

[قال المحاربي]: ثم رجعنا إلى حديث أبي رافع قال: «وإن من فتنته أن يأمر السماء أن تمطر فتمطر، ويأمر الأرض أن تُنبت فتُنبت، وإنّ من فتنته أن يَمُرّ بالحي فيكذّبونه، فلا تبقى لهم سائمة إلّا هلكت، وإنّ من فتنته أن يمرّ بالحي فيصدّقونه فيأمرُ السماءَ أن تُمطر، ويأمُر الأرض أن تُنْبِت فتُنْبِتَ، حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمنَ ما كانت وأعظمه، وأمدّه خَواصر، وأدرّه ضُروعاً. وإنه لا يَبْقَى شيء من الأرض إلّا وَطِئَه، وظهر عليه، إلّا مكة والمدينة، فإنّه لا يأتيهما من نَقْبٍ من نِقَابِهِمَا إلّا لقيته الملائكةُ بالسيوف مُصْلَتَةً، حتى ينزل عند الظُّرَيْبِ الأحمرِ، عند مُنْقَطع السَّبَخَة، فترجُف المدينة بأهلها ثلاثَ رَجَفاتٍ، فلا يبقى مُنافق ولا مُنافقة إلا خرج إليه، فتَنْفي الخَبَثَ منها، كما يَنْفي الكيرُ خبَثَ الحديد، ويُدْعَى ذلك اليومُ يومَ الخَلاصِ».

فقالت أم شَريك بنتُ أبي العَكَر: يا رسول الله، فأين العربُ يومئذٍ؟ قال: «هم يومئذ قليلٌ وجُلّهم ببيت المقدس، وإمامُهم رجل صالح، فبينما إمامُهم قد تقدّم يصلّي بهم الصُّبْحَ إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم الصبح، فيرجع ذلك الإمام فيمشي القهقرى، ليقدم عيسى يُصلّي بالناس، فيضع عيسى عليه الصلاة والسلام يده بين كتفيه، ثم يقول له: تقدّم، فصلّ فإنّها لك أقيمت، فيُصلّي بهم إمامُهم، فإذا انصرف، قال عيسى عليه السلام: افتحوا الباب، فيفتح ووراءه الدجّال، معه سبعون ألف يهوديّ، كلّهم ذو سيف مُحَلّىً وتاج، فإذا نظر إليه الدجّال ذاب كما يذوب الملح في الماء، وينطلق هارباً، ويقول عيسى عليه السلام: إن لي فيك ضربةً لن تَسْبقني بها، فيُدركه عند باب اللُّدّ الشرقيّ، فيقتله، فيَهْزم اللَّهُ اليهودَ، فلا يبقى شيء ممّا خَلَق الله يتوارى به يهودي إلّا أنطق الله ذلك الشيء، لا حَجَر

ولا شَجر ولا حائط ولا دَابَّة إلا الغَرْقدة فإنها مِنْ شَجَرِهم لا تَنْطق؛ إلاّ قال: يا عبدالله المسلمَ، هذا يهوديّ فتعال اقتلْه».

قال رسول الله ﷺ: «وإنّ أيّامَه أربعون سنةً، السنة كنصف السنة، والسنة كالشهر، والشهر كالجمعة، وآخِرُ أيامه كالشَّرَرة يُصْبِحُ أحَدُكم على باب المدينة، فلا يبلغ بابها الآخر حتى يُمْسِي» قيل: يا رسول الله، كيف نُصلّي في تلك الأيام القِصَار؟ قال: تَقْدُرُون فيها الصلاة، كما تَقْدُرونها في هذه الأيّام الطِّوال، ثم صَلُّوا».

قال رسول الله ﷺ: «فيكون عيسى ابنُ مريمَ في أمّتي حَكَماً عَدْلاً، وإماماً مُقْسطاً، يدقّ الصليبَ، ويذبَحُ الخِنْزير، ويضع الجزية، ويترك الصدقة، فلا يُسعَى على شاة ولا بعير، وتُرْفَعُ الشَّحْناء والتباغُض، ويُنْزَعُ حُمةً كلّ ذي حُمَةٍ، حتى يُدْخِلَ الوليدُ يدَه في فِيّ الحَيّة فلا تضرّه، وتضرّ الوليدةُ الأسدَ فلَا يضرّها، ويكون الذئبُ في الغَنم كأنّه كَلْبُها، وتُملأ الأرض من السِّلْم، كما يُمْلأُ الإناء من الماء، وتكون الكلمة واحدةً، فلا يُعْبد إلا الله تعالى، وتضع الحرب أوزارها، وتُسلَبُ قُريشُ ملكَها، وتكون الأرضُ كفاثور الفِضَّة، تُنبت نَباتها كعَهْد آدم؛ حتى يجتمع النَّفَرُ على القِطْفِ من العنب فيُشبِعُهُمْ، ويجتمع النَّفَرُ على الرُّمانة فتُشبعهم، ويكون الثور بكذا وكذا من المال، ويكون الفرس بالدّريهمات».

قيل: يا رسول الله، وما يُرْخِص الفرسُ؟ قال: «لا تُركب لحرب أبداً» قيل له: فما يُغلي الثور؟ قال: «يحرث الأرض كلّها، وإنّ قبل خروج الدجّال ثلاث سنوات شِدادٍ، يُصيب الناسَ فيها جوعٌ شديد، يأمر الله السماء في السنة الأولى أن تُمْسِك ثُلُثَ مطرها، ويأمر الأرض فتحبس ثُلُثَ نباتها، ثم يأمر السماء في السنة الثانية فتحبس ثُلُثَيْ مطرها، ويأمر الأرض فتحبس ثُلُثَيْ نباتها، ثم يأمُر الله السماء في السنة الثالثة فتحبس مطرها كلّه، فلا تقطر قطرة، ويأمر الأرض فتحبس نباتها كلّه، فلا تَنْبتُ خضراء، فلا تبقى ذاتُ ظِلْفٍ إلّا هلكت، إلّا ما شاء الله» فقيل: ما يُعيشُ الناسَ في ذلك الزمان؟ قال: «التهليلُ والتكبيرُ والتسبيحُ والتحميدُ، ويجري ذلك مَجْرَى الطعام».

قال ابن ماجه: سمعت أبا الحسن الطَّنافِسيّ يقول: سمعت عبدالرحمٰن

المحاربيّ يقول: ينبغي أن يُدفع هذا الحديث إلى المؤدِّب حتى يُعَلّمه الصبيانَ في الكُتّاب، انتهى سياق ابن ماجه[1].

وقد وقع تَخَبّط في إسناده لهذا الحديث، فكما وجدته في نسخة كتبت إسناده، وقد سقط التابعي منه، وهو عمرو بن عبدالله الحَضرميّ، أبو عبدالجبار الشاميّ الرَّاوي له، عن أبي أمامة.

قال شيخنا الحافظ المِزّيّ في «الأطراف»: ورواه ابن ماجه في الفتن، عن عليّ بن محمد بن عبدالرحمٰن بن محمد المحاربيّ، عن أبي رافع إسماعيل بن رافع، عن أبي عمرو الشيبانيّ زُرعة بن أبي أمامة بتمامه، كذا. وكذا رواه سُهَيْل بن عثمان، عن المحاربيّ، وهو وَهم فاحش.

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٠٧٧) في الفتن، باب: فتنة الدجال.
«الظريب»: تصغير ظرب، والظراب: الجبال الصغار.
«السبخة»: هي الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر.
«ترجف»: أي تزلزل وتضطرب.
«الخبث»: هو ما تلقيه النار من وسخ الفضة والنحاس وغيرهما إذا أذيبا.
«ينكص»: النكوص: الرجوع إلى الوراء، وهو القهقرى.
«ساج»: الساج: هو الطيلسان الأخضر، وقيل: الطيلسان المقوّر، ينسج كذلك.
«لن تسبقني بها»: أي لن تفوّتها عليّ.
«حكماً»: أي حاكماً بين الناس.
«مقسطاً»: عادلاً في الحكم.
«يد الصليب»: يكسره بحيث لا يبقى من جنس الصليب شيء.
«يذبح الخنزير»: أي يحرّم أكله، أو يقتله بحيث لا يوجد في الأرض ليأكله أحد.
«يضع الجزية»: أي لا يقبلها من أحد من الكفرة، بل يدعوهم إلى الإسلام.
«يترك الصدقة»: أي الزكاة، لكثرة الأموال.
«فلا يسعى»: أي يترك زكاتها فلا يكون لها ساع.
«حمة»: السم.
«تُفِرّ»: أي تحمله على الفرار.
«كفاثور الفضة»: الفاثور: الخِوان. وقيل: هو طست أو جام من فضة أو ذهب.
«القطف»: العنقود.
«الظلف»: هو لما اجترّ من الحيوانات كالبقرة والظبي، بمنزلة الحافر للفرس.

قلت: وقد جوّد إسناده أبو داود[1]، فرواه عن عيسى بن محمد، عن ضمْرة بن يحيى بن أبي عمرو الشَّيباني، عن عمرو بن عبدالله، عن أبي أمامة، نحو حديث النّواس بن سَمْعان.

وقد رَوى الإمامُ أحمدُ بهذا الإسناد حديثاً واحداً في مُسنده فقال أبو عبدالرحمٰن عبدالله بن الإمام أحمد: وجدتُ في كتاب أبي بخط يده:

٢١٠ ـ حدثني مهديّ بن جعفر الرمليّ، حدثنا ضمرة، عن الشَّيْبانِّي، واسمه يحيى بن أبي عمرو، [عن عمرو] بن عبدالله الحضرميِّ، عن أبي أمامة، قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لعدُوّهم قاهرين، لا يضرّهم مَن خالفهم إلّا ما أصابهم من لأواء حتى يأتي أمرُ الله وهم كذلك» قالوا: يا رسول الله: وأينَ هُم؟ قال: «بِبَيْت المَقْدِس وأكْنَافِ بَيْتِ المَقْدِس»[2].

٢١١ ـ وقال مسلم: حدثني عمرو الناقد، والحسن الحُلْوانيّ، وعبد بن حُمَيْد ـ وألفاظهم مُتقاربة، والسّياق لعَبْدِ ـ قال: حدثني، وقال الآخران: حدّثنا يعقوب وهو ابن إبراهيم بن سعد، حدثنا أبي، عن صالح، عن ابن شهاب، أخبرني عُبَيْدُالله بن عَبْدالله بن عُتْبة؛ أنّ أبا سعيد الخُدْريّ، قال: حدثنا رسول الله ﷺ يوماً حَدِيثاً طويلاً عن الدجّال، فكان فيما حدّثنا قال:

«يأتي وهو مُحَرَّمٌ عليه أنْ يدخل نِقَاب المدينة، فينتهي إلى بعض السِّباخ التي تلي المدينة، فيخرج إليه يومئذ رجلٌ هو خيرُ الناس، أو مِنْ خَيْر الناس، فيقول له: أشهدُ أنّك الدجّال الذي حدّثنا رسول الله ﷺ حديثَه، فيقول الدجّال: أرأيتُمْ إن قَتَلْتُ هذا، ثم أحْيَيْتُه، أتَشُكُّونَ في الأمر؟ فيقولون: لا، قال: فيقتله، ثم يُحْيِيه، فيقول حين يُحييه: والله ما كنتُ قبلُ قَطُّ أشدَّ بَصِيرةً مِنِّي الآن. قال: فيُريد الدجّال

(١) رواه أبو داود (٤٣٢٢) في الملاحم، باب: خروج الدجال.
(٢) رواه أحمد (٥/٢٦٩) وما بين حاصرتين مستدرك منه. وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد ٧/٢٨٨): رواه عبدالله وجادة عن خط أبيه، والطبراني، ورجاله ثقات.
«لأواء»: شدة.

أنْ يَقْتُلَه، فلا يُسَلَّطُ عليه»، قال أبو إسحاق: يقال: إنّ هذا الرجل هو الخَضِر[1].

قال مُسلم: وحدّثني عبدُالله بن عبدالرحمن الدّارمي، أخبرنا أبو اليمان، أخبرنا شُعَيْبٌ، عن الزهريّ في هذا الإسناد بمثله.

٢١٢ ـ وقال مسلم: حدّثني محمد بن عبدالله بن قُهْزاذ من أهل مرو، حدّثنا عبدالله بن عثمان، عن أبي حمزة، عن قيس بن وهب، عن أبي الوَدَّاك، عن أبي سعيد الخُدريّ، قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج الدجّال فيتوجّه قِبَلَهُ رجلٌ من المُؤمنين، فتلقاه [المسالح] مَسالِحُ الدجّال، فيقولون له: أين تَعْمِدُ؟ فيقول: أعمد إلى هذا الذي خرج. [قال:] فيقولون: أَوَمَا تُؤْمِنُ بِرَبِّنا؟ فيقول: ما بِرَبِّنا خَفَاء، فيقولون: اقتلوه. فيقول بعضُهم لبعض: أليس قد نهاكم رَبُّكُمْ أن تَقْتُلُوا أحداً دُونَه؟ قال: فينطلقون به إلى الدجّال. فإذا رآه المؤمنُ قال: يا أيُّها الناسُ، هذا الدجّال الذي ذكرَ رسولُ الله ﷺ. قال: فيأمر الدجّال به فَيُشَبَّحُ. قال: فيقول: خذوه وشُجُّوه، فَيُوسَعُ ظَهْرُه وبَطْنُهُ ضَرباً، قال: فيقول: أما تُؤمِنُ بي؟ فيقول: أنت المسيحُ الكذّاب. قال: فيؤمر به فيُؤْشَرُ بالمِئشار من مَفْرِقه حتى يُفرق بين رِجْلَيه. قال: ثم يمشي الدجّال بين القِطْعَتَيْن. ثم يقول له: قُمْ، فَيَسْتوِي قائماً. قال: ثم يقولُ له: أتؤمنُ بي؟ فيقول: ما ازددتُ فيك إلّا بَصِيرةً. قال: ثم يقول: يا أيّها الناس، إنّه لا يَفْعَلُ بَعْدِي بأحَدٍ من الناس. قال: فيأخذه الدجّال ليذبحه؛ فيُجْعَلُ ما بين رقبته إلى تَرْقُوَتِه نُحاساً، فلا يستطيع إليه سبيلاً. قال: فيأخذُ بيديه ورجليه، فيقذف به، فَيَحْسَبُ الناس أنّما ألقي في النار، وإنما ألقي في الجنة»، قال رسول الله ﷺ: «هذا أعظم الناس شهادةً عند ربّ العالمين»[2].

* * *

(١) رواه مسلم (٢٩٣٨) في الفتن وأشراط الساعة، باب: ذكر الدجال.
(٢) رواه مسلم (٢٩٣٨) (١١٣) في الفتن وأشراط الساعة، وما بين حاصرتين مستدرك منه.
«المسالح»: هم قوم معهم سلاح، يرقبون في المراكز كالخفراء، سُمُّوا بذلك لحملهم السلاح.
«فيشبّح»: أي يُمدّ على بطنه.
«شجوه»: من الشجّ، وهو الجرح في الرأس والوجه.
«فيؤشر بالمئشار»: ينشر بالمنشار.
«مفرقه»: مفرق الرأس: وسطه.
«ترقوته»: هي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق.

ذكر أحاديث مشهورة في الدجال

حديث
أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ

٢١٣ ـ قال الإمام أحمد: حدثنا رَوْح، حدثنا سعيدُ بن أبي عَرُوبَة، عن أبي التيّاح، عن المغيرة بن سُبَيْع، عن عمرو بن حُرَيْث؛ أنّ أبا بكر الصديق رضي الله عنه أفاق من مَرْضَةٍ له، فخرج إلى الناس، فاعتذر بشيء، وقال: ما أردنا إلا الخير. ثم قال: حدثنا رسول الله ﷺ: «أن الدجال يخرج في أرض بالمشرق يقال لها خُراسانُ، يتبعه أقوام كأنَّ وجُوهَهُم المَجَانُّ المُطْرَقَة»[1]. ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث رَوْح بن عُبَادة، وقال الترمذيّ: حسن غريب.

قلت: وقد رواه عُبَيْدُ الله بن عيسى العَنْسِيّ، عن الحسن بن دينار، عن أبي التيّاح، لم ينفرد به روحٌ كما زعمه بعضُهم، ولا سعيد بن أبي عَرُوبَة، فإنّ يعقوب بن شَيْبَة قال: لم يسمعه ابن أبي عَرُوبَة من أبي التيّاح، وإنما سمعه من ابن شهاب، عنه.

* * *

حديث
عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ

٢١٤ ـ قال أحمد: حدثنا أبو النضر، حدثنا الأشجعيُّ، عن سفيان، عن جابر، عن عبدالله بن نجيّ، عن عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه، قال: ذكَرْنا الدجّال عند النبيّ ﷺ وهو نائم، فاستيقظ مُحْمَرّاً لَوْنُه، فقال: «غيرُ ذلك أخْوَفُ لي

---

(١) رواه أحمد (١/٧)، والترمذي (٢٢٣٧) في الفتن، باب: ما جاء من أين يخرج الدجال، وابن ماجه (٤٠٧٢) في الفتن، باب: فتنة الدجال.

عليكم ذكر كلمة»[1]. تفرّدَ به أحمد.

* * *

حديث
عن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ

٢١٥ ـ قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا محمد بن إسحاق، عن داود بن عامر بن سعد بن مالك، عن أبيه، عن جدّه سعد بن أبي وقاص، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّه لم يكن نبيّ إلّا وصف الدجّال لأمّته، ولأصِفَنَّهُ صِفَةً لم يصِفْهَا أحدٌ كَانَ قَبْلي: إنه أعْوَرُ، وإن الله عَزَّ وجلَّ ليس بأعْوَر»[2] وتفرّد به أحمد.

* * *

حديث
عن أبي عبيدة بن الجراح ـ رضي الله عنه ـ

٢١٦ ـ قال الترمذي: حدثنا عبدالله بن مُعاوية الجُمَحِيّ، حدثنا حماد بن سَلَمة، عن خالد الحَذّاء، عن عبدالله بن شَقِيق، عن عبدالله بن سُرَاقة، عن أبي عُبَيْدَة بن الجَرّاح، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنّه لم يكن نبي [بعد نوح] إلا قد أنذر قومه الدجال وأنا أنذركموه» فوصفه لنا رسول الله ﷺ فقال: «لعلّه سيُدركه بعضُ مَنْ رآني، أو سمع كلامي» قالوا: يا رسول الله، فكيف قلوبنا يومئذ؟ قال: «مثلُها اليومَ أو خيرٌ»[3]، ثم قال الترمذي: وفي الباب عن عبدالله بن بُسْر وعبدالله بن الحارث بن جُزَيّ وعبدالله بن مُغَفّل وأبي هريرة، وهذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث خالد الحذاء. وقد رواه أحمد بن عفان، وعبدالصمد. وأخرجه أبو داود، عن موسى بن إسماعيل، كلهم عن حماد بن سَلَمة

---

(١) رواه أحمد (١/٩٨)، وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد ٧/٣٣٤): رواه أحمد، وفيه جابر الجعفي وهو ضعيف.

(٢) رواه أحمد (١/١٧٦)، وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد ٧/٣٣٧): رواه أحمد وأبو يعلى والبزار وفيه ابن إسحاق وهو مدلس.

(٣) رواه الترمذي (٢٢٣٤) في الفتن، باب: ما جاء في الدجال، وما بين حاصرتين مستدرك منه.

به، وروى أحمد عن غُنْدَر، عن شُعْبة، عن خالد الحذاء ببعضه.

* * *

حديث
عن أُبيّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ

٢١٧ ـ روى أحمد عن غُنْدَر ورَوْح، وسُلَيْمانَ بن داود، ووهب بن جرير، كلهم عن شُعْبَة، عن حبيب بن الزُّبَيْر؛ [قال:] سمعتُ عبدالله بن أبي الهُذَيْل، سمع عبدالرحمٰن بن أَبْزى، سمع عبدالله بن خبَّاب، فقال: إحدى عَيْنَيْه كأنها زُجاجَةٌ خَضْراء، وتَعوَّذُوا بالله [تبارك وتعالى] من عذاب القبر(١).

* * *

حديث
عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ

٢١٨ ـ قال عبدالله بن الإمام أحمد: وجدتُ هذا الحديث في كتاب أبي بخط يده:

حدثني عبدالمتعال بن عبدالوهاب، حدثنا يحيى بن سعيد الأموي، حدثنا مجالد، عن أبي الوداك، قال: قال لي أبو سعيد: هل يُقرّ الخوارجُ بالدجال؟ فقلت: لا، فقال: قال رسول الله ﷺ: «إني خاتَمُ ألف نبي وأكثر، وما بُعث نبيٌّ يتبع إلا وقد أنذر أمته الدجال، وإني قد بُيِّن لي من أمره ما لم يُبيَّنْ لأحد، إنه أعْوَرُ، وإن رَبَّكُمْ ليس بأعْور، وعينهُ اليُمْنَى عَوْرَاء جَاحِظَةٌ، ولا تخفى، كأنها نُخَامَةٌ في حائطٍ مُجَصَّص، وعَيْنُه اليُسْرى كأنها كوكب دُرّي، معه من كل لسان، ومعه صورة الجَنّة خضراء يجري فيها الماء، وصورة النار سوداء تَدْخَن»(٢)، تفرد به أحمد، وقد روى عَبْدُ بنُ حُمَيْد في مُسنده عن حماد بن سَلَمة، عن الحجاج، عن

---

(١) رواه أحمد (٥/١٢٣) وما بين حاصرتين مستدرك منه.
(٢) رواه أحمد (٣/٧٩).
«النخامة»: ما يلفظه الإنسان من البلغم. «مجصص»: أبيض مستو.

عطية، عن أبي سعيد مرفوعاً نحوه(١).

* * *

حديث
عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ

٢١٩ ـ قال أحمد: حدثنا بَهْز وعفان قالا: حدثنا حماد بن سَلَمَة، حدثنا إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «يجيء الدجال فَيطأُ الأرض إلا مكة والمدينة، فيأتي المدينة فيَجِدُ بكل نَقْبٍ من أنقابها صُفُوفاً من الملائكة، فيأتي سبخَةَ الجُرُف، فيَضْرِبُ رُواقَه، فترجُفُ المدينة ثلاث رَجَفَاتٍ، فيخرجُ إليه كل مُنافق ومُنافقة»(٢)، ورواه مسلم(٣) عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن يونس بن محمد المؤدّب، عن حماد بن سَلَمة نحوه.

* * *

طريق
أخرى عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ

٢٢٠ ـ قال أحمد: حدثني يحيى، عن حُمَيد، عن أنس، عن النبي ﷺ، قال: «إنَّ الدجالَ أعْورُ العَيْنِ الشِّمال، عليها ظَفْرَةٌ غَلِيظَةٌ، مكتوب بين عَيْنَيْه كُفْر أو كافر»(٤) هذا حديث ثُلاثي الإسناد، وهو على شرط الصحيحين.

* * *

طريق
أخرى عن أنس ـ رضي الله عنه ـ

٢٢١ ـ قال أحمد: حدثنا محمد بن مُصْعَب، حدثنا الأوزاعي، عن ربيعة بن

---

(١) رواه عبد بن حميد في المنتخب رقم (٨٩٧).
(٢) رواه أحمد (٣/١٩١).
(٣) رواه مسلم (٢٩٤٣) في الفتن وأشراط الساعة، باب: قصة الجساسة.
«يضرب رواقه»: أي ينزل هناك ويضع ثقله.
(٤) رواه أحمد (٣/١١٥).

أبي عبدالرحمن، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرجُ الدجالُ من يهودية أَصْبهان، معه سبعون ألفاً من اليهود، عليهم التيجانُ»[1]، تفرد به أحمد.

* * *

طريق
أخرى عن أنس ـ رضي الله عنه ـ

٢٢٢ ـ قال أحمد: حدثنا عبدالصمد، حدثني أبي، حدثنا شُعَيْبُ هو ابن الحبحاب، عن أنس؛ أن رسول الله ﷺ قال: «الدجال مَمْسُوح العَيْن، بين عينيه مكتوب [ك ف ر] ـ ثم تَهجاها ـ يقرؤه كل مسلم ك ف ر»[2].

٢٢٣ ـ حدثنا يونس، حدثنا حماد يعني ابن سلمة، عن حُمَيْد وشُعَيْب بن الحبحاب، عن أَنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ قال: «الدجال أعورُ، وإن ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه كل مؤمن مِنْ كاتب وغير كاتب»[3] ورواه مسلم عن زُهَيْر، عن عَفان، عن شُعَيْب، به نحوه[4].

* * *

طريق
أخرى عن أنس ـ رضي الله عنه ـ

٢٢٤ ـ قال أحمد: حدثنا عمرو بن الهَيْثَم، حدثنا شُعْبَةُ، عن قَتَادة، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بُعِثَ نَبيٌّ إلا أَنْذَرَ أمته الأعورَ الكذّابَ، ألاَ إنه أَعْوَرُ،

---

(١) رواه أحمد (٣/٢٢٤)، وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد ٧/٣٣٨): رواه أحمد وأبو يعلى من رواية محمد بن مصعب عن الأوزاعي، وروايته عنه جيدة، وقد وثقه أحمد وغيره، وضعفه جماعة، وبقية رجالهما رجال الصحيح.

(٢) رواه أحمد (٣/٢١١).

(٣) رواه أحمد (٣/٢٢٨).

(٤) رواه مسلم (٢٩٣٣) (١٠٣) في الفتن وأشراط الساعة، باب: ذكر الدجال وصفته وما معه.

وإن رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ»[1] ورواه البخاري ومسلم[2] من حديث شُعْبَة، به.

* * *

حديث
عن سفينة ـ رضي الله عنه ـ

٢٢٥ ـ قال أحمد: حدثنا أَبو النَّضر، حدثنا حَشْرَجُ، حدثني سَعِيدُ بن جُمْهان، عن سَفِينَة مَوْلَى رَسُول الله ﷺ، قال: خَطَبَنَا رسول الله ﷺ فقال: «أَلاَ إنهُ لَمْ يَكُنْ نَبيٌّ قبلي إلا قد حذّر الدجال أُمَّتَهُ، هو أعورُ عينه اليُسرى، بعينه اليمنى ظَفْرَةٌ غليظة، مكتوب بين عينيه كافر، يخرجُ معه واديان، أحدهما جَنَّةٌ والآخر نار، فناره جنة وجنته نار، معه مَلَكان من الملائكة، يشْبِهان نَبِيَّيْن من الأنبياء، لو شئت سَمَّيْتُهما بأسمائهما، وأسماء آبائهما، واحد منهما عن يمينه، والآخرُ عن شماله، وذلك فتنة، فيقول الدجال: أَلَسْتُ بربكم؟ أَلَسْتُ أُحْيي وأُميتُ؟ فيقول له أحد الملكين: كَذَبْتَ، ما يَسْمَعُه أحد مِنَ الناس إلا صَاحِبُه، فيقول له: صدقت، فيسمعُه الناسُ فيَظُنُّونَ أنما يُصَدِّق الدجال، وذلك فتنة، ثم يسير حتى يأتي المدينة، فَلاَ يُؤذن لَهُ فيها؟ فيقول: هذه قريةُ ذلك الرجل حتى يأتي الشام، فيُهلكه الله، عز وجل عند عَقَبَة أَفِيق»[3]، تفرّد به أحمد، وإسنادُه لا بأس به، ولكن في مَتنه غرابة ونَكَارَةٌ، فالله أعلم.

* * *

حديث
عن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ

٢٢٦ ـ قال يعقوب بن سفيان الثوريّ في مُسنده: حدثنا يحيى بن بُكَيْر،

---

(١) رواه أحمد (٣/١٠٣).

(٢) رواه البخاري (٧١٣١) في الفتن، باب: ذكر الدجال، ومسلم (٢٩٣٣) في الفتن وأشراط الساعة، باب: ذكر الدجال وصفته وما معه.

(٣) رواه أحمد (٥/٢٢١).
«أفيق»: قرية من حَوْران في طريق الغَوْر.

حدّثني ابن عامر بن يحيى المعَافِرِيّ، عن أبي قبيل، عن جُنَادَةَ بن أبي أُمَيَّة: أنّ قوماً دخلوا على مُعاذ بن جَبَل وهو مريض، فقالوا[1] له: حدِّثْنا حديثاً سمعتَه من رسول الله ﷺ ولم تَنْسَهُ، فقال: أَجْلِسُونِي، فَأَخَذَ بَعْضُ القوم بيَدِهِ، وَجَلَسَ بَعْضُهُمْ خَلْفَهُ، فقال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله، ﷺ، يقول: «مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلّا وَقَدْ حَذَّرَ أُمَّتَهُ الدَّجّالَ. وإنّي أُحَذِّرُكُمْ أمره؛ إنه أعور، وإنّ ربي عزّ وجلّ ليس بأعور، مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه الكاتب وغيرُ الكاتب، معه جنة ونار، فناره جنة وجنته نار»[2]. قال شيخُنا الحافظ الذهبيّ: تفرّد به أبو خُنَيْس، وما علمت فيه جَرْحاً، وإسناده صالح.

* * *

حديث
عن سمرة بن جندب ـ رضي الله عنه ـ

٢٢٧ ـ قال الإمام أحمد: حدثنا أبو كامل، حدّثنا زُهَيْرُ، عن الأسود بن قَيْس، حدثني ثعلبة بن عِبَاد العَبْدِيّ، من أهل البصرة، قال: شَهِدْتُ يوماً خُطْبَةَ لِسَمُرَةَ بن جُنْدُب، فذكر في خطبته حديثاً عن رسول الله ﷺ في صلاة الكسوف، فإنّ رسولَ الله ﷺ خَطَبَ بَعْدَ صَلاة الكُسوف خطبة، فقال فيها: «وإنه واللّهِ لا تَقُومُ الساعةُ حتى يَخْرُجَ ثَلاثُونَ كَذّاباً آخرهم الأَعْوَرُ الدجّال، مَمْسوحُ العَيْنِ اليُسْرَى؛ كأنّها عَيْنُ أبي يَحْيَى، وإنه متى يخرُج، أو قال متى ما يخرج، فإنّه سوف يَزْعُمُ أنّه اللّهُ، فمن آمن به وصدقه واتّبعه لم يَنْفَعْهُ صَالِحٌ مِنْ عَمَلِه سَلَفَ، وَمَنْ كَفَر به وكَذَّبَهُ لَمْ يُعَاقَبْ بِشَيْءٍ مِنْ عَمَلِهِ» وقال الحسن: بسيّىء من عمله سَلَفَ «وإنه سيظهر أو قال سوف يظهر على الأرض كلها إلّا الحرم وبَيْتَ المَقْدِس، وإنه يُحصرُ المسلمون في بيت المقدس، فيزلزلون زلزالاً شديداً، ثم يهلكه الله حتى أن جِذْمَ الحائط وأصلَ الشجرة ينادي: يا مؤمن، هذا يهوديّ أو قال هذا كافر، تعال فاقتله. قال: ولن يكون ذلك حتى تروا أموراً يَتَفَاقَمُ شَأنُها في أنفسكم

---

(١) في المطبوع: قال.

(٢) ورواه الطبراني. (كنز العمال ٣٨٨١٣).

وتساءلون بينكم: هل كان نَبِيُّكُم ذَكَر لكم منها ذكْراً، وحتى تَزُولَ جِبالٌ عن مواضعها»[1]. وأصل هذا الحديث في صلاة الكسوف عند أصحاب السنن الأربعة[2]، وصححه الترمذي، وابن حبان، والحاكم في مستدركه أيضاً.

وقال شيخنا الذهبي في كتابه في الدجال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن، عن سَمُرة مرفوعاً: «الدجالُ أعورُ عَيْنِ الشِّمال، لها ظَفْرَةٌ غَلِيظَةٌ».

قلت: وليس هذا الحديث من هذا الوجه من المسند، ولا في شيء من الكتب الستة، وكان الأولى لشيخنا أن يُسنده، أو يعزُوَه إلى كتاب مشهور، وهو الموافق.

* * *

حديث عن سمرة

٢٢٨ ـ قال أحمد: حدثنا رَوْح، حدثنا سعيد وعبدالوهاب، حدثنا سعيدٌ، عن قَتَادَةَ، عن الحسن، عن سَمُرة بن جُنْدُب، أن رسول الله ﷺ كان يقول: «إن الدجال خارجٌ، وهو أعْوَرُ عَيْنِ الشمال، عليها ظَفْرة غليظة، وأنه يُبرىء الأكمه والأبرص، ويُحيي الموتَى، ويقولُ للناس: أنا ربُّكم، فمن قال: أنت رَبّي، فقد فُتِنَ، ومن قال: رَبِّي اللَّهُ حتى يَمُوتَ فقد عُصِمَ مِنْ فِتْنَتِه، ولا فتنة بعده ولا عذاب، فَيَلْبَثُ في الأرض ما شاء الله، ثم يجيء عيسى ابن مريم عليهما السلام من قِبَل المغرب، مُصدِّقاً بمحمّد ﷺ، وعلى مِلّته، فيقْتُلُ الدجّال، ثم إنما هو قيام الساعة»[3].

---

(١) رواه أحمد (١٦/٥).
«جذم»: أصل.

(٢) رواه أبو داود (١١٨٤) في الصلاة، باب: من قال أربع ركعات، والترمذي (٥٦٢) في الصلاة، باب: ما جاء في صفة القراءة في الكسوف، وقال: حديث حسن صحيح، والنسائي (١٤٨/٣) في الكسوف، باب: ترك الجهر فيها بالقراءة، وابن ماجه (١٢٦٤) في إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: ما جاء في صلاة الكسوف، وابن حبان (٥٩٧ موارد)، وابن حبان (٣٢٩/١ ـ ٣٣١)، ونسبة الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٠٩/٢ ـ ٢١٠) لأحمد والطبراني في الكبير.

(٣) رواه أحمد (١٣/٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٣٦/٧): رواه الطبراني وأحمد، ورجاله رجال الصحيح، ورواه البزار بإسناد ضعيف.

٢٢٩ ـ وقال الطبرانيّ: حدثنا موسى بن هارون، حدثنا مروان بن جعفر النّمَري، حدثنا محمد بن إبراهيم بن حبيب بن سليمان، عن جعفر، عن سَمُرة، عن حبيب، عن أبيه، عن جدّه سَمُرة؛ أن رسول الله ﷺ كان يقول: «المسيحُ الدجال أعْوَرُ عَيْن الشِّمَال، عليها ظَفْرَةٌ غَلِيظَةٌ، وأنّه يُبرىء الأكْمَهَ والأبْرصَ، ويُحيي الموتى، ويقول: أنا رَبكم، فمن اعتصم بالله فقال: رَبِّي الله، ثم أبى إلاّ ذلك حتى يموت، فلا عذَابَ عليه ولا فِتْنَة، ومن قال: أنْتَ رَبِّي فقد فُتِن، وإنه يَلْبَثُ في الأرض ما شاء الله، ثم يجيء عيسى ابن مريم من المشرق مُصَدِّقاً بمحمد ﷺ، وعلى مِلّته، ثم يقتُل الدجّال». حديث غريب.

* * *

حديث
عن جابر ـ رضي الله عنه ـ

٢٣٠ ـ قال الإمام أحمد بنُ حنبل: حدثنا عبدالملك بن عمرو، حدثنا زُهَيْرُ، عن زيد، يعني ابن أسلم، عن جابر بن عبدالله، قال: أشرف رسول الله ﷺ على فَلَقٍ من أفلاق الحَرَّة، ونحنُ معه، فقال: «نِعْمَتِ الأرضُ المدينة، إذا خرج الدجّال على كلّ نقب من أنقابها ملكٌ، لا يَدْخُلُها، فإذا كان ذلك رَجَفَتِ المدينةُ بأهلِها ثَلاثَ رَجَفاتٍ، لا يَبْقَى مُنافِقٌ ولا مُنَافِقَةٌ إلاّ خرج إِلَيْه، وأكثر يعني من يخرجُ إليه النِّساءُ، وذلك يوم التخليص، وذلك يوم تنفي المدينةُ الخَبَثَ كما ينفي الكيرُ خَبَثَ الحديدِ، يكون معه سبعون ألفاً من اليهود، على كلّ رجل منهم تَاجٌ وسيف مُحَلّى، فَيَضْرِبُ رُواقَه بهذا الضرب الذي عند مجتمع السيول» ثم قال رسول الله ﷺ: «ما كانت فتنةٌ، ولا تكون حتى تقومَ الساعةُ، أكبرَ من فتنة الدجّال، وما من نَبِيٍّ إلاّ وقد حَذّره أمته، لأخبرنكم بشيء ما أخبره أمَّته نبيّ قبلي» ثم وضع يَده على عينيه، ثم قال: «أشهد أنّ الله عز وجل ليس بأعور»[1]. تفرد به أحمد، وإسناده جيّد، وصححه الحاكم.

---

(١) رواه أحمد (٣/٢٩٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/٣٠٧ ـ ٣٠٨): رواه أحمد والطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح.
«فلق»: الفَلَق: المطمئن من الأرض بين ربوتين.

٢٣١ ـ وروى عبدالله بن أحمد في «السنّة» من طريق مجالد، عن الشعبيّ، عن جابر: أنّ رسول الله ﷺ ذكر الدجال فقال: «إنّه أعور، وإنّ ربكم ليس بأعور»[1] ورواه ابن أبي شَيْبَة[2]، عن عليّ بن مُسْهِر، عن مجالد، به أطولَ من هٰذا.

* * *

طريق أخرى عن جابر

٢٣٢ ـ قال الحافظ أبو بكر البزّار: حدّثنا عمرو بن عليّ، حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا مُجالد، عن الشعبيّ، عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّي خَاتمُ ألْفِ نبيّ أو أكثر، ليس منهم نبيّ إلاّ قد أنذر قومه الدجّال، وإنّه قد تَبَيّن لي ما لا يَتَبَيّنُ لأحدٍ منهم، وإنّه أعورُ، وإنّ ربكم لَيْس بأعْور»[3] تفرّد به البزّار، وإسناده حسن، ولفظه غريب جداً.

* * *

طريق أخرى عن جابر ـ رضي الله عنه ـ

٢٣٣ ـ قال أحمد: حدثنا رَوْح، حدثنا ابن جريج، أخبرني أبو الزُّبَيْر، أنه سمع جابر بن عبدالله يقول: قال النبي ﷺ: «الدجّال أعور، وهو أشدُّ الكذّابين»[4].

٢٣٤ ـ وروى مسلم من حديث ابن جُرَيج، عن أبي الزُّبَيْر، عن جابر، عن النبي ﷺ قال: «لا تزالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمّتي ظاهِرِينَ حَتّى ينزل عيسى ابن مَريَم»[5].

وتقدمت الطريقُ الأخرى، عن أبي الزُّبَيْر، عنه، وعن أبي سَلَمة، عنه، في الدجّال.

* * *

---

(١) رواه عبدالله بن أحمد في «السنة» رقم (٨٤٤).
(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٩٣٠١).
(٣) رواه البزار في كشف الأستار (٣٣٨٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٣٤٧): رواه البزار، وفيه مجالد بن سعيد، وقد ضعفه الجمهور، وفيه توثيق.
(٤) رواه أحمد (٣/٣٣٣).
(٥) رواه مسلم (١٥٦) في الإيمان، باب: نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ.

حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ

٢٣٥ ـ قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شُعْبَةُ، عن سِماك بن حَرْب، عن عِكْرمةَ، عن ابن عبّاس رضي الله عنهما، عن النبيّ ﷺ أنه قال في الدجال: «أعورُ، هِجَانٌ، أزْهرُ، كأنّ رأسه أَصَلَةٌ، أشبهُ النّاس بعَبْد العُزّى بن قَطَنٍ، فإمّا هَلَك الهُلّكُ، فإنّ ربّكم ليس بأعْور»[1] وقال شُعْبة، فحدّثتُ به قَتَادَةَ، فحدّثني بنحوٍ من هذا. تفرد به أحمد من هذا الوجه.

٢٣٦ ـ وروى أحمد، والحارث بن أبي أسامة، وابن أبي يعلى، من طريق هلال، عن عكرمة، عن ابن عباس في حديث الإسراء، ورأى الدجالَ في صورته رؤيا عين، ليس رؤيا منام، وعيسى وموسى وإبراهيم، فَسُئِل النبيُّ ﷺ عن الدجال فقال: «رأيته فَيْلَمَانِيّاً، أزْهَرَ، هِجَاناً، إحدى عينيه قائمة، كأنّها كوكب دُرِّيّ، كأن شعره أغصانُ شجرة»[2] وذكر تمامَ الحديث.

* * *

حديث هشام بن عامر الأنصاري

٢٣٧ ـ [قال أحمد: حدثنا حسين بن محمد، حدثنا سليمان بن المغيرة، عن حميد يعني ابن هلال، عن هشام بن عامر الأنصاري قال:] سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ما بينَ خلق آدم إلى أن تقوم الساعةُ فِتْنَةٌ أكْبرُ مِنْ فِتْنَةِ الدجّال»[3].

٢٣٨ ـ وقال أحمد: حدثنا إسماعيل، حدّثنا أيوب، عن حُمَيْد بن هِلَال، عن بعض أشياخهم، قال: قال هشام بنُ عامر لجيرانه: إنّكم لتخطون[4] إلى رجال ما

(١) رواه أحمد (١/٢٤٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٣٣٧): رواه أحمد والطبراني، ورجال الجميع رجال الصحيح.
«هجان»: أبيض. «أصلة»: الأصلة: الحية العظيمة الضخمة القصيرة الجسم وفيها استدارة.
(٢) رواه أحمد (١/٣٧٤).
«فيلمانياً»: عظيم الجثة.
(٣) رواه أحمد (٤/٢٠) وما بين حاصرتين من المسند.
(٤) في المطبوع: لتحفلوني. والمثبت من المسند.

كانوا بأحضر[1] لرسول الله ﷺ، ولا أوعى لحديثه مني، وإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أَمْرٌ أكبرُ من الدجّال»[2].

٢٣٩ ـ ورواه الإمام أحمد أيضاً، عن أحمد بن عبدالملك، عن حمّاد بن زيد، عن أيوب، عن حميد بن هلال، عن أبي الدهماء، عن هشام بن عامر، أنه قال: إنكم لتجاوزونني إلى رَهْط من أصحاب رسول الله ﷺ ما كانوا أحصى ولا أحفظ لحديثه مني، وإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أكبرُ من الدجّال»[3].

وقد رواه مسلم[4] من حديث أيوب، عن حُمَيد بن هلال، عن رَهْطٍ منهم أبو الدهماء، وأبو قتادة، عن هشام بن عامر، فذكر نحوه.

٢٤٠ ـ وقال أحمد: حدثنا عبدالرزّاق، حدثنا مَعْمَر، عن أيوب، عن أبي قِلَابة، عن هشام بن عامر، فذكر نحوه، وقال أحمد: قال: قال رسول الله ﷺ: «إن رأس الدجّال من ورائه حُبُك حُبُك، فمن قال: أنت ربي افتتن، ومن قال: ربي اللّهُ عليه توكلّتُ، فلا يَضُرّه، أو قال فلا فتنة عليه»[5].

* * *

حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ

٢٤١ ـ قال أحمد: حدثنا أحمد بن عبد الملك، حدثنا محمد بن [سلمة، عن محمد بن] إسحاق، عن محمد بن طلحة، عن سالم، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «يَنْزِلُ الدجّال في هذه السَّبخة بمَرِّ قناة، فيكون أكثر مَنْ يخرجُ إليه النساءُ؛ حتّى إنّ الرجل ليرجع إلى حميمه، وإلى أمه، وابنته، وأخته، وعمّته،

(١) في المطبوع: بأخص. والمثبت من المسند.
(٢) رواه أحمد (٤/١٩).
(٣) رواه أحمد (٤/٢١).
(٤) رواه مسلم (٢٩٤٦) في الفتن وأشراط الساعة، باب: في بقية من أحاديث الدجال.
(٥) رواه أحمد (٤/٢٠).
«حبك حبك»: أي شعر رأسه متكسّر من الجعودة.

فيوثقها رباطاً، مخافة أن تخرجَ إليه، ثم يُسلِّط الله المسلمين عليه، فيقتلونه، ويقتلون شيعته، حتى إن اليَهُودي ليَخْتبىءُ تَحْتَ الشَّجرَةِ والحَجَرِ، فيقول الحجر أو الشجرةُ للمُسلم: هذا يهوديّ تحتي فاقتله»[1] تفرد به أحمد من هذا الوجه.

* * *

طريق أخرى عن سالم

٢٤٢ ـ قال أحمد: حدثنا عبدالرزّاق، حدثنا مَعْمَرُ، عن الزهريّ، عن سالم، عن ابن عمر، قال: قام رسول الله ﷺ في الناس، فأثنى على الله تعالى بما هو أهله، ثم ذكر الدجّال، فقال: «إنّي لأُنْذِرْكُمُوهُ، وما من نبيّ إلّا وقد أنذره قومه، لقد أنذره نوح ﷺ قومه، ولكن سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبيّ لقومه، تَعْلَمُون أنّه أعْورُ، وأنّ الله تبارك وتعالى ليس بأعور»[2]، وقد تقدّم هذا في الصحيح، مع حديث ابن صيّاد.

٢٤٣ ـ وبهذا الإسناد عن ابن عمر: أنّ رسول الله ﷺ، قال: «تقاتلكم اليهودُ، فتَسلّطون عليهم، حتّى يقولَ الحجرُ: يا مسلم، هذا يهوديّ ورائي، فاقتله»[3] وأصله في الصحيحين، من حديث الزهريّ، نحوه.

* * *

طريق أخرى عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ

٢٤٤ ـ قال أحمد: حدثنا يعقوب، حدثنا عاصم بن محمد، عن أخيه عمر بن محمد، عن محمد بن زيد، يعني أبا عمر بن محمد، قال: قال عبدُالله بن عمر: كُنّا نُحدِّث بِحَجّة الوداعِ، ولا ندري أنّه الوداعُ من رسول الله ﷺ، فلمّا كان في حَجّة الوداع، خطب رسول الله ﷺ، فذكر المسيح الدجّال، فأطنَبَ في ذكره، ثم

---

(١) رواه أحمد (٢/٦٧)، وما بين حاصرتين مستدرك منه. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٣٤٧): رواه أحمد والطبراني في الأوسط، وفيه ابن إسحاق وهو مدلس.

(٢) رواه أحمد (٢/١٤٩).

(٣) رواه أحمد (٢/١٣٥)، والبخاري (٢٩٢٥) في الجهاد، باب: قتال اليهود، ومسلم (٢٩٢١) في الفتن وأشراط الساعة، باب: لا تقوم الساعة حتى يمرّ الرجل بقبر الرجل.

قال: «ما بَعثَ اللّهُ مِنْ نَبيٍّ إلّا قد أنذره أمّته، لقد أنذره نوح أمّته، والنبيّون من بعده، ألَا ما خفي عليكم من شأنه فلا يَخْفَيَنَّ عَلَيْكُم، إنّ رَبّكم ليس بأعْور»[1].
تفرّد به أحمد من هذا الوجه.

* * *

طريق أخرى

٢٤٥ ـ قال أحمد: حدثنا يزيد، أخبرنا محمد بن إسحاق، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبيّ ﷺ، قال: «إنّه لم يكن نبيّ قبلي إلّا وصفه لأمّته، ولَأَصِفَنَّه صِفَةً لم يَصِفْهَا مَنْ كَانَ قَبْلي: إنّه أعْورُ وإن الله ليس بأعور، عينه اليمنى كأنها عِنَبة طافية»[2]، وهذا إسناد جيّد حسن.

٢٤٦ ـ وقال الترمذيّ: حدّثنا محمد بن عبدالأعلى الصَّنْعانيّ، حدثنا المعتمِرُ بن سُلَيْمانَ، عن عُبَيْدالله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبيّ ﷺ أنه سُئِل عن الدجّال فقال: «ألا إنّ ربّكم عز وجل ليس بأعور، ألَا وإنه أعور، عينهُ اليمنى كأنّها عِنَبةُ طافية»[3]. قال: هذا حديث حسن صحيح، وفي الباب عن سعد، وحذيفة، وأبي هريرة، وأسماء، وجابر بن عبدالله، وأبي بَكْرَةَ، وعائشةَ، وأنسٍ، وابن عباس، والفَلَتَانِ بن عاصم.

* * *

حديث عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنه ـ

٢٤٧ ـ قال أحمد: حدّثنا عبدالرزّاق، أخبرنا مَعْمَرُ، عن قَتَادَة، عن شَهْر بن حَوْشَب، قال: لمّا جاءتنا بَيْعَةُ يزيد بن معاوية قدمتُ الشامَ، فأُخْبِرت بمَقامٍ يَقُومُه نَوْفُ، فجِئْتُه، فجاء رجلٌ، فاشتدّ الناس عليه خَميصَة، وإذا هو عبدُالله بنُ عمرو بن العاص، فلمّا رآه نَوْفُ أمْسكَ عن الكلام، فقال عبدالله: سمعتُ رسولَ الله ﷺ

---

(١) رواه أحمد (٢/١٣٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٣٣٨): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه أحمد (٢/٢٧).

(٣) رواه الترمذي (٢٢٤١) في الفتن، باب: ما جاء في صفة الدجال، وقال: حديث صحيح غريب.

يقول: «تكون هجرةٌ بعدَ هجرةٍ، ينحاز الناسُ إلى مُهاجَرِ إبراهيم، لا يبقى في الأرض إلّا شرارُ أهْلِها، تَلْفِظُهُمْ أرضوهُم، تَقْذَرُهُم نَفْسُ الرحمن، تَحْشُرُهم النارُ مع القردَة والخنازير، تبيتُ معَهُمْ إذا بَاتُوا، وتَقِيلُ معهم إذا قالوا، وتأكلُ من تَخَلَّفَ»، قال: وسمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «سيخرج أناسٌ مِن أمّتي، مِنْ قِبَلِ المَشْرِق، يقرؤون القرآن لا يجاوز تَراقِيَهُمْ، كلّما خَرج مِنْهُم قَرْنٌ قُطع حتى يخرُج الدجّال في بَقِيّتِهِمْ».

ورواه أبو داود، من حديث قتادة، عن شَهْرٍ، عنه.

* * *

طريق أخرى

٢٤٨ ـ قال أبو القاسم الطبرانيّ: حدّثنا جعفر بن أحمد السامانيّ، حدثنا أبو كُرَيْب، حدّثنا فِرْدَوْس الأشْعَرِيّ، عن مسعود بن سُلَيْمان، عن حَبِيبِ بن أبي ثابت، عن مُجاهد، عن عبدالله بن عمرو، عن النبيّ ﷺ، أنه قال في الدجال: «ما شَبَه مِنْهُ فإنّ الله ليس بأعور، ويخرُج؛ فيكون في الأرض أربعين صباحاً، يرِدُ كلّ مَنْهلٍ؛ إلّا الكَعْبَةَ وَبَيْتَ المَقْدِس والمَدِينَةَ، الشهرُ كالجُمعة، والجُمعة كاليوم، ومعه جنّة ونار، فناره جَنّة وجنّته نار، معه جبل من خُبْز، ونَهْرٌ مِنْ ماءٍ، يدعُو برجل لا يُسَلِّطه اللّهُ إلّا عَلَيْهِ، فيَقُول: ما تقولُ فيّ؟ فيقول: أنت عدو الله وأنت الدجّال الكذَّاب، فيدعو بمنشار؛ فيَشُقّه، ثم يُحْييه، فيقول له: ما تقول؟ فيقول: واللّهِ ما كنتُ أشَدَّ بصِيرةً مِنّي فِيكَ الآن، أنت عدوّ الله الدجّال، الذي أخبرنا عنك رسولُ الله ﷺ، فيَهْوِي إليه بسَيْفِه، فلا يسْتَطيعُه، فيقول: أخّرُوه عنّي»[1].

قال شيخنا الذهبيّ: هذا حديث غريب، ومسعود لا يُعرف، وسيأتي حديث يعقوب بن عاصم عنه في مُكْث الدجّال في الأرض، ونزول عيسى ابن مريم.

* * *

(١) رواه أحمد (٢/١٩٩)، وأبو داود (٢٤٨٢) في الجهاد، باب: في سكنى الشام.
«خميصة»: ثوب خز أو صوف مُعْلَم.
«تقذرهم نفس الرحمن»: كناية عن أنه سبحانه يكره خروجهم إليها ومقامهم فيها.

حديث عن أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية

٢٤٩ ـ قال الإمام أحمد: حدثنا عبدالرزاق، حدثنا مَعْمَر، عن قتادة، عن شَهْر بن حَوْشَب، عن أسماء بنت يزيدَ الأنصاريّة، قالت: كان رسول الله ﷺ في بيتي، فذكر الدجّال، فقال: «إنّ بَيْنَ يَدَيْه ثلاثَ سِنِين، سَنْةً تُمْسِكُ السَّماءُ ثُلُثَ قَطْرِها، والأرضُ ثُلُثَ نَباتِها، والثانيةَ تُمْسِكُ السَّماءُ ثُلُثَيْ قَطْرِهَا والأرضُ ثُلُثَيْ نَباتها، والثالثةُ تُمسك السماء قَطْرَها كُلّه، والأرضُ نَباتها كُلّه ولا تَبْقَى ذات ضِرْسٍ، ولا ذاتِ ظِلْفٍ من البهائم إلّا هَلَكَتْ، وإن من شِدة فتنته أن يأتي الأعرابيَّ فيقول: أرأيت إنْ أَحْيَيْتُ لك إبلَك؟ ألَستَ تَعْلَم أنّي رَبُّك؟ فيقول: بلَى، فتمثل له الشياطينُ نحو إبله، كأحسن ما تكون ضروعُها، وأعظمهنّ أَسْنِمَة»[1].

قال: «ويأتي الرجلُ قد مات أخوه، ومات أبوه، فيقول: أرأيت إنْ أحْيَيْتُ لك أباك، وأحييت لك أخاك؟ ألَسْتَ تعْلَمُ أنّي رَبُّكَ؟ فيقول: بلى، فتمثّل له الشياطين نحو أبيه ونحو أخيه».

قالت: ثم خرج رسول الله ﷺ لحاجة، ثم رجع والقومُ في اهتمام وَغَمّ مما حَدّثهم به، قالت: فأخذ بِلُجْمتي الباب وقال: «مَهْيَمْ أسماء» قالتْ: قلتُ: يا رسول الله، لقد خَلَعْتَ أفئدتَنا بذِكْرِ الدجّال، قال: «فإن يَخْرُج وأنا حيّ فأنا حَجِيجُه، وإلّا فإنّ رَبيّ خليفتي على كلّ مُؤْمن» قالت أسماء: يا رسول الله، إنّا لنَعْجِنُ عَجِينَتَنا فما نَخْتَبِزُها حَتَّى نَجُوع، فكيف بالمُؤْمِنين يَوْمئذٍ؟ قال رسول الله ﷺ: «يجزيهم ما يُجزِي أهْلَ السَّماءِ مِن التّسبيح والتَّقْدِيس»[2].

وكذلك رواه أحمد أيضاً عن يزيد بن هارون، عن جرير بن حازم، عن قتادة، عن شَهْر عنها بنحوه[3]، وهذا إسناد لا بأس به، وقد تفرد به أحمد، وتقدم له شاهد

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٣٥٠): رواه الطبراني، وفيه من لم أعرفهم.
(٢) رواه أحمد (٦/٤٥٥ ـ ٤٥٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٣٤٤ ـ ٣٤٥): رواه أحمد والطبراني من طرق، وفيه شهر بن حوشب، وفيه ضعف وقد وثّق.
«بلجمتي الباب»: أي بناحيتيه.
«مهيم»: أي ما أمْرُك؟
(٣) رواه أحمد (٦/٤٥٣).

في حديث أبي أمامةَ الطَّوِيل، وفي حديث عائشة بعده شاهدٌ له من وجه آخر أيضاً. والله أعلم.

٢٥٠ ـ وقال أحمد: حدثنا هاشم، حدثنا عبدالحميد، حدثنا شَهْر، حدثتني أسماءُ: أنّ رسول الله ﷺ قال في حديث: «فَمَنْ حَضَر مَجْلسي، وسَمِع قَوْلي، فَلْيُبَلِّغ الشاهدُ منكُم الغَائبَ، واعلموا أن الله عز وجل ليس بأعور، وأنّ الدجّال أعورُ، ممسوحُ العَيْن، مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه كلّ مؤمن، كاتبُ وغيرُ كاتب»[1].

وسيأتي عن أسماء بنت عُمَيْسٍ نحوهُ، والمحفوظ هذا، والله أعلم.

* * *

حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ

٢٥١ ـ قال الإمام أحمد: حدّثنا عبدُ الصمد، حدّثنا حمّاد، حدّثنا عليّ بن زيد، عن الحسن، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ ذكر جَهْداً يكون بين يدي الدجّال، فقالوا: أيُّ المال خَيْرٌ يومئذ؟ قال: «غلامٌ شديدٌ يَسْقي أَهْلَهُ الماءَ، وأمّا الطعامُ فَلَيْسَ» قالوا: فما طعامُ المؤمنين يومئذ؟ قال: «التسبيحُ والتكبيرُ[2]، والتحميد، والتهليل» قالت عائشة: فأينَ العربُ يَومئذٍ؟ قال: «العربُ يومئذ قليل»[3] تفرد بإسناده أحمد، وإسناده صحيح فيه غرابة، وتقدّم في حديث أسماء وأبي أمامةَ شاهدٌ له، والله أعلم.

* * *

طريق أخرى عنها

٢٥٢ ـ قال أحمد: حدّثنا سُلَيْمانُ بن داود، حدّثنا حَرْب بن شدّاد، عن

---

(١) رواه أحمد (٦/٤٥٦).

(٢) في المسند: التقديس.

(٣) رواه أحمد (٦/٧٥ ـ ٧٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٣٣٥): رواه أحمد وأبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح.

يحيى بن أبي كَثِير، حدّثني الحضرمي بن لاحق، أن ذَكْوان أبا صالح أخبره أنّ عائشةَ أخبرتْهُ، قالت: دخَل عليَّ رسولُ الله ﷺ، وأنا أبكي، قال: «ما يبكيك؟» قلت: يا رسول الله، ذكرتُ الدجّال؛ فبكيت، فقال رسول الله ﷺ: «إنْ يَخْرج الدجّال وأنا حيّ كفيتكُمُوه، وإنْ يَخْرُج الدجال بعدي فإنّ رَبّكم عز وجل ليس بأعور، إنّه يخرج في يَهوديّة أصْبهانَ؛ حتى يأتي المَدينَة، فينزلَ ناحِيَتَها، ولها يومئذ سَبْعَةُ أبواب، على كلّ باب منها ملكان، فيخرُج إليه شِرارُ أهلها؛ حتّى يأتي الشام، مدينةً بِفِلَسْطِينَ بَابَ لُدّ، فينزلُ عيسى ابنُ مَرْيَم عليه السلام فيقتله، ثم يمكثُ عيسى عليه السلام في الأرض أربعين سنةً إماماً عادلاً وَحَكماً مُقْسِطاً»[1] تفرد به أحمد.

٢٥٣ ـ وقال أحمد: حدثنا ابنُ أبي عديّ، عن داود، عن عامر، عن عائشة، أنّ النبيّ ﷺ قال: «لا يدخلُ الدجّال مَكَّةَ ولا المدينة»[2]. ورواه النَّسائيّ عن قُتيبة، عن محمد بن عبدالله بن أبي عديّ به، والمحفوظ روايةُ عامر الشعبي، عن فاطمة بنت قَيْس، كما تقدّم.

٢٥٤ ـ وثبت في الصحيح من حديث هشام بن عُرْوة عن زوجته فاطمةَ بنت المُنذر، عن أسماء بنت أبي بكر، أنها قالت في حديث صلاة الكسوف: إنّ رسول الله ﷺ قال في خطبته يومئذ: «وإنّه أُوحيَ إليّ أنكم تُفْتنون في القبور قَرِيباً، أوْ مِثلَ فِتْنَةِ المَسيح الدجّال» لا أدري أيَّ ذلك قالت أسماء، الحديث بطوله[3].

٢٥٥ ـ وثبت في صحيح مسلم من حديث ابن جُرَيْج، عن أبي الزُّبَير، عن جابر، عن أم شَرِيك؛ أنّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «لَيَفِرَّنَّ الناسُ مِنَ الدجّال في الجبال، يلحقوا برؤوس الجبال» قلت: يا رسول الله، أين العربُ يومَئذ؟ قال: «هم قليل»[4].

* * *

---

(١) رواه أحمد (٦/٧٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٣٣٨): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، غير الحضرمي بن لاحق وهو ثقة.

(٢) رواه أحمد (٦/٢٤١).

(٣) رواه البخاري (١٠٥٣) في الكسوف، باب: صلاة النساء مع الرجال في الكسوف، ومسلم (٩٠٥) في الكسوف، باب: ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار.

(٤) رواه مسلم (٢٩٤٥) في الفتن وأشراط الساعة، باب: في بقية من أحاديث الدجال.

حديث عن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ

٢٥٦ ـ قال ابنُ وَهْب: أخبرني مَخْرَمَةُ بنُ بُكَيْر، عن أبيه، عن عُروة، قال: قالت أمّ سَلَمة: ذكرتُ المسيحَ الدجّال لَيْلةً، فَلَمْ يأتِني النَّوْمُ، فلمَّا أصْبَحْتُ دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، فأخبرتهُ، فقال: «لا تَفْعلي، فإنه إنْ يَخرج وأنا فيكُمْ يَكْفِكُمُ اللّهُ بي، وإنْ يَخرجْ بعد أن أمُوْتَ يكْفِكُم اللّهُ بالصالحين» ثم قام، فقال: «ما مِنْ نَبي إلاّ حَذّر أمّته ـ يعْني منهُ ـ وإني أحَذِّركُموه، إنه أعور، وإن الله ليس بأعور»[1]

وقال الذهبيّ: إسناده قوي.

* * *

[حديث ابن خديج]

٢٥٧ ـ حديث ابن خديج، رواه الطبراني، من رواية عطية بن عطية، عن عطاء بن أبي رباح، عن عمرو بن شُعَيْب، عن سعيد بن المسيّب، عن رافع بن خديج، عن النبي ﷺ في ذم القدريّة وأنهم زنادقةُ هذه الأمة: «وفي زمانهم يكون ظلْمُ السلطان، وحَيْفُه، وكِبْرُهُ، ثم يَبْعَثُ اللّهُ طاعُوناً، فَيُفْني عامّتَهُم، ثم يكون الخَسْفُ، فما أقلّ من يَنْجو منهم، المؤمنُ يَوْمئذٍ قليلُ فرحهُ، شديد غَمُّهُ، ثم يكون المسيح، فيمسخُ اللّهُ عامتهم قردَةً وخنازيرَ، ثم يخرج الدجال على إثْرِ ذَلِكَ قريباً» ثم بكى رسول الله ﷺ؛ حَتى بَكَيْنا لبكائه، وقلنا: ما يبكيك؟ قال: «رحمةً لأولئك القوم الأشقياء، لأن فيهم المُقتصد، وفيهم المجْتَهِد»[2] الحديث بتمامه.

* * *

---

(١) في إسناده: مَخْرمة بن بُكَيْر قال أحمد: ثقة ولم يسمع من أبيه. وقال ابن معين: مخرمة ضعيف الحديث، ليس حديثه بشيء، يقولون: إنّ حديثه عن أبيه كتاب. وقال سعيد بن أبي مريم: سمعتُ خالي موسى بن سلمة قال: أتيتُ مَخْرمة بن بُكير، فسألته يحدّثني عن أبيه، قال: ما سمعتُ من أبي شيئاً، إنما هذه كتب وَجَدْنَاها عندنا عنه، ما أدركتُ أبي إلا وأنا غلام. (ميزان الاعتدال ٤/٨٠ ـ ٨١ وتقريب التهذيب ٢/٢٣٤).

(٢) في إسناده: عطية بن عطية، قال الذهبي: لا يعرف، وأتى بخبر موضوع طويل. (ميزان الاعتدال ٣/٨٠ والمغني في الضعفاء ٢/٤٣٦).

حديث عن عثمان بن أبي العاص

٢٥٨ ـ قال أحمد: حدثنا يزيدُ بن هارون، حدثنا حمّاد بن سَلَمة، عن علي بن زيد، عن أبي نضرة، قال: أتينا عُثمانَ بن أبي العاص في يوم جمعة لنعرض عليه مُصْحَفاً لنا على مُصْحفه، فلما حضرت الجمعة أمرنا فاغتسلنا، ثم أُتينا بِطِيبٍ فتَطَيبنا، ثم جِئْنَا المَسْجِدَ، فَجَلَسْنَا إلى رجل، فحدثنا عن الدجال، ثم جاء عُثمانُ بن أبي العاص، فقُمنا إليه فجلسنا، فقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يكون للمسلمين ثلاثة أمصار، مصرٌ بمُلتقَى البَحْرين، ومصر بالحيرة، ومصر بالشام، فيفزع الناسُ ثلاثَ فَزعَاتٍ، فيخرُج الدجال في أعراض الناس، فيُهْزَمُ من قبل المشرق، فأول مصر يرده المِصْرُ الذي بمُلْتَقَى البَحْرَيْن؛ فيصير أهله ثلاثَ فِرَق؛ فرقة تقيم تقول: نشامه، ننظر ما هو؟ وفرقةٌ تلحقُ بالأعراب، وفرقة تلحق بالمِصْر الذي يليهم بقرى الشام، وينحاز المسلمون إلى عقبة أفيق، فيَبْعَثون سرحاً لهم فيصابُ سرحُهم فيشتد ذلك عليهم، وتُصيبهم مَجَاعةٌ شَدِيدَةٌ وجَهد شديدٌ، وحتّى إنّ أحدهم لَيَحْرِقُ وَتَر قوسه فيأكلُه، فبينما هم كذلك إذ نادى مُنادٍ من السَّحَر: يا أيُّها الناسُ أتاكم الغوثُ، ثلاثاً، فيقول بعضُهم لبعض: إنّ هذا الصوت لصوت رجل شبعان، وينزل عيسى ابنُ مريم عليه الصلاة والسلام عند صلاة الصبح، فيقول له أميرُهم: يا رُوحَ الله، تقدّم صَلِّ، فقال: هذه الأمة أمراءُ بعضُهم على بعْض، فيتقدم أميرُهم؛ فَيُصَلِّي، فإذا قضى صلاته أخذ عيسى عليه السلامُ حَرْبَتَهُ، فَيَذْهَبُ نحو الدجال، فإذا رآه الدجال ذاب كما يذوب الرصاص، فيضع حَرْبَتَهُ بَيْن ثَنْدُوَتَيْهِ فيقتله، وينهزم أصحابُه فليس يومئذ شيء يواري منهم أحداً، حتّى إن الشجرةَ لتقولُ: يا مؤمنُ، هذا كافر، ويقول الحَجَر: هذا كافر»[1] تفرد به أحمد.

---

(١) رواه أحمد (٤/٢١٦ ـ ٢١٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٣٤٢): رواه أحمد والطبراني، وفيه علي بن زيد، وفيه ضعف وقد وثق، وبقية رجالهما رجال الصحيح.

«نشامه»: يقال: شاممتُ فلاناً؛ إذا قاربته وتعرّفتُ ما عنده من الأخبار.

«سرحاً»: السرح: الماشية.

«ثندوتيه»: مثنى ثندوة، وهي لحم الثدي.

ولعلّ هذين المصرين هما البصرة والكوفة.

٢٥٩ ـ بدليل ما رواه الإمام أحمد: حدثنا أبو النضر هاشم بن القاسم، حدثنا الحشْرَجُ بن نُبَاتَة القَيْسِيّ الكوفيّ، حدثني سعيدُ بن جُمْهَان، حدثنا عبدالله بن أبي بَكْرَة، حدّثني أبي في المسجد، يعني مسجد البصرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَتَنْزِلَنّ طائفةٌ من أمّتي أرضاً يقالُ لها البصرة، كثُرُ بها عدوهم، ويكثُرُ نَخْلُهم، ثم يجيء بنو قَنْطوراء [عراض الوجوه] صغار العيون حتى يَنْزِلُوا على جِسْرٍ لَهُمْ، يقال له دِجْلة؛ فيتفرق المسلمون ثلاثَ فِرَق، فأمّا فرقةٌ فيأخذون بأذناب الإبل، ويلحقون بالبادية، وهلكت، وأما فرقة فتأخُذُ على أنفسها فكفرت، فهذه وتلك سواء، وأما فرقة فيجعلون عِيَالهم خَلْفَ ظُهورهمْ، ويقاتلون، فقتلاهم شهداء، أو يفتحْ الله عَلَى بقِيّتها»[1].

ثم رواه أحمد عن يزيد بن هارون، وغيره، عن العوّام بن حَوْشَب، عن سعيد بن جُمْهَان، عن أبي بَكْرَة، عن أبيه، فذكره، وقال العوّام: بنو قنطوراء هم الترك. ورواه أبو داود[2] عن محمد بن يحيى بن فارس، عن عبدالصمد بن عبدالوارث، عن أبيه، عن سعيد بن جُمْهَان، عن مسلم بن أبي بكرة، عن أبيه فذكر نحوه.

٢٦٠ ـ وروى أبو داود من حديث بشير بن المهاجر، عن عبدالله بن بُرَيْدَة، عن أبيه، عن النبيّ ﷺ في حديث: «يُقاتلكم قومٌ صغار الأعين» يعني الترك، قال: «تسوقونهم ثلاث مرات، حتى تُلْحِقُوهم بجزيرة العرب، فأمّا في السياقة الأولى فيَنْجُو مَنْ هرب منهم، وأما الثانية فينْجو بعضٌ ويَهْلِك بعض، وأما الثالثة فَيُصطَلَمون» أو كما قال. لفظ أبي داود[3].

٢٦١ ـ وروى الثوريّ، عن سلمة بن كُهَيْل، عن أبي الزَّعْراء، عن ابن

---

(١) رواه أحمد (٥/٤٤ ـ ٤٥)، وما بين حاصرتين مستدرك منه.
(٢) رواه أبو داود (٤٣٠٦) في الملاحم، باب: في ذكر البصرة.
(٣) رواه أبو داود (٤٣٠٥) في الملاحم، باب: في قتال الترك.
«فيصطلمون»: الاصطلام: الاستئصال، وأصله من الصّلْم وهو القطع.

مسعود، قال: يفترق الناسُ عند خروج الدجّال ثلاثَ فرق: فرقةٌ تتبعه، وفرقة تَلْحَق بأرض آبائها، بها المشيحُ، وفرقة تأخذُ بِشَطّ الفُرات، يقاتلهم ويقاتلونه، حتى يجتمع المؤمنون بِقُرى الشام، ويَبْعَثُون طَلِيعةً فيهم فارس فرسه أشقر أو أبلق، فيُقْتَلون فلا يرجعُ منهم بشر[1].

* * *

حديث عبدالله بن بسر ـ رضي الله عنه ـ

٢٦٢ ـ قال حنبل بن إسحاق: حدثنا دُحَيْن، حدثنا عبدالله بن يحيى المعَافِريّ، هو البُرُلُّسي، أحدُ الثقات، عن معاوية بن صالح، حدثني أبو الوازع: انه سمع عبدالله بن بسر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَيُدرِكَنّ الدجّال من رآني، وقال: ليكُوننّ قريباً مِنْ موتي»[2] قال شيخنا الذهبيّ: أبو الوازع لا يُعرف، والحديث مُنكر، وتقدم في حديث أبي عُبَيْدة شاهدٌ له.

* * *

حديث عن سلمة بن الأكوع ـ رضي الله عنه ـ

٢٦٣ ـ قال الطبرانيّ: حدثنا العباس بن الفضل الأَسْفاطيّ، حدثنا زيد بن الحريش، أبو همام، عن محمد بن الزِّبْرقان، حدثنا موسى بن عبيدة، حدثني يزيد بن عبدالرحمن، عن سَلمة بن الأكوع، قال: أقبلتُ مع رسول الله ﷺ، من قِبل العقِيق، حتى إذا كُنّا مع الثَّنِيَّةِ، قال: «إني لأَنْظر إلى مَواقع عَدُوّ الله المسيح، إنّه يُقْبِلُ حتَّى يَنزِلَ من كذا، حتى يخرج إليه الغوغاء، ما من نَقْبٍ من أنقاب المدينة إلا عليه مَلَكٌ أو مَلَكَان يَحْرُسانِه، معه صُورَتان، صورةُ الجَنَّة، وصُورةُ النار الخضراء، معه شياطينُ يَتَشَبَّهونَ بالأموات، يقول للحيّ: تَعْرِفُني؟ أنا أخوك، أنا

---

(١) في إسناده: أبو الزعراء، هو عبدالله بن هانىء، قال البخاري: لا يتابع على حديثه. (ميزان الاعتدال ٢/٥١٦ ـ ٥١٧).
«المشيح»: شاح في الأمر: جَدَّ، وعلى حاجته: حَرَصَ.
(٢) في إسناده: أبو الوازع، وهو جابر بن عمرو، تابعي شهير، وثّقه ابن معين، وقال النسائي: منكر الحديث، فاختلف قول ابن معين فيه. (ميزان الاعتدال ١/٣٧٨).

أبوك، أنا ذو قرابة منك، ألست قَدْ مِتُّ؟ هذا رَبُّنا فاتَّبِعْهُ، فيقضي الله ما شاء منه، ويبعثُ الله له رجلاً من المسلمين، فَيُسكِتُه، ويُبكّته، ويقول: هذا الكذّاب، يا أيها الناس، لا يغرّنّكم، فإنه كذّاب، ويقول باطلاً، وليس ربُّكم بأعور، فيقول: هل أنتَ مُتّبعي؟ فيأتي فَيَشُقُّهُ شِقَّتَيْن، ويَفْصِلُ ذلك، ويقول: أعيده لكم؟ فَيَبْعثه الله أشَدَّ ما كان تَكْذِيباً، وأشدّ شَتْماً، فيقول: أيُّها الناسُ، إنما رأيتم بلاءً ابتُليتُم به، وفِتْنَةً افتتنتم بها، إنْ كانَ صَادِقاً فَلْيُعِدْنِي مَرَّةً أُخْرَى، ألاَ هُوَ كَذَّابٌ فيأمر به إلى هذه النار، وهي صورة الجَنَّة، ثم يخرج قِبَلَ الشام»[1].

موسى بن عبيدة الزَّبَذيّ ضعيف، وهذا السياق فيه غرابة، والله أعلم.

* * *

حديث محجن بن الأدرع ـ رضي الله عنه ـ

٢٦٤ ـ قال أحمد: حدثنا يونس، حدثنا حماد، يعني ابن سَلمة، عن سعيد الجريريّ، عن عبدالله بن شَقيق، عن محجن بن الأدرع: أن رسول الله ﷺ خطب الناس، فقال: «يومُ الخلاص» ثلاثاً، فقيل له: وما يومُ الخلاص؟ قال: «يجيءُ الدجّال، فَيَصْعَدُ أُحُداً، فَيَنظُرُ إلى المدينة، فيقول لأصحابه: هل ترون هذا القصر الأبلق، هذا مسجد أحمد، ثم يأتي المدينة، فيجدُ بكلِّ نَقْبٍ من أنقابها مَلَكاً مُصْلَتاً، فيأتي سَبَخَةَ الجُرُف، فَيَضْرِبُ رُواقَه، ثم ترْجُفُ المَدِينَةُ ثلاثَ رَجَفَاتٍ، فلا يبقى مُنافِقٌ ولا مُنَافِقَةٌ، ولا فاسق ولا فاسقة، إلا خرج إليه، فذلك يومُ الخلاص»[2].

تفرد بها أحمد.

٢٦٥ ـ ثم رواه عن غُنْدر، عن شُعْبة[3] عن أبي بِشْر، عن عبدالله بن شَقيق،

---

(1) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٣٤٠): رواه أحمد والطبراني ـ واللفظ له ـ ورجاله ثقات، وفي بعضهم كلام لا يضرّ.

(2) رواه أحمد (٤/٣٣٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/٣٠٨): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.
«الأبلق»: الذي فيه سواد وبياض.
«مصلتاً»: صَلَتَ بالسيف: ضَرَب به.

(3) الذي في المسند: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة.

عن رَجَاء بن أبي رجاء، عن محجن بن الأدرع، قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي، فَصَعِد على أُحُدٍ، فأشرف على المدينة، فقال: «ويل أمّها قرية، يَدَعُها أهلُها على خير ما تكون، فيأتيها الدجّالُ، فيجدُ على كلِّ بابٍ مِنْ أبوابِها مَلَكاً مُصْلَتاً بِجَنَاحِهِ فلا يدخلها» قال: ثم نزل وهو آخذٌ بيدي، فدَخل المسجدَ، فإذا رجل يُصَلِّي، فقال لي: «مَنْ هَذَا؟» فأثنيتُ عليه خيراً، فقال: «اسكتْ، لا تُسْمِعْهُ فتهلِكه» قال: ثم أتى حُجْرَةَ امرأةٍ من نسائه، فنفضَ يدَهُ من يدي، قال: «إنَّ خيرَ دينكم أيْسَرُهُ، إنَّ خَيْرَ دينكم أيسره»[1].

* * *

حديث عمرو بن سفيان

٢٦٦ ـ قال مَعْمَرٌ في جامعه، عن الزهريّ: أخبرني عمرو بنُ سُفْيانَ الثقفيّ، أخبرني رجل من الأنصار، عن بعض أصحاب محمد ﷺ، قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجّال، فقال: «يأتي سِباخَ المدينة، وهو مُحَرّم عليه أن يَدْخُلَها، فَتَنْتَفِضُ بأهلها نَفْضَةً، أو نَفْضَتَيْنِ، وهي الزَلْزلةُ، فلا يبقي، فيخرُج إليه كلُّ منافق ومنافقة، ثم يُوَلّي الدجّالُ قِبَلَ الشام، حتى يأتي بعضَ جبال الشام، وبقيّةُ المسلمين يومئذ مُعتصمون بذروة جَبَل، فيُحاصرهم نازلاً بأصله، حتى إذا طال عليهم البلاءُ، قال رجل: حتى متى أنتُم هكذا وعدوّ الله نازل بأصل جَبَلكم؟ هل أنتم إلاّ بين إحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ، بَيْنَ أنْ يسْتَشهِدكُم وبين أن ينصركم؟ فيتبايعون على الموت بَيْعَةً يَعْلَمُ الله أنها الصدق من أنْفُسهم، ثم تأخذهم ظُلْمَةٌ لاَ يُبْصِرُ امرؤ كَفَّهُ، فينزلُ ابنُ مريمَ، فَيَحْسِرُ عن أبصارهم، وبين أظْهُرِهِم رجلٌ عليه لأمة فيقولون: من أنت؟ فيقول: أنا عبدُ الله، ورسُوله، ورُوحُه، وكَلِمتُه عيسى، اختاروا إحدَى ثلاثٍ: بين أن يَبْعَثَ الله على الدجّال وجُنوده عَذَاباً من السماء، أو يَخْسِفَ بِهِم الأرض، أو يُسلِّط عليهم سِلاَحَكُمْ، ويكفَّ سلاحهم، فيقولون: هذه يا رسول الله أشفى لِصُدُورنا، فيومئذ ترى اليَهُودِيّ العريض الطويل الأكُولَ الشَّرُوبَ لا تُقِلُّ يَدُه سَيْفَه

---

(1) رواه أحمد (٤/٣٣٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/٣٠٨): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، خلا رجاء وقد وثّقه ابن حبان.

من الرِّعْدَةِ، فينزلون إليهم، فيُسلَّطُونَ عَلَيْهِم، ويَذُوبُ الدجّالُ؛ حتّى يُدركه عيسى ابنُ مَريَم، فَيَقْتُلُه». قال شيخنا الحافظ الذهبيّ: هذا حديث قويّ الإسناد.

* * *

حديث أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ

٢٦٧ ـ قال الحافظ أبو بكر البزّار: حدثنا أبو موسى الزمن، حدّثنا إبراهيم بن سليمان، حدثنا محمد بن أَبَانَ، عن يزيد بن زيد بن جابر، عن بسر بن عبيدالله، عن أبي إدريس، عن صريم السكونيّ، قال رسول الله ﷺ: «لَتُقَاتِلُنَّ المُشركين، حتّى يقاتل بَقِيتكُم الدجّالَ على نهر الأُرْدُنّ، أنتم شَرْقِيُّه، وهو غَرْبِيّه» قال: «وما أدري أيْنَ الأُرْدُنّ يَومئِذ من الأرض»[1]. وكذا رواه سعيد بن سالم، وعبدالحميد بن صالح.

* * *

حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ

٢٦٨ ـ قال أحمد: حدثنا قُتَيْبَةُ، حدثنا يعقوبُ، عن سُهَيْل، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أنّ رسول الله ﷺ قال: «لا تقومُ الساعةُ حتى يقاتل المسلمونَ اليَهُودَ، فَيَقْتُلُهُم المُسْلِمُونَ، حتَّى يختبىء اليهوديّ من وراء الحَجَر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مُسلم، يا عبدالله، هذا اليهوديّ من خلفي، فتعال فاقتُلْه، إلا الغَرْقد، فإنّه من شجر اليهود»[2].

٢٦٩ ـ وقد روى مسلم عن قُتيبة، بهذا الإسناد: «لا تقومُ الساعةُ حتى تقاتلوا

---

(١) رواه البزار في كشف الأستار (٣٣٨٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٣٤٨ ـ ٣٤٩): رواه الطبراني والبزار، ورجال البزار ثقات.

(٢) رواه أحمد (٢/٤١٧).

«الغَرْقَد»: شجرة تسمو من متر إلى ثلاثة، ساقها وفرعها بِيْض، تشبه العوسج في أوراقها اللحمية وفروعها الشائكة، وأزهارها الطويلة العُنق، عَبقة الريح، بيضاء مخضرَّة، وثمرتها

الترك»[1] الحديث، وقد تقدّم الحديث بطرقه وألفاظه، والظاهر ـ والله أعلم ـ أن المراد هؤلاء الترك أنصار الدجّال، كما تقدّم في حديث أبي بكر الصديق، رواه أحمد والترمذيّ وابن ماجه.

* * *

طريق أخرى عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ

٢٧٠ ـ قال أحمد: حدّثنا سُرَيْجٌ، حدّثنا فُلَيْح، عن عمرو بن العلاء الثقفيّ، عن أبيه، عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: «المدينةُ ومكة محفوفتان بالملائكة، على كلِّ نَقْبٍ منها ملائكة، لا يدخلها الدجّال ولا الطاعون»[2]، هذا غريب جداً. وذِكْر مكّةَ في هذا ليس بمحفوظ وذكر الطاعون، والله أعلم، والعلاء الثقفيّ هذا إن كان ابنَ زيدٍ فهو كذّاب.

* * *

طريق أخرى عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ

٢٧١ ـ قال البخاري ومسلم: حدّثنا زُهَيْرٌ، حدّثنا جَرِير، عن عُمَارةَ، عن أبي زُرعةَ، عن أبي هريرة، قال: ما زِلْتُ أحِبُّ بني تَمِيم، مُنْذُ ثلاثٍ، سمعتُ رسولَ الله ﷺ، يقول: «هم أَشَدُّ أمّتي على الدجّال» قال: وجاءت صَدَقَاتُهم، فقال رسولُ الله، ﷺ: «هذه صدقات قَومي»، وقال: وكانت سبِيّة منهم عند عائشة، فقال رسولُ الله ﷺ: «أَعتقيها فإنّها من وَلدِ إسماعيل»[3].

* * *

حديث عمران بن حصين ـ رضي الله عنه ـ

٢٧٢ ـ قال أبو داود: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا جرير، حدثنا

---

(١) رواه مسلم (٢٩١٢) «٦٥» في الفتن وأشراط الساعة.

(٢) رواه أحمد (٢/٤٨٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/٣٠٩): رواه أحمد، ورجاله ثقات.

(٣) رواه البخاري (٢٥٤٣) في العتق، باب: مَن مَلَك من العرب رقيقاً فوهب وباع، ومسلم (٢٥٢٥) في فضائل الصحابة، باب: من فضائل غفار وأسلم.

حُمَيْدُ بنُ هلال، عن أبي الدّهماء، قال: سمعتُ عِمْرانَ بن حُصَيْن يُحَدّث قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَمِع بالدجّال فَلْيَنْأَ عَنْه، فوالله إنّ الرجل ليأتيه وهو يَحْسَبُ أنّه مؤمن فيَتَّبعه بما يُبعث به من الشبهات، أو لما يُبْعَثُ به من الشبهات»[1] قال: هكذا قال. تفرّد به أبو داود.

٢٧٢/م ـ وقال أحمد: حدّثنا يحيى بن سعيد، حدّثنا هشام بن حسّانَ، حدثنا حُميدُ بنُ هلال، عن أبي الدّهماء، عن عمران بن حُصَيْن، عن النبيّ ﷺ، قال: «مَنْ سمع بالدجّال فلينأ منه، فإنّ الرجل يأتيه فَيَحْسَبُ أنّه مؤمنٌ، فما يزال به لما مَعَهُ من الشُّبه حتى يَتّبعهُ»[2]، وكذلك رواه عن يزيد بن هارون، عن هشام بن حسّان، وهذا إسناد جيد. وأبو الدهماء: اسمه قِرْفَةُ بن نُهَيْس العدَوِيّ، ثِقَةٌ.

٢٧٣ ـ وقال سُفيان بن عُيَيْنَة، عن عليّ بن زَيْد، عن الحسن، عن عمْران بن الحُصَيْن، قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد أكلَ الطّعامَ، وَمَشى في الأسْواقِ»[3] يعني الدجّال.

* * *

حديث عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ

٢٧٤ ـ قال أبو داود: حدّثنا حَيْوَةُ بن شُرَيح، حدّثنا بَقِيَّة، حدّثنا بُجَير، عن خالد، عن عمرو بن الأسود، عن جُنَادة بن أبي أميّة، عن عُبادة بن الصامت؛ أنه حدّثهم أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّي قد حدّثتكم عن الدجال، حيث خَشِيتُ ألاّ تَعْقلُوا، إنّ مسيح الدجّال رجل قصير، أفحَج، جعْدٌ، أعْورُ، مطْمُوسُ العَيْن، ليس بِنَاتِئةٍ ولا جَحْراءَ، فإن لُبِّسَ عليكم؛ فاعْلَمُوا أنّ ربَّكم عَزّ وجَلّ ليس بأعور»[4] ورواه

(١) رواه أبو داود (٤٣١٩) في الملاحم، باب: خروج الدجال.
(٢) رواه أحمد (٤/٤٣١).
(٣) رواه أحمد (٤/٤٤٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٢): رواه أحمد والطبراني، وفي إسناد أحمد: علي بن زيد، وحديثه حسن، وبقية رجاله رجال الصحيح، وفي إسناد الطبراني: محمد بن منصور النحوي الأهوازي ولم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح.
(٤) رواه أبو داود (٤٣٢٠) في الملاحم، باب: خروج الدجال، وأحمد (٥/٣٢٤).

أحمد عن حَيْوة بن شُرَيح، ويزيد بن عبد ربّه، والنسائيُّ عن إسحاق بن إبراهيم، كلّهم عن بَقِيّة بن الوليد، به.

* * *

حديث المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ

٢٧٥ ـ قال مسلم: حدثنا شهابُ بن عَبّاد العَبْدِيّ، حدثنا إبراهيم بن حُمَيْد الرُّؤاسي، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن المغيرة بن شُعْبة، قال: ما سأل أحدٌ النبي ﷺ عن الدجّال أكثرَ ممّا سألتُ، قال: «وما يُنْصِبُك؟ إنّه لا يضرك»، قال: قلت: يا رسول الله، إنّهم يقولون: إنّ معه الطعَامَ والأنهار، قال: «هو أهْوَنُ على الله من ذلك»[1].

٢٧٦ ـ حدثنا سُرَيْجُ بن يونس، حدثنا هُشَيْم، عن إسماعيل، عن قيس، عن المغيرة بن شُعْبة، قال: ما سأل أحدٌ النبيَّ ﷺ عن الدجّال أكثرَ ممّا سألته، قال: «وما سُؤالك؟» قال: قلت: إنهم يقولون: معه جبالٌ من خُبْز، وَلحْم، ونَهْرٌ من ماءٍ. قال: «هو أهْوَنُ على الله من ذلك»[2].

ورواه مسلم أيضاً في الاستئذان من طرق كثيرة، عن إسماعيل بن أبي خالد. وأخرجه البخاري[3] عن مُسدَّد، عن يحيى القَطّان، عن إسماعيل، به. وقد تقدم في حديث حذيفة بن اليمان، وغيره، أنّ ماءه نار، وناره ماء بارد، وإنما ذلك في رأي العين.

وقد تمسك بهذا الحديث طائفة من العلماء، كابن حزم، والطحاويّ، وغيرهما، في أن الدجّال مُمَخْرِقٌ مُمَوِّه[4]، ولا حقيقة لما يُبْدِي للناس من الأمور

(١) رواه مسلم (٢٩٣٩)، في الفتن وأشراط الساعة، باب: في الدجال وهو أهون على الله عز وجل. «ما ينصبك»: ما يتعبك.
(٢) رواه مسلم (٢٩٣٩) (١١٥).
(٣) رواه البخاري (٧١٢٢) في الفتن، باب: ذكر الدجال.
(٤) «ممخرق مموّه»: ممخرق: خَرَق الكذب: اختلقه. مموّه: موّه الحقّ: لَبّسَهُ بالباطل. وموّه عليه الخبر: أخبره بخلاف ما سأله عنه.

التي تُشاهَدُ في زَمانِه، بل كُلُّها خَيالاتٌ عِنْدَ هؤلاء.

قال الشيخ أبو عليّ الجُبّائي[١] شيخُ المعتزلة: لَا يَجُوز أن يكونَ كذَلِك حقيقة لئلّا يُشبَّهَ خارِقُ السَّاحِرِ بخارِق النبيّ، وقد أجابه القاضي عياضٌ[٢] وغيرُه: بأن الدجّال إنّما يَدّعي الإلهيّةَ، وذلك منافٍ لبَشَريّته، فلا يَمْتنِعُ إجْراءُ الخَارق على يَديهِ، والحالةُ هذه.

وقد أنكرت طوائفُ كثيرة من الخوارِج، والجَهْمِيّة، وبعضُ المعتزلة خروجَ الدجّال بالكليّة، وردّوا الأحاديث الواردة فيه، فلم يُضِيفوا شيئاً، وخَرجُوا بذلك عن حيّز العلماء؛ لردّهم ما تواترت به الأخبار الصحيحة، من غير وجهٍ، عن رسول الله ﷺ، كما تقدّم، وإنما أوردنا بعض ما ورد في هذا الباب، وإن كان فيه كفايةٌ ومَقْنَع، وبالله المُستَعان.

والذي يظهر من الأحاديث المتقدّمة: أنّ الدجال يَمْتحِنُ اللّهُ بهِ عِبادَهُ، بما يَخلقُه مَعَهُ من الخَوارق المُشاهَدةِ في زمانه، كما تقدّم أنّ من استجاب له يأمُر السماءَ فتُمْطِرُهم، والأرضَ فتُنبِتُ لهم زَرْعاً تأكلُ منه أنْعامُهُمْ وأنْفُسُهُمْ، وتَرْجِعُ إليهم مواشيهم سِماناً لُبّناً، ومَن لا يَسْتجيبُ له، ويردّ عليه أَمْره تُصِيبُهُم السَّنَةُ، والجَدْبُ، والقَحْطُ، والقِلّةُ، ومَوْتُ الأنعام، ونَقْصُ الأموال، والأنفس والثَّمرات، وأنّه يَتْبَعهُ كنُوزُ كيَعَاسِيب النّحلِ، ويقْتلُ ذَلِك الشَابّ، ثم يحييه، وهذا كلُّه ليس بمَخْرقةٍ؛ بل له حقيقة امْتحَنَ اللّهُ بها عِبادَه، في آخر الزمان، فيُضِلّ به كثيراً ويَهْدِي به كثيراً، يَكْفر المرتابون، ويَزْدادُ الذين آمنوا إيماناً.

وقد حمل القاضي عياضٌ وغيرُه على هذا المعنى معنى الحديث: «هو أَهْوَنُ على الله من ذلك» أي هو أقلّ أن يكون معه ما يُضِلّ به عباده المؤمنين، وما ذاك إلا

(١) هو محمد بن عبدالوهاب بن سلام الجبائي، أبو علي: من أئمة المعتزلة، ورئيس علماء الكلام في عصره، وإليه نسبة الطائفة الجبائية. له مقالات وآراء انفرد بها في المذهب. نسبته إلى «جبى» من قرى البصرة، وله تفسير حافل مطول، ردّ عليه الأشعري. توفي سنة (٣٠٣هـ).

(٢) هو عياض بن موسى اليحصبي السبتي، أبو الفضل: عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته. كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم. ولي قضاء سبتة، ومولده فيها، ثم قضاء غرناطة. له: «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» و«ترتيب المدارك»، و«مشارق الأنوار» وغير ذلك. توفي سنة (٥٤٤هـ).

لأنه ناقص ظاهر النقص والفجور والظلم، وإن كان معه ما معه من الخوارق، فبين عينيه مكتوب: كافر، كتابةً ظاهرةً، وقد حقق ذلك الشارع في خبره بقوله: «ك ف ر»، فقيل ذلك على أنه كتابةٌ حِسية لا معنوية، كما يقوله بعضُ الناس، وعينهُ الواحدةُ عوراءُ، شَنِيعَةُ المَنْظَرِ، ناتئة، وهو معنى قوله: «كأنّها عِنَبةٌ طَافِيَةٌ على وجه الماء» ومن روى ذلك طافئة: لا ضوء فيها، وفي الحديث الآخر: «كأنّها نُخَامةٌ على حائط مُجَصّص» أي بَشِعَةُ الشّكْل.

وقد رُوي في بعض الأحاديث: أن عينه اليُمنى عوراء، وجاء اليُسرى، فإما أن تكون إحدى الروايتين غيرُ محفوظة، وأنّ العَوَر حاصلٌ في كلٍّ من العَيْنَيْن، ويكون معنى العَوَرِ النقصُ والعَيْبُ.

٢٧٧ ـ ويُقوي هذا الجواب ما رواه الطبراني: حدّثنا محمّد بن محمد بن اليمان، وأبو خليفة، قالا: حدثنا أبو الوليد، حدثنا زايد، حدثنا سِمَاكٌ، عن عِكْرِمَة، عن ابن عبّاس، قال: قال رسول الله ﷺ: «الدجّال جَعْدٌ، هِجَانٌ، أقْمَرُ، كأن رأسه غُصْن شَجَرة، مَطْمُوس عَيْنه اليُسْرَى، والأخرى كأنها عنبةٌ طافيةٌ»[١] الحديث، وكذلك رواه سُفيان الثوريّ، عن سِمَاكٍ بنحوه، لكن قد جاء في الحديث المتقدّم: وعينُه الأخرى كأنّها كوكب دُرّيّ.

وعلى هذا فتكون الرواية الواحدة غَلطاً، ويحتمل أن يكون المرادُ: أن العين الواحدةَ عَوْراءُ في نفسها، والأخرى عوراءُ باعتبار انفرادها، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

وقد سأل سائل سؤالاً، فقال: ما الحكمة في أنّ الدجّال مع كثرة شرّه وفجُوره، وانتشار أمره، ودعواه الربوبية، وهو في ذلك ظاهر الكذب والافتراء، وقد حذّر منه جميعُ الأنبياء، كيف لم يذكر في القرآن ويُحذّر منه، ويُصرّح باسمه، ويُنوّه بكذبِه وعِنادِه؟ فالجواب من وجوه:

أحدها: أنه قد أشير إلى ذكره في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا

(١) رواه الطبراني. (كنز العمال ٣٨٧٩٩)، والديلمي في الفردوس (٣١٣٦)، وابن عساكر (١٦٥/٥).

يَنفعُ نفساً إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبلُ أَوْ كَسَبَتْ في إيمانها خيْراً﴾ [الأنعام: ١٥٨] الآية.

٢٧٨ ـ قال أبو عيسى الترمذيّ عند تفسيرها: حدّثنا عبدُ بنُ حُميْد، حدثنا يَعْلى بنُ عُبَيْد، عن فُضَيل بن غزْوانَ، عن أبي حازِم، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «ثلاثٌ إذا خرجْنَ لَمْ ﴿يَنْفَع نفساً إيمانُها لم تكُن آمنتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ في إيمانِها خيْراً﴾ الآية؛ الدجّال، والدابّة، وطلوعُ الشمس من المغرب، أو من مغْربها»[1] ثم قال: هذا حديث حسن، صحيح.

الثاني: أنّ عيسى ابن مريم يَنْزِلُ مِنَ السماء الدُّنْيا، فيَقْتلُ الدجّال، كما تقدّم، وكما سيأتي، وقد ذُكر في القرآن نزولهُ في قوله تعالى: **﴿وقولِهِمْ إنّا قَتَلْنَا المَسِيحَ عِيسى ابنَ مَرْيَم رَسُولَ الله، وما قَتَلُوهُ وما صَلَبُوهُ ولكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ، وإنّ الذِّينَ اخْتَلَفُوا فيه لَفي شكٍّ مِنْهُ ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إلّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وما قَتَلُوهُ يقيناً * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إليه وكان اللَّهُ عَزِيزاً حكيماً * وإنْ مِنْ أهلِ الكِتابِ إلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيْومَ القِيامَةِ يَكُونُ عليهم شَهِيداً﴾** [النساء: ١٥٧ ـ ١٥٩].

وقد قرّرنا في التفسير أنّ الضمير في قوله تعالى: **﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾** عائدٌ على عيسى، أي سينزل إلى الأرض، ويُؤمن به أهلُ الكتاب الذين اختلفوا فيه اختلافاً مُتبايناً، فمن مُدَّعي الإلهية كالنصارى، ومن قائلٍ فيه قولاً عظيماً، وهو أنّه وَلَد زانيةٍ، وهم اليَهودُ، فإذا نزل قبل يوم القيامة تحقّق كلٌّ من الفريقين كذبَ نفسه فيما يدعيه من الافتراء، وسنقرّر هذا قريباً، وعلى هذا فيكون ذكر نزول المسيح عيسى ابن مريم إشارة إلى ذكر المسيح الدجّال، مسيح الضَّلالَةِ، وهو ضِد مَسيح الهُدَى، ومن عادة العرب أنّها تكتفي بذكر أحد الضّدين عن ذكر الآخر، كما هو مقرّر في موضعه.

الثالث: أنّه إنما لم يذكر بصريح اسمه في القرآن احتقاراً له، حيث يَدَّعي الإلَهيّة وهو بشر يُنافي حالةَ جَلال الربّ وعظمتِه وكبريائه، وتَنْزيهه عن النَّقص،

(١) رواه الترمذي (٣٠٧٢) في تفسير القرآن، باب: ومن سورة الأنعام.

فكان أمرُه عند الربّ أحقر مِنْ أن يُذْكَر، وأصغر، وأدْحر مِنْ أن يُجلّى عَنْ أمْرِ دَعْواه، ويُحَذَّر، ولكن انتصر الرسلُ لجناب الربّ عزّ وجلّ فجلَّوْا لأممهم عن أمره، وحذّروهم ما معه من الفتن المُضلّة، والخَوارِق المنقضية المُضلّة، فاكتُفي بإخبار الأنبياء، وتواتُرِ ذلك عن سيّد ولد آدم إمام الأتقياء، عن أن يُذكر أمرهُ الحقير بالنسبة إلى جلال الله، في القرآن العظيم، ووُكل بيانُ أمره إلى كلّ نبيّ كريم.

فإن قلت: فقد ذُكِرَ فرعونُ في القرآن، وقد ادّعى ما ادّعاه من الكذب والبُهتان، حيثُ **﴿قال: أنا رَبُّكُم الأَعْلَى﴾** [النازعات: ٢٤]. وقال: **﴿يا أيُّها المَلأُ ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إلهٍ غَيْرِي﴾** [القصص: ٣٨]، فالجواب أن أمر فرعون قد انقضى وتبيّن كَذِبُه لِكل مؤمن وعاقلٍ، وهذا أمرُ سيأتي، وكان فيما يُسْتَقبَلُ فِتْنَةً واختباراً للعباد، فترك ذكرُه في القرآن احتقاراً له، وامتحاناً به، وإذاً الأمرُ وكذبه أظهر من أن يُنبّه عليه، ويُحَذَّر منه، وقد يُترك ذكرُ الشيء لوضُوحه، كما كان رسولُ الله ﷺ في مرض مَوْتِهِ قد عزم على أنْ يَكْتُبَ كتاباً بخلافة الصدّيق من بعده، ثم ترك ذلك.

٢٧٩ ـ وقال: «يأبى اللَّهُ والمُؤمنُونَ إلّا أبا بَكر»[1] وترك نَصَّهُ عليه لِوُضوحه، وجلالته، وظهور كِبَر قدره، عند الصحابة، وعلم عليه الصلاة والسلامُ أنّهم لا يَعْدلُون به أحداً بَعْدَهُ، وكذلك وقع الأمرُ سواءً بسواءٍ، ولهذا يُذكر هذا الحديث في دلائل النبوّة، كما تقدم ذِكْرُنا له غيرَ مرة في مواضع من هذا الكتاب.

وهذا المقامُ الذي نحن فيه من هذا القبيل، وهو أن الشيء قد يكون ظهوره كافياً عن التنصيص عليه، وأن الأمر أظهرُ وأوضح وأجلى من أن يُحتاجَ معه إلى زيادةٍ على ما في القلوب مستقر، فالدجّال ظاهر النقص، واضح الذّم، بالنسبة إلى المقام الذي يَدعيه، ويَرُومه من الربُوبيّة، فترَكَ اللَّهُ ذكرَهُ والنصَّ عَلَيه؛ لما يَعْلَمُ تعالى من عباده المُؤمنين، من أن مثلَ هذا لا يَهيضُهُمْ[2]، ولا يزيدهم إلّا إيماناً وتسليماً لله ولرسوله، وتصديقاً للحق، ورداً للباطل.

ولهذا يقول ذلك المؤمن الذي يُسَلَّطُ عليه الدجّال، فيقتُلهُ، ثم يُحْييه: «والله

(١) رواه أحمد (٦/٤٧)، والطيالسي في مسنده (١٥٠٨). وانظر الحديث رقم (٢).

(٢) «لا يهيضهم»: لا يضعفهم.

ما ازدَدْتُ فِيك إلا بصيرةً، أنت الأعور الكذاب الذي حدثنا عنه رسول الله ﷺ شِفاهاً».

وقد أخذ بظاهره إبراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه الراوي للصحيح، عن مسلم، فحُكي عن بعضهم أنه الخَضِرُ عليه السلام، وحكاه القاضي عن معْمر في جامعه.

٢٨٠ - وقد قال أحمد في مسنده، وأبو داود في سننه، والترمذي في جامعه، بإسنادهم إلى أبي عبيدة: أن رسول الله ﷺ قال: «سيدركه من رآني، وسمع كلامي»[١]، وهذا مما يتقوَّى به بعضُ من يقول بهذا، ولكن في إسناده غرابة، ولعل هذا كان قبل أن يبيَّن له ﷺ من أمر الدجّال ما تبيّن في ثاني الحال، والله أعلم.

وقد ذكرنا في قصة الخضر كلام الناس في حياته، ودلّلنا على وفاته بأدلة أسلفناها هنالك، فمن أراد الوقوف عليها فليتأملها في قَصَص الأنبياء من كتابنا هذا، والله أعلم بالصواب.

---

(١) سبق تخريجه برقم (٢١٦).

ذكر ما يعصم من الدجال

● **فمن ذلك الاستعاذة من فتنته**، فقد ثبت في الأحاديث الصحاح، من غير وجه أن رسولَ الله ﷺ كان يتعوّذ من فتنة الدجال في الصلاة.

٢٨١ - وأنه أمر أمته بذلك أيضاً: «اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم، ومن فتنة القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال»[١] وذلك من حديث أنس، وأبي هريرة، وعائشة، وابن عباس، وسعد، وعمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، وغيرهم.

قال شيخنا الحافظ، أبو عبدالله الذهبي: والاستعاذة من الدجال متواترة عن رسول الله ﷺ.

● **ومن ذلك حفظ آيات من سورة الكهف**، ٢٨٢ - كما قال أبو داود: حدثنا حفص بن عمر، حدثنا همامٌ، عن قتادة، حدثنا سالم بن أبي الْجَعد، عن معْدان، عن أبي الدرداء، عن رسول الله ﷺ قال: «من حفظ عَشْر آياتٍ من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال» قال أبو داود: وكذا قال هشام الدَّسْتوائي عن قتادة، إلا أنه قال: «من حفظ من خواتيم سورة الكهف»، وقال شعبة، عن قتادة: «من آخر الكهف»[٢].

---

(١) رواه النسائي (٨/٢٥٧)، وابن أبي شيبة (٣/٣٧٥) من حديث أنس.
ورواه مسلم (٥٨٨)، والنسائي (٨/٢٧٨)، وأحمد (٢/٢٩٨)، وأبو نعيم في الحلية (٦/٢٦٢) من حديث أبي هريرة.
ورواه مسلم (٥٨٨)، وأبو داود (٩٨٣)، والنسائي (٣/٥٨)، وابن ماجه (٩٠٩)، وأحمد (٢/٢٣٧) وأبو نعيم في الحلية (٢/٧٩) من حديث عائشة.
ورواه مالك في الموطأ (١/٢١٥) من حديث ابن عباس.
ورواه النسائي (٨/٢٦٩)، وأحمد (٢/١٨٥، ١٨٦) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.

(٢) رواه أبو داود (٤٣٢٣) في الملاحم، باب: خروج الدجال، ومسلم (٨٠٩) في صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل سورة الكهف وآية الكرسي، والترمذي (٢٨٨٦) في فضائل القرآن، باب: ما

وقد رواه مسلم، من حديث همام، وهِشَام، وشُعْبة، عن قتادة بألفاظٍ مُختلفةٍ، وقال الترمذيّ: حسن صحيح، وفي بعض رواياته: «الآيات الثلاث من أول سورة الكهف»، ورواه أحمد عن يزيد بن هارون، وعفّان، وعبدالصمد، عن همامٍ، عن قَتَادَةَ به «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آياتٍ مِنْ سُورَةِ الكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدجّال»، وكذلك رواه عن رَوْح، عن سعيد، عن قتادة، بمثله. ورواه عن حُسَيْن، عن سُفْيانَ، عن قَتَادَةَ كذلك. وقد رواه غُنْدَر وحَجّاج، عن شُعْبَة، عن قتادة، وقال: «مَنْ حفظ عشر آيات من آخر سورة الكهف عصم من فتنة المسيح الدجّال».

● **ومن ذلك الابتعادُ مِنْهُ**، ٢٨٣ ـ كما تقدّم في حديث عمران بن حُصَيْن: «من سمع بالدجال فلينأ منه، فوالله إن المؤمن ليَأْتِيه وهو يَحْسبُ أنّه مُؤمن فيتّبعه لما يبعث به من الشبهات»[1].

● **ومما يعصم من فتنة الدجال سكنى المدينة النبوية ومكة، شرفهما الله تعالى.**

٢٨٤ ـ وقد روى البخاريّ ومسلم، من حديث الإمام مالك رضي الله عنه، عن نُعَيْم الْمُجْمِر، عن أبي هريرة: أنّ رسول الله ﷺ قال: «على أنقاب المدينة ملائكةٌ، لا يدخلُها الطاعُون ولا الدجال»[2].

٢٨٥ ـ وقال البخاريّ: حدثنا عبدالعزيز بن عبدالله، قال: حدثني إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن جده، عن أبي بكرة، عن النبيّ ﷺ قال: «لا يدخلُ المدينةَ رُعْبُ المسيح الدجّال، لها يومئذ سَبْعَةُ أبواب، على كلّ بابٍ مَلَكان»[3].

وقد روى هذا جماعةٌ من الصحابة، منهم أبو هريرة، وأنس بن مالك، وسلمةُ بنُ الأكْوَع، ومِحْجَنُ بن الأدْرَع.

٢٨٦ ـ وقال الترمذيّ: حدثنا عَبْدَةُ بنُ عبدالله الخُزَاعِيّ، حدثنا يزيدُ بنُ

= جاء في فضل سورة الكهف، وأحمد (٦/٤٤٩ ـ ٤٥٠).

(١) سبق تخريجه برقم (٢٧٢).

(٢) رواه البخاري (٧١٣٣) في الفتن، باب: لا يدخل الدجال المدينة، ومسلم (١٣٧٩) في الحج، باب: صيانة المدينة من دخول الطاعون والدجال إليها.

(٣) رواه البخاري (٧١٢٥) في الفتن، باب: ذكر الدجال.

هارون، حدثنا شُعْبَةُ، عن قتادة، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتي الدجّال المدينةَ، فيجدُ الملائكةَ يَحْرسُونَها، فلا يدخلُها الطاعون، ولا الدجّال إن شاء الله تعالى»[1]. وأخرجه البخاريّ عن موسى[2]، وإسحاق بن أبي عيسى، عن يزيد بن هارون، ثم قال الترمذيّ: هذا حديث صحيح.

وفي الباب عن أبي هريرة، وفاطمةَ بنتِ قيس، ومِحْجَن، وأسامة، وسمرة بن جُنْدُبٍ، رضي الله عنهم أجمعين.

وقد ثبت في الصحيح أنّه لا يدخُل مَكّةَ ولا المدينة، تمنعه الملائكة من هاتين البُقْعَتيْن، فهما حَرَمانِ آمنانِ منه، وأنه إذا نزل سبخَةَ المَدينة تَرْجُف بأهلها ثلاثَ رَجَفَاتٍ إمّا حِسّاً أو معنىً، على القولين، فيخرج إليه كلُّ منافق، ويومئذ تنفي المدينةُ خَبَثَها ويَنْصَعُ طَيّبُها، كما تقدّم في الحديث، والله أعلم.

* * *

---

(١) رواه الترمذي (٢٢٤٢) في الفتن، باب: ما جاء في الدجال لا يدخل المدينة، والبخاري (٧١٣٤) في الفتن، باب: لا يدخل الدجال المدينة.

(٢) الذي في فتح الباري: حدثني يحيى بن موسى، حدثنا يزيد بن هارون...

ملخص سيرة الدجال ـ لعنه الله تعالى ـ.

هو رجل من بني آدم، خلقه الله تعالى ليكون مِحْنَةً للناس في آخر الزمان، فيُضلّ به كثيراً، ويهدي به كثيراً، وما يضِلُّ به إلّا الفاسقين.

وقد روى الحافظ أحمدُ بن عليّ الأبّار[1]، في تاريخه، من طريق مُجَالِد، عن الشعبي؛ أنّه قال: كُنْيَةُ الدجّال أبو يُوسف، وقد رُوي عن عمر بن الخطّاب، وأبي ذَرّ، وجابر بن عبدالله، وغيرهم من الصحابة، كما تقدّم: أنّه ابن صيّاد.

٢٨٧ ـ وقال الإمام أحمد: حدثنا زيد، حدّثنا حَمّاد بنُ سلَمة، عن عليّ بن زيد، عن عبدالرحمٰن بن أبي بكْرة، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يمكثُ أبوا الدجّال ثلاثينَ سنةً لا يولَدُ لهما، ثم يولد لهما غلام أعور أضرّ شيء، وأقَلُّه نَفْعاً، تنام عيناه ولا ينام قلبه» ثم نعت أباه، فقال: «رجل طُوالٌ، مُضْطَرِبُ اللّحم، طويلُ الأنفِ، كأنّ أنْفَه مِنْقارٌ. وأمّه امرأة ضاحية عظيمة الثديين».

قال: فبلغنا أن مولوداً من اليهود وُلِد بالمدينة، فانطلقتُ أنا والزُّبَيْرُ بنُ العوّام، حتى دخلنا على أبويْه، فوجدنا فيهما نَعتَ رسول الله ﷺ، وإذا هو مُنجَدِلٌ في الشَّمْسِ في قَطِيفَةٍ، له هَمْهمَة، فسألنا أبَوَيه، فقالا: مكثنا ثلاثين عاماً لا يولد لنا، ثم وِلِدَ لنا غُلامٌ أعور، أضَرّ شيء، وأقلُّه نَفْعاً. فلما خرجنا مَرَرْنَا به، فقال: ما كنتما فيه؟ قلنا: أو سَمِعْتَ؟ قال: نعم، إنّه تنامُ عَيْنَاي ولا ينامُ قَلْبي. فإذا هو ابنُ صَيّاد[2].

---

(١) هو أحمد بن علي بن مسلم، أبو العباس الأبار: من حفّاظ الحديث، كان محدِّث بغداد، له تصانيف في «التاريخ» و«الحديث». توفي سنة (٢٩٠هـ).

(٢) رواه أحمد (٥/ ٤٠)، والترمذي (٢٢٤٨) في الفتن، باب: ما جاء في ذكر ابن صائد.

وأخرجه الترمذي من حديث حمّاد بن سلمة، وقال: حسن[1]. بل هو منكر جدّاً، والله أعلم.

وقد كان ابن صيّاد من يهود المدينة، وقيل: كان من الأنصار، واسمه عبدُالله، ويقال صافٍ، وقد جاء هذا وهذا، وقد يكون أصل اسمه صافٍ، ثم تَسَمّى لَمّا أسْلَمَ بعَبْدالله، وكان ابنهُ عُمَارةُ بنُ عبدالله من سادات التابعين، رَوى عنه مالك، وغيره، وقد قدمنا أنّ الصحيح أن الدجّال غيرُ ابن صيّاد، وأنّ ابن صيّاد كان دجّالاً من الدجَاجِلَة، ثـمّ تِيبَ عَلَيْهِ بعد ذلك، فأظهرَ الإسلام، والله أعلمُ بضمير[ه] وسيرته.

وأما الدجال الأكبرُ فهو المذكور في حديث فاطمةَ بنت قيس، الذي روته عن رسول الله ﷺ عن تميم الداريّ، وفيه قصةُ الجسّاسة، ثم يُؤذَنُ له في الخروج في آخر الزمان، بعد فتح المسلمين مدينة الروم المسمّاة بقسطنطينية، فيكون بَدْءُ ظهوره من أصْبهانَ، من حارة بها يقال لها اليَهُودِيّة، ويَنْصُرهُ مِنْ أهلها سَبْعونَ ألف يَهُوديّ، عليهم الأسلحة والتِّيجانُ، وهي الطيالسة الخضرُ، وكذلك ينصره سبعون ألفاً من التتار، وخَلْقٌ من أهل خُراسَان، فيَظْهَرُ أولاً في صورة مَلِك من الملوك الجبابرة، ثم يَدّعي النبوّة، ثم يدّعي الربُوبيّة، فيتبعه على ذلك الجَهَلَةُ من بني آدمِ، والطَّغَامُ من الرّعاع والعوامّ، ويخالفه، ويرُدّ عليه مَن هداه الله من عباده الصالحين، وحزب الله المتّقين، وَيَتَدَنّى، فيأخذ البلاد بلداً بلداً، وحِصْناً حِصْناً، وإقليماً إقليماً، وكورةً كورةً، ولا يبقى بلدٌ من البُلدان إلا وَطِئَهُ بِخَيْلِهِ ورِجْلِهِ، غير مكّة والمدينة.

ومدّة مُقامِه في الأرض أربعون يَوْماً، يوم كسنَة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيام الناس هذه، ومُعَدّل ذلك سنة وشهران ونصف.

وقد خلق الله على يديه خَوارق كثيرةً، يُضلّ بها مَنْ يَشاءُ مِنْ خَلْقِهِ، ويثبّتُ معها المُؤمِنُونَ، فيزدَادون بها إيماناً مع إيمانهم، وهُدىً إلى هُداهُمْ.

---

(١) المذكور في سنن الترمذي: قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة.

ويكونُ نزول عيسى ابن مَرْيم عليه الصلاة والسلام مسيح الهُدَى في أيام المسيح الدجّال مَسيح الضَّلالة على المنَارَةِ الشَّرقِيّة بدمَشْق، فيَجْتمع عليه المؤمنون، ويلْتَفُّ معه عباد الله المتقون، فيسير بهم المسيحُ عيسى ابنُ مريم عليه الصلاة والسلام قاصداً نحو الدجّال، وقد توجّه نحو بيت المقدس، فيدركه عند عَقبَةِ أفيق فينهزم منه الدجّال، فَيلحَقُه عند باب مدينة لُد فيقتلُه بحربته، وهو داخل إليْها، ويقول له: إنّ لي فيك ضَرْبَةً لن تفوتني، وإذا واجهه الدجّال يَنْماعُ[1]، كما ينحلُّ الملحُ في الماء فيتداركُه، فيقتله بالحربة بباب لُدّ، فتكون وفاته هنالك، لعنه الله، كما دلّت على ذلك الأحاديث الصحاح من غير وجه، كما تقدم وكما سيأتي.

٢٨٨ - وقد قال الترمذيّ: حدثنا قُتَيْبة بن سعيد، حدثنا الليثُ، عن ابن شهاب؛ أنّه سمع عبيدالله بن عبدالله بن ثَعْلَبة الأنْصاريّ يحدّث عن عبدالرحمٰن بن يزيد الأنصاري، من بني عمرو بن عوف [يقول:] سمعتُ عمِّي مُجَمِّعَ بن حارثة الأنصاري يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يَقْتُل ابنُ مريم الدجّالَ بباب لُدّ»[2].

وقد رواه أحمد عن ابن النضر، عن الليث به، وعن سفيان بن عيينة، عن الزهريّ به، وعن محمد بن مُصْعَبٍ، عن الأوزاعيّ، عن الزهري، فهو محفوظ من حديثه، وإسنادُه من بعده ثقات، ولهذا قال الترمذي بعد روايته له: وهذا حديث صحيح.

قال: وفي الباب عن عمران بن حُصَيْن، ونافع بن عُتْبة، وأبي بَرْزَةَ، وحُذَيْفَة بن أبي أَسِيد، وأبي هُريرة، وكَيْسانَ، وعُثمان بن أبي العاص، وجابر، وأبي أُمَامة، وابن مسعود، وعبدالله بن عمرو، وسَمُرة بن جُنْدُب، والنوّاس بن سَمْعان، وعمرو بن عَوْف، وحُذَيفة بن اليمان.

---

(١) «ينماع»: يذوب.

(٢) رواه الترمذي (٢٢٤٤) في الفتن، باب: ما جاء في قَتْل عيسى ابن مريم الدجال، وما بين حاصرتين مستدرك منه. ورواه أحمد (٣/٤٢٠ و٤/٢٢٦).

٢٨٩ - وروى أبو بكر بنُ أبي شيبة، عن سفيان بن عُيَيْنَةَ، عن الزهريّ، عن سالم، عن أبيه، أن عمر سأل يَهُودِياً عن الدجّال، فقال: وإلّه يَهُودَ لَيَقْتُلَنّه ابنُ مَرْيَم بِفِنَاءِ لُدّ[1].

* * *

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٩٣٣٩).

صفة الدجال ـ قبحه الله، ولعنه، وأخزاه، وأخسأه.

قد تقدم في الأحاديث أنه أعور، وأنَّه أزْهَرُ هِجَانٌ فيْلمانيّ، وهو كثير الشعر، وفي بعض الأحاديث أنّه قصير، وفي حديثٍ أنه طويل، وجاء أنّ ما بين أذُنَيْ حِمارِه أربعون ذراعاً كما تقدم.

وفي حديث جابر، ويُروى في حديثٍ آخر سبعونَ باعاً[1] ولا يصحّ، وفي الأول نظر.

٢٩٠ ـ وقال عَبْدانُ في كتاب «مَعْرفة الصَّحابة»: رَوى سُفْيان الثوريّ، عن عبدالملك بن مَيْسَرة، عن حَوْط العَبْدِيّ، عن ابن مسعود، قال: أُذُنُ حِمَار الدجال ثَقَال سبعين ألفاً[2].

قال شيخنا الحافظ الذهبيّ: حَوْطٌ مجهول، والخبرُ مُنْكَر.

وأنّ بين عَيْنيه مكتوب: كافر، يقرؤه كلّ مُؤمن، وأن رأسه من ورائه كأنّه أَصَلَةٌ أي حَيَّةٌ. لعله طويل.

٢٩١ ـ وقد قال حنبل وابن إسحاق: حدثنا حجاج، حدثنا حماد، عن أبي أيوبَ، عن أبي قِلابَة، قال: دخلتُ المسجدَ، فإذا الناسُ قد تَكابُّوا على رجل، فسمعتهُ يقول: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ بعدي الكذّابَ المُضِلَّ، وإنَّ رأسَهُ مِنْ ورائه حُبُكٌ»[3]. وتقدّم له شاهد من وجه آخر، ومعنى حُبُكٌ أي جَعْدٌ، خَشِنٌ، كقوله: ﴿والسَّماءِ ذاتِ الحُبُكِ﴾ [الذاريات: ٧].

---

(١) «باعاً»: الباع: مسافة ما بين الكفين إذا انبسطت الذارعان يميناً وشمالاً.

(٢) في إسناده: حوط، قال البخاري: حديثه منكر، وقال الذهبي: لا يُدرى مَن هو. (ميزان الاعتدال ١/٦٢٢ ولسان الميزان ٢/٣٦٩ والضعفاء الصغير للبخاري ص ٣٧).

(٣) رواه ابن جرير في تفسيره (٢٦/١٩٠) عن يعقوب بن إبراهيم، عن ابن علية، عن أبي أيوب، به.

٢٩٢ ـ وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيدُ، حدثنا المسعوديّ، وأبو النضر، حدثنا المسعودي المعنى، عن عاصم بن كُلَيْب، عن أبيه، عن أبي هُرَيرةَ قال: قال رسول الله ﷺ: «خرجتُ إلَيْكُمْ، وقد بُيِّنَتْ لي ليلةُ القدر، ومَسِيحُ الضَّلالة، فكان تلاحي بين رجلين بسُدَّة المسجد، فأتيتُهما لأَحْجِزَ بَيْنَهُما، فَأُنْسِيتُهما، وسأشْدُو لكم منهما شَدْواً، أما لَيلَةُ القَدْرِ فالتمسوها في العَشْر الأواخر وِتْراً، وأما مسيحُ الضّلالة فإنه أَعْوَرُ العين، أَجْلَى الْجَبهَةِ، عريض النَّحْرِ، فيه دَفاً، كأنه قَطَنُ بنُ عبد العُزَّى» قال: يا رسول الله، هل يَضُرّني شَبَهُهُ؟ قال: «لا، أنْتَ امرؤ مُسْلِمٌ، وهو امرؤ كَافِر»[1]. تفرّد به أحمد، وإسناده حسن.

٢٩٣ ـ وقال الطبرانيّ: حدثنا أبو شُعَيْب الحرانيّ، حدثنا إسحاق بنُ موسى، حدثنا محمد بنُ شُعَيْب الأصبهانيّ، حدثنا أَسِيد بن عَنْبَسَة، قالا: حدثنا سعيدُ بنُ محمد الثقفيّ، حدثنا حَلاّم بنُ صالح، أخبرني سُلَيمان بنُ شهاب القَيْسِي، قال: نزل عليّ عبدالله بن معتم، وكان من أصحاب النبي ﷺ، فحدّثني عن النبيّ ﷺ، أنه قال: «الدجّال ليس به خَفاءٌ، إنه يجيءُ مِنْ قِبَلِ المَشْرق، فيدعو إلى حقّ؛ فَيُتبَّع، ويَنْصِبُ للناس فَيُقَاتِلُهُمْ، فَيَظْهَرُ عَلَيهم، فلا يزالُ كذلك حتى يَقْدَمَ الكوفة، فَيُظْهِرُ دينَ الله به، فيُتّبَع، ويحبّ على ذلك، ثم يقول بعد ذلك: إنّي نَبِي، فَيَفْزَعُ مِنْ ذلك كلُّ ذي لُبّ ويُفَارِقه، ويَعْمَلُ ويمكُثُ بعد ذلك، ثم يقول: أنا اللَّهُ، فَتَعْمَشُ عَيْنهُ اليُمنى، وتُقْطَع أُذُناهُ، ويُكْتَبُ بَيْن عَيْنَيْه كافر، فلا يُخْفَى على كلِّ مُسْلم، فيُفارِقُه كلّ أحدٍ من الْخَلق في قَلْبه مِثْقالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إيمانٍ، ويكونُ أصحابُه وجنودُه المجوسَ واليهودَ والنصارى، وهذه الأعاجمَ من المشركين، ثم يدعو برجل فيما يرون، فيأمر به فَيُقْتَلُ، ثم يَقْطَعُ أعضاءه، كلَّ عضو عَلَى حِدَةٍ،

---

(١) رواه أحمد (٢/٢٩١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٣٤٦): رواه أحمد، وفيه المسعودي، وقد اختلط.

«تلاحي»: الملاحاة: الخصومة والجدال.

«سأشدو»: الشَّدْو: كلّ شيء قليل من كثير.

«أجلى الجبهة»: هو الذي قد انحسر الشعر عن جبهته إلى نصف رأسه.

«دفاً»: أي انحناء.

فيفرّق بَيْنها، حتّى يراه الناسُ، ثم يَجْمَعُ بَيْنَها، ثمّ يضربه بعصاه، فإذا هو قائمٌ، فيقول: أنا الله، أُحيي وأُميتُ. وذلك سِحْرٌ يسحر بِه أَعْيُنَ الناس، لَيْس يَصنع من ذلك شيئاً».

٢٩٤ ـ قال شيخنا الذهبيّ: ورواه يحيى بنُ موسى؛ عن سعيد بن محمد الثقفي، وهو رواه عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، أنّه قال في الدجّال، وهو صافُ بنُ صائِد: يخرجُ من يَهُوديّة أَصْبَهَانَ، على حِمارٍ أبتَرَ[2]، ما بين أُذُنَيْه أربعونَ ذِراعاً، وما بين حافره إلى الحافر الآخر أربعُ لَيالٍ، يتناولُ السماءَ بيدِه، أمامَهُ جَبَلٌ مِنْ دُخانٍ وَخَلْفَهُ جَبَلٌ آخَرُ، مكتوب بين عَيْنَيْهِ: كافر، يقول: أنا رَبُّكم الأعْلى، أتْباعهُ أصحابُ الرِّبا، أولادُ الزِّنا. رواه أبو عمرو الداني[3] في كتاب «أخبار الدجال»، ولا يصح إسنادُه على كلّ حال.

* * *

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٣٤٠): رواه الطبراني، وفيه سعيد بن محمد الوراق، وهو متروك.

«فتعمش عينه»: عَمِشَ فلانٌ: ضَعُفَ بَصَرُهُ مع سيلان دمع عينه في أكثر الأوقات.

(٢) «أبتر»: أي مقطوع الذَّنَب.

(٣) هو عثمان بن سعيد بن عثمان، أبو عمرو الداني، ويُقال له ابن الصيرفي، من موالي بني أمية: أحد حفّاظ الحديث، ومن الأئمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره. من أهل «دانية» بالأندلس. له أكثر من مئة تصنيف، منها: «التيسير» و«المقنع»، توفي سنة (٤٤٤هـ).

خبر عجيب ونبأ غريب

٢٩٥ ـ قال نُعَيْمُ بنُ حَمّاد[1] في كتاب «الفتن»: حدثنا أبو عمر، عن عبدالله بن لَهِيعَة، عن عبدالوهاب بن حسن، عن محمد بن ثابت، عن أبيه، عن الحارث، عن عبدالله بن مسعود، عن النبيِّ ﷺ، قال: «بين أُذُني الدجّال أربعون ذِراعاً، وخُطْوَةُ حماره مَسِيرَةُ ثَلاثَةِ أيّام، يخوض البحر؛ كما يخوض أحدُكم الساقية، ويقول: أنا ربّ العالمين، وهذه الشمس تجري بإذْني، أفتريدونَ أنْ أَحْبِسَها، فَيحْبِسُ الشمسَ، حتّى يَجْعَلَ اليوم كالشَّهْرِ، والجُمُعَة، ويقول: أتريدون أن أسَيِّرها، فيقولون: نَعم، فيجعل اليوم كالساعة.

وتأتيه المرأةُ فتقول: يا ربّ، أحيي لي ابني، وأحيي لي زوجي، حتّى إنّها تُعاين شيطاناً، وبيوتُهم مملوءة شَياطِين.

ويأتيه الأعرابُ فتقول: يا ربّ أحيي لنَا إبلَنَا، وغَنَمنا، فيعطِيهم شياطين أمثال إبلهم، وغَنَمِهم، سواءً بالسّن، والسِّمَة، فيقولون: لو لم يكن هذا ربّنا لم يُحْيِ لنا مَوْتَانا.

ومعه جبل من مَرَقٍ، وعَراق اللّحم حارّ لا يَبْرُد، ونهرٌ جارٍ، وجَبلٌ من جِنَانٍ وخُضْرةٍ، وَجَبلٌ مِن نَار ودُخانٍ، يقول: هذه جَنّتي، وهذه ناري، وهذا طعامي، وهذا شرابي، واليَسَعُ عليه الصلاة والسلام معه، يُنْذِرُ الناسَ، يقول: هذا الشيخ الكذّاب فاحذروه، لعنه الله، ويُعطيه الله من السرعة والخِفّة ما لاَ يَلْحَقُه الدجّال،

(١) هو نُعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي المروزي، أبو عبدالله: أول من جمع «المسند» في الحديث، وكان من أعلم الناس بالفرائض. ولد في مرو الشاهجان، وأقام مدة في العراق والحجاز يطلب الحديث، ثم سكن مصر، ولم يزل فيها إلى أن حُمِل إلى العراق في خلافة المعتصم، وسُئِل عن القرآن: أمخلوق هو؟ فأبى أن يجيب، فَحُبِس في سامراء، ومات في سجنه. من كتبه «الفتن والملاحم». توفي سنة (٢٢٨هـ).

فإذا قال: أنا ربّ العالمين، قال له إلياسُ: كذبت، ويقول اليَسَعُ: صدق إلياسُ، فيَمُرّ بمكة، فإذا هو بخَلقٍ عظيم، فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا ميكائيلُ، بعثني الله أن أمْنَعَهُ مِنْ حَرَمِهِ.

وَيمُرّ بالمدينة، فإذا هو بخَلْقٍ عظيم، فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا جبريلُ، بعثني الله لأَمنَعَهُ مِنْ حرم رَسُولِهِ، فيمُرّ الدجّال بمكة، فإذا رأى مِيكَائِيلَ ولّى هارباً، ويصيح، فيخرج إليه من مكة منافقوها، ومن المدينة كذلك.

ويأتي النذير إلى الذين فَتَحُوا القسطنطينية، ومن تألف من المسلمين ببيت المقدس، قال: فيتناول الدجّال ذلك الرجل، فيقول: هذا الذي يزعمُ أنّي لا أقدرُ عليه، فاقْتُلوه، فيُنْشَرُ، ثمّ يقول: أنا أحْيِيهِ، قم بإذن الله، ولا يأذن اللَّهُ لِنَفْسٍ غيرها، فيقول: أَلَيْسَ قَدْ أَمتُّك، ثم أحْيَيْتُكَ، فيقول: الآن ازددتُ فيكَ يَقِيناً، بَشَّرني رسولُ الله ﷺ أنّك تقتلني، ثم أُحيا بإذن الله، فيُوضَعُ على جِلْدِهِ صَفائحُ من نُحاسٍ، فلا يَحيكُ فيه سلاحُهم، فيقول: اطرحوه في ناري، فيحوّل اللَّهُ ذلك الجَبَل على النَّذِيرِ جناناً فيَشُكُّ الناسُ فيه، ويُبادر إلى بيت المقدس، فإذا صَعِد على عَقَبَةِ أفِيقَ وقع ظلُّه على المسلمين، فيوترون قِسِيَّهم لقتاله، فأقواهم من بَرك أو جلس من الجوع والضعف، ويسمعون النداء: جاءكم الغَوْثُ، فيقولون: هذا كلامُ رجلٍ شَبْعَان.

وتُشْرق الأرض بنور ربّها، وَيَنْزِلُ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ، ويقول: يا معشر المسلمين، وحِّدُوا رَبَّكُمْ وسَبِّحُوه، فيفعلون، ويُرِيدُون الفِرارَ، فيُضَيّق اللَّهُ عليهم الأرض، فإذا أتوا بابَ لُدّ في نصف ساعةٍ، فيوافون عيسى ابنَ مريم عليه الصلاة والسلام، فإذا نَظَرَ عيسى يقول: أقم الصلاةَ، فيقول الدجّال: يا نبيَّ الله، قد أُقيمت الصلاة، فيقول: يا عدوّ الله زعمتَ أنّك ربّ العالمين، فَلِمَنْ تُصَلّي؟ فيضربه بمقرعةٍ فَيَقْتُلُهُ، فلا يَبْقَى أحدٌ من أنصاره خَلْفَ شَيءٍ إلّا نادى: يا مؤمن هذا دجّاليّ فاقْتُلْهُ، إلى أن قال: فَتَمَتَّعُوا أربعين سَنَةً لا يموتُ أَحَدٌ، ولا يمرض أحدٌ.

ويقول الرجل لغنمه، ولدوابّه: اذهبُوا فارْعَوْا، وتَمُرّ الماشيةُ بين الزرعين لا

تأكلُ منه سُنْبُلَةً، والحياتُ والعقاربُ لا تُؤذي أحداً، والسبعُ على أبواب الدُّور لا يُؤذي أحداً، ويأخذ الرجلُ المُد من القمح فيبذُره بلا حِراث، فيجيء منه سبعمائة مُدّ، فيَمْكثُون في ذلك حتى يُكْسَرَ سدُّ يَأْجُوج ومَأْجُوجَ، وَيفْسدُون، وَيسْتَغِيث الناسُ، فلا يُسْتَجابُ لهم.

وأهْلُ طور سيناءْ هُم الذين فَتحَ اللَّهُ عَلَيْهِم القُسْطَنْطِينية، فَيدْعُونَ فَيَبْعثُ اللَّهُ دابَّةً مِنَ الأَرْضِ ذاتَ قَوَائِمَ، فتدْخُل في آذانِهِمْ فيصبحون مَوْتى أجمعين، وتُنْتِنُ الأرضُ منهم، فيُؤْذُونَ الناس بنَتَنِهِمْ؛ أشَدّ من حَيَاتِهم، فيستغيثون بالله، فَيبْعثُ اللَّهُ ريحاً يمانيَّةً غَبْراء، فتصيرُ على الناس غماً ودُخاناً، وتقع عليهم الزُّكة ويكشفُ ما بهم بعد ثلاث، وقد قذفت جيفُهم في البَحْر، ولا يَلْبَثُون إلّا قَليلاً حتّى تطلُعَ الشمسُ مِنْ مغْرِبها، وجفَّت الأقلام، وطُويت الصحفُ، ولا يُقْبَلُ من أحدٍ توبةٌ، ويَخِرّ إبليسُ ساجداً يُنادي: إلهي، مُرْني أنْ أسجُد لِمَنْ شِئْتَ، ويجتمع إليه الشياطينُ تقول: يا سَيِّدنا، إلى من تَفْزَعُ؟ فيقول: إنما سألتُ رَبِّي أنْ يُنظِرني إلى يَوْمِ البَعْثِ، وقَدْ طَلَعَت الشمسُ من مَغْرِبها، وهذا الوقتُ المعلومُ، وتصير الشياطينُ ظاهرةً في الأرض، حتى يقول الرجلُ: هذا قَرِيني الذي كان يُغْوِيني، فالحمد لله الذي أخزاه، ولا يزالُ إبليس ساجداً باكياً، حتى تَخْرُج الدابّة فتَقْتله، وهو ساجد، ويتمتع المؤمنون بعد ذلك أربعين سنةً لا يتمَنَّوْنَ شيئاً إلا أُعْطُوهُ، وبرز المؤمنون حتى يتمّ أربعون سنةً بعد الدَّابَّة.

ثم يعود فيهم الموتُ ويُسرع، فلا يبقى مؤمن، ويقول الكافر: قد كنا مَرْعُوبين من المُؤْمنين، فلم يَبْقَ منهم أحد، ليس يُقْبَلُ مِنَّا تَوْبَةٌ، فيَتَهارجُونَ في الطُّرُقِ تَهارُجَ الْحُمُر حتى يَنْكِحَ الرجلُ أمَّهُ في وَسَط الطريق، يقوم واحدٌ عنها وينزل آخرُ، وأفضلُهم يقول: لو تَنَحَّيْتُم عن الطريق كان أحْسَنَ، فيكونون على ذلك، حتى لا يولد أحدٌ من نكاح، ثم يُعْقِمُ الله النِّساءَ ثلاثين سنةً، ويكونون كلُّهم أولادَ زِنا شرارَ الناس، فعليهم تقوم الساعة»[1].

---

(١) في إسناده: عبدالوهاب بن الحسن، قال أبو حاتم الرازي: أحاديثه مناكير، ولا أعرفه، (ميزان الاعتدال ٢/ ٦٧٩). ومحمد بن ثابت بن أسلم البناني؛ قال البخاري: فيه نظر، وقال ابن معين:

كذا رواه الطبراني عن عبدالله بن حاتم المراديّ، عن نُعَيم بن حَمَّاد، فذكره.

قال شيخنا الحافظ الذهبي: وهذا الحديث شِبْهُ موضوع، وأبو عمر مجهول، وعبدالوهاب كذلك، وشيخه.

٢٩٦ ـ فقال البُنَاني: أنبأني شيخنا الحافظ أبو عبدالله الذهبي إجازةً إنْ لم يكن سَمَاعاً، أخبرنا أبو الحسن اليُونينيّ، أخبرنا البهاء بن عبدالرحمٰن، حضوراً، أنبأنا عتيق بن صيلا، أنبأنا عبدالواحد بن علوان، أنا عمرو بن ذُؤَيْب، حدثنا أحمد بنُ سليمان النجَّار، حدثنا محمد بن غالب، حدثنا أبو سلمة التَّبُوذَكيّ، حدثنا حماد بن سَلَمَة، حدثنا علي بن زيد، عن الحسن، قال: قال رسول الله ﷺ: «الدجّال يتناول السحاب، ويخوض البحر إلى رُكْبَتَيْه، ويسبق الشمس إلى مغربها، وتسير معه الآكامُ طعاماً، وفي جبهته قَرْنٌ مكسور الطَّرفِ، تخرج منه الحيّات، وقد صُوِّر في جسده السلاحُ كلّه، حتى الرمح والسيف والدّرق» قلت للحسن: يا أبا سعيد ما الدرّق؟ قال: الترس، ثم قال شيخنا: هذا من مراسيل الحسن، وهي ضعيفة[1].

٢٩٧ ـ وقال ابن مَنْدَه في كتاب «الإيمان»: حدثنا محمد بن الحسن المديني، حدثنا أحمد بن مهديّ، حدثنا سعيد بن سليمان سَعْدَوَيْه، حدثنا خَلَف بن خَليفة، عن أبي مالك الأشجعيّ، عن رِبْعيّ، عن حُذَيفة، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أعلمُ بما مع الدجَّال منه، معه نهران، أحدهما نار تأجّج في عين من يراه، والآخر ماء أبيض، فمن أدركه منكم فليُغْمِضْ عينيه، ويَشْرب مِن الذي يراه ناراً؛ فإنه ماء بارد، وإياكم والآخر فإنه فِتْنَة، واعلموا أنه مكتوب بين عَيْنَيه كافر، يقرؤه من كتب ومن لم يكتب، وأن إحدى عينيه ممسوحة، عليها ظَفَرَةٌ، وأنه يطلع من آخر أمره على بطن الأُرْدُن على ثَنِيَّة فيق، وكلّ أحد يؤمن بالله

«ليس بشيء، وقال النسائي: ضعيف. (ميزان الاعتدال ٣/٤٩٥).

«فلا يحيك فيه سلاحهم»: أي لا يقطع ولا يؤثر.

«الزُّكَّة»: الغم والغيظ.

«فيتهارجون»: أي يتسافدون.

(١) في إسناده: الحسن البصري، وهو كثير التدليس. (ميزان الاعتدال ١/٥٢٧).

واليوم الآخر بِبَطن الأُرْدُنّ، وأنه يقتُلُ من المسلمين ثُلُثاً، ويَهْزم ثلثاً، ويبقى ثلث، فيحجز بينهم الليل، فيقول بعض المؤمنين لبعض: ما تنتظرون أن تلحقوا إخوانكم في رِحَاب ربّكم؟ من كان عنده فضل طعام فليعُدْ به على أخيه، وصَلُّوا حتى يَنْفَجِر الفجرُ، وعَجِّلُوا صَلاتكم، ثم أقبلوا على عَدّوكم.

قال: فلما قاموا يُصَلون، نزل عيسى، وإمامهُم يُصَلي؛ فلما انصرف قال: هكذا فرِّجوا بيني وبين عدو الله، قال: ويذوب كما يذوبُ المِلْحُ، فيُسلّط اللّهُ عليهم المسلمين، فيقتلونهم، حتى إنّ الحجرَ والشجرَ ليُنادي: يا عبدالله، يا مسلم، هذا يهوديّ فاقتله، ويظهر المسلمون فيَكْسِرُ الصليبَ، ويَقْتُل الخِنْزير، ويضعُ الجزْية.

فبينما هم كذلك إذا أخرج الله يأجُوجَ ومأجُوجَ، فيشرب أولهم البُحَيرة، ويجيء آخرُهم وقد انكشفوا فما يَدَعُون فيها قَطْرَةً، فيقولون: كان هاهنا أثرُ ماءٍ مَرّة، ونبيُّ الله وأصحابه وراءهم، حتى يدخلوا مدينة مِن مَدائنِ فلسطين، يقال لها باب لُدّ، فيقولون: ظَهَرْنا على مَن في الأرض، فتعالوا نُقاتل مَن في السماء، فيدعو اللّهَ نبيُّه عند ذلك، فيبعثُ الله عليهم قَرحَةً في حُلُوقهم، فلا يبقى منهم بَشَرٌ، ويؤذي رِيحهُم المسلمين، فيدعو عيسى عليهم، فيُرسل الله ريحاً تقذفهم في البحر أجمعين»[1].

قال شيخنا الحافظ أبو عبدالله الذهبيّ: هذا إسناد صالح، قلت: وفيه سياقٌ غريب وأشياء مُنكرة، والله أعلم.

* * *

(١) رواه ابن منده في الإيمان رقم (١٠٣٣).

ذكر نزول عيسى ابن مريم

من السماء الدنيا إلى الأرض في آخر الزمان

قال تعالى: ﴿وقَوْلِهِمْ إنّا قَتَلْنا المسيح عِيْسَى ابن مَرْيم رَسُولَ الله وما قَتَلوه وما صَلَبُوه ولَكِنْ شُبِّهَ لهم وإنّ الّذينَ اخْتَلَفوا فيه لفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ به مِن عِلْم إلا اتِّباعَ الظَّنِّ وما قَتَلوه يَقِيناً * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إليه وكَانَ الله عزيزاً حَكِيماً * وإنَّ من أهْلِ الكِتَابِ إلاّ لَيُؤْمِنَنَّ به قَبْلَ مَوْتِهِ ويَوْمَ القِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِم شَهيداً﴾ [النساء: ١٥٧ ـ ١٥٩].

قال ابن جرير في تفسيره: حدّثنا ابن بشار، حدّثنا عبدالرحمن، حدّثنا سُفيان، عن أبي حُصَين، عن سعيد بن جُبَيْر(١)، عن ابن عبّاس: ﴿وإن مِنْ أَهْلِ الكتاب إلاّ لَيُؤمِنَنَّ به قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ قال: قبل موت عيسى ابن مريم(٢)، وهذا إسناد صحيح. وكذا روى العَوفي، عن ابن عبّاس.

وقال أبو مالك: ﴿وإن من أهل الكتاب إلاّ لَيُؤْمِنَنَّ به﴾ ذلك عند نزول عيسى ابن مريم، لا يبقى أحدٌ من أهل الكتاب إلا آمن به(٣).

وقال الحسن البصريّ: ﴿وإن من أهل الكتاب إلاّ لَيُؤْمِنَنَّ به قبل موته﴾ قال: قبل موت عيسى ابن مريم، والله إنّه الآن حيّ عند الله، ولكن إذا نزل آمنوا به، أجمعون(٤). ورواه ابن جَرير.

وروى ابن أبي حاتم عنه: أن رجلاً سأل الحسن عن قوله تعالى: ﴿وإن مِنْ أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾ فقال: قبل موت عيسى، وإنّ الله تعالى رفع

(١) في المطبوع: عن أبي سعيد عن جبير.
(٢) تفسير ابن جرير (٦/١٨).
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.

إليه عيسى، وهو باعثهُ قبل يوم القيامة، مقاماً، يؤمن به البَرُّ والفاجر(١).

وهكذا قال قتادة بن دِعامَة، وعبدالرحمٰن بن زيد بن أسلم، وغير واحد. وهو ثابت في الصحيحين عن أبي هريرة، كما سيأتي موقوفاً، وفي رواية مرفوعاً(٢) والله أعلم.

وهذا هو المقصود من السيّاق الإخباريّ بحياته الآن في السماء، وليس كما يزعمُه أهلُ الكتاب الجهلة أنهم صَلَبُوه، بل رفعه الله إليه، ثم يَنْزل من السماء قبل يوم القيامة، كما دلّت عليه الأحاديثُ المتواترة ممّا تَبيّن في أحاديث الدجّال، ومما سيأتي أيضاً، والله المستعان، وعليه التُّكْلان، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم، الذي لا إله إلا هو ربّ العرش الكريم.

وقد رُوي عن ابن عباس، وغيره، أنه أعاد الضمير في قوله: ﴿قبل موته﴾ على الكتاب، وذلك لو صحّ لما كان مُنافِياً لهذا، ولكن الصحيح في المعنى والإسناد ما ذكرناه، وقد قررناه في كتابنا التفسير بما فيه كفاية، ولله الحمد والمنة.

* * *

ذكر الأحاديث الواردة في ذلك غير ما تقدم

٢٩٨ ـ قال مسلم: حدثنا عُبَيْدُ الله بن مُعاذ العَنْبريّ، حدثنا أبي، حدّثنا شُعْبَةُ، عن النعمان بن سالم، سمعتُ يعقوب بن عاصم بن عُرْوَة بن مسعود الثقفي يقول: سمعت عبدالله بن عمرو، وجاء رجلٌ فقال: ما هذا الحديث الذي تُحدِّث به؟ تقول: إنّ الساعة تقوم إلى كذا وكذا؟ فقال: سبحان الله! أو لا إله إلاّ الله، أو كلمة نحوهما، لقد هَمَمتُ أن لا أحَدِّثَ أحداً شيئاً أبداً، إنما قلت: إنّكم سَتَرَوْن بَعْدَ قليل أمراً عَظِيماً، يُحَرَّقُ البَيْتُ، ويكون ويكون، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرُج الدجّال في أمتي، فيمكثُ أربعين ـ لا أدري أربعين يوماً، أو أربعين شهراً، أو أربعين عاماً ـ فيَبْعثُ الله تعالى عيسى ابن مريم كأنّه عُرْوَة بنُ مَسْعُود، فيَطلبه

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/٧٣٥).
(٢) في المطبوع: معروفاً.

فيُهْلِكُه، ثم يمكث الناسُ سبعَ سنين، ليس بين اثنين عَداوة، ثم يُرسل الله ريحاً باردة من قِبَل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحدٌ في قلبه مثقالُ ذرّة من خير، أو إيمان إلا قَبضته، حتى لو أنّ أحدكم دَخَل في كَبِد جبل لدخلته عليه، حتى تَقبضهُ» قال: سَمِعْتُها من رسول الله ﷺ، قال: «فيبقى شرار الناس في خفة الطير، وأحلام السِّباع لا يعرفون معروفاً، ولا يُنكِرُونَ منكراً، فيتمثّل لَهُمُ الشيطانُ فيقول: ألا تَستجيبُون؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان، وهم في ذلك دارٌّ رِزْقُهم حَسَنٌ عَيْشُهُم. ثم يُنْفَخُ في الصور، فلا يسمعه أحد إلا أصغَى ليتاً ورفَع ليتاً، قال: وأول من يسمعه رجلٌ يلوط حَوْض إبله، قال: فيُصْعَقُ، ويصعق الناس، ثُمّ يُرسل الله، أو قال يُنزل الله مَطراً، كأنه الطَّلُّ أو الظِّلّ، (نعمان الشاكّ)، فتَنْبت منه أجساد الناس، ثم يُنْفَخُ فيه أُخْرَى، فإذا هُمْ قيام يَنْظُرون، ثم يقال: يا أيّها الناس، هَلُمّوا إلى ربكم، وقفوهم إنهم مسؤولون، ثم يقال: أخرجوا بعث النار، فيقال: مِنْ كم؟ فيقال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، قال: وذلك يوم يجعل الولدان شيباً ويوم يكشُفُ عن ساق»(1).

٢٩٩ ـ وقال الإمام أحمد: حدثنا سُرَيجٌ، حدّثنا فُلَيْحٌ، عن الحارث بن فُضَيْل، عن زياد بن سعد، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل ابنُ مريم إماماً عادلاً، وحكماً مُقْسِطاً، فيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، ويقْتُل الخنزيرَ، ويرجع السِّلْمُ، وتُتّخذ السيوف مَناجل، ويَذْهَبُ حُمَةُ كلِّ ذات حمة، وتُنْزل السماءُ رزقها، وتُخرِجُ الأرضُ بركتها، حتّى يَلْعَبَ الصبيُّ بالثُّعبان ولا يضرّه، ويُراعي الغَنَمَ الذِّئْبُ فلا يَضُرُّها، ويراعي الأسدُ البقرَ فلا يَضُرّها»(2). تفرد به أحمد، وإسناده جيّد قويّ صالح.

---

(1) رواه مسلم (٢٩٤٠) في الفتن وأشراط الساعة، باب: في خروج الدجال ومكثه في الأرض.
«في كبدجبل»: أي وسطه وداخله.
«في خفة الطير وأحلام السباع»: معناه: يكونون في سرعتهم إلى الشرور وقضاء الشهوات والفساد؛ كطيران الطير، وفي العدوان وظلم بعضهم بعضاً؛ في أخلاق السباع العادية.
«أصغى ليتاً ورفع ليتاً»: أصغى: أمال، والليت: صفحة العنق، وهي جانبه.
«يلوط»: يطيّن ويصلح.
(2) رواه أحمد (٢/ ٤٨٢ ـ ٤٨٣).
«حمة»: الحُمَةُ: سُمُّ الحيّات والعقارب وما أشبهها من ذوات السموم.

٣٠٠ ـ وقال البخاريّ: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا أبي، عن صالح، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيّب، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لَيُوشِكَنَّ أن ينزل فيكم ابنُ مَرْيم حَكَماً عَدْلاً، فَيَكْسِرَ الصليبَ، وَيَقْتُلَ الخنزيرَ، ويَضَعَ الجزيةَ، ويَفِيضَ المالُ حتّى لا يَقْبله أحَدٌ، حتى تكون السجدةُ خيراً من الدنيا وما فيها» ثم يقول أبو هريرة: واقرؤوا إنْ شئتم: ﴿وإن مِنْ أهْلِ الكِتَابِ إلّا لَيُؤْمِنَنَّ به قبل مَوْتِهِ ويَوْمَ القِيَامَةِ يكونُ عَلَيْهِم شهيداً﴾ [النساء: ١٥٩](1).

وكذا رواه مسلم عن حسن الحُلْوانيّ، وعبد بن حُمَيْد، كلاهما عن يعقوب بن إبراهيم به، وأخرجاه أيضاً من حديث سُفيان بن عُيَيْنَة، والليث بن سعد، عن الزهريّ، به.

٣٠١ ـ وروى أبو بكر بن مَرْدُوَيْه، عن طريق محمد بن أبي حَفْصة، عن الزهريّ، عن سعيد بن المسيّب، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُوشك أن يكون فيكم ابن مَرْيم حَكَماً عَدْلاً، يَقْتُلُ الدجّال، وَيَقْتُلُ الخنزير، ويكْسِرُ الصليب، ويَضَعُ الْجِزْيَة، ويَفِيضُ المالُ، وتكون السجدة واحدةً لله ربّ العالمين» قال أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم: ﴿وإن مِنْ أهْلِ الكِتَابِ إلّا ليؤمِنَنَّ به قَبلَ مَوْته﴾ مَوْت عيسى ابن مريم، يُعيدُها أبو هُرَيرة ثلاثَ مرّات(2).

٣٠٢ ـ وقال الإمامُ أحمد: حدثنا يزيدُ، حدثنا سُفيان، وهو ابن حسين، عن الزهريّ، عن حَنْظَلَة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «يَنْزِلُ عيسى ابن مريم؛ فَيَقْتُلُ الخنزير، ويمحو الصليب، وتُجَمّع له الصلاة، ويُعْطِي المَال حتى لا يُقْبَل، ويضعُ الخراج، وينزل الرَّوْحاء؛ فَيحجّ منها أو يَعتَمِر، أو يَجْمَعُهما» قال: وتلا أبو هريرة: ﴿وإن مِنْ أهلِ الكِتاب إلّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوتِهِ ويوم القِيامَة يكُونُ عَليهِم شَهيداً﴾ فزعم حنظلةُ أن أبا هريرة قال: يؤمن به قَبْل موت عيسى، فلا

---

(1) رواه البخاري (٣٤٤٨) في أحاديث الأنبياء، باب: نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام، ومسلم (١٥٥) في الإيمان، باب: نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ.
(2) رواه ابن مردويه كما في (الدر المنثور ٢/ ٧٣٥).

أدري؟ هذا كلّه حديثُ النبيّ ﷺ، أو شيءٌ قاله أبو هريرة؟[1].

٣٠٣ ـ وروى أحمد ومسلم، من حديث الزهريّ، عن حنظلة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيُهِلَّنَّ عيسى ابن مريم؛ من فَجِّ الرَّوْحَاءِ بالحجّ والعُمْرة، أو لَيُثَنِّيَنَّهما جميعاً»[2].

٣٠٤ ـ وقال البخاريّ: حدثنا ابن بُكَيْر، حدثنا الليث، عن يونس، عن ابن شهاب، عن نافع مولى أبي قتادة الأنصاريّ؛ أن أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مَريم وإمامكم منكم؟»[3] ثم قال البخاريّ: تَابَعَهُ عَقِيلٌ والأوزاعي.

وقد رواه الإمام أحمدُ عن عبدالرزّاق، عن معمر، وعن عثمان بن عمر، عن ابن أبي ذئب، كلاهما عن الزهريّ[4].

٣٠٥ ـ وقال الإمام أحمد: حدثنا عفّان، حدثنا همام، أنبأنا قتادة، عن عبدالرحمٰن، وهو ابن آدم ومولى أمّ بُرْثُن صاحب السّقَاية، عن أبي هُريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «الأنبياء إخْوةٌ لعَلَّاتٍ أمّهاتُهمْ شَتَّى، ودينُهُم واحدٌ، وإنّي أولى الناس بعيسى ابن مريم، لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنّه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، رجل مَرْبُوْعٌ إلى الْحُمرَة والبَياض، عليه ثوبان مُمَصّران، كأنّ رأسه يَقْطُر وإنْ لم يُصِبْهُ بَلَل، فيَدُقّ الصليبَ، ويقتلُ الخنْزِيرَ، ويَضَعُ الْجِزيَةَ، ويدعو الناسَ إلى الإسلام، ويُهْلِكُ اللّهُ في زَمانِه الدجّال، ثم تَقَعُ الأَمَنَةُ على الأرض؛ حتّى ترتع الأسُودُ مع الإبل، والنِّمارُ مع البقر، والذئابُ مع الغنَم، ويَلْعَبَ الصِّبيان بالحيَّات، لا تضرُّهم، فيَمكُث أربعينَ سَنَةً، ثم يُتوفَّى، ويُصَلِّي عليه

(١) رواه أحمد (٢/ ٢٩٠).
«الروحاء»: هو بين مكة والمدينة.
(٢) رواه أحمد (٢/ ٥١٣)، ومسلم (١٢٥٢) في الحج، باب: إهلال النبي ﷺ وهديه.
«أو ليثنيهما»: معناه يقرن بينهما.
(٣) رواه البخاري (٣٤٤٩) في أحاديث الأنبياء، باب: نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام.
(٤) رواه أحمد (٢/ ٢٧٢ و٣٣٦).

المسلمون»[1]. وهكذا رواه أبو داود عن هُدْبَة بن خالد، عن همام بن يَحْيى، عن قتادة، به.

ورواه ابن جرير، ولم يورد عند تفسيرها غيرَه، عن بشر بن مُعاذ، عن [يزيد، عن] سعيد بن أبي عَرُوبة، عن قتادة، بنحوه، وهذا إسناد جيّد، قويّ[2].

٣٠٦ ـ وروى البخاريّ عن أبي اليمان، عن شُعَيب، عن الزهريّ، عن أبي سَلَمة، عن أبي هُريرة: سمعتُ رسولَ الله ﷺ، يقول: «أنا أوْلَى الناس بابن مَرْيم، والأنبياءُ أولاد عَلّات، ليس بيني وبينه نبي»[3].

٣٠٧ ـ ثم روى عن محمد بن سِنان، عن فُلَيْح بن سليمان، عن هلال بن عليّ، عن عبدالرحمٰن بن أبي عَمْرة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخْوَةٌ لعَلّاتٍ أمّهاتُهم شَتَّى ودينهم واحد»[4]، ثم قال: قال إبراهيم بن طَهمان، عن موسى بن عُقْبَة، عن صفوان بن سُلَيْم، عن عطاء بن يَسارٍ، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ. فهذه طُرق متعدّدة كالمتواترَة، عن أبي هريرة، رضي الله عنه.

٣٠٨ ـ وقال الإمام أحمد: حدّثنا هُشَيْم، عن العوّام بن حَوشَب، عن جَبَلَة بن سُحيم، عن مُؤْثِر بن عَفَازة، عن ابن مسعود، عن رسول الله ﷺ قال: «لقيتُ ليلة أُسرِي بي إبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام قال: فتذاكروا أمر الساعة، فردُّوا أمرهم إلى إبراهيم، فقال: لا عِلْمَ لي بها، فردُّوا أمرهم إلى موسى، فقال: لا علم لي بها، فردّوا أمرهم إلى عيسى، فقال: أما وَجْبَتُها، فلا يعلم بها أحدٌ إلّا الله، وفيما عَهِدَ إليّ رَبّي عزَّ وَجَلَّ: أنّ الدجّال خارج، ومعي

(١) رواه أحمد (٢/ ٤٠٦)، وأبو داود (٤٣٢٤) في الملاحم، باب: خروج الدجال.
«إخوة لعلات»: المعنى أنهم لأمهات مختلفة ودينهم واحد. يُقال: هما ابنا عَلَّة إذا كانا من أمَّيْن والأبُ واحد.
«ثوبان ممصّران»: الممصّر من الثياب: الملوّن بالصفرة وليست صفرتُه بالمشبعة.
(٢) رواه ابن جرير في تفسيره (٦/ ٢٢)، وما بين حاصرتين مستدرك منه.
(٣) رواه البخاري (٣٤٤٢) في أحاديث الأنبياء، باب: قول الله ﴿واذكر في الكتاب مريم﴾.
(٤) رواه البخاري (٣٤٤٣).

قضيبان، فإذا رآني ذابَ كما يذوبُ الرَّصاصُ قال: فيُهلكه اللَّهُ إذا رآني، حتى إن الشجر والحجر ليقول: يا مُسلم، إنّ تَحْتي كافِراً، فتعالَ فاقْتُلْه، قال: فيُهْلكهم الله، ثم يَرْجع النّاس إلى بلادهم وأوطانهم، فعند ذلك يخرج يأجُوجُ ومأْجُوجُ مِنْ كُلّ حَدَب يَنْسِلُونَ، فيَطؤونَ بلادهم، لا يأتون على شيء إلا أكلوه، ولا يَمُرُّون على ماء إلّا شَرِبُوه، قال: ثُمّ يَرْجِع الناسُ إليّ فيشكونهم، فأدعو اللَّهَ عليهم، فيُهلكهم ويميتُهُمْ حتى تَجْوَى الأرض من نَتَنِ ريحهم، وينزل الله المطر، فيجرُف أجسادهم حتى يَقذِفُهُمْ في البحر، ففيما عَهِدَ إليّ ربّي عزّ وجل أن ذلك إذا كان كذلك فإنّ الساعة كالحامل المُتِمّ التي لا يدري أهلها متى تفجؤهم بولادِها ليلاً أو نهاراً»[1].

ورواه ابن ماجه عن محمد بن بشّار، عن يزيد بن هارون، عن العوّام بن حَوْشَب، به، نحوه.

* * *

(١) رواه أحمد (١/٣٧٥)، وابن ماجه (٤٠٨١) في الفتن، باب: فتنة الدجال.
«وجبتها»: الوجبة: السقطة. وتُطلق على وقوع الشيء بغتة.
«تجوى الأرض»: أي تنتن.

ذكر المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ﷺ

٣٠٩ ـ ثبت في الصحيحين من حديث الزهري، عن سعيد، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ليلَةَ أُسْرِيَ بي لقيتُ موسى» قال: فنعَتَه فإذا رجل حَسِبْتُه قال: «مضطربٌ ـ أي طويل ـ رَجِلُ الرأس، كأنّه من رجال شَنُوءة» قال: «ولقيتُ عيسى» فنعته النبي ﷺ فقال: «رَبْعَة، أحمَرُ، كأنما خرج من ديماس» يعني الحمّام[1].

٣١٠ ـ وللبخاري من حديث مُجاهد عن ابن عمر[2]، قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت عيسى وموسى وإبراهيم، فأمّا عيسى فأحْمَرُ جَعْدٌ عَريضُ الصدر، وأما موسى فآدمُ جَسيمٌ سَبْطٌ، كأنه من رجال الزُّطِّ»[3].

٣١١ ـ ولهما من طريق موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر، قال: ذكر رسول الله ﷺ يوماً بين ظَهْرَانَي النّاس المسيح الدجّال، فقال: «إنّ الله ليس بأعور، ألا إنّ المسيح الدجّال أعورُ العَيْنِ اليُمْنى، كأن عَيْنَه عِنَبَة طافية، وأراني الليلة عند الكعبة في المنام، وإذا رجلٌ آدم كأحسن ما يرى من أُدْم الرِّجال، تضرب لِمَّتُه بين مَنْكِبَيْه، رَجِل الشَّعْرِ، يَقطُر رَأسه ماءً، واضعاً يديه على مَنْكِبي رَجُلَيْنِ، وهو يطوف بالبيت. فقلت: من هذا؟ قالوا: هو المسيح ابن مريم، ثم رأيت رجلاً

(١) رواه البخاري (٣٣٩٤) في أحاديث الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿وهل أتاك حديث موسى﴾، ومسلم (١٦٨) في الإيمان، باب: الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات.
«رَجِل الرأس»: مُسرَّح الشعر.
«ربعة»: أي بين الطويل والقصير.

(٢) الصواب: عن ابن عباس. انظر: (فتح الباري ٦/٤٨٤ ـ ٤٨٥).

(٣) رواه البخاري (٣٤٣٨) في أحاديث الأنبياء، باب: قول الله ﴿واذكر في الكتاب مريم﴾.
«سبط»: أي ليس بجعد، وهذا نعت لشعر رأسه.
«الزط»: جنس من السودان.

وراءه، جعداً قططاً أعورَ العَيْنِ اليمنى، كأشبه مَنْ رأيتُ بابن قَطنٍ، واضعاً يَدَيْه على مَنكِبَيْ رجلٍ، يطوف بالبيت، فقلت: من هذا؟ فقالوا: المسيحُ الدجّال»[1].

تابعه عُبَيْدالله، عن نافع.

٣١٢ ـ ثم روى البخاريّ، عن أحمد بن محمد المكيّ، عن إبراهيم بن سعد، عن الزّهريّ، عن سالم، عن أبيه، قال: لا والله، ما قال رسول الله ﷺ لعيسى: أحمر، ولكن قال: «بينما أنا نائمٌ أطوف الكعبة، فإذا رجُلٌ آدَمُ سَبْطُ الشعر، يُهادَى بَيْن رَجُلَيْنِ، يَنْطِفُ رأسُه ماءً، أو يهراقُ رَأسُه ماءً، فقلت: من هذا؟ قالوا: ابنُ مَرْيَم، فذهبتُ ألتفِتُ، فإذا رجلٌ أحْمَرُ، جسيمٌ، جَعْدُ الرأس، أعْوَرُ عَيْنِه اليُمنى، كأن عينه عِنَبَةٌ طَافية قلت: من هذا؟ قالوا: هذا الدجال، وأقرب الناس به شبهاً ابنُ قَطنٍ» قال الزهريّ: رجلٌ من خُزاعة هَلَكَ في الجاهلية[2].

٣١٣ ـ وتقدّم في حديث النوّاس بن سَمْعان: «فَيَنْزِلُ عند المنارة البَيْضاء، شَرقيَّ دِمشْقَ، بين مَهْرُودَتين، واضعاً كفّيه على أجنحة ملكَيْن. إذا طَأطَأ رأسَهُ قَطَرَ، وإذا رفعَه تحدّر منه مثل جُمَان اللؤلؤ، ولا يحلّ لكافرٍ يجدُ رِيح نَفَسِهِ إلّا مات، ونَفَسُهُ ينتهي حيث ينتهي طَرَفُهُ»[3].

هذا هو الأشهر في موضع نزوله، أنه على المنارة البيضاء الشرقيّة بدمشق، وقد رأيتُ في بعض الكتب أنه ينزلُ على المنارة البيضاء شرقيّ جامع دمشق، فلعل هذا هو المحفوظ، وتكون الرواية فينزل على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق،

---

(١) رواه البخاري (٣٤٣٩ و٣٤٤٠) في أحاديث الأنبياء، باب: قول الله: ﴿واذكر في الكتاب مريم﴾ ومسلم (١٦٩) في الإيمان، باب: ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال.
«آدم»: أسمر.
«لمته»: اللمة: الشعر المتدلي الذي جاوز شحمة الأذنين.
«قططاً»: شديد الجعودة.

(٢) رواه البخاري (٣٤٤١) في أحاديث الأنبياء، باب: قول الله: ﴿واذكر في الكتاب مريم﴾.
«يهادي»: أي يمشي متمايلاً بينهما.
«ينطف»: يقطر.

(٣) سبق تخريجه برقم (٢٨٠)، وأوله: ذكر رسولُ الله الدجالَ، الغداة، فخفض فيه ورفع، حتى ظنّنا أنه في طائفة النَّخْل، فلما رُحْنا إلى رسول الله ﷺ عرف ذلك فينا، فقال: «ما شأنكم؟».

فتصرّف الراوي في التفسير، بحسب ما فهم، وليس بدمشق منارة تُعرف بالشرقيّة سوى التي إلى جانب الجامع الأموي بدِمَشْقَ مِن شَرقيّه، وهذا هو الأنسبُ والأليق؛ لأنه ينْزِلُ وقد أقيمت الصلاةُ، فيقول له إمامُ المسلمين: يا رُوحَ الله تقدّمْ، فيقول: تقدّمْ أنت، فإنّه أقيمت لَكَ، وفي روايةٍ: بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ أمراءُ تَكرِمَةَ اللّهِ هذه الأمة.

وقد جدّدنا منارةً في زماننا في سنه إحدى وأربعين وسبعمائة، من حجارةٍ بيض، وكان بناؤها من أموال النصارى الذين حَرَقُوا المنارةَ التي كانت مَكانَها، ولعلّ هذا يكونُ من دلائل النبوّة الظاهرة، حيث قَيّضَ اللّهُ بناءَ هذه المنارة من أموال النصارى؛ ليَنْزِلَ عيسى ابنُ مَرْيَم عليها، فيقتل الخنزيرَ، ويَكْسِر الصليبَ، ولا يَقْبَلُ مِنْهُم جِزْيَة، ولكن من أسلم وإلّا قُتِلَ، وكذلك حكم سائر كفّار أهل الأرض يَوْمَئِذٍ، وهذا من باب الإخبار عن المسيح بذلك؛ والتشريعُ له ذلك، فإنّه إنّما يَحْكُمُ بمُقْتَضَى هذهِ الشَّرِيعَة المُطَهَّرة.

وقد ورد في بعض الأحاديث كما تقدّم أنه يَنْزِلُ بِبَيتِ المَقْدِس، وفي روايةٍ: بالأُرْدُنّ، وفي رواية: بِمُعَسْكر المُسلمين، وهذا في بعض الروايات مُسلّم كما تقدّم، فالله أعلم.

٣١٤ ـ وتقدم في حديث عبدالرحمٰن بن آدم، عن أبي هريرة: «وأنه نازلٌ، فإذا رأيتموه فاعرفوه، رجلٌ مَرْبُوعٌ، إلى الحُمْرةِ والبياض، عليه ثوبان مُمَصَّران، كأنّ رأسه يَقْطُر، وإنْ لم يُصِبْهُ بَلَلٌ، فيدقُّ الصليبَ، ويَقْتُلُ الخِنْزِيرَ، ويضعُ الجِزْيَةَ، ويَدْعُو الناسَ إلى الإسلام، ويُهلِكُ اللّهُ تعالَى في زمانه المِلَلَ إلّا الإسْلامَ، ويُهْلِكُ اللّهُ في زمانه المسيحَ الدجّال، ثم تَقَعُ الأَمَنَةُ على الأرض، حتّى تَرتَعَ الأسودُ مع الإبل، والنِّمار مع البَقر، والذِّئابُ مع الغَنَم، ويَلْعَبُ الصِّبْيانُ بالحَيّاتِ، لَا تَضُرّهم، فَيَمْكُثُ أربعينَ سَنَةً ثم يُتوفّى، ويُصلِّي عليه المُسلِمُونَ»[1].

رواه أحمد، وأبو داود.

---

(١) سبق تخريجه برقم (٣٠٥).

وهكذا وقع في هذا الحديث أنه يمْكثُ في الأرض أربعين سنةً، وثبت في صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو أنه يمكث في الأرض سَبْعَ سنين، فهذا مع هذا مُشْكِلٌ، اللهمّ إلا أن تُحملَ هذه السَّبْعُ على مُدَّةِ إقامته بعد نزوله، ويكون ذلك مُضافاً إلى مُكْثِه فيها؛ قبل رَفْعِه إلى السماء، وكان عمره إذ ذاك ثلاثاً وثلاثين سَنَةً على المشهور، فالله أعلم.

وقد ثبت في الصحيح أن يأجوجَ ومأجوجَ، يخرجون في زمانه، ويُهلكهم الله ببركة دُعائِه في ليْلةٍ واحدةٍ كما تقدّم، وكما سيأتي، وثبت أنه يَحُجّ في مُدّة إقامته في الأرض، بعد نزوله.

٣١٤/م ـ وقال محمد بن كعب القُرظيّ: في الكتب المُنزلةِ أنّ أصحاب الكهف يكونون في حَوارِيِّيه، وأنهم يَحُجّون معه، ذكره القرطبيّ في الملاحم، من آخر كتابه «التذكرة في أحوال الآخرة»[1]، وتكُون وفاته بالمدينة النبوية؛ فيُصلّى عليه هنالك، ويُدفن بالحُجْرة النبوية.

وقد ذكر ذلك الحافظُ أبو القاسم بنُ عساكر.

٣١٥ ـ ورواه أبو عيسى الترمذيّ في جامعه، عن عبدالله بن سَلاَم، فقال في كتاب المناقب: حدثنا زيد بن أخزم الطائيّ البصريّ، حدّثنا أبو قُتَيْبَة سَلْمُ بنُ قُتَيْبَةَ، حدّثنا أبو مودود المدنيّ، حدّثنا عُثْمانُ بن الضحّاك، عن محمد بن يوسف بن عبدالله بن سلام، عن أبيه، عن جدّه، قال: مكتوب في التوراة صفةُ محمد وعيسى ابن مريم يُدفن معه، قال: فقال أبو مودود: وقد بقي في البيت موضع قبر[2] هذا حديث حسن غريب، هكذا قال: عثمان بن الضحاك، والمعروف: الضحّاك بن عثمان المدني. انتهى ما ذكره الترمذي رحمه الله.

٣١٦ ـ وروى الطبراني من حديث عبدالله بن نافع، عن عثمان بن الضحاك، عن محمد بن يوسف بن عبدالله بن سلام، عن أبيه، عن جده، قال: يُدْفَنُ عيسى

---

(١) التذكرة (٣/٣٢٤).

(٢) رواه الترمذي (٣٦١٧) في المناقب، باب: في فضل النبي ﷺ.

ابنُ مريم مَع رسولِ الله ﷺ، وأبي بكر، وعمر، فيكون قبره رابعاً[1].

٣١٧ ـ وقال أبو داود الطيالسيُّ عن عليّ بن مَسْعَدة بن رِيَاحٍ بن عبيدة، حدثني يوسف بنُ عبدالله بن سلاَم عن أبيه، قال: يمكثُ الناس بعد الدجّال يَعْمُرون الأسواقَ، ويَغْرِسُونَ النَّخْلَ[2].

* * *

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٠٦/٨): رواه الطبراني، وفيه عثمان بن الضحاك، وثّقه ابنُ حبان، وضعّفه أبو داود. وقد ذكر المزي ـ رحمه الله ـ هذا في ترجمته، وعزاه إلى الترمذي وقال: حسن، ولم أجده في الأطراف، والله أعلم.

(٢) في إسناده: علي بن مسعدة، قال البخاري: فيه نظر، وقال ابن عدي: أحاديثه غير محفوظة، وقال أبو حاتم: لا بأس به، وقال النسائي: ليس بالقوي. (ميزان الاعتدال ١٥٦/٣ والمجروحين ١١١/٢).

ذكر خروج يأجوج ومأجوج، وذلك في أيام عيسى ابن مريم؛

بعد قتلهم الدجال، فيهلكهم الله أجمعين في ليلةٍ واحدةٍ ببركة دعائه عليهم

قال الله تعالى: ﴿حتّى إذا فُتِحَت يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ * واقْتَرَبَ الْوَعْدُ الحَقُّ فإذا هيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يا وَيْلَنا قد كُنَّا في غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٦ ـ ٩٧][1].

وقال تعالى في قصّة ذي القَرْنَين: ﴿ثُمّ أَتْبَعَ سَبَباً * حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْماً لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً * قَالُوا يَا ذَا القَرْنَين إنّ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ في الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وبَيْنَهُمْ سَدّاً * قال مَا مَكَّنّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فأعِينُونِي بِقُوَّةٍ أجعَلْ بَيْنَكُمْ وبَيْنَهُمْ رَدْماً * آتُونِي زُبَرَ الحَدِيدِ حتَّى إذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إذا جَعَلَه نَاراً قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عليه قِطْراً * فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوه وما اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً * قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فإذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقاً * وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً * وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرضاً﴾ [الكهف: ٩٢ ـ ١٠٠][2].

---

(١) «حدب»: مرتفع من الأرض.

(٢) «السدين»: جبلين مُنِيفَيْن.

«خَرْجاً»: جُعْلاً من المال تستعين به في البناء.

«سدّاً»: حاجزاً فلا يصلُون إلينا.

«رَدْماً»: حاجزاً حصيناً متيناً.

«زبر الحديد»: قِطَعه العظيمة الضخمة.

«الصدفين»: جانبي الجبلين.

«قِطْراً»: نُحاساً مُذاباً.

قد ذكرنا في التفسير، وفي قصة ذي القرنين خبر بنائه للسدّ من حَدِيد ونُحاس بَيْن جبلين، فصار رَدْماً واحداً، وقال: ﴿هذا رحمةٌ من رَبِّي﴾ يَحْجِزُ به بين هؤلاء القوم المفسدين في الأرض وبين الناس، ﴿فإذا جاء وعدُ رَبّي جعله دَكّاء﴾ أي الوقت الذي قَدَّر انْهدامَه فيه ﴿جعله دكّاء﴾ أي مساوياً للأرض، ﴿وكان وعدُ ربِّي حَقّاً﴾ أي هذا لا بدّ من كونه، ﴿وتركنا بعضهم يومئذٍ يَمُوجُ في بَعْض﴾ يعني بانْهدَامه، يخرجون على الناس فيموجون فيهم، ويَنْسِلُون أي يُسرعون المَشْيَ من كُلِّ حَدَب، ثم يكون النفخ في الصُّور للفَزع قريباً من ذلك، كما قال في الآية الأخرى: ﴿حتّى إذَا فتحَتْ يأجُوجُ ومأْجُوجُ وهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ * واقْتربَ الوَعْدُ الحَقُّ فإذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصارُ الَّذِين كفروا﴾ [الأنبياء: ٩٦ ـ ٩٧] الآية.

وقد ذكرنا في الأحاديث الواردة في خروج الدجّال ونزول المسيح طَرَفاً صالحاً من ذكرهم، من رواية النوّاس بن سَمعان، وغيره.

٣١٨ ـ وثبت في الصحيحين من حديث زينب بنتِ جَحْش؛ أنَّ رسول الله ﷺ نامَ عِنْدَها، ثم استيقظ مُحْمَرّاً وَجْهُهُ، وهو يقول: «لا إِلَهَ إِلّا اللَّهُ، ويلٌ لِلعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدْ اقْتَرَبَ، فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ» وحلّق بَيْن إصْبَعَيْه، وفي رواية: وَعَقَدَ سَبْعِينَ أَوْ تِسْعِينَ، قالت: قلت: يا رسول الله؛ أَنَهْلِكُ وفِينا الصالِحُونَ؟، قال: «نَعَمْ إذَا كَثُرَ الخَبَثُ»[1].

٣١٩ ـ وفي الصحيحين أيضاً من حديث وُهَيْب، عن ابن طاووس، عن أبيه، عن أبي هريرة: أنّ رسول الله ﷺ قال: «فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ مِثْلُ

«يظهروه»: يعلوا على ظهره لارتفاعه.

«نقباً»: خرْقاً وثَقْباً لصلابته وثخانته.

«يموج»: يختلط ويضطرب.

«نُفِخَ في الصُّور»: نفخةَ البعث.

(١) سبق تخريجه برقم (١٩٤).

هذا» وعقد[1] تسعين[2].

٣٢٠ ـ وقال الإمام أحمد: حدثنا رَوْحٌ، حدّثنا سَعِيدُ بنُ أبي عَروبَةَ، عن قَتادة، حدّثنا أبو رافع، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: «إنّ يأجُوجَ ومأجُوجَ لَيحْفِرُونَ السَّدَّ كُلَّ يوم، حَتَّى إذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ، قال الذي عَلَيْهِمْ: ارْجِعُوا، فَسَتَحْفِرُونَه غداً، فيعودون إليه كأشدِّ مَا كَانَ، حتى إذا بلغت مُدَّتُهم، وأراد اللَّهُ أنْ يَبعَثَهُمْ على الناس، حفروا، حتى إذا كادوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشمس قال الذي عليهم: اغْدُوا فَسَتَحْفِرونه غداً إن شاء الله، ويَسْتَثْني، فيعودون إليْه، وهو كَهَيْئَتِه حِينَ تركوه، فيحْفِرُونَه، ويَخْرُجُونَ على الناس، فَيَتَنَشَّفُونَ المِيَاه، ويتحصّنُ النَاسُ مِنْهُمْ في حُصُونِهِم، فيَرْمُونَ بِسِهامِهِمْ إلى السماء فترجِعُ، وعليها كَهَيْئَةِ الدَّم، فيقولون: قَهرنا أَهْلَ الأرض، وعَلَوْنا أَهْلَ السماء، فَيَبْعَثُ اللَّهُ عليهم نَغَفاً في أقفائهم، فيقتلُهم بها» قال رسول الله ﷺ: «والّذي نَفْس مُحَمَّدٍ بِيَدِه، إنّ دَوابَّ الأَرْضِ لَتسْمَنُ، وتَشْكَرُ شُكْراً، مِنْ لُحومهم ودِمَائِهِمْ»[3].

ثمّ رواه أحمد، والترمذيّ، وابن ماجه: «إنَّ دَوابَّ الأرضِ لَتَسْمَنُ» مِنْ غير وجه، عن قتادة. وقد روى ابن جرير، وابن أبي حاتم عن كعب الأحبار قريباً من هذا، فالله أعلم.

٣٢١ ـ وقال الإمام أحمد: حدثنا يعقوب، حدثنا أبي، عن ابن إسحاق، عن عاصم بن عُمَر بن قَتادَة، عن محمود بن لبيد، عن أبي سعيد الخُدريّ، قال:

---

(١) في صحيح البخاري ومسلم: وعقد وهيب تسعين، وقال ابن حجر في (فتح الباري ١٣/١١٠): أخرجه أبو عوانة، فقال فيه: «وعقد تسعين»، ولم يعين الذي عقد فأوهم أنه مرفوع.

(٢) رواه البخاري (٧١٣٦) في الفتن، باب: يأجوج ومأجوج، ومسلم (٢٨٨١) في الفتن وأشراط الساعة، باب: اقتراب الفتن.

(٣) رواه أحمد (٢/٥١٠)، والترمذي (٣١٥٣) في تفسير القرآن، باب: ومن سورة الكهف، وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن ماجه (٤٠٨٠) في الفتن، باب: فتنة الدجال، وابن جرير في تفسيره (٢١/١٦)، وابن أبي حاتم عن كعب، كما في الدر المنثور (٥/٤٦١).

«يتنشفون المياه»: أي يشربونها.

«النغف»: دود يكون في أنوف الإبل والغنم. واحدته نغفة.

«تشكر»: تسمن ويمتلىء ضرعها لبناً.

سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يُفْتَحُ يَأْجُوجُ ومأجُوجُ فَيَخْرُجُونَ على الناس، كما قال الله تعالى: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾، فَيَغْشَوْنَ الناس، ويَنْحَازُ الناسُ عنهم إلى مَدَائِنِهم وحُصُونهم، ويَضُمُّونَ إلَيْهِمْ مَواشِيَهُمْ؛ فَيَشْرَبُونَ مِياه الأرْض، حتّى إنّ بَعْضَهُم لَيمُرّ بالنَّهْرِ، فَيَشْرَبُون مَا فيه، حتى يتركوه يَبَساً، حتى إنّ مَنْ بَعدَهُمْ لَيمُرّ بذلك النهر، فيقول: قَدْ كَانَ هاهنا مَرَّةً ماء، حتّى إذا لم يبق من الناس أحد إلّا في حِصْنٍ أو مدينةٍ، قال قائلُهم: هؤلاء أهلُ الأرض، قَدْ فَرَغنا مِنْهُم، بقي أهل السماء، قال: ثُم يهزّ أحدُهم حَرْبَتَهُ، ثم يَرْمي بها إلى السَّماء، فتَرجِعُ إلَيْهِ مُخْتَضِبَةً دماً للبَلاءِ والفتنة، فبينما هُمْ على ذلك بعث اللَّهُ دُوداً في أعناقهم كنَغفِ الجراد الذي يَخْرُج في أعناقه، فيُصبحون موتى، لا يُسْمَعُ لَهُم حسّ، فيَقُول المسلمون: ألا رَجُلٌ يَشْرِي لَنا نَفْسَهُ فيَنْظُر ما فعَلَ هذا العدوّ؟ قال: فتجرّد رجل منهم مُحْتَسِباً، قد أوطنها على أنه مقتولٌ، فينزل، فيجدهم موتَى بعضهم على بعض، فيُنادي: يا معشر المسلمين، ألا أبْشِرُوا، إنّ الله تعالى قد كفاكم عَدُوَّكم، فيَخْرُجُون مِن مَدائنهم وحُصُونهم، ويُسَرِّحُونَ مَواشِيهم، فما يكون لها رعْيٌ إلّا لحومُهم فتشكرُ عنه كأحسنِ ما شكرتْ عن شيءٍ مِن النباتِ أصابَتْه قَطّ»[1]. وهكذا أخرجه ابن ماجه من حديث يونس بن بُكَيْر، عن محمد بن إسحاق به، وهو إسناد جيّد.

٣٢٢ ـ وفي حديث النوّاس بن سَمْعان، بعد ذكر قتلِ عيسى الدجّال عند باب لُدّ الشّرقيّ، قال: «فبينما هم كذلك إذ أوحَى الله إلى عيسى ابن مَرْيَم عليه الصلاةُ والسلام: إنّي قَدْ أخْرَجْتُ عِباداً مِنْ عِبادِي، لا يَدانِ لكَ بقِتالِهِمْ، فحَرِّزْ عِبادِي إلى الطُّور، فيَبْعَثُ اللَّهُ يأْجُوجَ ومَأجُوج، وهم كما قال الله تعالى: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ فيَرْغَبُ عيسى وأصْحابُه إلى الله عَزّ وجلّ، فيُرسِلُ اللَّهُ علَيْهِم نَغفاً في رِقابِهم؛ فيُصْبِحُون مَوْتَى كَمَوْتِ نَفْسٍ واحِدَةٍ، فَيَهْبِطُ عِيسَى وأصحابُه فلا يجدون في الأرض بيْتاً إلّا مَلأَهُ زَهْمهم، ونَتنَهم، فيرغبُ عِيسَى وأصحابه إلى الله عزّ وجلّ، فيرسُل طَيْراً كأعناق البُخْتِ، فتَحْمِلُهم فتطرحُهم حيثُ شاء الله تعالى.

---

(١) رواه أحمد (٣/٧٧)، وابن ماجه (٤٠٧٩) في الفتن، باب: فتنة الدجال.

قال كعبُ الأحبار: بمكانٍ يُقال له المَهيل عِنْد مَطْلع الشمس، ويُرسِلُ الله مَطراً لا يُكَنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ، أربعين يوماً، فيَغْسِلُ الأرض، حتّى يَدَعَها كالزَّلَقَةِ، ويقال للأرض: أنْبتي ثَمَرَتك، ورُدّي بَرَكَتك فيومئِذٍ يأكل النفر منَ الرمانة، ويستظلون بقِحفها... الحديث، إلى أن قال: فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة تحت آباطهم، فتقبض روح كل مسلم، أو قال مؤمن، ويبقى شرار الناس، يتهارجون تهارُج الحمر، وعليهم تقوم الساعة»(1).

٣٢٣ ـ وفي حديث مُؤْثِر بن عَفَازَ عن ابن مسعود، في اجتماع الأنبياء لَيلَة الإسراء، أعني محمّداً وإبراهيم وعيسى وموسى عليهمْ من الله أفْضلُ الصلاة والسلام، وتذاكُرهم أَمْرَ الساعةِ، فردّوا أمرهم إلى عيسى، فقال: «أمّا وَجْبتُها فلاَ يَعْلَمُ بها أحدٌ إلاّ اللَّهُ تعالى، وفيما عَهِدَ إليّ ربِّي أنّ الدجال خارجٌ، ومعي قضيبان، فإذا رآني ذاب كما يَذُوبُ الرصاص، قال: فيهلكه الله إذا رآني، حتى إنّ الشجر والحجر ليقول: يا مسلم إن تحتي كافراً؛ فتعالَ فاقتله، قال: فيُهلكهم اللَّهُ، ويَرْجِعُ النّاس إلى أوطانهم، قال: فعند ذلك يخرُج يَأْجُوج ومأجوج وهم من كلّ حَدَبٍ يَنْسِلُون فيطؤونَ بِلاَدهم، لا يمرُّون على شَيْءٍ إلاّ أهْلَكُوه، ولا يَمُرّونَ على مَاءٍ إلاّ شَرِبُوه، ثم يَرْجِعُ الناسُ إليّ يشكونَهم، فأدْعُو اللَّهَ عزّ وجلّ عليهم فيُهلِكهم، ويُمِيتُهُم حتى تَجْوَى الأرضُ من نَتَنِ رِيحِهم، ويُنزل اللَّهُ المَطَرَ فَيَجْرِفُ أجْسادَهم، حتى يَقْذِفهم في البحر، ففيما عهد إليَّ ربي أن ذلك إذا كان كذلك، فإنْ الساعةَ كالحامل المُتِمّ لا يَدْري أَهْلُها متى تَفْجَؤُهُمْ بِولاَدِها، لَيلاً أو نهاراً»(2).

٣٢٤ ـ وقال الإمامُ أحمد: حدّثنا محمد بن بشر، حدّثنا محمد بن عمرو، [وحدثنا خالد بن عمرو] عن ابن حَرْمَلَة، عن خَالته، قالت: خطب رسولُ اللَّه ﷺ، وهو عاصبٌ إصْبَعَهُ مِنْ لَدْغَة عَقْرَب، فقال: «إنّكم تقولون: لا عَدُوّ لَكُم، وإنّكم لاَ تَزالُونَ تُقاتِلُونَ عَدُوّاً حتّى يَأْتيَ يَأْجُوجُ ومأجُوجُ، عِراضُ الوُجوه، صِغارُ العُيون، صُهْبُ الشّعاف، من كلّ حَدَب ينسِلُون، كأنَّ وُجُوهَهُم المَجانُّ المُطْرَقَةُ»(3).

(1) سبق تخريجه برقم (٢٠٨).
(2) سبق تخريجه برقم (٣٠٨).
(3) رواه أحمد (٥/ ٢٧١) وما بين حاصرتين مستدرك منه.

قلت: يَأجُوجُ ومأجوج طائفتان من التُّرْكِ، مِنْ ذُرِّيةِ آدَم عليه الصلاة والسلام.

٣٢٥ ـ كما ثبت في الصحيح، «يقول الله عزّ وجلّ يوم القيامة: يا آدمُ، فيقول: لَبّيْكَ وسَعْدَيك، فيُنادَى بصَوْتٍ: ابْعَثْ بَعْثَ النار، فيقول: مِنْ كم؟ فيقول: من كُلّ ألفٍ تِسْعمائةٍ وتِسْعَةً وتسعين إلى النار، وواحداً إلى الْجنّة، فيومئذٍ يَشيبُ الصغير، وتَضعُ كلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها، فيقال: أبْشِرُوا؛ إنّ في يَأجُوجَ ومأجُوجَ لكم فداء» وفي روايةٍ فيقال: «إنّ فيكم أمّتَيْن ما كانتا في شيءٍ إلاّ كَثرتاه: يأجوج ومأجوج»(1) وسيأتي هذا الحديث بطرقه وألفاظه.

ثم هم من حوّاء عليها السلام، وقد قال بعضهم: إنهم من آدم لا من حواء، وذلك أنّ آدم احتلم؛ فاختلط منيّه بالتراب فخلق اللَّهُ من ذلك يأجوجَ ومأجوج، وهذا مما لا دليل عليه، ولم يرد عمن عليه يجب قبول قوله في هذا، والله أعلم.

وهم من ذرّية نُوح عليه السلام، من سُلالةِ يافث أبي التُّرك، وقد كانوا يَعيثُون في الأرض يُؤْذُونَ أهلها، فحصرهم ذُو القرنَيْن في مكانهم داخلَ السدِّ، حتى يأذنَ الله تعالى في خروجهم على الناس، فيكون من أمرهم ما ذكرنا من الأحاديث.

وهم يُشْبِهُون الناس كأبناء جنْسِهم من الترك، الغُتْم(2) المغول، المُخَرْزَمة(3) عُيونُهم، الذُّلْف(4) أنوفُهم، الصُّهْبُ شُعورهم، على أشكالهم وألوانهم، ومن زعم أنّ منهم الطويل الذي كالنخلة السَّحوق(5) أو أطول، ومنهم القصير الذي هو كالشيء الحقير، ومنهم من له أذنان يَتغطّى بإحداهما، ويَتوطَّى بالأخرى، فقد تكلّف ما لا علم له به، وقال: ما لا دليل عليه، وقد ورد في حديثٍ أن أحدهم لا يموت حتى

«صهب الشعاف»: أي حُمْرُ الشعور، والشعفة: أعلى الشعر.
(1) رواه البخاري (٣٣٤٨) في الأنبياء ومسلم (٢٢٢) في الإيمان.
(2) «الغتم»: غُتم: لم يُفْصِح لعجمةٍ في منطقه. والغتم: جمع أغتم.
(3) «المخزومة»: المثقوبة. ولعل المراد: المخزرة، من خَزِرت العين: صَغُرت وضاقت خِلْقةً فهو أخزر، وهي خزراء، والجمع خُزْر.
(4) «الذلف»: ذَلِف الأنف: صَغر واستوى طرفه.
(5) «السحوق»: الطويلة.

يرى من نَسْله ألف إنسان، فالله أعلم بصحّته.

٣٢٦ ـ قال الطبرانيّ: حدّثنا عبدُالله بن محمد بن العباس الأصفهاني، حدّثنا أبو مسعود أحمد بن الفُرات، حدّثنا أبو داود الطيالسيّ، حدّثنا المُغيرة بن مُسلم، عن أبي إسحاق، عن وهب بن جابر، عن عبدالله بن عمرو، عن النبيّ ﷺ، قال: «إنّ يأجوج ومأجوج مِنْ ولَد آدم، ولو أُرْسِلُوا لأفْسَدُوا على الناس مَعايِشَهم، ولن يمُوتَ منهم رَجُلٌ إلا ترك مِنْ ذُرِّيتهِ ألفاً فصاعِداً، وأنّ مِنْ ورائهم ثلاث أُمَم: تاويل، وتاريس، ومَنْسك»(١) وهذا حديث غريب، وقد يكون من كلام عبدالله بن عمرو من الزاملتين، والله أعلم.

٣٢٦/م ـ وقال ابن جرير: حدّثنا ابنُ مُثَنَّى، حدّثنا محمد بن جعفر، حدثنا شُعْبَةُ، عن عبدالله بن أبي يزيد، قال: رأى ابنُ عبّاسٍ صِبْياناً يَنْزِفُ بَعْضُهم على بعض(٢)، يلعبون، فقال ابنُ عبّاس: هكذا تَخْرُجُ يأجوج ومأْجُوج.

* * *

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٦) رواه الطبراني في الكبير والأوسط، ورجاله ثقات.

(٢) «ينزف بعضهم على بعض»: يرمي كل واحد غيره بماء، فهم في اختلاط وعدم استقرار.

ذكر تخريب الكعبة ـ شرّفها الله تعالى ـ

على يدي ذي السُّوَيْقَتَيْن الأفحج الحَبَشيّ ـ قبّحه الله ـ

رَوينا عن كعب الأحبار في التفسير عند قوله تعالى: ﴿حَتَّى إذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ ومَأْجُوجُ﴾، أنّ أول ظهور ذي السُّوَيْقَتَيْنِ في أيّام عيسى ابن مَرْيَم عليه الصلاة والسلام، وذلك بعد هلاك يأجوج ومأجوج، فيَبْعَثُ الله عيسى ابنَ مَرْيم طليعة ما بين السبعمائة إلى الثمانمائة، فبينما هم يسيرون إليه إذ بعث اللَّهُ ريحاً يمانيةً فتقبض فيها روح كل مؤمن، ثم يبقى عَجَاجٌ من الناس(١)، يَتَسافَدُون كما تَتَسافَدُ البهائم، قال كعب: وتكون الساعةُ قريبةً حِينَئذٍ، قلت: وقد تقدّم الحديث الصحيح: أنّ عيسَى عليه الصلاة والسلام يَحُجّ بعد نزوله إلى الأرض.

٣٢٧ ـ وقال الإمام أحمد: حدّثنا سليمانُ بن داود، حدثنا عِمْرانُ، عن قتادةَ، عن عبدالله بن أبي عُتْبَة، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيُحجّنَّ هذا البيتُ، ولَيُعْتَمَرَنَّ بعد خروج يأجوج ومأجوج»(٢)، انفرد بإخراجه البخاري فرواه عن أحمد بن حفص بن عبدالله، عن إبراهيم، عن أبيه، عن إبراهيم بن طَهْمانَ، عن حجاج هو ابنُ منْهال، عن قتادةَ بن دِعامة، قال: حدّثنا به أبانُ، وعِمْرانُ، عن قتادة، وقال عبدالرحمن، عن شعبة، عن قتادَة: لا تَقُومُ الساعةُ حتّى لا يُحَجَّ البيْتُ، قال أبو عبدالله: والأول أكثر. انتهى ما ذكره البخاري.

وقد رواه البزّار، عن محمد بن المُثنّى، عن عبدالرحمن بن مَهدي، عن أبان بن يزيدَ العطّار، عن قتادة، كما ذكره البخاريّ، ورواية عِمْران بن داود القطّان

(١) «عجاج من الناس»: العجاج: مفرده العجاجة، وهم رَعاعُ الناس وغَوْغاؤُهم.

(٢) رواه أحمد (٣/٢٨)، والبخاري (١٥٩٣)، في الحج، باب: قول الله تعالى: ﴿وجعل الله الكعبة البيت الحرام﴾.

قد أوردها الإمامُ أحمد، كما رأيْتَ.

٣٢٨ ـ وقال أبو بكر البزار: حدثنا محمد بن المُثَنَّى، حدّثنا عبدالعزيز، حدّثنا شعبةُ، عن قتادة؛ سمعتُ عبدالله بن أبي عُتْبَةَ يُحَدِّث عن أبي سعيد الخُدْريّ، عن النبيّ ﷺ قال: «لا تقومُ الساعةُ حتى لا يُحَجَّ البَيْتُ»[1]، ثم قال: وهذا الحديث لا نَعْلَمُه يُرْوَى عن أبي سعيد، عن النبيّ ﷺ إلّا بهذا الإسناد.

قلت: ولا مُنافَاة في المعنى بين الروايتين: لأنّ الكعبة يَحُجُّها الناسُ ويَعْتَمِرونُ بها، بعد خروج يأجوج ومأجوج وهلاكِهم، وطُمأنينة الناس، وكثرة أرزاقهم في زمان المسيح عليه الصلاة والسلام، ثم يَبْعَثُ الله ريحاً طيِّبة فيُقْبَضُ بها رُوح كلِّ مُؤمن ومؤمنة، ويُتَوفَّى نبيّ الله عيسى ابنُ مَرْيَمَ عليه الصلاة والسلام، ويصلّي عليه المسلمون، ويُدْفَنُ بالحُجْرةِ النَّبويّة مع رسول الله ﷺ فيها، ثم يكون خَرابُ الكَعْبةِ على يدي ذي السُّوَيْقَتَين بعد هذا، وإن كان ظهورُه في زمان المسيح كما قال كعبُ الأحبار.

* * *

(١) ورواه الحاكم (٤/٤٥٣) وصححه.

صفة تخريبه اياها ـ قبّحه الله، وشرّفها ـ

٣٢٩ ـ قال الإمامُ أحمد: حدّثنا أحمد بن عبدالملك؛ وهو الحَرَّانيّ، حدّثنا محمد بن سَلَمة، عن محمد بن إسحاق، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهد، عن عبدالله بن عمرو قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يُخَرِّبُ الكَعْبةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْن من الحَبَشة، ويسْلُبُها حِلْيَتَها، ويُجَرِّدُها من كُسْوتها، ولكأنّي أنظرُ إليه أُصَيْلِعَ، أفيدع، يضرب عليها بمسحاته ومعوله»[1]، انفرد به أحمد، وهذا إسنادٌ جيّد قويّ.

٣٣٠ ـ وقال أبو داود، باب: النهي عن تهييج الحَبَشَةِ: حدّثنا القاسم بن أحمد، حدّثنا أبو عامر، حدّثنا زُهَيْر، عن موسى بن جُبَيْر، عن أبي أمامة بن سَهْل بن حنيف، عن عبدالله بن عَمْرو، عن النبيّ ﷺ قال: «اتركوا الحَبَشَةَ ما تركُوكُم، فإنّه لا يَسْتَخْرِجُ كنز الكعبة إلا ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الحبشةِ»[2].

٣٣١ ـ وقال الإمامُ أحمد: حدّثنا يحيى، عن عبيدالله بن الأخْنَس، أخبرني ابنُ أبي مُلَيْكة، وهو عبدالله بن عُبَيْدالله بن أبي مُلَيْكةَ: أنّ ابن عباس أخبره: أنّ النبي ﷺ قال: «كأنّي أنْظُر إليه، أسْوَد، أفْحَج، يَنْقُضُها حَجَراً حَجَراً» يعني الكَعْبَةَ[3]. انفرد به البخاري، فرواه عن عمرو بن علي الفلاّس، عن يحيى، وهو ابن سعيد القطّان به.

٣٣٢ ـ وقال الحافظ أبو بكر البزّار: حدّثنا محمد بن المُثَنَّى، حدّثنا أبو عامر،

(١) رواه أحمد (٢/٢٢٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/٢٩٨): رواه أحمد والطبراني في الكبير، وفيه ابن إسحاق وهو ثقة ولكنه مدلس.
وفي المسند «أفيدع»، وفي مجمع الزوائد: أقيرع. والفَدَعُ: عِوَجٌ في المفاصل كأنها قد فارقت مواضعها، وأكثر ما يكون في رسغ اليد أو القَدَم.

(٢) رواه أبو داود (٤٣٠٩) في الملاحم، باب: النهي عن تهييج الحبشة.

(٣) رواه أحمد (١/٢٢٨)، والبخاري (١٥٩٥) في الحج، باب: هدم الكعبة.
«أفحج»: الفحج: تباعد ما بين الساقين.

حدثنا عبدُالعزيز، عن ثَوْر، عن أبي الغَيْث، عن أبي هريرة، عن النّبي ﷺ، قال: «ذُو السُّوَيْقَتينْ مِن الحَبَشَةِ، يُخرّبُ بيْتَ الله»[1]، ورواه مسلم، عن قُتَيبَةَ بن سعيد، عن عبدالعزيز بن محمد الدَّرَاوَرْدِيّ به.

٣٣٣ ـ وبهذا الإسناد أنّ رسول الله ﷺ، قال: «لا تَقومُ الساعةُ حتى يَخْرج رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ يَسوقُ النَاسَ بعَصَاهُ»[2]، ورواه البخاريّ، عن عبدالعزيز بن عبدالله، عن سُلَيمان بن عبدالله بن بلال، ومُسلمٌ عن قُتَيْبة، عن عبدالعزيز الدَّرَاوَرْدِيّ، كلاهما عن ثَوْر بن زَيْد الدّيلَمِي، عن أبي الغَيْث؛ سالم مولى ابن مُطِيع، عن أبي هُرَيرَةَ، عن النبي ﷺ، فذكر مثلَه. سواءً. وقد يكون هذا الرجلُ هو ذو السُّوَيْقَتين، ويَحْتَمِلُ أنْ يَكُونَ غَيْرَهُ، فإن هذا من قَحْطانَ، وذاك من الحَبَشة، فالله أعلم.

٣٣٤ ـ وقال الإمامُ أحمد: حدّثنا أبو بكر الحَنَفيّ، حدّثنا عبدالحميد بن جعفر، عن عُمَر بن الحَكَم الأنصاريّ، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَذْهَبُ الليلُ والنهارُ حتى يملك رجُلٌ مِن الموالي يقال له جهجاه»[3]، ورواه مسلم عن محمد بن بَشّار، [عن عبدالكبير بن عبدالمجيد][4]، عن أبي بكر الحنفي، به، فيحتمل أن يكون هذا اسم ذي السُّوَيْقَتِين الحَبَشي، والله أعلم.

٣٣٥ ـ وقد قال الإمام أحمد: حدثنا حسن[5]، حدثنا ابنُ لَهِيعَةَ، حدّثنا أبو الزُّبير، عن جابر؛ أن عمر بن الخطاب أخبره: أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «سَيخْرُج أهل مَكَّة، ثم لا يُعْبَرُ بها، أو لا يُعْبَر عَنْها إلاّ قليل، ثم تَمْتَلِئُ وتُبْنَى، ثم يَخْرجُون منها، فلا يعودون فيها أبداً»[6].

---

(١) رواه مسلم (٢٩٠٩) (٥٩) في الفتن وأشراط الساعة، باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل.
(٢) رواه مسلم (٢٩١٠)، والبخاري (١٥٩٦).
(٣) رواه أحمد (٢/٣٢٩)، وملم (٢٩١١).
(٤) من صحيح مسلم.
(٥) في المسند: موسى.
(٦) رواه أحمد (٣/٣٤٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/٢٩٨): رواه أحمد وأبو يعلى، وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن، وبقية رجاله رجال الصحيح.

وأما المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، فقد ثبت في الصحيح كما تقدّم: أن الدجّال لا يمكنُه الدُّخول إلى مكة والمدينة، وأنّه يكون على أنقاب مكة ملائكة يحرسونها منه لئلاّ يَدْخُلَها.

٣٣٦ ـ وفي صحيح البخاريّ، من حديث مالك، عن نُعَيم المُجْمِر، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «لَا يَدْخُلُها المسيحُ الدجّال، ولا الطاعون»[1].

وتقدّم أنه يُخيّم بظاهِرها، وأنها تَرْجُفُ بأهلها ثَلاثَ رَجَفَاتٍ، فيخرج إليه كلُّ منافق ومنافقةٍ، وفاسق وفاسِقَةٍ، ويَثْبتُ فِيهَا كلُّ مؤمِن ومؤمنةٍ، ومسلم ومسلمةٍ، ويُسَمّى يومئذ يَوم الخَلاص، وأكثرُ مَنْ يَخرج إليه النِّساءُ، وهي كما قال رسول الله ﷺ: «إنها طَيّبَةٌ، تَنْفي خَبَثَها وَيَنْصَعُ طَيِّبُها»[2].

وقال الله تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ والخَبِيثُونَ لِلْخَبيثَات وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ والطَّيِّبُونَ لِلطَّيّباتِ﴾ [النور: ٢٦]. الآية.

والمقصود أن المدينة تكون باقيةً عامرةً أيام الدجّال، ثم تكون كذلك في زمان عيسى ابن مَرْيم رسول الله عليه الصلاة والسلام، حتى تكَون وفاتهُ بها، ودفْنُه بها، ثم تَخْرَبُ بعد ذلك.

٣٣٧ ـ كما قال الإمامُ أحمد: حدّثنا يحيى بن إسحاق، حدثنا ابن لَهِيعَة، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: أخبرني عمر بن الخطاب، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لَيَسِيرَنَّ الرَّاكِبُ بِجَنَباتِ المَدينَةِ ثم لَيَقُولَنّ: لَقَدْ كَانَ في هَذا حاضرٌ مِنَ المُسلمين كثيرٌ»[3].

قال الإمام أحمد: ولم يخرجه حسن إلا بثبت عن جابر. انفرد بهما أحمد.

* * *

---

(١) رواه البخاري (٧١٣٣) في الفتن، باب: لا يدخل الدجال المدينة، بلفظ: «على أنقاب المدينة ملائكة، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال».
(٢) رواه البخاري (١٨٨٣) في فضائل المدينة، باب: المدينة تنفي الخبث، ومسلم (١٣٨٣) في الحج، باب: المدينة تنفي شرارها.
(٣) رواه أحمد (١/٢٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/١٥): رواه أحمد، وإسناده حسن.

خروج الدّابة من الأرض تكلّم الناس

قال الله تعالى: ﴿وإذَا وَقَعَ الْقَولُ عَلَيْهِمْ أخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ [النمل: ٨٢]، وقد تكلّمنا على ما يتعلّق بهذه الآية الكريمة في كتابنا التفسير، وأوردنا هنالك من الأحاديث المتعلّقة بذلك ما فيه كفاية. ولو كُتِبَ مجموعهُ هنا كان حسناً كافياً، ولله الحمدُ.

قال ابن عباس والحسن وقتادةُ: تُكَلِّمُهُمْ: أي تخاطِبُهُمْ مُخَاطَبَةً، ورجّح ابنُ جرير: تخاطبهم تَقُولُ لَهُمْ ﴿أنّ النَّاس كَانُوا بِآياتِنا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢]، وحكاه عن عليّ، وعطاء[١]، وفي هذا نظر.

وعن ابن عبّاس: تكلّمهم وتُخْرِجُهُمْ، بمعنى تكتبُ على جبين الكافر (كافر)، وعلى جبين المؤمن (مؤمن)، وعنه تخاطبهم وتجرحهم[٢].

وهذا القول ينتظم المذهبين، وهو قويّ حسن، جامع لهما، والله أعلم.

٣٣٨ ـ وتقدّم الحديثُ الذي رواه أحمد، ومسلم، وأهل السنن، عن أبي سَريحة، حُذَيْفَةَ بن أَسِيد: أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقومُ الساعةُ حتّى يَروا عَشر آيات: طُلوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِها، والدُّخَانَ، والدَّابّةَ، وخروجَ يأجُوج ومأجُوج، وخروجُ الدجّال، وخروجُ عيسى ابن مريم، وثلاثة خُسُوفٍ: خَسْفٌ بالمغرب، وخسفٌ بالمشرق، وخسفٌ بجزيرة العرب، ونارٌ تَخْرُجُ من قَعْرِ عَدَن، تَسُوقُ الناسَ أو تَحْشُرُ الناس، تَبيت مَعَهُم حيث باتوا، وتَقِيلُ مَعهُمْ حَيْثُ قالُوا»[٣].

٣٣٩ ـ ولمسلم من حديث العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة: أن رسول الله

---

(١) رواه ابن جرير في تفسيره (١٦/٢٠).
(٢) ذكره السيوطي في (الدر المنثور ٣٧٨/٦).
(٣) رواه مسلم (٢٩٠١)، وأبو داود (٤٣١١)، والترمذي (٢١٨٣)، وأحمد (٦/٤، ٧).

ﷺ قال: «بادِرُوا بالأعمال ستّاً: طُلُوعَ الشَّمْس مِنْ مَغْرِبِها، أو الدخان، أو الدجال، أو الدابّة، أو خاصّة أحدكم، أو أمر العامة»[١].

٣٤٠ ـ ولمسلم أيضاً من حديث قتادةَ، عن الحسن، عن زياد بن رياح، عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ قال: «بادروا بالعمل[٢] ستاً: الدجّال، والدُّخَانَ، ودابّة الأرض، وطلوعَ الشّمس من مغربها، وأمر العامة، وخُوَيْصَّة أحدكم»[٣].

٣٤١ ـ وروى ابنُ ماجه، عن حرملة، عن ابن وَهْب، عن عمرو بن الحارث، وابن لَهيعَة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن سنان بن سَعْد، عن أنس: أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال سِتاً: طُلُوعَ الشّمس مِنْ مَغْرِبها، والدُّخَانَ، ودابّة الأرض، والدجّال، وخُويصة أحدكم، وأمْرَ العامّة»[٤]، تفرّد به ابن ماجه من هذا الوجه.

٣٤٢ ـ وقال أبو داود الطّيالِسيّ، عن طلحة بن عمرو، وجرير بن حازم، فأما طلحة، فقال: أخبرني عبدالله بن عُبَيْد بن عُمَيْر؛ أن أبا الطُّفَيْلِ حدّثَهُ عَنْ حُذَيْفَةَ بن أسيد الغِفَارِيّ؛ أبي سرِيحة، وأما جرير، فقال: عن عبدالله بن عُبَيْد، عن رجل من آل عبدالله بن مسعود، وحَدِيثُ طَلْحَة أتَمُّ وأحْسَنُ.

قال: ذكر رسُولُ الله ﷺ الدابَّة فقال: «لها ثَلاثُ خَرَجَات في الدَّهْرِ، فتَخْرُجُ خَرْجَةً مِنْ أقصى البَادِية، ولا يَدْخُلُ ذِكرهَا القَريةَ أعني مَكّة، ثم تَكْمُنُ زَماناً طويلاً، ثم تَخْرُجُ خرجةً أخرَى دون تِلْكَ، فَيعْلو ذِكْرُها في أهل البادية، ويدْخُلُ ذكرها القَرْيَة، يعني مَكّة» قال رسول الله ﷺ: «ثم بينما النَاسُ في أعظم المساجد على الله حُرْمَةً، وأكرمها: المسجدُ الحرام لم يَرُعْهُمْ إلاّ وَهِيَ تَرْبُو بين الرُّكن

---

(١) سبق تخريجه برقم (١٤٤).
(٢) في صحيح مسلم: بالأعمال.
(٣) رواه مسلم (٢٩٤٧) (١٢٩).
«خويصة أحدكم»: يريد حادثة الموت التي تخصّ كل إنسان، وهي تصغير خاصة. وصُغّرت لاحتقارها في جانب ما بعدها من البعث والعرض والحساب وغير ذلك.
(٤) رواه ابن ماجه (٤٠٥٦) في الفتن، باب: الآيات.

والمَقام، تنفُضُ عَنْ رَأسِها التُّرابَ، فارْفَضَّ النَّاسُ عَنْهَا شَتَّى ومعاً، وتَثْبُتُ عِصابَةٌ من المُؤْمِنينَ، وعرفوا أنهم لم يُعْجِزُوا اللَّهَ، فبدأت بِهِمْ، فجلت وجوهَهُمْ حتى جَعَلتها كالكوكب الدُّرّي، وولّت في الأرض، لا يُدركها طالب، ولا يَنجُو منها هارب، حتى إنّ الرجل ليتعوَّذُ مِنها في الصلاة فتأتِيهِ من خَلْفِهِ، فتقول: يا فُلانُ الآن تُصَلّي، فيُقْبِلُ عَلَيْها، فتسِمُه في وَجْهِهِ، ثُم تَنْطَلِقُ، وَيَشْتَرِكُ النّاسُ في الأموال، وَيَصْطَحِبُونَ في الأمصار، يَعْرِفُ المُؤْمنُ الكافرَ، حتى إنّ المُؤْمِنَ لَيَقُولُ: يا كافر، اقْضِني حَقّي، وحتى الكافرُ لَيَقُولُ: يا مؤمن، اقضِني حَقّي»[1]. هكذا رواه مرفوعاً من هذا الوجه بهذا السياق، وفيه غرابة. ورواه ابن جرير من طريقين، عن حُذَيْفَة موقوفاً، ورواه أيضاً عن حُذَيْفَةَ بن اليمان مَرْفُوعاً، وفيه أنّ ذلك في زمان عيسى ابن مريم، وهو يطوف بالبَيْت، ولكن في إسناده نظر، فالله أعلم.

٣٤٣ ـ وقال ابن ماجه: حدّثنا أبو غَسّان محمّد بن عمرو، حدّثنا أبو تُمَيْلَة، حدّثنا خالد بن عُبَيد، حدثنا عبدالله بن بُرَيْدَةَ، عن أبيه، قال: ذهب بي رسولُ الله ﷺ إلى موضع بالبادية قريبٍ من مكة، فإذا أرضٌ يابِسَةٌ، حولها رَمْلٌ، فقال رسول الله ﷺ: «تخرُج الدابّة من هذا الموضع» فإذا فِتْرٌ في شِبْرٍ. قال ابن بُرَيْدة: فحَجَجْتُ بعد ذلك بسنتين فأرانا عصاً له، فإذا هو بعَصَاي هذه، كذا وكذا[2]، يعني أنه كلما [أذن][3] له يتسع حتى يكون وقت خروجها، والله أعلم.

٣٤٣/م ـ وقال عبدالرزّاق عن مَعْمَر، عن قَتَادة أنّ ابن عباس قال: هي دابةٌ ذاتُ زَغَبٍ، لها أرْبَعُ قَوائمَ، ثم تخرجُ من بعض أوْدِيَة تِهَامَة. ورواه سعيد بن منصور، عن عثمان بن مَطَر، عن قتادة، عن ابن عباس بنحوه[4].

٣٤٤ ـ وقال ابنُ أبي حاتم: حدّثنا عبدالله بن رجاء، حدثنا فُضَيْلُ بن مَرْزُوق، عن عَطِيّة، قال: قال عبدالله: تخرجُ الدابّة من صَدْعٍ من الصَّفا، كجَرْي

(١) رواه الطيالسي في مسنده (١٠٦٩).
(٢) رواه ابن ماجه (٤٠٦٧) في الفتن، باب: دابة الأرض. وقال الألباني: ضعيف جداً، (ضعيف سنن ابن ماجه ص ٣٢٨). (٣) زيادة يقتضيها سياق المعنى.
(٤) رواه سعيد بن منصور ونعيم بن حماد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في «البعث»، كما في (الدر المنثور ٦/٣٨١).

الفرس، ثلاثة أيام، لا يَخرجُ ثُلُثُها[1].

٣٤٥ ـ وعن عبدالله بن عمرو أنّه قال: تخرجُ الدابّة من تحت صَخْرةٍ بشِعْب أجياد، فتستقبل المَشْرِق، فتصرخُ صَرخةً تنفذه، ثم تستقبل الشام فتصرخ صرخة تنفذه، ثم تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه، ثم تستقبل اليمن فتصرُخ صرخةً تنفذه، ثم تروح من مكة فتُصْبِحُ بعُسْفَانَ، قيل له: ثمّ ماذا؟ قال: ثم لا أعلم[2].

٣٤٦ ـ وعنه أنه قال: تخرُج الدابّة من تحت سَدُومَ، يعني مدينةَ قوم لوط.

فهذه أقوال متعارضة، فالله أعلم.

٣٤٧ ـ وعن أبي الطُّفَيْلِ أنّه قال: تخرُج الدابّة من الصَّفَا، أو المَرْوَةِ. رواه البَيْهَقيّ.

٣٤٨ ـ ثم ساق من حديث يحيى بن مَعِين: حدَّثنا هِشَامُ بنُ يوسف، حدثنا رَباحُ بن عُبَيْدالله بن عَمرو، عن سُهَيْل، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «بِئْس الشِّعْبُ شِعْبُ أجيَادٍ» مرّتين، أو ثلاثاً قالوا: ولم ذلك يا رسول الله؟ قال: «تخرجُ منه الدابّة، فتصرخُ ثلاثَ صَرَخاتٍ، فَيَسْمَعُها مَنْ بَيْنَ الخَافِقَيْنِ»[3].

٣٤٩ ـ ثم روى من حديث فَرْقَدِ بن الحجّاج، سمعتُ عُقْبَةَ بن أبي الخَنْساء، سمعتُ أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «تخرُجُ دابَّةُ الأرض من أجيَادٍ، فيَبْلُغُ صدْرها الرُّكْنَ، ولَمْ يَخْرُجْ ذَنْبُها بَعْدُ. قال: وهي دَابَّةٌ ذات وبَرٍ وقَوائِم»[4].

٣٥٠ ـ وقد روى الإمامُ أحمد، عن يزيد بن هارون، وبَهْزِ بن أَسَدٍ، وعفّانَ بن مُسْلِم، عن حمّاد بن سَلَمَة عن عليّ بن زيد بن جُدْعانَ، عن أوْسِ بن خالِدٍ، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تخرجُ دابَّةُ الأرض ومعها عصا

(١) رواه ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عمر. (الدر المنثور ٦/٣٨٢).
(٢) رواه عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن ابن عمر. (الدر المنثور ٦/٣٨٢).
(٣) رواه ابن مردويه والبيهقي في «البعث». (الدر المنثور ٦/٣٨٢).
(٤) المصدر السابق.

موسى، وخاتمُ سُلَيْمان، فتَخْطِمُ أنْفَ الكافِرِ بالخاتم، وتجلو وجهَ المؤمن بالعصا، حتى إن أهلَ الخِوَان الواحد ليجتمعون فيقول هذا: يا مؤمن، ويقول هذا: يا كافر»(1)، ورواه ابنُ ماجه عن أبي بكر بن أبي شَيْبَة، عن يونس بن محمد المُؤدِّب، عن حمّاد بن سَلَمَة، به، ورواه أبو داود الطَّيالِسيُّ عن حمّاد بن سَلَمة، فذكره مِثْلَه، إلّا أنه قال: «فتَخْطِمُ أنْفَ الكافر بالعصا، وتجلو وجه المؤمن بالخَاتم» وهذا أنسَبُ، والله أعلم.

٣٥١ ـ وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو صالح؛ كاتبُ الليث، حدثني معاوية بن صالح، عن أبي مَرْيَم أنه سمع أبا هريرة يقول: إنّ الدابة فيها من كُلِّ لَوْنٍ، ما بين قَرْنَيها فرسخ للراكب(2).

٣٥٢ ـ وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أنه قال: إنها دَابَّةٌ لها رِيشٌ وزَغَبٌ وحافر، ومالَها ذَنَبٌ، ولَها لِحْيَةٌ، وإنها تَخْرُجُ حُضْرَ الفرسِ الجَوادِ ثلاثاً، وما خرج ثُلُثاها(3). رواه ابن أبي حَاتِم.

٣٥٣ ـ وقال ابن جُرَيْج، عن أبي الزُّبَيْر، أنّه وصف الدابّة، فقال: رأْسُها رأْسُ ثَوْرٍ، وعيناها عينُ خنزير، وأذنُها أذنُ فِيلٍ، وقَرْنُها قرْنُ أيِّل، وعُنقُها عُنُق نَعامَةٍ، وصدرها صَدْرُ أسَدٍ، ولونُها لَوْنُ نمر، وخاصِرَتُها خاصِرَة هِرّ، وذَنَبُها ذَنَبُ كَبْشٍ، وقوائمُها قوائمُ بعيرٍ، بَيْنَ كلّ مَفْصِلَيْن اثنا عشر ذِراعاً، يَخْرُج معها عَصا موسى وخاتَمُ سُليمان، ولا يبقى مؤمن؛ إلّا نكتت في وجهه بعصا موسى نَكْتَةً بَيْضاءَ، فتَفْشو تِلكَ النَّكْتَةُ حتى يبيَضّ لها وَجْهُهُ، ولا يبقَى كافرٌ إلّا نكتَتْ في وجهه نَكْتَةً سَوْداءَ بخاتم سُليمان، فتفشو تلك النَّكْتَةُ، حتى يَسْوَدّ لها وَجْهُه، حتّى إنّ الناس يَتبايَعُون في الأسواق: بكم ذا يا مؤمن؟ بكم ذا يا كافر؟، حتى إن أهل

(1) رواه أحمد (٢/٤٩١)، وابن ماجه (٤٠٦٦) في الفتن، باب: دابة الأرض، والطيالسي في مسنده (٢٥٦٤).
«تجلو وجه المؤمن»: أي تنوّره.
«تخطم»: تسم.
(2) رواه ابن أبي حاتم. (الدر المنثور ٦/٣٨٢).
(3) المصدر السابق.

البيتَ ليَجْلِسُونَ على مَائِدَتِهم، فيَعْرِفُونَ مُؤْمِنَهُمْ مِنْ كافِرِهِم، ثم تقول لهم الدابّة: يا فلان، أبْشِر، أنت من أهل الجَنّة، ويا فُلانُ، أنْت من أهْلِ النَّار، فذلك قوله تعالى: **﴿وإذَا وَقَعَ القَولُ عَلَيهِمْ أخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأرضِ تُكَلِّمُهُمْ أنَّ النَّاسَ كَانُوا بآياتِنا لا يوقِنُونَ﴾** [النمل: ٨٢](1).

وقد ذكرنا فيما تقدّم عن ابن مسعود أنّ الدابّة تَقْتُلُ إبليس الرَّجِيمَ، وذلك فيما رواه نُعَيْمُ بن حمّاد في كتاب الفِتَنِ والمَلاحم، تصنيفه، والله أعلم.

٣٥٤ ـ وقال مسلم: حدّثنا أبو بكر بن أبي شَيْبَة، حدّثنا محمّد بن بِشْر، عن أبي حَيّان، عن أبي زُرْعَة، عن عبدالله بن عمرو، قال: حَفِظْتُ مِنْ رَسولِ الله ﷺ حديثاً لم أنْسَهُ بعدُ، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنّ أوّلَ الآيات خروجاً طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِها، وخروجُ الدابّة على الناس ضُحى، فأيتهما ما كانت قبلَ صاحبتها، فالأخرى على إثْرِها، قريباً»(2).

أي أول الآيات التي ليست مألوفة، وإن كان الدجّالُ، ونزولُ عيسى عليه الصلاة والسلام من السماء قبلَ ذلك، وكذلك خروجُ يأجوجَ ومأجوجَ، فكلّ ذلك أمور مألوفة، لأنّهم بَشَر مشاهَدَتُهم، وأمثالُهم مَألُوفَةٌ، فأما خروج الدّابة على شكلٍ غير مألوف، ومخاطبتُها الناسَ، ووَسمُها إيّاهُمْ بالإيمان والكفر، فأمر خارج عن مَجاري العاداتِ، وذلك أوّل الآيات الأرْضِيَّةِ، كما أنَّ طُلوعَ الشمس من مَغْرِبها على خِلاف عَادتِها المألوفة أوّلُ الآياتِ السَّماوِيّة.

* * *

(1) رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه. (الدر المنثور ٦/٣٨٣).
(2) رواه مسلم (٢٩٤١) في الفتن وأشراط الساعة، باب: في خروج الدجال ومكثه في الأرض، وأبو داود (٤٣١٠) في الملاحم، باب: أمارات الساعة، وابن ماجه (٤٠٦٩) في الفتن، باب: طلوع الشمس من مغربها.

ذكر طلوع الشمس من مغربها

قال الله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إيمَانِهَا خَيْراً قُلِ انْتَظِرُوا إنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

٣٥٥ ـ قال الإمامُ أحمد: حدثنا وَكِيعُ بنُ أبي لَيْلى، عَنْ عطِيّة العوْفيّ، عن أبي سعيد الخُدْريّ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿يَوْمَ يَأْتي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إيمانُها﴾ قال: «طلوع الشَّمس مِنْ مَغْرِبها»(١)، ورواه الترمذي عن سفيانَ بن وكيع، عن أبيه، به، وقال: غريب، وقد رواه بعضُهم فلم يَرْفَعْهُ.

٣٥٦ ـ وقال البخاريّ عند تفسير هذه الآية: حدّثنا موسى بنُ إسماعيلَ، حدّثنا عبدُالواحد، حدثنا عُمارَةُ، حدثنا أبو زُرْعةَ، حدثنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقومُ الساعةُ حتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبها، فإذا رآها الناسُ آمنَ مَنْ عَلَيْها، فذاكَ حِينَ لا ينفعُ نَفْساً إيمانُها لم تكن آمنَتْ مِنْ قَبْلُ»(٢)، وقد أخرجه بَقِيّةُ الجماعةِ، إلّا التّرمذيّ، من طرق، عن عُمارَة بن القَعْقاع بن شُبْرُمة، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير، عن أبي هريرة مرفوعاً مثلَه.

٣٥٧ ـ ثم قال البخاريّ: حدثنا إسحاق، حدثنا عبدالرزّاق، حدثنا معمر، عن هشام بن منبه(٣)، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقومُ الساعة حتّى تطلُعَ الشمسُ من مغربها، فإذاطلعت ورآها الناسُ آمنوا أجمعون، وذلك حين

(١) رواه أحمد (٣/٣١)، والترمذي (٣٠٧١) في تفسير القرآن، باب: ومن سورة الأنعام، وقال: هذا حديث حسن غريب.
(٢) رواه البخاري (٤٦٣٥) في التفسير، باب: ﴿قل هلم شهداءكم﴾، ومسلم (١٥٧) في الإيمان، باب: بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان.
(٣) الذي في البخاري: عن همام، عن أبي هريرة.

لا ينفعُ نَفْساً إيمانُها» ثم قرأ هذه الآية(١). وكذا رواه مسلم عن محمد بن رافع، عن عبدالرزّاق بن همامٍ الصنعانيّ، به، وانفرد مسلم بإخراجه من طريق العلاء بن عبدالرحمن بن يعقوب، عن أبيه، عن أبي هريرة.

٣٥٨ ـ وقال أحمد: حدّثنا وكيعٌ، عن فُضَيْلِ بن غَزْوانَ، عن أبي حازم سليمان، عن أبي هريرة، قال: رسول الله ﷺ: «ثَلاثٌ إذا خَرجْنَ لَا يَنْفعُ نفْساً إيمانُها لم تَكُنْ آمنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كسبت في إيمانها خَيْراً: طلوعُ الشمس من مغربها، والدُّخانُ، ودابّةُ الأرْضِ»(٢)، ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شَيْبَة، وزُهَيْرِ بْنِ حَرْب، عن وكيع به. ورواه مسلم أيضاً، والترمذيّ، وابن جرير من غير وجه، عن فُضَيْل بن غَزْوانَ، به، نحوه.

٣٥٩ ـ وقد ورد هذا الحديث من طرق عن أبي هريرة وعن جماعةٍ من الصحابة أيضاً، فعن أبي سريحَةَ حُذَيْفة بن أسِيد، عن رسول الله ﷺ قال: «لا تقومُ الساعةُ حتى تَرَوْا عَشْر آياتٍ: طُلوعَ الشمس من مغربها، والدابَّةَ، وخروجَ يأْجُوجَ، ومأْجوجَ، وخروجَ عيسى ابن مَرْيَمَ، والدجّالَ، وثلاثَ خُسُوفٍ: خَسْفُ بالمَشْرِقِ، وخَسْفُ بالمغرب، وخَسْفُ بجَزيرة العرب، وناراً تخرُج من قَعْرِ عَدَنَ، تَسُوق، أو تَحْشُر الناسَ، تَبِيتُ معَهم حَيْثُ باتُوا، وتَقِيلُ مَعَهُمْ حيثُ قالُوا»(٣) ورواه أحمدُ، ومسلم، وأهل السُّنَن، كما تقدّم غيرَ مَرّة.

٣٦٠ ـ ولمسلم من حديث العَلاءِ، عن أبيه، عن أبي هريرة، ومن حديث قتادةَ، عن الحسن، عن زياد بن رَبَاح، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ: «بادِرُوا بالأعمال سِتّاً»(٤) فذكر مِنْهُنّ طُلوع الشمس من مغربها، والدُّخانَ، والدابّة، كما تقدّم.

(١) رواه البخاري (٤٦٣٦) في التفسير، باب: ﴿لا ينفع نفساً إيمانها﴾، ومسلم (١٥٧) في الإيمان، باب: بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان.
(٢) رواه أحمد (٢/٤٤٥)، ومسلم (١٥٨) في الإيمان وسبق عند الترمذي برقم (٢٧٨).
(٣) سبق تخريجه برقم (٣٣٨).
(٤) سبق تخريجه برقم (١٤٥).

٣٦١ ـ وثبت في الصحيحين من حديث إبراهيم بن يزيد بن شَرِيك، عن أبي ذرّ، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «أتدري أين تَذْهَبُ هذه الشمسُ إذا غَرَبَتْ؟» قلت: لا أدري، قال: «إنّها تَنْتَهِي؛ فَتَسْجُدُ تَحتَ العَرْشِ، ثم تَسْتأذِنُ فيوشِكُ أنْ يُقالَ لَهَا ارْجِعِي مِن حَيْثُ جِئْتِ، وذلك حين لَا يَنْفَعُ نَفْساً إيمانُها لم تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبلُ أَوْ كَسَبَتْ في إيمانِها خيراً»[1].

٣٦٢ ـ وقال الإمام أحمد: حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم، حدثنا أبو حيّان، عن أبي زُرْعَة بن عمرو بن جرير، قال: جلس ثلاثة نُفَرٍ من المسلمين إلى مَروانَ بالمدينة، فسمعوه يقول: وهو يُحدّث عن الآيات، أوّلُها: خروجُ الدجال، قال: فانصرف النَّفَرُ إلى عبدالله بن عمرو؛ فحدّثوه بالذي سمعوه من مروان في الآيات، فقال عبدالله: لم يَقُل مَرْوانُ شَيْئاً، قد حَفِظْتُ مِنْ رسول الله ﷺ في مثل ذلك حديثاً لم أنسه بعدُ: سَمعتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول: «إنّ أوّل الآيات طلوعُ الشمس من مغربها، وخروجُ الدابة ضُحى، فأيّتهُما ما كانت قبلَ صاحبتها فالأخرىَ على إثرها قريباً» ثم قال عبدالله ـ وكان يقرأ الكتب ـ: وأظنُّ أولاهمَا خروجاً طلوع الشمس من مغربها، «وذلك أنه كلما غَرَبَتْ أَتَتْ تَحْتَ العَرْشِ، فسَجَدَتْ، واستَأْذَنَت في الرُّجوع فَأُذِن لها في الرجوع، حتّى إذا بَدا لله أنْ تَطْلُعَ مِنْ مَغرِبْها فَعَلَتْ كما كانت تفْعَلُ أَتَتْ تَحْتَ العَرْشِ، فسَجَدَت، فاسْتَأْذَنَتْ في الرُّجُوعِ فلم يُرَدّ عليها شيء، ثم تستأذن في الرجوع فلا يُرَدّ عليها شيء، ثم تستأذن في الرجوع فلا يردّ عليها شيء، حتى إذا ذهب من الليل ما شاء الله أن يذهب، وعرفَتْ أنّه وإن أذن لها في الرجوع لم تُدْرِكِ المَشْرِقَ، قالت: ربِّ، ما أبْعَدَ المَشْرِق، من لي بالناس؟ حتّى إذا صار الأُفق كأنّه طوْقٌ استأذنَتْ في الرُّجوع، فيقال لها ارجعي من مكانك فاطلعي، فطلعت على الناس من مغربها» ثم تلا عبدالله هذه الآية: **﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً﴾** [الأنعام: ١٥٨][2].

(١) رواه البخاري (٧٤٢٤) في التوحيد، باب: **﴿وكان عرشه على الماء﴾**، ومسلم (١٥٩) في الإيمان، باب: بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان.

(٢) رواه أحمد (٢/٢٠١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٨): رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح.

٣٦٣ ـ وقد رواه مسلم في صحيحه، وأبو داود، وابن ماجه، من حديث أبي حَيّان بن سعيد بن حَيّان، عن أبي زُرعة، عن عبدالله بن عمرو، قال: حَفِظتُ من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسَهُ بَعْدُ، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنّ أوّل الآيات خروجاً طلوعُ الشمس من مَغْرِبَها، وخروجُ الدابّة على الناس ضحى، فأيتهما ما كانت قبل صاحبتها؛ فالأخرى على إثرها قريباً»[1].

وقد ذكرنا أن المراد بالآيات هاهنا التي ليست مألوفةً، وهي مُخَالِفَةٌ للعادَة المستقرّة، فالدابّة التي تُكلّمُ الناس، وتُعَيّنُ المؤمنَ منَ الكافر، وطلوعُ الشمس من مغربها أمر باهر جداً، فهذه أولّ الآيات الأرضِية وهذه أولّ الآيات السماوية، وظنّ عبدُالله بن عمرو أنّ طلوع الشمس من مغربها مُتَقدِّمٌ على الدابّة، وذلك مُحتمل ومُناسب، فالله أعلم.

٣٦٤ ـ وقد ورد في ذلك حديث غريب رواه الحافظ أبو القاسم الطَّبرانيّ في مُعْجَمه، فقال: حدّثنا أحمد بن يحيى بن خالد بن حيان الرّقي، حدّثنا إسحاق بن إبراهيم بن زِبْريق الحمصي، حدّثنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار، حدثنا ابنُ لهيعَةَ، عن حيي بن عبدالرحمٰن، عن أبي عبدالرحمٰن الحُبليّ، عن عبدالله بن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا طلعت الشمسُ من مَغْربها خَرّ إبليسُ ساجِداً يُنادي وَيَجْهَرُ: إلهي، مُرْني أنْ أسْجُد لمَنْ شِئت، قال: فتجْتمِعُ إلَيْه زَبانيتُه، تقول: يا سَيِّدَهُمْ، ما هذا التضَرُّع؟ فيقول: إنما سألتُ رَبي أنْ يُنظرَني إلى الوَقْتِ المعلوم، قال: ثم تخرُج دَابَّة الأرض مِنْ صَدْع في الصَّفَا، قال: فأولُ خَطْوَةٍ تَضَعُها بأنطاكية، فيأتي إبْليسُ فَتَلْطِمُه»[2] وهذا غريب جداً، وَرَفْعُهُ فيه نكارة، لَعلّه من الزاملتَين اللتين أصابهما عبدُالله بن عمرو يوم اليَرْمُوك من كُتب أهل الكتاب، فكان يُحَدّث منهما أشياءَ غَرائِب. وقد تقدّم في خبر ابن مسعود الذي

(١) سبق تخريجه برقم (٣٥٤).

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٨): رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه إسحاق بن إبراهيم بن زبريق، وهو ضعيف.

رواه نُعَيْم بنُ حماد في «الفتن»: أنّ الدابّـة تَقْتُل إبْليسَ، وهـذا من أغرب الأخبار، والله أعلم.

٣٦٥ ـ وفي حديث طالوت بن عَبّاد، عن فَضَّال بن جُبَيْر، عن أبي أُمامَةَ صدي بن عَجْلان، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول الآيات طلوعُ الشمس من مَغْرِبها»[1].

٣٦٦ ـ وقال الحافظ أبو بكر بن مَرْدوَيه في تفسيره: حَدّثنا محمّد بن عليّ، حدّثنا ابنُ دُحَيْم، حدّثنا أحمدُ بن حازم بن أبي عَزْرَة، حدثنا ضِرارُ بنُ صرد بن فُضَيْل، عن سُلَيمان بن يزيد، عن عبدالله بن أبي أَوفى، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ليأتيَنّ على الناس لَيْلَةٌ تَعْدل ثلاث لَيال من لَيالِيكم هذه، فإذا كان ذَلِكَ يَعْرِفُها المُتَنَفّلون، يَقُومُ أحدهم، فيقرأ حِزْبَهُ، ثم ينام، ثم يقوم، فيقرأ حزبه، ثم ينام، فبينما هُم كذلك صاحَ الناسُ بعضُهم في بَعْضٍ، فقالوا: ما هذا؟ فيفزعون إلى المساجد، فإذا هم بالشمس قد طلعت، حتى إذا صارت في وسط السماء رَجَعَتْ، فطلعت من مَطْلعِها، قال: فحينئذ لا ينفع نَفْساً إيمانُها»[2].

٣٦٧ ـ ثم ساق ابنُ مَرْدويْه من طريق سُفْيَان الثوريّ، عن منصور، عن رِبْعي، عن حُذَيفَةَ، قال: سَأَلْتُ رسول الله ﷺ: ما آيةُ طلوع الشمس من مَغْربها؟ فقال: «تَطُولُ تلك الليلةُ حَتّى تكونَ قَدْرَ لَيْلَتَيْنِ، فَيَنْتَبِهُ الذينَ كانوا يُصلُّون فيها يعملون كما كانوا يعملون قبلها، والنجومُ لا تَرى قد باتَتْ مَكَانها، ثم يَرْقُدونَ، ثم يقومون، فيصلون، ثم يَرْقدون، ثم يقومون، فتَطِلّ عليهم جنوبهم حين يَتَطَاول اللّيل، فيَفْزَعُ الناسُ، ولا يُصْبِحون، فبينما هم ينتظرون طلوع الشمس من مَشْرِقها

(١) رواه ابن مردويه. (الدر المنثور ٣/٣٩٥).
وفي إسناده: فَضَّال بن جُبَيْر، قال ابن عدي: أحاديثه غير محفوظة، وهي نحو عشرة أحاديث، منها هذا الحديث. وقال ابن حبان: لا يحل الاحتجاج به بحال، يروي عن أبي أمامة ما ليس من حديثه. (ميزان الاعتدال ٣/٣٤٧ والمجروحين ٢/٢٠٤).
(٢) رواه ابن مردويه وعبد بن حميد. (الدر المنثور ٣/٣٩٢). وفي إسناده: ضرار بن صرد، قال البخاري: متروك، وقال يحيى بن معين: كذّابان بالكوفة، هذا وأبو نُعيم النخعي. (ميزان الاعتدال ٢/٣٢٧).

إذ طلعت من مَغْربها، فإذا رآها الناسُ آمنوا، ولا يَنْفَعهُم إيمانهُم»[1].

٣٦٨ ـ وقال الحافظ أبو بكر البَيْهَقيّ في «البعث والنشور» أنا محمد بن الْحُسَيْن بن داود، حدّثنا محمد بن عمر، حدّثني أبي، حدّثني ابنُ أبي ليلى، عن إسماعيل بن رجاء، عن سعيد بن إياس، عن عبدالله بن مسعود: أنه قال ذات يوم لجلسائه: أرأيتم قول الله تعالى: ﴿تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف: ٨٦] ماذا يعني بها؟ قالوا: الله ورسولُه أعلم، قال: إنها إذا غَربت سَجدتْ له، وسَبَّحته، وعظّمته، ثم كانت تحت العرش، فإذا حضر طلوعها سجدت له، وسبحته، وعظمته، ثم استأذنته، فيقال لها: اثْبُتي، فَتَحتبِس مقدار لَيْلَتَيْنِ. قال: ويَفْزَعُ المتهجدون وينادي الرجلُ تلك الليلةَ جَارَه: يا فلان، ما شَأْنُنا الليلةَ؟ لَقدْ نمتُ حَتّى شَبِعْتُ وصَلَّيتُ حتى أَعْيَيْتُ، ثم يقال لها: اطلُعي من حيث غَربْتِ، فذلك يوم لا يَنْفَعُ نَفْساً إيمانها لَمْ تَكُنْ آمَنتْ مِن قَبْلُ، أو كَسَبَتْ في إيمانها خَيْراً[2].

٣٦٩ ـ وقال الإمام أحمد: حدّثنا الحَكَم بنُ نافع، حدّثنا إسماعيل بن عيّاش، عن ضمضم بن زرعة، عن شريح بن عُبَيْد يَرُدُّه إلى مالك[3] بن يُخَامِر، عن ابن[4] السعديّ: أنّ رسول الله ﷺ قال: «لا تنقطع الهِجْرَةُ ما دام العدو يقاتل» فقال معاوية، وعبدالرحمٰن بن عوف، وعبدالله بن عمرو بن العاص: إنّ رسول الله ﷺ قال: «إن الهجرة خَصْلَتان: إحداهما يَهْجُرُ السَّيئات، والأخرى يُهاجر إلى الله ورسوله، ولا تَنْقَطعُ ما تُقُبِّلتِ التَّوْبَةُ، ولا تزال التوبةُ مَقْبولة حتى تَطلُع الشمسُ من المَغْرِب، فإذا طلعت طُبِعَ على كلّ قلب بمَا فيه، وكُفِيَ الناسُ العَمَلَ»[5] وهذا إسنادٌ جَيّد، قويّ، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب.

(١) رواه ابن مردويه. (الدر المنثور ٣/٣٩٠).
(٢) رواه أبو الشيخ في العظمة والبيهقي. (الدر المنثور ٣/٣٩٦).
(٣) في المطبوع: أمان.
(٤) في المطبوع: أبي.
(٥) رواه أحمد (١/١٩٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/٢٥١): رواه أحمد والطبراني في الأوسط والصغير من غير ذكر حديث ابن السعدي، والبزار من حديث عبدالرحمٰن بن عوف وابن السعدي فقط، ورجال أحمد ثقات.

٣٧٠ - وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد والترمذي، وصححه، والنسائي وابن ماجه، من طريق عاصم بن أبي النَّجود، عن زِرّ بن حُبَيْش، عن صفوان بن عَسال: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنّ الله فتح باباً قِبَل المغرب عرضه سَبْعونَ - أو قال أربعون عاماً للتوبة - ثم لا يُغْلَقُ حتى تَطْلُع الشمسُ منه»(١).

فهذه الأحاديثُ المتواترة، مع الآية الكريمة؛ دليل على أنّ مَنْ أحدث إيماناً، أو تَوْبة بعد طُلوع الشمس من مَغْربها لا تُقْبَلُ مِنْهُ، وإنّما كان كذلك والله أعلم؛ لأنّ ذلك من أشراط الساعة وعلاماتها الدالّة على اقترابها ودُنُوِّها، فعُومل ذلك الوقتُ مُعاملَةَ يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إلاّ أنْ تأْتِيهُمُ الملائكةُ أو يَأْتِيَ رَبُّك أَوْ يَأْتي بَعْضُ آياتِ رَبِّك يَوْمَ يَأْتي بَعْضُ آياتِ رَبِّك لا يَنْفَعُ نَفْساً إيمانُها﴾ [الأنعام: ١٥٨].

﴿فلمّا رَأَوا بأْسَنا قَالُوا آمَنّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنّا بِهِ مُشْرِكِين * فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إيمَانُهُمْ لَمّا رَأَوْا بَأْسَنا سُنَّةَ الله التي قَدْ خَلَتْ في عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الكَافِرُون﴾ [غافر: ٨٤ - ٨٥](٢).

وقال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إلاّ السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ [محمد: ١٨].

٣٧١ - وقد حكى البَيْهَقيّ، عن الحاكم أنّه قال: أوّلُ الآيات ظُهوراً خروجُ الدجّال، ثم نزول عيسى ابن مَرْيَم، ثم فتحُ يَأْجُوجَ ومَأجوج، ثم خروجُ الدابّة، ثم طُلُوعُ الشمس من مغربها، قال: لأنها إذا طلعت من مغربها آمن مَنْ عَلَيْهَا، فلو كان نزول عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام بعدَها، لم يكن كافر.

(١) رواه أحمد (٤/ ٢٤٠)، والترمذي (٣٥٣٥) في الدعوات، باب: في فضل التوبة والاستغفار، وابن ماجه (٤٠٧٠) في الفتن، باب: طلوع الشمس من مغربها.

(٢) «رأوا بأسنا»: عاينوا عذابنا في الدنيا.
«خلت»: مضت.

وهذا الذي قال فيه نظر، لأنّ إيمانَ أهل الأرض يَوْمئِذٍ لا يَنْفَعُ جَميعَهُمْ، ولا يَنْفَعُ نَفْساً إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، فمن أحدث إيماناً أو تَوْبةً يومئذٍ لم تُقبل منه، حتّى يكون مؤْمِناً أو تائباً قبلَ ذلك، وكذلك قوله تعالى في قصة نزول عيسى عليه الصلاة والسلام في آخر الدنيا: ﴿وإن مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ إلاّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ [النساء: ١٥٩] أي قَبْلَ مَوْتِ عيسى، وبعد نزوله يؤمِنُ جميعُ أهل الكتاب إيماناً صُورياً، بمعنى أنّهم يَتحقّقون أنه عبدُ الله ورسوله، فالنصرانيّ يَعلَمُ كَذِبَ نَفْسِه في دَعْواه فيه الرُّبوبيةَ والنُّبُوّة، واليهوديّ يعلم أنه نَبيّ ورسول من الله، لا وَلَدُ زانيةٍ، كما كان المُجرمون منهم يَزْعمونَ ذلك، عليهم من لعائن الله وغضبه المُتدارِكُ.

* * *

ذكر الدخان الذي يكون في آخر الزمان

قال الله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ * يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ * أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ * ثم تَوَلَّوا عَنْهُ وقالوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ * إنا كَاشِفُو العَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ * يَوْمَ نَبْطِشُ البَطْشَةَ الكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ [الدخان: ١٠ ـ ١٦].

وقد تكلّمنا على تفسير هذه الآيات في سورة الدخّان بما فيه مَقْنَعٌ، وقد نَقَل البخاريّ عن ابن مسعود أنّه فسّر ذلك بما كان يَحْصُل لقُرَيْشٍ مِنْ شِدّةِ الجُوع؛ بسبب القَحْط الذي دعا عليهم به رسولُ الله ﷺ، فكان أحدُهم يَرَى فيما بينه وبين السماء دُخَاناً من شدّة الجوع[1].

وهذا التفسير غريب جداً، ولم يُنْقَلْ مِثْلُه عن واحد من الصحابة غيرِه.

٣٧٢ ـ وقد حاول بعضُ العلماء المُتأخّرين ردّ ذلك، ومعارضتَه بما ثَبَتَ في حديث أبي سَرِيحةَ؛ حُذَيفةَ بن أسِيد: «لا تقومُ الساعةُ حَتّى تَرَوْا عَشْرَ آيات»[2] فذكر فيهنّ الدجّال، والدخان، والدابّة.

٣٧٣ ـ كذلك في حديث أبي هريرة: «بادرُوا بالأعمال سِتاً»[3] فذكر فيهنّ هذه الثلاث، والحديثان في صحيح مسلم مرفوعان، والمرفوع مقدّم على كلّ موقوف، وفي ظاهر القرآن ما يدلّ على وجود دُخان من السماء يَغْشى الناسَ، وهذا أمر محقّق عامّ، وليس كما رُوِي عن ابن مسعود أنّه خيالٌ في أعين قُرَيْش من شِدّة الجوع.

(١) رواه البخاري (٤٨٢١) في التفسير، باب: ﴿يغشى الناس هذا عذاب أليم﴾، بلفظ: «فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد».

(٢) سبق تخريجه برقم (٣٥٩).

(٣) سبق تخريجه برقم (١٤٥ و٣٦٠).

قال تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السماءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠] أي ظاهر واضح جليّ، ليس خيالاً من شِدّة الجوع، ﴿رَبَّنا اكْشِفْ عَنّا العَذابَ إنّا مُؤْمِنُون﴾ [الدخان: ١٢] أي يُنادِي أهلُ ذلك الزمان رَبّهم بهذا الدعاء يسألون كَشْفَ هذه الشدّة عنهم، فإنّهم قد آمنوا، وأيْقَنُوا بما وُعِدُوا به من الأمور الغَيْبيّة الكائنَة بعد ذلك يوم القيامة، وهذا دليل على أن يكون هذا قبل يوم القيامة، حيث يمكن رفعه، ويُمكن استدراكُ التوبة والإنابة، والله أعلم.

٣٧٤ ـ وقد روى البخاريّ عن محمّد بن كَثِير، عن سُفيانَ الثَّوْري، عن الأعْمَشِ، ومنصور، عن أبي الضُّحَى، عن مَسْرُوقٍ قال: بينما رجلٌ يُحدّث في ليلةٍ قال: يجيء دخان يوم القيامة، فيأخُذُ بأسماع المُنافقين وأبصارهم، ويأخذ المؤمن كهَيْئةِ الزُّكَام، ففزِعْنَا، فأتَيْنا ابن مسعود، قال: وكان مُتّكئاً، فغَضِب فجلَس، فقال: يا أيُّها الناسُ، من عَلِم شَيْئاً فَلْيَقُل به، ومن لم يعلم فلْيَقُلْ: اللَّهُ أعلم، فإنّ مِنَ العلم أن يقول لما لا يعلم: اللَّهُ أعلم، قال الله تعالى لنبيّه محمّد ﷺ: ﴿قُلْ ما أسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أجرٍ وما أنا مِنَ المُتكلّفِينَ﴾ [ص: ٨٦] إن قُرَيشاً أبطؤوا عن الإسلام، فدعا عليهم رسُولُ الله ﷺ: [فقال: «اللهم] أعني عليهم بِسَبْعٍ كسَبْعِ يوسف» فأخذَتْهُمْ سَنَةٌ حتى هَلَكُوا فيها، وأكَلُوا المَيْتَةَ، والعِظَامَ، ويرى الرجلُ ما بين السماء والأرض كَهَيْئَةِ الدُّخانِ، فجاءه أبو سُفْيانَ، فقال: يا محمد، جِئْتَ تأمرُ بصِلةِ الرَّحِمِ، وقَوْمُك قد هَلَكوا، فادعُ الله، فقرأ هذه الآية: ﴿فارْتَقِبْ يَوْمَ تأتي السَّماءُ بِدُخانٍ مُبين * يَغْشى النّاسَ هذا عذابٌ أَلِيمٌ * ربّنا اكْشِفْ عَنّا العَذابَ إنّا مُؤْمِنونَ﴾ [الدخان: ١٠ ـ ١٢] إلى قوله: ﴿إنّا كاشِفُو العَذابِ قَلِيلاً إنَّكُم عائِدُون﴾ [الدخان: ١٥] فيُكْشَفُ عَنْهُم عذابُ الآخرة إذا جاء، ثم عادوا إلى كفرهم، فذلك قوله: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ البَطْشَةَ الكُبْرى إنّا مُنْتَقِمُونَ﴾ [الدخان: ١٦]، فذاك يوم بدر، ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لزاماً﴾ [الفرقان: ٧٧]، فذاك يوم بدر، ﴿الٓم * غُلبتِ الرُّومُ * في أدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * في بِضْعِ سِنِينَ﴾ [الروم: ١ ـ ٤] والرُّوم قد مَضَى، فقد مضت الأربع[1].

(١) رواه البخاري (٤٧٧٤) في التفسير، باب: سورة الروم، وما بين حاصرتين منه، ومسلم (٢٧٩٨) في صفات المنافقين وأحكامهم، باب: الدخان.

وقد أخرجه البخاري أيضاً، ومُسلم من حديث الأعمش، ومنصور، به، نحوه، وفي روايةٍ: فقد مضى القمر، والدخان، والرُّوم، واللِّزامُ، وقد ساقه البخاري من طرق كثيرةٍ بألفاظٍ مُتعددةٍ.

وقول هذا القاص: إن هذا الدخانَ يكونُ يومَ القيامة، ليس بجَيد، ومن هاهنا تَسلَّط عليه ابنُ مسعود بالردّ، بل قبل يوم القيامة يكون وجودُ هذا الدخان، كما يكون وجودُ هذه الآيات، من الدابة، والدجّال، والدخّان، ويأجوج ومأجوج، كما دلت عليه الأحاديثُ عن أبي سَريحةَ وأبي هريرة، وغيرهما من الصحابة، وكما جاء مُصرَّحاً به في الحديث الذي رواه، وأما النار التي تكون قبل يوم القيامة فقد تقدّم في الصحيح أنها تخرُج من قَعْر عدن، تسوق الناس إلى المَحْشر، تبيتُ معهم حيثُ باتُوا، وتقيلُ معهم حيث قالُوا، وتأكلُ مَنْ تَخلّف منهم.

* * *

ذكر الصواعق عند اقتراب الساعة

٣٧٥ ـ قال الإمامُ أحمد: حدثنا محمد بن مُصْعَب، حدثنا عُمَارَةُ، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخُدرِي، أن رسول الله ﷺ قال: «تكثُر الصواعقُ عند اقتراب الساعة حتى يأتي الرجلُ القومَ فيقول: من صُعِق تلكُم الغَدَاةَ؟ فيقول: فلان، وفلان»[1].

* * *

(١) رواه أحمد (٣/٦٤ ـ ٦٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٩): رواه أحمد عن محمد بن مصعب، وهو ضعيف.

ذكر المطر الشديد قبل يوم القيامة

٣٧٦ ـ قال الحافظ أبو بكر البزّار في مُسنده: حدثنا إسحاقُ، حدثنا خالدٌ، عن سُهَيل، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقومُ الساعةُ حتى تُمْطِرَ السماءُ مَطَراً لا تُكَنُّ منه بُيوتُ المَدَر، ولا تُكَنُّ منه إلّا بُيوت الشعر»(١).

٣٧٧ ـ وقال الإمام أحمد: حدثنا مُؤَمَّل، حدثنا حَمَّادٌ، حدثنا عليّ بن زَيْد، عن خالد بن الحُوَيْرث، عن عبدالله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «الآيات خرَزَاتٌ مَنْظُوماتٌ في سِلْكٍ، فإن يُقطع السلك يَتْبَعْ بَعْضُها بَعْضاً»(٢).

* * *

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٣٣١): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.
(٢) رواه أحمد (٢/٢١٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٣٢١): رواه أحمد، وفيه علي بن زيد، وهو حسن الحديث.

باب ذكر أمور لا تقوم الساعة حتى يكون منها ما قد وقع، ومنها ما لم يقع بعد

قد تقدّم في الأحاديث السابقة من هذا الباب شيء كثير، ولنذكر أشياء أُخَر من ذلك، وإيراد شيء من أشراط الساعة، وما يدل على اقترابها، وبالله المستعان.

٣٧٨ ـ تقدّم ما رواه البخاريّ عن أبي اليمان، عن شُعَيب، عن أبي الزّناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ: «لا تقومُ الساعةُ حتّى يَتطاول الناس في البُنْيانِ، ولا تقومُ الساعةُ حتى تقتتِلَ فِئتانِ عَظيمتَانِ يكون بينهما مَقْتَلةٌ عظِيمةٌ، دعواهما واحدة، ولا تقوم الساعة حتى يُقْبَضَ العِلْمُ، وتَكْثُر الزلازلُ، ويَتَقارَب الزَّمانُ، وتكثُرَ الفِتَنُ، ويكثُرَ الهَرْج، ولا تقوم الساعةُ حتى يُبْعَث دَجَّالُونَ كذّابُون قَرِيبٌ مِنْ ثَلاثِين، كلُّهم يَزْعُمُ أنّه رسول الله، ولا تقوم الساعة حتى يَمرّ الرجُل بقَبْرِ الرَّجُلِ فيقول: ليتني مكَانَكَ، ولا تقوم الساعةُ حتّى تطلُع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناسُ آمنوا أجمعون، وذلك حين لَا يَنْفَعُ نفساً إيمانُها لم تكن آمَنَتْ من قبلُ أو كَسَبَت في إيمانها خيراً، ولا تقوم الساعة حتى يكثُر فيكم المالُ حتّى يُهِمّ الرَّجلَ رَبَّ المالِ مَنْ يَقْبَلُه منه»(١)، ورواه مسلم من وجه آخر عن أبي هريرة.

٣٧٩ ـ وتقدّم الحديث عن أبي هريرة، وبُرَيْدَةَ، وأبي بَكْرَةَ رضي الله عنهم، وغيرهم: «لا تقوم الساعةُ حَتّى تُقاتِلُوا التُّرْكَ عِراضَ الوجُوه، ذُلْفَ الأنوف، كأنَّ وجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ يَنْتعِلُونَ الشَّعَرَ»(٢) الحديث، وهم بنو قَنْطوراء، وهي جارية الخليل عليه الصلاة والسلام.

٣٨٠ ـ وفي الصحيحين من حديث شُعْبة، عن قتادة، عن أنس قال: قال

---

(١) سبق تخريجه برقم (١٠٤).
(٢) سبق تخريجه برقم (٢٦٩).

رسول الله ﷺ: «إنّ من أشراط الساعة أن يقِلّ العِلْمُ، ويَظْهَرَ الجَهْلُ والزِّنا وشُرْبُ الخَمْرِ، ويَقِلّ الرِّجالُ، ويَكثُرَ النِّساءُ حَتّى يكونَ لخمسين امرأةً القَيِّمُ الوَاحِدُ»[1].

٣٨١ - وقال سفيان الثوري، عن سُهَيْل، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا تذهبُ الأيّامُ والليالي حتى تعودَ أرضُ العَربِ مُرُوجاً وأنهاراً، أو حتى يحسر الفُراتُ عَنْ جَبلٍ مِنْ ذَهب، فيَقْتَتِلُونَ عَلَيْهِ فيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مائةٍ تِسعَةٌ وتِسْعُونَ، ويَنجُو واحد»[2] وأخرجه مسلم من وجه عن سُهَيْل.

٣٨٢ - وروى البخاريّ عن أبي اليمان، عن شُعَيْب. وأخرج مسلم من حديث مَعْمَر، كلاهما عن الزهريّ، عن سعيد، عن أبي هريرة: أنّ رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعةُ حتّى تضطرب أَلْيَاتُ نِساءِ دوْسٍ حَوْلَ ذِي الخَلَصَةِ طاغيةِ دَوْسٍ التّي كانُوا يَعْبُدونَ في الجاهلية»[3].

٣٨٣ - وفي صحيح مسلم، من حديث الأسود بن العَلاء، عن أبي سَلَمة، عن عائشة، قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لا يذهب الليل والنهار، حتى تُعْبَد اللاتُ والعُزّى» فقلت: يا رسول الله، إن كنتُ لأظُنُّ حين أنزل الله **﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدينِ كلّه﴾** [التوبة: ٣٣] ذلك تامّاً، فقال: «إنّه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يَبْعَثُ الله رِيحاً طَيِّبةً، فيُتَوفى كلُّ مَنْ كَانَ في قلبه مِثْقالُ حبة خردلٍ من إيمان، فيَبقَى مَنْ لا خَيْرَ فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم»[4].

---

(١) رواه البخاري (٥٢٣١) في النكاح، باب: يَقِلّ الرجال ويكثر النساء، ومسلم (٢٦٧١) (٩) في العلم، باب: رفع العلم وقبضه.

(٢) رواه مسلم (١٥٧) في الزكاة، باب: الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها، وأحمد (٢/٣٧٠ و٤١٧).

(٣) سبق تخريجه برقم (١٠٥).

(٤) رواه مسلم (٢٩٠٧) في الفتن، باب: لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة.
«لا يذهب الليل والنهار»: أي لا ينقطع الزمان ولا تأتي القيامة.

٣٨٤ - وفي جُزْئي الأنصاري، عن حُمَيْد، عن أنس: أن عبدالله بن سَلاَم سأل رسول الله ﷺ: ما أول أشراطِ الساعة؟ قال: «نارٌ تَحْشُر الناسَ من المشرق إلى المَغْرِب» الحديث بتمامه، ورواه البخاريّ من حديث حُمَيْد، عن أنس[1].

٣٨٥ - وفي حديث أبي زُرْعة، عن أبي هريرة: أنّ رسولَ الله ﷺ كان يوماً بارزاً للناس، إذ أتاه أعرابيّ، فسأله عن الإيمان، الحديث، إلى أن قال: يا رسول الله، فمتى الساعة؟ فقال: «ما المَسْؤولُ عَنْها بأَعْلَمَ مِن السائل، ولكن سأحدّثك عن أَشْراطها: إذا وَلَدت الأَمَةُ رَبَّتها، وإذا تطاولَ رُعاةُ الإبل في البنيان، في خمس لا يَعْلَمهن إلا الله، ثم قرأ **﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَه عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا في الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ ماذَا تكسِب غداً وما تَدْرِي نَفْسٌ بأيِّ أرضٍ تَمُوتُ إِنّ اللهَ عليمٌ خَبِيرٌ﴾** [لقمان: ٣٤] ثم انصرف الرجلُ، فقال: «رُدُّوه عَليّ» فلم يَروا شَيْئاً، فقال: «هذا جبريلُ جاء ليُعَلِّم الناسَ دينَهم»[2]، أخرجاه في الصحيحين.

وعند مسلم أنَّ الإماء في آخر الزمان هنّ المشَارُ إليهنّ بالحشْمةِ، تكون تحت الرجل الكبير دون غيرها مِنَ الحرائر، ولذلك قَرَن ذلك بقوله: «وأنْ ترى الحُفَاةَ العُراةَ العَالَة يتطاوَلُونَ في البُنْيانِ» يعني بذلك أنّهم يكونون رؤوس الناس، قد كثُرت أموالُهم، وامتدّت وجَاهتُهم، فليس لهم دَأب ولا هِمّة إلا التطاول في البناء.

٣٨٦ - وهذا كما في الحديث المتقدّم: «لا تقومُ الساعةُ حتّى يكون أحظَى الناس بالدُّنيا لُكَع ابن لُكَع»[3].

٣٨٧ - وفي الحديث الآخر: «لا تقوم الساعة حتى يسودَ كلَّ قبيلة رُذَالها»[4].

ومَنْ فَسّر هذا بكثرة السراري لكثْرةِ الفُتوحات، فقد كان هذا في صدر هذه

---

(١) رواه البخاري تعليقاً (١٣/٧٨) في الفتن، باب: خروج النار.

(٢) سبق تخريجه برقم (٣٧).

(٣) رواه الترمذي (٢٢٠٩) في الفتن، وقال: حسن غريب، وأحمد (٥/٣٨٩).
«لكع»: هو من لا يعرف له أصل، ولا يُحمد له خُلقٌ.

(٤) رواه البزار والطبراني كما في المجمع (٧/٣٢٧)، والديلمي في الفردوس (٧٥١٦) بلفظ: «... إلا منافقوها».

الأمة كثيراً جداً، وليس هذا بهذه الصفة من أشراط الساعة المتاخمة لوقتها، والله أعلم.

٣٨٨ ـ وقال الحافظ أبو بكر البَيْهَقيّ في كتابه «البعث والنشور»: أنبأنا أبو عبدالله الحافظ، وأبو بكر زكريا بن إسحاق قالا: حدّثنا عبدالباقي بن نافع الحافظ، حدثنا عبدالوارث بن إبراهيم العسكريّ، حدثنا يوسف بن مِسكين، حدّثنا المبارك بن فَضالة، عن الحسن، قال عُتَيّ: خرجتُ في طَلب العلم، فقدمتُ الكوفة فإذا أنا بعبدالله بن مسعود، فقلت: يا أبا عبدالرحمٰن، هل للساعة من عَلَم تُعرَفُ به؟ فقال: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن ذلك، فقال: «من أشراط الساعة أن يكون الولدُ غَيْضاً، والمطرُ قَيْظاً، وتفيض الأشرار فَيْضاً، ويُصَدَّقُ الكاذبُ، ويؤمن الخائن، ويُخوَّنُ الأمين، ويَسود كلَّ قبيلة مُنافِقُوها، وكلّ سوق فُجَّارُها، وتزخرفُ المحاريبُ، وتَخْرَبُ القُلوبُ، ويَكْتفِي الرِّجالُ بالرجال، والنِّساءُ بالنِّساء، ويَخْرَب عُمرانُ الدُّنيا، ويَعْمُر خَرابُها، وتَظْهَر الْفِتْنَةُ، وأكلُ الرِّبا، وتَظْهَر المعَازِف، والكبور، وشُرْبُ الخَمْرِ، ويكثر الشُّرَط، والغَمَّازُون»[1]، ثم قال البَيْهَقِيّ: هذا إسناد فيه ضعف، إلاّ أنّ ألفاظه قد رُويت بأسانيد أخر كثيرة مُتَفَرِّقَة.

قلت: قد تقدّم في أول هذا الكتاب فصلٌ فيه ما يقع من الشرور في آخر الزمان، وفيه شواهد كثيرة لهذا الحديث.

٣٨٩ ـ وفي صحيح البخاريّ من حديث عطاء بن يَسار، عن أبي هريرة؛ أنّ أعرابياً سأل رسولَ الله ﷺ فقال: متى الساعة؟ فقال: «إذا ضُيِّعَتِ الأمانةُ فانتظر الساعة» قال: يا رسول الله، وكيف إضَاعتها؟ فقال: «إذا وُسّد الأمرُ إلى غير أهله»[2].

(١) ذكره الهندي في كنز العمال (٣٨٥٦٠)، وعزاه للبيهقي في البعث، وابن النجار.
«غيضاً»: قليلاً.
«تفيض»: تكثر.
«الكبور»: الكَبَر: الطبل ذو الوجه الواحد.
(٢) رواه البخاري (٦٤٩٦) في الرقاق، باب: رفع الأمانة.
«وُسّد»: أُسْنِد.

٣٩٠ ـ وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شُعْبَةُ، عن واصل، عن أبي وائل، عن عبدالله، قال: وأحْسبه رَفَعه إلى النبي ﷺ، قال: «بين يَدَي الساعة أيّام الهَرْج، أيامٌ يزولُ فيها العلم، ويَظْهَرُ فيها الجَهْلُ» فقال أبو موسى: الهرج: بلسان الحبشة القتل[1].

٣٩١ ـ وروى الإمام أحمد عن أبي اليَمانِ، عن شُعَيْب، عن عبدالله بن أبي حُسَيْن، عن شَهْران، عن أبي سعيد: أنّ رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعةُ حتّى يَخْرُجَ الرجل من أهله، فيخبره نَعلُه، أو سَوْطُه، أو عصاه، بما أحدث أهْلهُ بَعْدَه»[2].

٣٩٢ ـ وروى أيضاً عن يزيد بن هارون، عن القاسم بن الفضل الحُدّانيّ، عن أبي نضرةَ، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده، لا تقومُ الساعةُ حتى يكلم السِّباعُ الإنسَ، ويكلم الرَّجُلَ عَذَبةُ سَوْطِه وشِراكُ نَعْلِهِ، ويُخْبِره فخذُه ما أحْدَثَ أهْلُهُ بعده»[3].

٣٩٣ ـ وقال الإمام أحمد: حدثنا عفّان، حدثنا حمّاد؛ هو ابن سَلَمَة، عن ثابت، عن أنس، قال: كنا نتحدّثُ: «لا تقومُ الساعةُ حتّى لا تمطر السماءُ، ولا تُنبِتَ الأرض، وحتّى يكُون لِخَمْسِينَ امرأةً القيمُ الواحِدُ، وحتّى إنّ المرأةَ لَتمُرّ بالبَعلِ فينظرُ إلَيْها، فيقول: لَقَدْ كان لِهَذِهِ مَرَّة رجلٌ»[4] قال أحمد: ذكره حمّادٌ مَرّة هكذا، وقد ذكره عن ثابت، عن أنس، عن النبيّ ﷺ فيما يَحْسِبُ إسناده جيّد، ولم يُخْرِجُوه من هذا الوجه.

٣٩٤ ـ وقال الإمامُ أحمد: حدّثنا هُشَيْم، حدَّثنا شُعْبَةُ، عن قتادة، عن أنس بن مالك يرفع الحديث، قال: «لا تقوم الساعةُ حتّى يُرْفَعَ العِلْمُ، ويَظْهَرَ

(١) رواه أحمد (١/٤٣٩).
(٢) رواه أحمد (٣/٨٨) من حديث طويل.
(٣) رواه أحمد (٣/٨٣ ـ ٨٤) من حديث طويل.
(٤) رواه أحمد (٣/٢٨٦)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٣٣٠) وقال: ورجاله ثقات.

الجهل، ويقِل الرِّجالُ، ويَكْثُرَ النِّساء، حتى يَكُون قَيِّمُ خَمْسِينَ امْرَأَةً رَجُلٌ»[1]، تقدّم له شاهد في الصحيح.

٣٩٥ ـ وقال أحمد: حدّثنا عبدالرزّاق، حدّثنا مَعْمَر، عن الزهريّ، أخبرني أنس بن مالك، أنّ رسول الله ﷺ خرج حين زاغت الشمس، فصلّى الظهر، فلمّا سلّم قام على المِنْبر، فذكر الساعة، وذكر أنّ بَيْن يَدَيْهَا أموراً عِظَاماً، وذكر تمام الحديث[2].

٣٩٦ ـ وقال الإمامُ أحمد: حدّثنا هاشم، وأبو كامل، قال: حدّثنا زُهَيْر، حدّثنا سُهَيْل، عن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقومُ الساعةُ حتّى يَتَقاربَ الزَّمانُ، فتكونَ السَّنَةُ كالشَّهْر، ويكونَ الشَّهْرُ كالجُمُعَة، وتكون الجُمُعة كاليوم، ويكونَ اليومُ كالساعة، وتكون الساعة كإحراق السَّعَفَة»[3] الخوصة زعم سهيل، وهذا الإسناد على شَرْط مُسْلِم.

٣٩٧ ـ وقال أحمد: حدّثنا محمد بن عبدالله، حدّثنا كامل، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لن تذهب الدنيا حتى تصير لِلُكَع ابن اللُّكَع»[4] إسناده جيد قوي.

٣٩٨ ـ وقال أحمد: حدثنا يونس، حدثنا فُلَيْح، عن سعيد بن عُبيد بن السَّبَّاق، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «قَبْلَ الساعة سِنُونَ خَدَّاعةٌ، يُكَذَّبُ فيهَا الصَّادقُ، ويُصَدّقُ فِيهَا الكَاذِبُ، ويُخَوَّنُ فيها الأمين، ويُؤْتَمَنُ فيها الخَائن، ويَنْطِقَ فيهَا الرُّوَيْبِضَةُ»[5] قال شُرَيْحٌ: وينطق فيها الرويبضة. وهذا إسناد

(١) رواه أحمد (٣/٢٧٣).
(٢) رواه أحمد (٣/١٦٢).
(٣) رواه أحمد (٢/٥٣٧ ـ ٥٣٨).
(٤) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٢٢٠): رواه أحمد والبزار، ورجال أحمد رجال الصحيح غير كامل بن العلاء، وهو ثقة.
(٥) رواه أحمد (٢/٢٣٨).
«الرويبضة»: تصغير الرابضة، وهو العاجز الذي رَبَضَ عن معالي الأمور وقعد عن طلبها، وزيادة التاء للمبالغة. وقال أبو عبيد: الرويبضة: المراد بها الربا الذي كان عليهم في الجاهلية؛ فصالحهم على وَضْع الربا والدماء.

جيّد، ولم يخرجوه من هذا الوجه.

٣٩٩ ـ وقال أحمد: حدّثنا هَوْذَةُ، حدّثنا عوف، عن شَهْر بن حَوْشَب، عن أبي هريرة: أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ من أشراط الساعةِ أنْ يُرى رُعَاةُ الشاء رُؤوسَ الناس، وأن ترى الحُفَاةَ العُراةَ الجُوَّعَ يتَبارَوْنَ في البُنْيانِ، وأَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَها أو رَبَّهَا»[1] وهذا إسناد حسن، ولم يخرجوه من هذا الوجه.

٤٠٠ ـ وقال أحمد: حدّثنا عمّار بن محمد، عن الصَّلت بن قُوَيْد، عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تقومُ الساعة حتى لا تَنْتَطِحَ ذَاتُ قَرْنٍ جَمّاء»[2] تفرد بإسناده، ولا بأس بإسناده.

٤٠١ ـ وقال أحمد: حدَّثنا يحيى، عن ابن عَجْلان، قال: سمعت أبي يحدّث، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يُقْبَضَ العِلْمُ، ويَظْهَرَ الجَهْلُ، ويَكْثُرَ الهَرْجُ» قيل: وما الهَرْجُ؟ قال: «القتل»[3] تفرد به أحمد، وهو على شرط مسلم.

٤٠٢ ـ وقال أحمد: حدثنا عبدالرزّاق، أنا مَعْمَر، عن همامٍ، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقومُ الساعةُ حتى يَكْثُرَ فِيكُمُ المالُ فَيَفِيض، حتَّى يُهِمَّ رَبَّ المالِ مَنْ يَقْبَلُ مِنْهُ صدقةَ ماله، ويُقْبَضَ العِلْمُ، ويَقْرُبَ الزمان، وتَظْهَرَ الفِتَنُ، ويَكْثُرَ الهَرْجُ»، قالوا: وماالهرج؟ أيما هو يا رسول الله؟ قال: «القتل القتل». وقال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعةُ حتى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمتَان، دعواهما واحدة، وتكون بينهم مَقْتَلَة عظيمة»، وقال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يُبعَث دَجَّالُونَ كذَّابُونَ قَرِيبٌ مِن ثلاثين، كُلُّهم يَزْعُمُ أنه رسول الله»، وقال رسول الله ﷺ: «لَا تَقُوم الساعةُ حتَّى تَطْلُع الشَّمسُ من مَغْرِبها، فإذَا طَلَعت ورآها الناسُ آمنوا أجمعون، وذلك حين لا يَنْفَعُ نفساً إيمانها»[4] وهذا ثابت في الصحيح.

(١) رواه أحمد (٢/٣٩٤).
(٢) رواه أحمد (٢/٤٤٢).
«جماء»: أي لا قرن لها.
(٣) رواه أحمد (٢/٤٢٨).
(٤) رواه أحمد (٢/٣١٣).

٤٠٣ ـ وقال الحافظ أبو بكر البزّار: حدّثنا أحمد بن محمد، حدّثنا القاسمُ بن الحَكَم، عن سليمان بن داود اليمامي، عن يحيى بن أبي كَثِير، عن أبي سَلَمَة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: «والّذي بَعثَني بالحَقّ لَا تَنْقَضِي هَذِهِ الدُّنيا حَتّى يَقَعَ بَيْنَهُمُ الخَسفُ والقَذْفُ والمَسْخ»، قالوا: ومتى ذَلِكَ يا رسول الله؟ قال: «إذَا رَأَيْتَ النِّساء رَكِبْنَ السُّرُوجَ، وكَثُرت القَيْنات، وفَشَتْ شَهَادَاتُ الزُّور، واستَغْنَى الرِّجَالُ بالرِّجَال والنِّساءُ بالنِّساء»(١).

٤٠٤ ـ وروى الطبرانيّ من حديث كثير بن مُرّة، عن عبدالله بن عمر: أنّ رسول الله ﷺ قال: «مِن أشراط الساعة أنْ تَعْزُبَ العُقُولُ وتُنْقَصَ الأحلامُ»(٢).

٤٠٥ ـ وقال الإمام أحمد: حدّثنا أبو أحمد الزبيري، حدّثنا بَشِيرُ بن سَلْمان، وهو أبو إسماعيل، عن سَيّار بن الحَكَم، عن طارق بن شِهاب، قال: كُنّا عِنْدَ عبدالله بن مسعود جُلُوساً فجاء رجل، فقال: قد أُقيمتِ الصلاة، فقام، وقُمنا معه، فلما دخلنا المسجدَ رأينا النّاسَ رُكوعاً في مقدَّم المسجد، فكبّر وركَع، وركَعْنا، ثم مَشَيْنا وصَنَعْنا مِثْلَ الَّذي صَنَع، فمرَّ رَجُل يُسْرِعُ، فقال: عَلَيْكَ السلامُ يا أبا عبدالرحمٰن، فقال: صدق الله ورسوله، فلمّا صَلّينا ورجعنا دَخل إلى أهله وجلَسْنا، فقال بعضُنا لبعض: أما سمعتم رَدَّه على الرجل: صَدَقَ اللَّهُ وبلَّغَتْ رُسُلُه؟ أيُّكم يَسْأَلُه؟ فقال طارق: أنا أسأله، فسأله حين خرج، فذكر عن النبيّ ﷺ أنّ بَيْنَ يدي الساعة تَسْليمَ الخاصة، وفشُوَّ التّجارة؛ حتى تُعين المرأة زَوْجَها على التِّجارَة، وقَطْعَ الأرحام، وشهادَةَ الزُّور، وكتمانَ شَهادة الحق وظهور القلم(٣).

ثم روى أحمد عن عبدالرزاق، عن بشر بن سيّار؛ أبي حمزة، قال أحمد: وهذا هو الصواب، وسيار أبو الحَكَم لم يَرْوِ عن طَارق شيئاً.

(١) رواه البزار في كشف الأستار (٣٤٠٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/١٠): رواه البزار والطبراني في الأوسط، وفيه سليمان بن داود اليمامي وهو متروك.
(٢) ذكره السيوطي في (الدر المنثور ٦/٥٤).
(٣) رواه أحمد (١/٤٠٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٣٢٩): رواه أحمد والبزار ببعضه، ورجال أحمد والبزار رجال الصحيح.

صفة أهل آخر الزمان

٤٠٦ ـ قال الإمام أحمد: حدّثنا عبدالصمد، حدّثنا همام، حدّثنا قتادةُ، عن الحسن، عن عبدالله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقومُ الساعةُ حتى يأخُذَ الله شَرِيطته من أهل الأرض، فيبقى فيها عَجاجةٌ لا يعرفون معروفاً، ولا يُنكِرون مُنكراً»(١).

وحدَّثنا عفان، حدّثنا همامٌ، عن قتادَة، عن الحسن، عن عبدالله بن عمرو(٢)، ولم يرفعه، وقال: «حتّى يأخُذَ الله عَزّ وجلَّ شريطته من الناس»(٣).

٤٠٧ ـ وقال الإمام أحمد: حدّثنا عفان، حدّثنا قيس، حدّثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن عبيدة السَّلْماني، عن عبدالله بن مسعود، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنّ من البَيان سِحراً، وشرارُ الناس الذينَ تُدْرِكُهُمُ الساعة أحياء، والذينَ يَتَّخِذُون قُبورَهُم مساجد»(٤)، وهذا إسناد صحيح، ولم يخرجوه من هذا الوجه.

٤٠٨ ـ وقال الإمامُ أحمد: حدّثنا بَهْز، عن شُعْبَة، حدثنا علي بن الأقمر، سمعتُ أبا الأحوص يُحَدّث عن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعةُ إلَّا على شِرَار النّاس»(٥) ورواه مسلم عن زُهَير بن حَرْب، عن عبدالرحمٰن بن مَهديّ، عن سفيان الثوري(٦)، عن علي بن الأقمر.

(١) رواه أحمد (٢/٢١٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/١١٣): رواه أحمد مرفوعاً وموقوفاً، ورجالهما رجال الصحيح.
«شريطة»: أي الخيار، وهذه اللفظة من الأضداد.
«عجاجة»: أي الغوغاء والأراذل ومَن لا خير فيه.
(٢) في المطبوع: عمير، والتصحيح من المسند.
(٣) رواه أحمد (٢/٢١٠).
(٤) رواه أحمد (١/٤٥٤).
(٥) رواه أحمد (١/٤٣٥)، ومسلم (٢٩٤٩) في الفتن وأشراط الساعة، باب: قرب الساعة.
(٦) في صحيح مسلم: شعبة.

وقد تقدّم في الأحاديث السابقة: أنّه يَقِلُّ الرجالُ، وتكْثُرُ النِّساء، حَتّى يكونَ لِخَمْسِينَ امرأةً القيِّمُ الواحدُ، يَلُذْنَ به، وأنّهم يَتسافَدُونَ في الطُّرقات، كما تتسافد البهائم، وقد أوردناها بأسانيدها وألفاظها بما أغنى عن إعادتها، ولله الحمد.

٤٠٩ ـ وقال أحمد: حدّثنا عفان، حدّثنا حمّاد، أخبرنا ثابت، عن أنس، عن النّبي ﷺ، قال: «لا تقوم الساعةُ حتى لا يُقال في الأرض لا إله إلاّ الله»[١].

٤١٠ ـ ورواه مسلم، عن زُهَيْر بن حرب، عن عفّان، به ولفظه: «لا تقومُ الساعةُ حتى لا يقَال في الأَرْضِ: الله الله»[٢].

٤١١ ـ وقال الإمامُ أحمد: حدّثنا عبدالرزّاق، أخبرنا مَعْمَر، عن ثابت، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقومُ الساعةُ على أحد يقولُ: الله، الله»[٣]، وكذا رواه مسلم عن عَبْدِ بنِ حُمَيْد، عن عبدالرزاق، به.

٤١٢ ـ وقال أحمد: حدثنا ابن أبي عديّ، عن حُمَيْد، عن أنس قال: قال سول الله ﷺ: «لا تقومُ الساعة حتى لا يُقَالَ في الأَرْض: الله، الله»[٤] وهذا لإسناد ثلاثي على شرط الصحيحين، وإنّما رواه الترمذيّ، عن بُنْدار[٥]، عن حمد بن عبدالله بن أبي عديّ، عن أنس مرفوعاً، وقال: حسن، ثم رواه عن حمد بن المُثنَّى، عن خالد بن الحارث، عن حُمَيْد، عن أنس مرفوعاً، ثم قال: مذا أصحّ مِنَ الأول[٦].

وفي معنى قوله ﷺ: «حتى لا يقال في الأرض: الله، الله» قولان:

أحدهما: أنّ معناه: أنّ أحداً لا يُنكر مُنكراً أو لا يَزْجُر أحدٌ أحداً إذا رآهُ قَدْ

رواه أحمد (٣/٢٠١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/١٢): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

رواه مسلم (١٤٨) في الإيمان، باب: ذهاب الإيمان آخر الزمان.

رواه أحمد (٣/١٦٢)، ومسلم (١٤٨)، وانظر الحديث برقم (٥٠).

رواه أحمد (٣/١٠٧).

في سنن الترمذي: محمد بن بشار.

رواه الترمذي (٢٢٠٧) في الفتن، باب (٣٥).

تعاطى مُنكراً، وعبّر عن ذلك بقوله: «حتى لا يقالَ: الله، الله» كما تقدّم في حديث عبدالله بن عمرو «فيبقى فيهَا عَجَاجَةٌ لا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفاً، ولا يُنكِرُونَ مُنْكراً».

والقول الثاني: حتى لا يُـذْكَرَ الله في الأرض، ولا يُعْـرَفَ اسمه فيهـا، وذلك عند فساد الزمان، ودَمَار نوع الإنسان، وكثرة الكفر والفسوق والعِصْيان، وهذا كما في الحديث الآخـرة:

٤١٣ ـ «لا تَقُومُ السَّاعة حتى لا يقال في الأرض لا إلـه إلاّ الله»[١] وكما تقـدم في الحديث الآخر:

٤١٤ ـ «إنّ الشَّيخَ الكَبِيرَ يَقُول: أَدْرَكْتُ الناس وَهُمْ يقـولون: لَا إِلـه إلاّ الله، ثم يَتفَاقمُ الأمْرُ وَيتزَايَدُ الحالُ، حتى يُتْرَكَ ذِكْرُ الله في الأَرْض، ويُنْسَى بالكُلِّيَة، فلا يُعْرَفُ فيها إلا شرارُ شر الناس، وعَلَيْهِم تقُومُ الساعة»[٢].

٤١٥ ـ كما تقدم في الحـديث: «وَلا تَقُومُ السَّـاعَةُ إلّا على شـرار النَّاس»[٣]، وفي اللفظ الآخَرِ: «وشرارُ الناس: الذين تُدْرِكُهُمْ الساعةُ وهم أحياءٌ».

٤١٦ ـ وفي حـديث عبدالعـزيـز بن صُهَيْب، عن أنس، عن النبيِّ، ﷺ: «لا يَزدَادُ الناس إلاّ شُحّـاً، ولا يزداد الـزَّمانُ إلاّ شِـدَّةً، ولا تقومُ السَّـاعَةُ إلاّ على شِـرَار النـاس»[٤].

٤١٧ ـ وقـال الإمام أحمـد: حـدثنـا هاشم، حـدثنا إسحاق بن سعيـد، [عن عمرو بن سعيد بن العاص][٥]، عن أبيه، عن عائشةَ، قـالت: دَخَلَ عليَّ رسـول الله

---

(١) سبق تخريجه برقم (٤١٠).

(٢) سبق تخريجه بـرقم (٤٠٩).

(٣) سبق تخريجه برقم (٤٠٨).

(٤) رواه ابن مـاجـه (٤٠٣٩) في الفتن، بـاب: شـدة الـزمـان، قـال الألبـاني: ضعيف جـداً إلا جملة «الساعة...» فصحيحة. (ضعيف سنن ابن ماجه ص(٣٢٥). ورواه الحـاكم (٤/٤٤١) من طريق آخر، ثم قال: قد روي بعض هذا المتن عن عبدالعزيز بن صهيب عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ. ثم ذكره من طريق عبدالعزيز وقال: ذكرتُ ما انتهى إليَّ من علّة هذا الحديث تعجباً لا محتجاً به في المستدرك على الشيخين.

(٥) ما بين حاصرتين ليس في المسند.

ﷺ، وهو يقول: «يا عائشة، قَوْمُكِ أَسْرَعُ أمتي بي لَحَاقاً» فلمَا جَلَس قلت: يا رسول الله، جَعَلني الله فِدَاكَ، لَقَدْ دخلت وأنت تقول كلاماً أذعرني، قال: «وما هو؟» قلت: تزعم أنَّ قومي أسرع أمَّتك بِكَ لِحَاقاً، قال: «نعم»، قلت: وعمَّ ذاك؟ قال: «تَسْتحليهم المنايا، وتَنْفس عَلَيْهم أُمَّتُهُم» قالت: فقلت: وكيف الناس بعد ذلك؟ قال: «دَبى يأكلُ شِدَادُه ضِعَافه، حتى تَقُوم الساعة» والدبى: الجنادب التي لم تَنْبُتْ أَجْنِحَتُها. تفرد به أحمد[1].

٤١٨ ـ وقال أحمد: حدّثنا ابن ثابت، حدّثني عبدالحميد بن جعفر، عن أبيه، عن السُّلَمي، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لا تقومُ الساعةُ إلاّ عَلَى حُثَالَةٍ مِنَ النَّاسِ»[2] تفرّد به، وقد رواه أبو خَيْثمة، عن عليّ بن ثابت.

٤١٩ ـ ولأبي نُعَيْم من طريقه، بإسناده: «لا تقومُ الساعةُ حتى يَمْلِك رَجُلٌ مِنَ المَوالي يُقالُ لَهُ جَهْجَاه»[3].

* * *

ذكر طرق الحديث عن رسول الله ﷺ

كل طرفة عين، وأنه قال ﷺ: «بُعِثْتُ أنَا والساعةُ كهَاتيْنِ» رواية أنس بنِ مالك، رضي الله عنه

٤٢٠ ـ قال الإمام أحمد: حدّثنا أبو المغيرة، حدثنا الأوزاعيّ، حدثنا

(١) رواه أحمد (٦/٨١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٢٨): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.
«تستحليهم المنايا»: تجد فيهم حلاوة فتأكلهم، والمعنى: تفنيهم.
«تنفس عليهم»: تحسدهم.

(٢) رواه أحمد (٣/٤٩٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/١٣): رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني، ورجاله ثقات.
«حثالة»: الحثالة: الرديء من كل شيء.

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/٢٤٦): رواه الطبراني، وفيه من لم أعرفه.

إسماعيل بن عُبَيْد الله، يعني ابن أبي الأجرأ الدمشقي، قال: قدم أنس بن مالك رضي الله عنه على الوليد بن عبدالملك، فسأله: ماذا سَمِعْتَ من رسول الله ﷺ يَذْكُر به الساعة؟ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «أَنْتُمْ والساعةُ كَهَاتَيْن»[1]، تفرد به أحمد من هذا الوجه.

* * *

طريق أخرى عنه

٤٢١ ـ قال أحمد: حدثنا هاشم، حدثنا شُعْبَةُ، عن أبي التَّيّاح، وقتَادَةَ، وحَمْزَةَ، وهو ابن عمرو الضبي: أنّهم سَمِعُوا ابنَ مالكٍ يقول عن النبي ﷺ: «بُعِثْتُ أنا والساعةُ هكذا» وأشار بالسبابةِ والوُسْطَى، وكان قتادة يقول: كَفَضْلِ إحداهما على الأخرى[2]، وأخرجه مسلم من حديث شُعْبَةَ، عن حمزة الضبيّ هذا، وأبي التياح، كلاهما عن أنس، به.

* * *

طريق أخرى

٤٢٢ ـ قال الإمامُ أحمد: حدّثنا يَزِيدُ، حدّثنا شُعْبَةُ، عن قتادَةَ، عن أنس بن مالك، عن النبيّ ﷺ قال: «بُعِثْتُ أنا والساعةُ كهاتين»[3] وأشار بالسبّابة والوُسطَى. وأخرجه البخاريّ، ومُسلم، والترمذيّ، من حيث شُعْبة به، وفي رواية لمسلم عن شُعْبَة، عن قتادة، وأبي التيّاح، كلاهُمَا عن أنس به، قال الترمذيّ: حسن صحيح.

* * *

طريق أخرى عنه

٤٢٣ ـ روَى الإمامُ أحمد عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن

(١) رواه أحمد (٣/٢٢٣).

(٢) رواه أحمد (٣/٢٧٨)، ومسلم (٢٩٥١) في الفتن وأشراط الساعة، باب: قرب الساعة.

(٣) رواه أحمد (٣/١٢٤)، والبخاري (٦٥٠٤) في الرقاق، باب: قول النبي ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين»، ومسلم (٢٩٥١) في الفتن وأشراط الساعة، باب: قرب الساعة، والترمذي (٢٢١٤) في الفتن، باب (٣٩).

محمد بن إسحاق، عن زياد بن أبي زياد المدني، عن أنس بن مالك: أنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «بُعِثْتُ والساعةُ كهاتين» ومد إصبعَيه السبّابة والوُسْطى(١)، تفرّد به أحمد، وإسناده لا بأس به.

* * *

طريق أخرى عنه

٤٢٤ ـ قال مسلم في صحيحه: حدّثنا أبو غسّانَ، مالك بن عبدالواحد، حدّثنا مُعْتمِرُ بنُ سُلَيْمانَ، عن أبيه، عن مَعْبد بن هِلال العَنزيّ، عن أنس بن مالك قال: إنّ رَسولَ الله ﷺ قال: «بُعِثْتُ أنا والساعةُ كَهَاتَيْنِ»(٢)، تفرد به مُسلم.

* * *

طريق أخرى عنه

٤٢٥ ـ قال أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شُعْبةُ، عن أبي التياح [وحجاج](٣) قال: سمعت أنس بن مالك يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «بُعِثْتُ أنا والساعةُ كهاتَيْنِ» وبَسطَ إِصْبَعَيْهِ السبابَةَ والوُسطى(٤)، وأخرجاه في الصحيحين من حديث شُعْبَةَ، عن أبي التياحِ يَزيدَ بن حُميد، وزاد مسلم: وحمزةَ الضبي، عن أنسٍ، به.

* * *

رواية جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ

٤٢٦ ـ قال أحمد: حدثنا مُصْعَب بن سَلام، حدّثنا جعفر، هو ابن محمد بن علي بن الحُسَيْن، عن أبيه، عن جابر بن عبدالله، قال: خَطَبنا رسولُ الله ﷺ، فَحمِدَ الله وأثنَى عليه بما هو له أهل، ثم قال: «أما بَعْدُ، فإنّ أَصْدَقَ الحَدِيث كتابُ

(١) رواه أحمد (٣/٢٣٧).
(٢) رواه مسلم (٢٩٥١) (١٣٥)، في الفتن وأشراط الساعة، باب: قرب الساعة.
(٣) في المسند.
(٤) رواه أحمد (٣/١٣١)، ومسلم (٢٩٥١) (١٣٤) في الفتن وأشراط الساعة، باب: قرب الساعة.

الله، وإنّ أفْضل الهَدْيِ هَدْيُ مُحمَّدٍ، وشَرَّ الأمورِ مُحْدثَاتُها، وكُلّ بِدْعةٍ ضَلالَةٌ» ثُمّ يَرْفَعُ صَوْتَهُ وَتحْمَرُّ وَجْنَتاهُ، وَيشْتَدُّ غضبُه إذا ذَكَر الساعةَ كأنَّهُ مُنْذِرُ جَيْش، ثم يقول: «أتَتْكُم الساعةُ، بُعِثْتُ أنا وَالسَّاعَة هكَذا» وأشار بأصْبُعَيْهِ السَّبابَةِ وَالوُسْطى «صَبَّحَتْكُمُ السَّاعَةُ وَمسَّتكم، من ترك مالاً فَلأَهْلِهِ، وَمَنْ تَرَكَ دَيناً أو ضَياعاً فإليَّ وعليّ، وَالضَّيَاعُ وَلَدُه المسَاكِينُ»(١)، وقد رواه مُسلم، والنَّسائي، وابن ماجه، من طرق، عن جعفر بن محمد، به، وعند مسلم قال: «وبُعِثْتُ أنا والساعةُ كهاتَيْن».

* * *

رواية سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ

٤٢٧ ـ قال مسلم: حدّثنا سعيد بن منصور، قال: حدّثنا قُتَيْبَةُ بنُ سعيد، واللفظ له، حدّثنا يعقوب، هو عبدالرحمٰن بن أبي حازم(٢)، أنه سَمع سَهْلاً يقول: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يُشِيرُ بإصْبَعِهِ التي تَلِي الإبْهَام، والوُسْطَى، وهو يقول: «بعِثْتُ أنا والساعةُ هكذا»(٣)، تفرّد به مسلم.

* * *

رواية أبي هريرة ـ رضي الله عنه

٤٢٨ ـ قال الحافظ أبو يَعْلَى: حدثنا أبو هشام، حدثنا أبو بكر، حدثنا أبو حصينٍ، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أنا والساعةُ كَهَاتَيْنِ» وضَمَّ إصْبَعَيْه(٤).

٤٢٩ ـ وقد رواه البخاري، عن يحيى بن يوسف، عن أبي بكر بن عَيّاش، عن أبي حصين؛ عُثْمَانَ بن عَاصِم، عن أبي صالح، ذَكْوَانَ، عن أبي هريرة، عن

(١) رواه أحمد (٣/٣١١ ـ ٣١٢)، ومسلم (٨٦٧) في الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة، وابن ماجه (٤٥) في المقدمة، باب: اجتناب البدع والجهل.
«ضَياعاً»: أي عيالاً.
(٢) في صحيح مسلم: يعقوب بن عبدالرحمٰن، وعبدالعزيز بن أبي حازم.
(٣) رواه مسلم (٢٩٥٠) في الفتن وأشراط الساعة، باب: قرب الساعة.
(٤) رواه أبو يعلى في مسنده (٢١١١، ٢٩٢٥، ٢٩٩٩).

النبي ﷺ، قال: «بُعِثْتُ أنا والساعةُ كَهاتَيْنِ»[1]، ثم قال البخاريّ: وتابعه إسرائيل.

ورواه ابن ماجه[2]، عن هَنّاد بن السَّريِّ، وأبي هشام الرفاعي، عن أبي بكر بن عيّاش، قال: وجمع بين إصبعيه.

٤٣٠ ـ وقال أبو بكر بن أبي الدُّنْيَا: حَدثنا أبو مسلم؛ عبدالرحمٰن بن يونس، حدثنا سُفْيانُ، عن إسماعيل، عن أبي خالد، عن قَيْس بن أبي حازم، عن أبي جَبِيرةَ بن الضَّحّاك، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «بُعِثْتُ في نسمِ الساعة» يقول: حين بَدَرَتْ في أوّل وَقْتِها[3]. وهذا إسناد جيِّد، وليس هو في شيء من الكُتب، ولا رواه أحمد بن حَنْبَل، وإنّما روى لأبي جَبِيرة حديثاً آخر في النهي عن التَّنابُز بالألقاب.

* * *

(١) رواه البخاري (٦٥٠٥) في الرقاق، باب: قول النبي ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين».

(٢) رواه ابن ماجه (٤٠٤٠) في الفتن، باب: أشراط الساعة.

(٣) رواه البزار في كشف الأستار (٣٢١٥)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٣١٢) وسكت عن رجاله قال الأعظمي: وهم معروفون، والإسناد حسن.
«نسم الساعة»: من النسيم، وهو أول هبوب الريح الضعيفة، أي أول أشراط الساعة، وضعف مجيئها.

حديث في تقريب يوم القيامة

٤٣١ ـ قال الإمامُ أحمد: حدّثنا أبو اليَمانِ، حدّثنا شُعَيْبٌ، عن الزهريّ، أخبرني سالم بن عبدالله، أنّ عبدالله بن عُمَر قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو قائم على المِنبَر، يقول: «ألا إنَّ بقاءكم فيما سَلَفَ قَبْلَكُمْ من الأمم، كما بَيْنَ صَلاةِ العَصرِ إلى غُرُوبِ الشَّمْسِ، أُعْطِيَ أَهْلُ التَّوراةِ التَّوراةَ فعملوا بها، حتّى إذا انْتصفَ النَّهارُ عَجزُوا، فأُعْطُوا قِيراطاً قِيراطاً، ثم أُعْطِي أهْلُ الإنجيلِ الإنْجيلَ فَعمِلُوا به حَتّى صلاةِ العَصْرِ، فأُعْطُوا قيراطاً قيراطاً، ثُمّ أُعْطِيتُمُ القُرْآنَ فَعملتُم به حَتَّى غَرَبَت الشَّمْسُ فأُعْطِيتُمْ قِيراطَيْن قِيراطَيْن، فقال أهْلُ التَّوراةِ والإنْجيلِ: رَبَّنا، هؤلاءِ، أقلُّ عَمَلاً، وأكْثَرُ أَجْراً؟ فقال: هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ أجْرِكُمْ شَيْئاً؟ قالوا: لا، قال: فذاك فضلي أُوتِيهِ مَنْ أشاء»[1]. وهكذا رواه البخاريّ عن أبي اليمانِ.

٤٣٢ ـ وللبخاريّ من حديث سُفْيانَ الثوريّ، عن عبدالله بن دينار، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّما أجَلُكُم في أجَلِ مَنْ خَلا مِنَ الأمَمِ قَبْلَكُمْ، كَمَا بَيْن صَلاةِ العَصْرِ وَمَغْرِبِ الشَّمْسِ، ومَثَلُكُمْ وَمَثَلُ اليَهُودِ والنَّصَارَى»[2] فذكر الحديث بتمامه، وطوله.

* * *

طريق أخرى عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ

٤٣٣ ـ قال الإمامُ أحمد: حدّثنا الْفَضلُ بنُ دُكَيْنٍ، حدّثنا شَرِيكٌ، سمعتُ سَلَمَةَ بن كُهَيلٍ، يُحَدّث عن مجاهد عن ابن عمر، قال: كُنَّا جُلُوساً عند النبيِّ ﷺ، والشمسُ على قُعَيْقِعَانَ بعدَ العَصْرِ، فقال: «ما أعمارُكُم في أعْمارِ مَنْ مَضَى

(١) رواه أحمد (٢/١٢١).

(٢) رواه البخاري (٥٠٢١) في فضائل القرآن، باب: فضل القرآن على سائر الكلام.

إلَّا كَمَا بَقِيَ مِنَ النَّهارِ، وفيما مَضَى مِنْهُ»(١)، تفرّد به أحمد. وهذا إسناد حسن، لا بأس به.

* * *

طريق أخرى عنه

٤٣٤ ـ قال أحمد: حدّثنا إسماعيل بن عمر، حدّثني كَثِير بن زيد، عن المطلب بن عبدالله، عن عبدالله بن عمر: أنه كان واقفاً بعرَفاتٍ، فنظر إلى الشمس، حين نزلت مثلَ التُّرْس للغروب، فبَكَى، واشتدّ بكاؤه، فقال له رجل عنده: يا أبا عبدالرحمٰن، قد وقفتَ معي مراراً فلم تصنع هذا؟! فقال: ذَكَرْتُ رسول الله ﷺ، وهو واقف بمكاني هذا، فقال: «يا أَيُّها الناس إنّه لم يَبْقَ مِنْ دُنْيَاكُمْ فِيمَا مَضَى مِنْهَا إلاّ كَمَا بَقِي مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا، فيما مضى منه»(٢)، تفرّد به أحمدُ.

* * *

طريق أخرى عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ

٤٣٥ ـ قال الإمامُ أحمد: حَدّثنا يُونُس، حدثنا حماد يعني ابن زَيْد، عن أيوبَ، عن نافعٍ، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلَا إِنَّ آجالكم في آجال الأُممِ قَبْلَكُمْ. كما بَيْنَ صلاة العصر إلى مُغَيْرِبَانِ الشَّمس»(٣)، ورواه البخاريّ عن سُليمانَ بن حَرْب، عن حمّاد بن زَيْد، به، نحوَه، بأَبْسَط مِنْهُ.

وروى الحافظُ أبو القاسم الطَّبرانيُّ، من حديث عَطِيّة العَوْفيّ، ووَهْب بن هَيّان، عن ابن عمر، عن النبيّ ﷺ نحوَ ذلك. وهذا كله يَدُلّ على أنّ ما بقي بالنِّسْبةِ إلى ما مَضى شيءٌ يَسِيرٌ، لكن لا يَعْلَمُ مِقْدَارَ ما مَضَى إلا اللَّهُ تعالى، ولَمْ يجيءْ فيه تَحْدِيدٌ يَصِح سَنَدُه عن المعصوم، حتى يُصَارَ إليه، ويُعْلَمَ نِسْبَةُ ما بَقي

(١) رواه أحمد (٢/١١٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٣١١): رواه الطبراني في الكبير، وفي أحد إسنادي الكبير شريك وقد وثق، وبقية رجاله رجال الصحيح.
«قعيقعان»: جبل بمكة.
(٢) رواه أحمد (٢/١٣٣).
(٣) رواه أحمد (٢/١٢٤).

بالنِّسْبة إليه، ولكنّه قَلِيلٌ جِدّاً بالنِّسْبةِ إلى الماضي، وتعيينُ وقت الساعة لم يُؤْتَ به في حديث صَحِيح، بل الآياتُ والأحاديثُ دالّةٌ على أنّ عِلْمَ ذَلِك مِمّا استأثر اللَّهُ تعالى به، دون أحدٍ مِنْ خَلقه، كما سيأتي تقريرُهُ في أول الجزء الآتي بعد هذا، إن شاء الله تعالى، وبه الثقة وعليه التُّكْلانُ.

٤٣٦ ـ فأَما الحديث الذي رواه الإمام أحمد بن حَنْبَل، رحمه الله، في مُسْنَدِهِ قائلاً: حدثنا أبو اليمان، أنبأنا شُعَيبٌ، عن الزهريّ، حدّثني سالم بن عبدالله، وأبو بكر بن أبي حَثْمة(١)، أن عبدالله بن عمر قال: صلى رسول الله ﷺ العِشَاءَ في آخِرِ حياتِهِ، فلمَّا سلم قام، فقال: «أَرَأَيْتُكُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ، فإنّ على رأسِ مائةِ سنةٍ لا يبقى مِمَّنْ هو اليومَ على ظَهْرِ الأرض أَحَدٌ» قال عبدالله: فَوَهِلَ النّاسُ في مَقَالَةِ رسول الله ﷺ تِلْك، إلى ما يُحَدِّثُون مِنْ هَذِهِ الأحاديث، عن مائة سَنَةٍ. وإنّما قال النبيُّ ﷺ: «لا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ الْيَومَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ أَحَدٌ» يريد بذلك أنّه يَنْخَرِمُ ذلِكَ القَرْنُ(٢).

وهكذا رواه البخاريّ(٣) عن أبي اليَمانِ، الحَكَم بن نَافِع، عن شُعَيْبٍ، به.

فقد فسّر الصحابيُّ المرادَ بما فَهِمَهُ، وهو أولى بالفَهْم من كُلِّ أحَدٍ مِنْ أنّه يُرِيدُ عَلَيْهِ الصلاةُ والسلامُ أنْ يَنْخَرِم قَرْنُه ذَلِكَ، فلا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ كَائِنٌ عَلَى وَجْهِ الأرضَ مِنْ أَهْلِ ذلك الزَّمانِ أحَدٌ إلى مائةِ سَنَةٍ.

وقد اختلف العلماء، هل ذلك خاصٌّ بذلك القرن؟ أو عامّ في كلّ قَرْنٍ؟ لا يبقى أحَدٌ أكْثَرَ مِن مائةِ سَنَةٍ على قولين، والتخصيص بذلك القرن المُعَيّن الأَوّل أَوْلَى، فإنّه قد شُوهِدَ بعضُ الناس جاز مائة سَنَةٍ، وذلك في طائفة من المُعَمَّرِينَ، كما أوردنا ذلك في التاريخ، ولكنّه قليلٌ في الناس، فالله أعلم.

ولهذا الحديث طرق أخرى، عن النبي ﷺ تَسْليماً.

* * *

(١) في المسند: سليمان.
(٢) رواه أحمد (٢/٨٨).
(٣) رواه البخاري (١١٦) في العلم، باب: السمر في العلم.

رواية جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ

٤٣٧ ـ قال أحمد: حدثنا أبو النّضر، حدثنا المبارك، حدّثنا الحَسَن، عن جابر بن عبدالله: أنّ رسول الله ﷺ سُئِل عن الساعة قَبْلَ أن يَموتَ بِشَهْرٍ، فقال: «تَسْأَلُوني عن الساعة، وإنّما عِلْمُها عند الله، فوالّذي نَفْسِي بِيَدِهِ ما أَعْلَمُ اليومَ نَفْساً [منفوسة] تأْتي عَلَيْها مائةُ سَنَةٍ»(١).

تفرّد به أحمدُ، وهو إسناد جيّد حسن، رجالُه ثقات، أبو النّضر هاشمُ بن القاسم، من رجال الصحيحين، ومبارَكُ بن فُضَالَةَ، حديثُه عند أهل السُّنَن، والحسنُ بن أبي الحَسن البَصْريّ من الأئمة الثِّقَاتِ الكِبارِ، وروايته مخرجَةٌ في الصِّحاح كُلِّها، وَغيرها.

* * *

طريق أخرى عن جابر ـ رضي الله عنه ـ

٤٣٨ ـ قال الإمامُ أحمد: حدّثنا حَجّاج، قال ابنُ جُرَيْج، أخبرني أبو الزُّبَيْر؛ أنّه سمع جابرَ بن عبدالله يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول قَبْلَ أنْ يَموت بشَهْرٍ: «تَسْأَلُوني عَنِ السَّاعةِ، وإنّما عِلْمُها عِنْدَ اللّهِ، وأُقْسِمُ باللّهِ ما على الأرض نفسٌ منفوسةٌ اليوم يأتي عليها مائةُ سنةٍ»(٢).

وكذا رواه مسلم(٣) عن هارون بن عبدالله، وحجّاج بن الشاعر، عن حَجّاج بن محمد الأعور، وعن محمد بن حاتم، عن محمد بن بكر، كلاهما عن ابن جُرَيْج، به.

٤٣٩ ـ وقال مسلم في الصحيح، باب: تقريب قيام الساعة(٤): حدّثنا أبو بكر بن أبي شَيْبَةَ وأبو كُرَيبٍ، قالا: حَدّثنا أبو أسَامَةَ، عن هشام، عن أبيه، عن

---

(١) رواه أحمد (٣/٣٢٦)، وما بين حاصرتين مستدرك منه.

(٢) رواه أحمد (٣/٣٨٥).

(٣) رواه مسلم (٢٥٣٨) في فضائل الصحابة، باب: قوله ﷺ: «لا تأتي مئة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة».

(٤) في صحيح مسلم: باب قرب الساعة.

عائشة، قالت: كان الأعرابُ إذا قَدِمُوا على رسول الله ﷺ سألوه عن السّاعة، متى السّاعة؟، فنَظر إلى أحْدَث إنسانٍ مِنْهُم، فقال: «إنّ يَعِشْ هذا، لم يُدْرِكْه الهَرَمُ، قامت عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ»(١)، تفرّد به الإمام مُسلم رحمه الله.

٤٤٠ ـ ثم قال مسلم: حدّثنا أبو بكر بن أبي شَيْبَة، حدّثنا يونس بن محمد، عن حمّادِ بن سَلَمة، عن ثابت، عن أنس: أنّ رَجُلاً سأل رَسُولَ الله ﷺ: متى تقومُ السّاعة؟ وعنده غُلامٌ من الأنصار يقال له محمد، فقال رسول الله ﷺ: «إنْ يَعِشْ هذا الغلامُ، فعسَى أنْ لا يُدْرِكَهُ الهَرَمُ، حتّى تَقُومَ السّاعة»(٢)، تفرد به مسلم من هذا الوجه.

٤٤١ ـ ثم قال مسلم: وحدّثني حَجّاجُ بنُ الشاعر، حدّثنا سُلَيْمَانُ بنُ حَرْب، حدثنا حمّادٌ؛ يعني ابنَ زَيْدٍ، حدثنا مَعْبَدُ بنُ هِلالٍ العَنَزيّ، عن أنس بن مالك: أنّ رَجُلاً سأل النبيَّ ﷺ، قال: متى تقومُ الساعة؟ قال: فسكت النبيُّ ﷺ هُنَيْهَةً ثمّ نظرَ إلى غُلامٍ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ أَزْدِشَنُوءَةَ، فقال: «إنْ عُمِّرَ هذا الغُلامُ، لَمْ يُدْرِكْهُ الهَرَمُ، حتّى تَقُومَ السّاعةُ».

قال أنس: ذاك الغُلاَمُ من أتْرابي يومئذ(٣)، تفرد به مسلم أيضاً، من هذا الوجه.

٤٤٢ ـ ثم قال مسلم: حدّثنا هارونُ بنُ عبدالله، حدّثنا عَفّانُ بنُ مُسْلم، حدّثنا هَمّامٌ، حدّثنا قَتَادَةُ، عن أنس، قال: مَرَّ غُلامٌ للمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ وكَانَ مِنْ أَقْراني، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إنّ يُؤَخَّرْ هَذَا فَلَنْ يُدْرِكَهُ الهَرَمُ، حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»(٤). ورواه البخاريّ عن عمرو بن عاصم، عن همام، به.

وهذه الرواياتُ تدلّ على تَعْدادِ هذا السؤال وهذا الجواب، وليس المراد بذلك تحديدَ وَقْتِ السّاعة العُظْمَى إلى وَقْتِ هَرَمِ ذَلِك المُشارِ إلَيه، وإنّما

---

(١) رواه مسلم (٢٩٥٢) في الفتن وأشراط الساعة، باب: قرب الساعة.

(٢) رواه مسلم (٢٩٥٣).

(٣) رواه مسلم (٢٩٥٣) (١٣٨).

(٤) رواه مسلم (٢٩٥٣) (١٣٩)، والبخاري (٦١٦٧) في الأدب، باب: ما جاء في قول الرجل: ويلك.

سَاعَتُهُمْ، وَهُوَ انْقِراضُ قَرْنِهِمْ وَعَصْرِهِم، قُصاراهُ أَنْ يُتَناهَى في مُدَّةِ عُمْرِ ذَلكَ الغُلام.

٤٤٣ ـ كما تقدّم في الحديث: «تَسْأَلوني عَنِ السَّاعَةِ وإنّما عِلْمُها عِنْدَ اللَّهِ، وأُقْسِمُ باللَّهِ ما عَلَى الأَرْضِ نَفْسٌ مَنْفُوسَةٌ اليَوْمَ يَأْتي عَلَيْها مِائَةُ سنةٍ»[1].

وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ رِوايةُ عَائِشَة رضي اللَّهُ عَنْها: «قامَتْ عَلَيْكُمْ ساعَتُكُمْ»، وذلك أنَّهُ مَنْ ماتَ فَقَدْ دَخلَ في حُكْمِ القِيامَةِ، فَعالَم البَرْزَخِ قَرِيبٌ مِنْ عَالَمِ يومِ القِيامةِ، وفيه شَبَهٌ مِنَ الدُّنيا أيضاً، ولكنْ هُوَ أشْبَهُ بالآخِرة، ثُمَّ إذا تَناهَتِ المُدَّةُ المَضْرُوبَةُ لِلدُّنيا أمَرَ اللَّهُ بِقِيامِ السَّاعَةِ فَجُمِعَ الأَوَّلُونَ والآخِرُونَ لِميقاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ، كما سيأتي بيانُ ذلك من الكتاب والسنَّة، وباللَّهِ المستعانُ وعليه التُّكْلانُ.

* * *

(١) سبق تخريجه برقم (٤٣٧ و٤٣٨).

ذكر دنوّ يوم القيامة واقترابها

وأنها آتيةٌ، وأنها لاتأتي إلاّ بَغْتَةً، ولا يعْلَم وقتَها على التعيين إلاّ اللَّهُ تعالى

قال الله تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ في غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١].

وقال تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً﴾ [الأحزاب: ٦٣]. وقال تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ لَيسَ لَهُ دَافِعٌ * مِنَ اللَّهِ ذي المَعَارِجِ * تَعْرُجُ المَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ في يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ * فَاصْبِرْ صَبْراً جَميلاً * إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً * وَنَرَاهُ قَرِيباً * يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالمُهْلِ * وَتَكُونُ الجِبَالُ كَالْعِهْنِ * وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَميماً﴾[1] [المعارج: ١ ـ ١٠].

وقال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وانْشَقَّ القَمَرُ﴾ [القمر: ١].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُم قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [يونس: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ * يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ في السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾

(١) «سأل سائل»: دعا داعٍ. «ذي المعارج»: ذي السماوات أو الفضائل والنعم. «تعرج»: تصعد. «الروح»: جبريل عليه السلام. «كالمهل»: كالمعدنِ المذاب. «كالعهن»: كالصوف المصبوغ ألواناً. «حميم»: قريب مشفق.

[الشورى: ١٧ ـ ١٨][1]. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا * يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْراً * نَحْنُ أَعْلَمُ بِما يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْماً﴾[2] [طه: ١٠٢ ـ ١٠٤].

وقال تعالى: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِين * قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ العَادِّينَ * قَالَ إِن لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُم تَعلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٢ ـ ١١٤].

وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ رَبِّي لَا يُجلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّماواتِ والأرضِ لا تأتِيكُم إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ ولكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧][3].

وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَانَ مُرْسَاهَا * فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا * إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾ [النازعات: ٤٢ ـ ٤٤].

وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ الله﴾ [الأحزاب: ٦٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى * فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ [طه: ١٥ ـ ١٦][4].

وقال تعالى: ﴿قُل لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ والأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ * بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ [النمل: ٦٥ ـ ٦٦].

---

(١) «الميزان»: العدل والتسوية في الحقوق. «يمارون»: يجادلون، أو يشكُّون.

(٢) «زرقاً»: زرق العيون، أو عُمْياً، أو عِطاشاً. «يتخافتون»: يتسارُّون ويتهامسون. «أمثلهم طريقة»: أعدلهم وأفضلهم رأياً ومذهباً.

(٣) «أيّان مرساها»: متى إثباتها ووقوعها. «لا يجليها»: لا يظهرها ولا يكشف عنها. «ثقلت»: عظمت لشدتها.

(٤) «فتردى»: فتهلك.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤].

ولهذا لمّا سَأَلَ جبريل عليه السلامُ رسولَ الله ﷺ وهو في صُورةِ أعرابي عن الساعة، قال له: «مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»[1]، يعني قد استوى فيها عِلْمُ كُلّ مسؤول وسائلٍ بطريق الأولى والأَحْرَى، لأنّه إنْ كانَت الألف واللاّمُ في المَسْؤُول والسائل للعَهْدِ عائدةً عليه، وعلى جبريل، فكلّ أحدٍ ممّن سواهُما لا يَعْلَمُ ذَلِكَ بطريق الأَوْلَى والأَحْرَى، وإنْ كانت للجِنْسِ عَمّتْ بطريق اللّفظ، واللّهُ أعلم.

ثم ذكر شيئاً مِنْ أشراطها، ثم قال: «في خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إلاّ اللّهُ»، ثُمّ قرأ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤] الآية.

وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [يونس: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمواتِ وَلَا فِي الأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِين * لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ * وَالَّذِينَ سَعَوا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِن رِجْزٍ أَلِيم﴾ [سبأ: ٣ ـ ٥][2].

وقال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثم لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

فهذه ثلاثُ آياتٍ يأمرُ اللَّهُ رسولَه أنْ يُقْسِمَ به على المَعَادِ، وليس لهُنَّ رابعةٌ

---

(١) سبق تخريجه برقم (٣٨٥).

(٢) «لا يعزب عنه»: لا يغيب عنه ولا يخفى عليه. «مثقال ذرّة»: مقدار أصغر نملة أو هَبَاءة. «معاجزين»: مُسَابِقين ظانِّين أنهم يَفُوتُونا. «من رجز»: أشدّ العذاب.

مثلهنّ، ولكن في مَعناهنّ كثير، قال الله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ * إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٣٨ ـ ٤٠].

وقال تعالى: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [لقمان: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلاً مَا تَتَذَكَّرُونَ * إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [غافر: ٥٧ ـ ٥٩].

وقال تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا * مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ * فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾ [النازعات: ٢٧ ـ ٣٤][1].

وقال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً * ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً * أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُوراً﴾ [الإسراء: ٩٧ ـ ٩٩][2].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ

---

(١) «رفع سمكها»: جَعَل ثخنها مرتفعاً جهة العلوّ. «فسوّاها»: فجعلها مستوية الخَلْق بلا عيب. «أغطش ليلها»: أظلمه. «أخرج ضحاها»: أبرز نهارها المضيء بالشمس. «دحاها»: بسطها وأوسعها لسكنى أهلها. «مرعاها»: أقوات الناس والدواب. «أرساها»: أثبتها في الأرض. «الطامة الكبرى»: الداهية العظمى ـ القيامة ـ.

(٢) «خبت»: سكن لهيبها. «سعيراً»: لهباً وتوقّداً. «رفاتاً»: أجزاء مفتّتة، أو تراباً، أو غباراً.

مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ * إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٨١ ـ ٨٣].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٨ ـ ٧٩][1].

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩][2].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: ٥ ـ ٧][3].

---

(١) «هي رميم»: بالية أشدّ البِلى.

(٢) «خاشعة»: يابسة متطامنة جَدْبة. «اهتزت»: تحرّكت بالنبات. «ربت»: انتفخت وعَلَتْ.

(٣) «نطفة»: مَنيّ. «علقة»: قطعة دم جامدة. «مضغة»: قطعة لحم قَدْر ما يُمْضَغ.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخر فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ تُبْعَثُونَ * وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢ ـ ١٧][1].

فيَسْتَدلّ تعالَى بإحياء الأرض الميّتة على إحياء الأجساد بعد فنائها، وتمزّقها، وصيرورتها تُراباً وعظاماً، ورُفاتاً، وكذلك يَسْتَدِلّ بِبَدْءِ الخلق على الإعادة، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُروا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِىءُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الزخرف: ١١][2]. وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها كَذَلِكَ النُّشورُ﴾ [فاطر: ٩][3].

وقال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ * إِنَّه عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ * يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ * فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ * وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ * وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ * إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ * وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ * إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً * وَأَكِيدُ كَيْداً * فَمَهِّلِ الكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً﴾ [الطارق: ٥ ـ ١٧][4].

«مخلّقة»: مستبينة الخلق مُصوَّرة. «لتبلغوا أشدّكم»: كمال قوّتكم وعقلكم. «أرذل العمر»: أخسه، أي الخَرَف والهَرَم. «هامدة»: ميتة يابسة قاحلة.

(١) «سلالة»: خلاصة مائية مكوَّنة من الغذاء. «قرار مكين»: مُسْتَقَرّ مُتمكّن وهو الرحم. «سبع طرائق»: سبع سماوات طباقاً، أو طرقاً للكواكب في مسيرها.

(٢) «ماء بقدر»: بتقدير مُحكم، أو بمقدار الحاجة. «فأنشرنا به»: فأحيينا بالماء.

(٣) «فتثير سحاباً»: تحرّكه وتهيّجه. «النشور»: بَعْث الموتى من القبور للجزاء.

(٤) «ماء»: مُمْتَزِج من ماءي الرجل والمرأة. «دافق»: مصبوب بدَفْعٍ وسُرعة في الرحم. «من بين الصلب»: ظَهْر كلّ من الرجل والمرأة. «والترائب»: عظام الصدر أو الأطراف من كلّ =

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ المَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧][1].

وقال تعالى إخباراً عن الكافرين أنَّهم قالُوا: ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ * قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ وعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ [ق: ٣ ـ ٤].

وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ * أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الخَالِقُونَ * نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُم الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِيمَا لَا تَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَى، فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٥٨ ـ ٦٢][2].

وقال تعالى: ﴿نحن خَلَقْنَاهُمْ وشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وإذا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً﴾ [الإنسان: ٢٨][3].

وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ * فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ المَشَارِقِ والمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ * عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْراً مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [نوح: ٣٩ ـ ٤١].

وقال تعالى: ﴿أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً ورُفَاتاً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً * قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أو حديداً * أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ

= منهما، أو يخرج من كل البدن منهما، والصُّلْبُ والترائبُ كنايةٌ عنه. «رَجْعه»: إعادة الإنسان بعد فنائه. «تبلى السرائر»: تكشف مكنونات القلوب. «ذات الرجع»: المطر لرجوعه إلى الأرض مراراً. «ذات الصدع»: النبات الذي تنشقّ عنه. «لقول فَصْل»: فاصل بين الحق والباطل. «فمهل الكافرين»: فلا تستعجل بالانتقام منهم. «أمهلهم رويداً»: إمهالاً قريباً، أو قليلاً، حتى يأتيهم العذاب.

(١) «بشراً»: مُبَشِّرات برحمته، وهي الغَيْث. «أقلّت سحاباً»: حملته الرياح ورَفَعَتْه. «ثقالاً»: مُثْقَلة بحَمْل الماء.

(٢) «ما تمنون»: المنيّ الذي تقذفونه في الأرحام. «تَخْلُقُونه»: تُصوِّرونه بشراً سوياً. «بمسبوقين»: بمغلوبين عاجزين.

(٣) «شددنا أسرهم»: أَحْكَمْنَا خَلْقَهم.

قَرِيباً * يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً﴾[الإسراء: ٤٩ ـ ٥٢](1).

وقال تعالى: ﴿يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ * أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً نَخِرَةً * قَالُوا تِلْكَ إِذاً كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ * فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٠ ـ ١٤](2).

وقد ذكر الله تعالى إحياء الموتى في سورة البقرة في خمسة مواضع، في قصّة بني إسرائيل، حين قتل بعضهم بعضاً لمّا عبدُوا العجل، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٦].

وفي قصة البقرة: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣].

وفي قصة: ﴿الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

وفي قصة العُزير وغَيْره: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٥٩](3).

---

(١) «يكبر»: يَعْظُمُ عن قبول الحياة كالسماوات. «فطركم»: أبدعكم وأحدثكم. «فسينغضون»: يُحرِّكون استهزاء. «بحمده»: منقادين انقياد الحامدين له.

(٢) «في الحافرة»: إلى الحالة الأولى ـ الحياة ـ. «نخرة»: بالية مُتفتِّتة. «كرة خاسرة»: رَجْعة غابنة. «زجرة واحدة»: صيحة واحدة ـ نفخة البعث ـ. «هم بالساهرة»: هم أحياء على وجه الأرض.

(٣) «خاوية على عروشها»: ساقطة على سقوفها التي سقطتْ. «أنّى يُحيي»: كيف أو متى يحيي. «لم يتسنه»: لم يتغير مع مرور السنين عليه. «ننشزها»: نرفعها من الأرض لِنُؤلِّفها.

والخامسة قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

وذكر تعالى قصة أصحاب الكهف، وكيف أبقاهم في كهفهم ثلثمائة سنة، وهي ثلثمائة وتسعُ سنين بالقَمَريَّةِ، وقال فيها: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ [الكهف: ٢١].

* * *

ذكر زوال الدنيا واقبال الآخرة

أوّل شيء يطرق أهلَ الدنيا بعد وقوع أشراط الساعة نَفْخَةُ الفَزَع، وذلك أن اللَّهَ سبحانه وتعالى يأمر إسرافيلَ فينفُخ في الصور نفخة الفَزع، فيُطوِّلها، فلا يبقى أحد من أهل الأرض ولا السموات إلاّ فزع، إلاّ مَنْ شاء الله، ولا يَسمعُها أحدٌ من أهل الأرض إلاّ أصْغى لِيتاً ورَفع لِيتاً، أي رفع صَفْحَةَ عُنقِه وأمالَ الأخرى، يستمع هذا الأمر العظيم الذي قد هال الناس، وأزعجهم عما كانوا فيه من أمر الدنيا، وشغلهم بها، ووقوع الأمر العظيم.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ في الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمواتِ وَمَنْ في الأَرْضِ إلّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وكُلٌّ أَتَوْهُ داخِرِينَ * وَتَرى الجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِي تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أتقنَ كُلَّ شَيْءٍ إنَّه خَبِيرٌ بِما يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٧ - ٨٨][1].

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَنْظُر هَؤُلَاءِ إلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَالَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ [ص: ١٥][2].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ * فَذَلِكَ يومئذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ * عَلَى الكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر: ٨ - ١٠][3].

وقال تعالى: ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ المُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ في الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الحَكِيمُ الخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ٧٣].

ثم بعد ذلك بمُدَّة يأمرُهُ الله تعالى فَيَنْفُخُ في الصور، فيُصْعَقُ مَن في

(١) «داخرين»: صاغرين أذلاّء بعد البعث.

(٢) «ما ينظر»: ما ينتظر. «ما لها من فواق»: ما لها توقف قَدْر فَوَاق ناقة، وهو ما بين حَلْبَتَيْها.

(٣) «نُقِر في الناقور»: نُفِخ في الصور للبعث والنشور.

السماوات ومَنْ في الأرض، إلاّ مَنْ شاء الله ثم يأمُرُهُ فَيَنْفُخُ فيه أخرى فيقومُ الناس لربّ العالمين.

وقال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ في الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ في السَّمواتِ وَمَن في الأَرْضِ إلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيه أُخْرى فإذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ * وأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّها وَوُضِعَ الكِتَابُ وَجِيءَ بالنَّبِيِّين وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِي بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ * وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِما يَفْعَلُونَ﴾ [الزمر: ٦٨ - ٧٠].

وقال تعالى: ﴿ويَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * مَا يَنْظُرُونَ إلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ * فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ * وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا من مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ * إنْ كَانَتْ إلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ * فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَلَا تُجْزَوْنَ إلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس: ٤٨ - ٥٤][1].

وقال تعالى: ﴿فَإنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فَإذَا هُمْ بالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٣ - ١٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ في الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً * وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضاً﴾ [الكهف: ٩٩ - ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿فَإذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

وقال تعالى: ﴿فَإذَا نُفِخَ في الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ * وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الوَاقِعَةُ * وانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ *

(١) «يخصمون»: يختصمون في أمورهم غافلين. «الأجداث»: القبور. «ينسلون»: يسرعون في الخروج. «محضرون»: نحضرهم للحساب والجزاء.

﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ * يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٣ ـ ١٨][١].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً * وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً * وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً﴾ [النبأ: ١٨ ـ ٢٠].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً﴾ [طه: ١٠٢] الآيات.

٤٤٤ ـ وقال الإمام أحمد: حدّثنا إسماعيلُ، حدثنا سُلَيمان التيمي، عن أسلم العِجْليّ، عن بِشر بن شَغَاف[٢]، عن عبدالله بن عمرو قال: قال أعرابيّ: يا رسول الله، ما الصُّور؟ قال: «قَرْنٌ يُنْفَخُ فيه»[٣].

ثمّ رواه عن يَحْيى بن سَعيد القَطان، عن سُلَيْمَانَ بن طَرْخَانَ التَيمي، به. وأخرجه أبو داود، والترمذيّ، والنَّسائيّ، من طُرق، عن سُلَيْمانَ التيمي، عن أسلمَ العجليّ، وقال الترمذيّ: حسن، ولا نعرفه إلاّ من حديث أسلَم العجلي.

٤٤٥ ـ وقال الإمامُ أحمد: حدّثنا أَسْباط، حدثنا مُطرِّف، عن عَطِيَّة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ [المدثر: ٨]، قال: قال رسول الله ﷺ: «كَيْفَ أنعم وَصَاحِبُ القَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ القَرْنَ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ فَيَنْفُخُ؟» فقال أصحاب رسول الله: يا رسول الله، كيف نَقُول؟ قال: «قُولُوا: حَسْبُنا الله ونِعْمَ الوكيل، عَلَى الله توكَّلْنَا»[٤]، انفرد به أحمد، وقد رواه أبو كُدَيْنَة، يحيى بن المُهَلَّب، عن مُطَرِّف، به.

---

(١) «فدكتا»: فَدُقّتا وكُسِّرتا، أو فَسُوِّيتا. «وقعت الواقعة»: قامت القيامة.
«انشقت السماء»: تفطَّرتْ وتصدَّعتْ. «واهية»: ضعيفة متداعية.
«أرجائها»: جوانبها وأطرافها.

(٢) في المسند: شفاف، والمثبت من تقريب التهذيب (١/٩٩).

(٣) رواه أحمد (٢/١٦٢ و١٩٢)، وأبو داود (٤٧٤٢) في السنة، باب: في ذكر البعث والصور، والترمذي (٢٤٣٠) في صفة القيامة، باب: ما جاء في شأن الصور، ورقم (٣٢٤٤) في تفسير القرآن، باب: ومن سورة الزمر، والدارمي في سننه (٢/٣٢٥).

(٤) رواه أحمد (١/٣٢٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٣٣١): رواه أحمد والطبراني في الأوسط باختصار عنه، وفيه عطية العوفي، وهو ضعيف وفيه توثيق لين.

٤٤٦ ـ وقال الإمام أحمد: حدّثنا سُفْيانُ، عنْ مُطرِّف، عن عَطِيَّة، عن أبي سَعيد، عن النبيّ ﷺ، قال: «كيف أنْتُمْ وقد التقم صاحبُ القَرْنِ القَرْنَ، وحنى جَبْهَتَهُ، وأصْغَى سَمْعَهُ يَنْتَظِرُ متى يؤمر؟» قال المسلمون: يا رسول الله، فما تقول؟ قال: «قولُوا: حَسْبُنا الله ونِعْمَ الوكيلُ، على الله تَوكلنا»[١].

وأخرجه الترمذيّ عن ابن أبي عمر[٢]، عن سُفْيان بن عُيَيْنَةَ، وقال: حسن، ثم رواه من حديث خالد بن طَهْمَانَ، عن عَطِيّة، عن أبي سعيد به، وحَسَّنه أيضاً[٣].

وقال شيخنا أبو الحجاج المِزِّيّ في «الأطراف»: ورواه إسماعيل، عن إبراهيم أبي يَحْيَى التيمي، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد. كذا قال رحمه الله.

٤٤٧ ـ وكذا رواه أبو بكر بن أبي الدُّنيا في كتاب «الأهوال»[٤] قال: حدّثنا عُثمانُ بن أبي شَيْبَةَ، حدّثنا جريرٌ، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد الخدريّ، قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنعم وصاحِبُ الصُّورِ قد الْتَقَم الصُّور، وحَنى جَبْهَتَهُ متى يُؤْمر أنْ يَنْفُخَ؟» قلنا: يا رسول الله، ما نقول؟ قال: «قولوا: حَسْبُنا الله، ونِعْمَ الوَكيلُ»[٥].

٤٤٨ ـ وقد قال أبو يَعْلَى المَوْصِليّ في مُسْنِد أبي هريرة: أخبرنا أبو صالح، عن أبي هريرة، حدثنا أبو طالب، حدّثنا عبدالجبار بن صالح، حدّثني موسى بن أعْين الحرّانيّ، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، وعن عمران بن عَطِيَّة، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنعم، أو كيف أنْتُمْ ـ شَكّ أبو طالب ـ وصاحِبُ الصُّورِ قد الْتَقَمَ الْقَرنَ بفيه وأصْغَى سَمْعَهُ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ، ينتظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ فينفخ؟» قالوا: يا رسول الله، كيف نقول؟ قال: «قولوا: حَسْبُنا اللَّهُ

---

(١) رواه أحمد (٣/٧).

(٢) في المطبوع: عن أبي عمرو.

(٣) رواه الترمذي (٣٢٤٣) في تفسير القرآن، باب: ومن سورة الزمر.

(٤) منه نسخة في الظاهرية في ثلاثة أجزاء مجموع ١٣٢ (ورقة ٧٩ ـ ١٠٢).

(٥) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٣٥٢) من حديث الأعمش، به، وأبو نعيم في الحلية (٧/١٣٠).

ونِعْمَ الوَكِيلُ، على اللَّهِ توكّلنا»[1].

٤٤٩ ـ وقال الإمام أحمد: حدّثنا معاوية[2]، حدّثنا الأعمش، عن سعد الطائيّ، عن عَطِيّة العَوْفيّ، عن أبي سَعِيد الخُدْرِيّ، قال: ذكر رسول الله ﷺ صاحبَ الصُّور، فقال: «عَنْ يَمِينه جِبْرِيْل، وعن يساره مِيكَائِيلُ، عليهم السلام»[3].

٤٥٠ ـ وقال ابنُ ماجه: حَدّثنا أبو بكر بن أبي شَيْبَةَ، حدّثنا عَبّاد بن العوّام، عن حجّاج، عن عَطِية، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ صاحِبَي الصُّورِ بأيْدِيَهما، أَوْ في أيْدِيهما قَرْنَانِ، يُلاحِظان النَّظر مَتى يُؤْمرانِ»[4].

٤٥١ ـ وقال الإمامُ أحمد: حدّثنا يحيى بنُ سعيد، عن التيميّ، عن أسلم، عن أبي مرية، عن النبيّ ﷺ قال: «النّفاخان في السماء الثانية، رأْسُ أحدهما بالمَشْرِق ورِجْلاهُ بالمَغْرِب، أو قال: رأسُ أحدهما بالمغرب، ورجلاه بالمشرق، يَنْتَظران مَتى يُؤْمران يَنْفُخَانِ في الصُّورِ فَيَنْفخان»[5] وتفرد به أحمد.

وأبو مرية هذا اسمهُ عبدُالله بن عمرو العِجْلِيّ، وليس بالمشهور، كما سيأتي بيانُه في حديث الصّور بطوله، والآخر هو الذي يَنْقُرُ في النّاقُورِ، وقد يكونُ الصُّور والنّاقُور اسمُ جِنْسٍ يَعُمُّ أفراداً كثيرةً، والألف واللام فيهما للعَهْد، ويكون لكلِّ واحدٍ منهما أَتْبَاعٌ يفعلون كفِعْلِه، والله أعلم بالصواب.

٤٥٢ ـ وقال ابن أبي الدُّنيا: أخبرنا عبدُالله بنُ جرير، حدّثنا موسى بن إسماعيل، حدّثنا [عبد] الواحد بن زياد، حدّثنا عبدُالله بن عبدالله بن الأصمّ، عن يزيد بن الأصمّ، قال: قال ابنُ عبّاس: إنّ صاحِبَ الصورِ لَمْ يَطْرِفْ مُنْذُ وُكِّل به، كَأنَّ عَيْنَيْه

(١) رواه أبو يعلى في مسنده (١٠٨٤)، وانظر: إتحاف السادة المتقين (١٠/٤٥٠).

(٢) في المسند: أبو معاوية.

(٣) رواه أحمد (٣/١٠).

(٤) رواه ابن ماجه (٤٢٧٣) في الزهد، باب: ذكر البعث. وقال الألباني: منكر، والمحفوظ بلفظ: «صاحب القرن». (ضعيف سنن ابن ماجه ص ٣٤٩).

(٥) رواه أحمد (٢/١٩٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٣٣٠): رواه أحمد على الشك، فإن كان عن أبي مرية فهو مرسل، ورجاله ثقات، وإن كان عن عبدالله بن عمرو فهو متصل مسند، ورجاله ثقات.

كَوْكَبَانِ دُرِّيّانِ، يَنْظُر تِجَاهَ العَرْشِ مَخافة أَنْ يُؤْمَر أَنْ يَنْفُخَ فيه قَبْلَ أَنْ يَرْتَدّ إِلَيْه طَرْفُه[1].

٤٥٣ ـ وحَدّثنا أبوعبدالرحمن بن عمر مُشْكُدانة[2]، حدثنا مروانُ بنُ معاوية، عن عبدالله بن عبدالله بن الأصمّ، عن يَزِيدَ بن الأصمّ، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أطْرَفَ صاحبُ الصُّور مُنْذُ وُكِّل به، مُسْتَعِدٌّ يَنْظُرُ نَحْوَ العَرْشِ، مَخَافَةَ أنْ يُؤْمَرَ قَبْلَ أنْ يَرْتَدَّ إلَيْهِ طَرْفُه، كأنّ عَيْنَيهِ كَوكَبانِ دُرِّيّانِ»[3].

* * *

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٤/٩٩)، وذكره صاحب الإتحاف (١٠/٤٥٢) وعزاه لابن الشيخ والحاكم وابن مردويه. وما بين حاصرتين ساقط من المطبوع.

(٢) هو عبدالله بن عمر بن محمد بن أبان بن صالح بن عمير، الأموي مولاهم، ومُشْكُدانة لقبُه، وهو وعاء المسك بالفارسية.

(٣) فيه مروان بن معاوية، ثقة حافظ، وكان يدلس أسماء الشيوخ. (تقريب التهذيب ٢/٢٣٩).

حديث الصور بطوله

٤٥٤ ـ قال الحافظ أبو يَعْلى المَوْصِليّ في مُسْنَدِه: حدّثنا عمرو الضحّاك بن مَخْلَد، حدّثنا أبو عاصم الضحّاك بن مَخْلد، حدّثنا أبو رافع، إسماعيلُ بن رافع، عن محمد بن زياد، عن محمد بن كعب القُرَظيّ، عن رجل من الأنصار، عن أبي هريرة، قال: حدّثنا رسولُ الله ﷺ، وهو في طائفةٍ من أصحابه، قال: «إنّ الله تعالَى لَمّا فَرَغَ مِنْ خَلْق السَّمواتِ والأَرض خَلَق الصُّورَ، فأعطاه إسْرافِيلَ، فهُو واضِعُه عَلَى فيه، شَاخصاً إلى العَرْشِ بِبَصَرِهِ، يَنْتَظِرُ مَتى يُؤْمَرُ»، قال: قلتُ: يا رسول الله، ما الصُّور؟ قال: «قَرْنٌ»، قال: كيفَ هُوَ؟ قال: «عَظِيمٌ»، قال: «والذي بعثني بالحقّ، إنَّ عظَم دارَةٍ فيه لَعَرْضُ السَّمواتِ والأرْض، يُنْفَخُ ثَلاث نَفخاتٍ، الأولى نَفْخَةُ الفَزَع، والثّانِيَةُ نَفْخَةُ الصَّعْق، والثالثةُ نَفْخَةُ القِيامِ لربّ العالمين.

يأمرُ اللَّهُ إسرافِيلَ بالنَّفْخة الأولى، فيقول: انفُخْ نَفْخَةَ الفَزَع، فَيَنْفُخُ نَفْخة الفَزَع، فَيَفزَعُ أَهْلُ السَّمواتِ والأرْض إلاّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ، ويأمره تعالى، فَيمُدُّها ويُطِيلها، ولا يَفتُرُ، وهيَ التي يقول اللَّهُ: **﴿وما يَنْظُرُ هَؤُلاء إلاّ صَيحةً واحِدَةً ما لَها مِنْ فَواقٍ﴾** [ص: ١٥]، فتَسِيرُ الجبالُ سَيْرَ السَّحابِ، فتكُونُ سَراباً، وتَرْتَجُّ الأَرْض بأَهْلِها رَجّاً، فتكون كالسَّفِينَةِ المُوبَقَة[1] في البَحْر، تَضْرِبُها الأمواجُ، تُكفأ[2] بأهلِها، كالقِنْديل المُعلَّق بالعَرْش ترجّحُه الأَرواحُ، ألاَ وهو الذي يقول الله تعالى: **﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الراجفةُ * تَتبَعُها الرَّادِفَةُ * قُلوبٌ يَوْمَئِذٍ واجِفَةٌ * أبْصارُها خاشِعَةٌ * يَقُولُونَ﴾** [النازعات: ٦ ـ ١٠] الآية.

فَيَميدُ[3] النّاسُ على وجهها، وَتَذْهَلُ المَراضِعُ، وَتَضَعُ الحَوامِلُ، وَيَشِيبُ

(١) «الموبقة»: أي المحبوسة.
(٢) «تكفأ»: تُمال.
(٣) «يميد»: يتأرجح من شدّة الرجفة.

الوِلْدانُ، وتَطِيرُ الشّياطِينُ هارِبَةً مِنَ الفَزَع، حتّى تأتِيَ الأَقْطار فتَلْقاها الملائكة تَضْرِبُ وُجوهَها، فتَرْجِعُ، فيوَلُّونَ مُدبِرِينَ، مَالَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عاصمٍ، ينادي بعضُكم بعضاً، وهو الذي يقول الله تعالى: **﴿يوم القيامة﴾** [البقرة: ٨٥]. **﴿يوم التَّناد﴾** [غافر: ٣٢].

فبينما هم على ذلك إذ تصدّعت الأرضُ تَصدُّعَيْن من قُطرٍ إلى قطر، فرأوْا أمراً عَظِيماً لم يَرْوا مِثْلَهُ، وأَخذَهُمْ لِذَلِك من الكَرْبِ والهَوْلِ ما اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ، ثم تُطْوى السَّماءُ، فإذا هِيَ كالمُهْل[1]، ثم انْشَقَّتِ السَّماءُ فانْتَثَرت نُجُومُها، وخَسَفَتْ شَمْسُها وقَمرُها».

قال رسول الله ﷺ: «الأمواتُ لَا يَعْلَمونَ بِشَيْءٍ مِنْ ذلك» قال أبو هريرة: يا رسول الله، مَنِ استثْنى اللَّهُ حِينَ يقول: **﴿فَفَزِعَ مَنْ في السَّمٰوَاتِ وَمَنْ في الأَرْض إلاّ مَنْ شاء الله﴾** [النمل: ٨٧]؟ قال: «أولئكَ الشُّهداءُ، إنّما يَصلُ الفَزَعُ إلى الأحياء، وهم أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِم يُرْزَقُونَ، فوقاهُمُ اللَّهُ فَزَع ذلك اليوم، وأمّنهم منه، وهو عذاب الله يَبْعثُه على شرار خَلْقه، وهو الذي يقول الله تعالى: **﴿يا أيُّها النّاس اتَّقُوا رَبَّكُمْ إنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ، وتَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها وَترى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ولكنَّ عذابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾** [الحج: ١ ـ ٢].

فيمكثون في ذلك العذاب ما شاء الله، إلا أنه يطولُ، ثم يأمر الله إسرافيلَ، فيَنْفُخُ نَفْخَةَ الصَّعْقِ، فيُصعق أهل السماوات والأرض، إلا ما شاء الله، فإذا هم خمَدُوا، جاء ملكُ الموت إلى الجبّار، فيقول: يا ربّ: مات أهلُ السماوات والأرض، إلاّ مَنْ شِئْتَ، فيقول الله تعالى، وهو أعلم بمن بقي: فمَن بقي؟. فيقول: يا ربّ، بقيتَ أنتَ الحَيُّ الّذي لَا تموت، وبَقِيَتْ حَمَلَةُ عَرْشك، وبقي جِبْريلُ، وميكائيلُ، وبَقِيتُ أنا، فيقول اللَّهُ عزَّ وجلّ: لِيمُتْ جبريلُ، وميكائيلُ، فيُنْطِقُ اللَّهُ العرش فيقول: يموتُ جبريلُ، وميكائيلُ؟، فيقول: اسكتْ، فإني كتبْتُ الموتَ على كُلِّ مَنْ تَحت عَرْشي، فيموتان.

(١) «المهل»: ذائب الفضة.

ثم يأتي ملكُ الموت إلى الجبّار عزّ وجلّ فيقول: يا ربّ، قد مات جبريلُ وميكائيلُ، فيقول، وهو أعلم بمن بقي: فمَن بقي؟ فيقولُ: يا ربّ، بَقِيتَ أنت الحيُّ الذي لا تَموتُ، وبقي حَمَلةُ عَرْشِك، وبَقِيتُ أنا، فيقول اللّهُ تعالى: فَلْيَمُتْ حَمَلةُ عَرْشي، فيَموتُون، ويأمرُ اللّهُ العَرْشَ فيَقْبِضُ الصُورَ مِنْ إسرافيلَ.

ثم يأتي ملَكُ الموت إلى الجبّار عزّ وجَلّ، فيقول: قد مات حَملةُ عَرشِك، فيقول، وهو أعلمُ بِمَن بقي: فمن بقي؟ فيقول: يا ربّ، بقيتَ أَنْتَ الحيّ الذي لا تموت، وبقيتُ أنا، فيقول الله له: أنتَ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِي، خلَقْتُكَ لِمَا رأَيْتَ، فمتْ، فيموتُ، فإذا لم يَبْقَ إلا اللّهُ الواحدُ القهّار، الأحدُ الفَرْدُ الصَّمدُ، الذي لم يَلِدْ ولَمْ يُولَدْ، كان آخراً كما كانَ أوّلًا، طَوى السماواتِ والأرضَ، كطَيِّ السِّجلّ للكتاب، ثم دَحاهُما، ثم تلَقَّفهما ثَلاثَ مَرّاتٍ، وقال: أنا الجَبّار، ثلاثاً، ثم يَهتِفُ بصَوْته: لِمَن المُلْك اليَوْمَ؟ ثلاثَ مَرّاتٍ، فلا يُجِيبُهُ أَحَدٌ، ثم يقول لنفسه: لِلّهِ الواحِدِ القهارِ.

ويُبَدِّلُ اللّهُ الأرْضَ غَيْرَ الأرض والسَّماواتِ، فَيَبْسُطها، ويَسْطَحُها، ويَمُدُّها مَدَّ الأديم[1] العُكاظِي، لا ترى فيها عِوَجاً ولا أمْتاً[2]. ثم يَزجرُ اللّهُ الخَلْقَ زَجْرَةً واحِدَة فإذا هُم في مثل هذه المُبْدلَةِ في مثل ما كانوا فيه من الأولى، مَنْ كان في بطنها كان في بطنها، ومن كان على ظهرها كان على ظهرها.

ثم يُنزل الله عليكم ماءً من تحت العرش، ثم يأمر الله السَّماءَ أن تُمطر، فتُمْطر أربعين يوماً، حتّى يكون الماءُ فوقهم اثنا عشر ذراعاً، ثم يأمرُ الله الأجْساد أن تَنْبُت كَنبات الطَراثيث[3]، أو كَنبات البَقْل، حتّى إذا تكاملت أجسادهم، فكانت كما كانت، قال الله تعالى: لِتَحيَ حَمَلةُ عَرشي، فيَحْيَون، ويأمر الله إسرافيلَ فيأخذ الصُّور، فَيَضَعُه عَلى فيه، ثم يقول: ليحيَ جبريل وميكائيل، فيحيَيان، ثم يدعو

---

(١) «الأديم»: الجلد.

(٢) «أمتاً»: الأمت: المكان المرتفع، والتلال الصغار.

(٣) «الطراثيث»: جمع طرثوث، وهو نبت ينبسط على وجه الأرض كالفطر.

الله الأرواح فيؤتى بها، تَتَوهّجُ أرواحُ المسلمين نُوراً، والأخرى ظُلْمَةً فَيَقْبِضُها جَميعاً، ثم يُلقيها في الصُّور.

ثم يأمر اللّهُ إسرافيلَ أن يَنْفُخ نفخةَ البَعْثِ؛ فتَخْرُج الأرواحُ كأنها النَّحْلُ، قد مَلأتْ ما بَيْنَ السماءِ والأرض. فيقول الله تعالى: وعِزتي وجَلالي لَتَرْجَعَنّ كُلُّ روح إلى جَسدها، فتدخُل الأرواحُ في الأرض إلى الأجساد، فتدخُل في الخَياشيم، ثم تَمشي في الأجساد مَشْيَ السُّم في اللَّديغ. ثم تنشَقّ الأرض عنكم، وأنا أوّل من تَنْشق الأرض عنه، فتَخْرُجون منها سراعاً، وإلى ربكم تَنْسلون **﴿مُهْطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾** [القمر: ٨] حُفاة عُراة غُرلاً[1] غلفاً، ثم تقفون مَوْقفاً واحداً، مقدار سَبْعِينَ عاماً، لا ينظر إليكم ولا يُقْضى بينكم. فتبكون حتى تَنْقطع الدموع. ثم تدمَعُون دماً، وتَعْرَقُون حتى يَبْلغَ ذلك منكم أن يُلْجمَكُم، أو يبلغ الأذْقان، فتَضجُّون وتقولون: مَنْ يَشْفَعُ لنا إلى رَبِّنا يَقْضي بَيْنَنا؟.

مَنْ أَحَقُّ بِذلك من أبيكم آدم؟ خَلقه اللّهُ بِيَدِه، ونَفخ فيه مِنْ رُوحه، وكلّمهُ قُبُلاً، فيأتون آدم، فيطلبون ذلك إليه، فيأتي، فيقول: ما أنا بصاحب ذلك، ثم يَستَقرِون الأنبياءَ نبيّاً نبيّاً، كلما جاؤوا نبيّاً أبى عليهم».

قال رسول الله ﷺ: «حتّى يأتوني، فأنْطلِق، حتّى آتي الفحص، فأخرّ ساجداً»، قال أبو هريرة: يا رسول الله، ما الفحص؟ قال: «قُدّام العَرْش، حتّى يَبْعَثَ اللّه إليّ مَلكاً، فيأخُذ بِعَضُدي فيَرْفعني، فيقول لي: يا محمد، فأقول: نعم، لَبَّيْكَ يا رب، فقال: ما شأنك؟ وهو أعلم، فأقول: يا ربّ، وَعدتني الشّفاعة، فشَفّعني في خَلْقِك، فاقْضِ بَيْنَهُمْ، فيقول: شَفَّعتك، أنا آتيكم فأقضي بينكم».

قال رسول الله ﷺ: «فأرْجع، فأقفُ مع الناس، فبينما نحنُ وقوف إذ سَمِعْنا حِساً من السماء شديداً، فنزل أهلُ السماء الدنيا مِثلَ مَنْ في الأرض من الجنّ والإنس، حتى إذا دَنَوْا من الأرض أَشْرَقَتِ الأرضُ بنُورهم، وأخذُوا مَصافّهم، قلنا لهم: أفيكم ربُّنا؟ قالوا: لا، وهو آت ثم ينزل أهل السماء الثانية، بمثل مَنْ نَزَل

---

(١) «غرلاً»: جمع أغرل، وهو الأقلف الذي لم يُختن.

من الملائكة، ومِثْلِ مَنْ فيها من الجنّ والإنس، حتى إذا دَنَوْا مِنَ الأرض أشْرَقت الأرض بنورهم، وأخذوا مَصافّهم، وقلنا لهم: أفيكُمْ رَبُّنا؟ قالوا: لا، وهو آت.

ثم ينزلون على قدر ذلك من التضعيف، حتى ينزلَ الجبّار تبارك وتعالى **﴿في ظُلَل من الغمام والملائكة﴾** [البقرة: ٢١٠] **﴿ويَحْمِلُ عَرْشَ ربك يومئذ ثمانية﴾** [الحاقة: ١٧] وهم اليوم أربعة، أقدامهم على تُخوم[١] الأرض السُّفْلَى، والسماواتُ إلى حِجْرهم، والعَرْش على مَناكبهم، لهم زَجَلٌ من تَسْبيحهم، يقولون: سُبْحانَ ذي القوة والجَبَروت، سُبْحان ذي الملك والملكُوت، سبحان الحيّ الذي لا يموت، سبحان الذي يميتُ الخلائقَ ولا يموتُ.

فيضع الله كُرْسِيَّهُ حَيْثُ يشاءُ من أرضِه، ثم يَهتِف بِصَوْتِه فيقول: يا مَعْشَر الجنِّ والإنس، إني قَدْ أنصتُّ لكُمْ مِنْ يوم خلقتكم إلى يومكم هذا، أسْمَعُ قولكم، وأرى أعمالكم، فأَنْصتوا لي، إنّما هي أعمالكُم وصُحُفكم تُقرأ عليكم، فمن وجد خَيْراً فليحمد الله، ومَنْ وجَدَ غير ذلك فلا يَلُومَنَّ إلّا نَفْسَه، ثم يأمر الله جَهَنّم فيَخْرج مِنها عُنق سَاطِعٌ، مُظْلِمٌ. ثم يقول: **﴿ألم أَعْهَدْ إليْكُمْ يا بني آدم أنْ لا تَعْبُدوا الشَّيْطان إنه لَكُمْ عَدوّ مُبينٌ * وأن اعْبُدُوني هَذا صِراطٌ مُسْتَقيم * ولقدْ أضلَّ مِنْكُمْ جبلاً كثيراً أَفَلَمْ تكونُوا تَعْقلون * هَذِه جهَنَّمُ التي كُنْتُم بها تكذِّبون﴾** [يس: ٦٠ - ٦٣] أو توعدون (شك أبو عاصم) **﴿وامْتَازُوا اليَوْمَ أيُّها المُجْرِمُوْنَ﴾** [يس: ٥٩].

فيميزُ اللَّهُ الناسَ، وتجثُو الأمم، يقول الله تعالى: **﴿وَتَرى كُلَّ أمَّةٍ جَاثِيَةً كلُّ أمَّةٍ تُدْعَى إلى كِتابِها اليَوْمَ تُجزَوْنَ ما كُنْتُم تَعْمَلُونَ﴾** [الجاثية: ٢٨]، فيقضي اللَّهُ بين خلقه، إلا الثَّقَلَيْن - الإنسِ والجنّ - فيقضي بين الوحوش والبهائم، حتّى إنّه ليقيدُ الجمّاءَ من ذاتِ القَرْن، فإذا فرغ اللَّهُ من ذلك، فلم تَبْقَ تبعةٌ عِنْدَ واحدةٍ لأخرى، قال اللَّهُ لها: كُوني تراباً، فعند ذلك يقول الكافرُ: يا لَيْتَني كُنْتُ تراباً، ثم يَقْضِي اللَّهُ تعالى بَيْنَ العِبادِ، فيكونُ أوّلَ ما يُقْضَى فيه الدِّماءُ.

(١) «تخوم»: حدود.

ويأتي كُلُّ قَتيلٍ في سَبيلِ اللَّهِ، ويأمر اللَّهُ فيأخذُ مَنْ قُتِل فيَحْمِلُ رَأْسَهُ تَشْخُبُ أوْداجُه[١]، فيقول: يا ربِّ فِيمَ قتلني هَذا؟ فيقول تعالى، وهو أعلم: فِيمَ قتَلْتَهُ؟ فيقول: يا ربِّ قتلْته لِتكُونَ العِزَّةُ لَكَ، فيقول الله: صَدَقْت، فَيَجْعَلُ اللَّهُ وَجْهَهُ مِثْلَ نُورِ السَّمَوات، ثمّ تَسْبِقُهُ المَلائِكَةُ إلى الجنَّةِ، ثم يأتي كُلُّ مَنْ كان يُقْتَل على غَيْرِ ذَلك.

ويأمُرُ مَنْ قُتِل فَيحْمِلُ رَأْسَهُ تَشْخُبُ أَوْداجُه، فيقول: يا ربِّ، فِيمَ قَتَلَني هَذا؟ فيقول، وهو أعلم: فِيمَ قَتَلْتَهُ؟ فيقول: يا رَبّ، قَتَلْتُه لِتَكُونَ العِزَّةُ لي، فيقول له: تَعِسْتَ.

ثم ما تَبْقَى نَفْسٌ قتلَها إلّا قُتِل بِها، ولا مَظْلَمَةٌ إلّا أُخِذَ بِها، وكان في مَشيئةِ الله، إنْ شاءَ عَذَّبَه، وإنْ شاءَ رَحِمَه، ثُمَّ يَقْضِي اللَّهُ بَيْنَ مَنْ بَقِيَ مِنْ خَلْقِهِ حتى لا تَبْقَى مَظلَمَةٌ لأَحدٍ عِنْدَ أَحدٍ إلّا أخذَها اللَّهُ لِلْمَظْلُوم مِنَ الظَّالِم، حتَّى إنَّهُ لَيُكَلِّفُ شائِبَ اللَّبَنِ بالماءِ ثُمَّ يَبِيعهُ أنْ يُخلِّصَ اللبن مِنَ الماءِ، فإذا فَرَغَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ نادَى مُنادٍ يُسْمِعُ الخَلائِقَ كُلَّهُمْ فقالَ: لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بآلِهَتِهِم وما كانُوا يَعْبُدُونَ من دُونِ اللَّهِ، فلا يَبْقَى أَحدٌ عَبدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شَيْئاً إلّا مُثِّلَتْ لَهُ آلِهَتُه بَيْنَ يَدَيْهِ، فَيُجْعَلُ يَوْمَئِذٍ ملك مِنَ المَلائِكَةِ عَلى صُورةِ عُزَيْر، ويُجْعَلُ مَلَكٌ من المَلائكَةِ عَلى صورةِ عِيسَى، فَيَتْبَعُ هَذا اليَهُود، ويَتْبَعُ هذا النَّصارى، ثم قادَتْهُمْ آلِهَتُهُمْ إلى النَّارِ، فهذا الذي يقولُ اللَّهُ تَعالى: **﴿لَوْ كانَ هَؤُلاءِ آلِهةً ما وَرَدُوها وكُلٌّ فِيها خالِدُونَ﴾** [الأنبياء: ٩٩].

فإذا لم يَبْقَ إلّا المُؤْمِنون فِيهِمُ المُنافِقُونَ جاءَهُمُ اللَّهُ بِما شاءَ مِنْ هَيْبَتِه، فقال: يا أيُّها النَّاسُ، ذَهَبَ النَّاسُ فَالْحَقُوا بآلِهتِكُمْ، وما كُنْتُم تَعْبُدُونَ، فيقولون: واللَّهِ ما لَنا إله إلا اللَّهُ، ما كُنّا نَعْبُد غَيْرَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ وهو الله، الذي يأتِيهِمْ فَيَمْكُثُ ما شاء اللَّهُ أنْ يَمْكُثَ ثمّ يَأْتِيهِم، فَيَقُولُ: ذَهَبَ النّاسُ، فَالْحَقُوا بآلِهَتِكُمْ،

(١) «تشخب أوداجه»: شَخب اللبن: خرج من الضَّرْع مَسْمُوعاً صوته. ويُقال: شخب الدمُ من الجُرْح، ويُقال: شَخَبَت أوداجُ القتيل دماً. والأوداج: جمع الوَدَج، وهو عِرْق في العنق، وهو الذي يقطعه الذّابح فلا تبقى معه حياة. وهما وَدَجان.

وما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ، فيقولون: والله ما لنا إله إلا اللَّهُ، وما كُنّا نَعْبُد غَيْرَهُ. فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ، ويَتَجلّى لَهُمْ مِنْ عَظَمتِهِ ما يَعْرِفُونَ أنّه رَبُّهُمْ، فيَخِرُّونَ سُجّداً على وجوهِهِمْ، وَيخرُّ كُلُّ مُنافِقٍ عَلى قَفاهُ، ويَجعَلُ اللَّهُ أصْلابَهُمْ كَصياصي[1] البَقر، ثم يَأذَنُ اللَّهُ لَهُمْ فَيرْفَعُونَ رُؤُوسَهُمْ.

وَيَضْرِبُ اللَّهُ بالصِّراطِ بَيْنَ ظَهْرانَيْ جهنَّم كَقدِّ الشعر، أو كعَقْدِ الشَّعْرِ، وكَحَدِّ السَّيْفِ، عَلَيْهِ كَلالِيبُ وخَطاطِيفُ، وجُسّد دُونَهُ جِسْرٌ دَحْضٌ[2] مَزِلّةٌ، فيَمُرّونَ كَطَرْفِ البَصر أو كَلَمْحِ البَرْقِ، أو كَمَرّ الرِّيحِ، أَوْ كَجِيادِ الْخَيلِ، أَوْ كَجِيادِ الرِّكابِ، أَوْ كَجِيادِ الرِّجالِ، فَناجٍ سَالِمٌ، وناجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ[3] عَلى وَجْهِهِ في جَهَنَّم، فَإذا أَفْضى أَهْلُ الجَنّةِ إلى الجَنّةِ، قالوا: مَنْ يَشْفَعُ لَنا إلى رَبِّنا فَنَدْخُلَ الجَنَّةَ؟ فيقولون: مَنْ أَحَقّ بِذَلِكَ مِن أَبيكُمْ آدَمَ، إِنّه خَلَقه اللَّهُ بِيدِهِ، ونَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَكَلّمَهُ قُبُلاً، فَيأْتُونَ آدمَ، فَيُطلَبُ ذَلِك إليه، فَيذْكُرُ ذَنْباً وَيَقُولُ: ما أَنا بِصاحِبِ ذَلِكَ، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِنُوحٍ، فإنّه أول رُسُلِ اللّهِ.

فَيُؤْتى نُوحٌ، فَيُطْلَبُ ذَلِكَ إِلَيْهِ، فَيَذْكُرُ ذَنْباً، ويقول: ما أنا بِصَاحِبِ ذَلِكَ، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإبْراهيمَ، فَيُطْلَبُ ذَلِكَ إِلَيْه، فَيَذْكُر ذَنْباً، ويقول: ما أنا بِصَاحِبِكُمْ، عَلَيْكُمْ بِمُوسَى، فَيُطْلَبُ ذلِك إِلَيْهِ، فَيذْكُرُ ذَنْباً، ويقول: لَسْتُ بِصاحِبِ ذَلِكَ، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِرُوحِ اللَّهِ وَكَلِمتِهِ عِيسَى ابن مَرْيَم، فَيُطْلَبُ ذَلِكَ إِلَيْهِ، فيقول: ما أنا بِصَاحِبِ ذَلِكَ، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمّد ﷺ».

قال رسول الله ﷺ: «فَيأْتُوني وَلي عِنْد رَبِّي ثَلاثُ شَفَاعَاتٍ وَعَدنيهِنَّ، فَأَنْطَلِقُ فَآتي الجَنَّةَ، فآخُذُ بِحلْقَةِ الباب، فَأَسْتَفْتِحُ، فَيُفْتَحُ لي، فأُحَيّا، ويُرَحَّبُ بي، فإذا دَخَلْتُ إلى الجَنّةِ فَنَظَرْتُ إلى رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ خَرَرْتُ لَهُ سَاجِداً، فَيأذَن اللَّهُ مِنْ حَمْدِهِ وَتَمْجِيدِهِ بِشَيْءٍ ما أَذِنَ بِهِ لأَحدٍ مِنْ خَلْقِهِ، ثُمّ يقول الله لي: ارْفَعْ يا مُحَمّد، واشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَه. فإذا رَفَعْتُ رَأْسي قال الله لي وهو أعلم: ما شَأْنُكَ؟ فأقول: يا

(١) «صياصي»: جمع صيصة، وهي قرن البقر ونحوه.
(٢) «دحض»: زَلِق.
(٣) «مكدوس»: مدفوع من ورائه.

رَبِّ، وَعَدتَني الشَّفاعةَ، فَشَفّعني في أهلِ الجَنّةِ يَدْخُلُونَ الجَنّةَ، فيقول الله عز وجل: قَدْ شَفَّعْتُك، وَأَذِنْتُ لَهُم في الدُّخُول».

فكان رسول الله ﷺ يقول: «والذي بعثني بالحَقّ ما أنْتُم في الدُّنْيا بأَعْرَفَ بأَزْواجِكُمْ وَمساكِنكُم مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ بِأزْواجِهِمْ وَمسَاكِنِهِمْ، فَيدْخُلُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُم عَلى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِمّا يُنْشِئُ اللَّهُ، وَثِنْتَيْنِ آدَمِيَّتَيْنِ مِنْ بَنَاتِ آدَمَ، لَهُما فَضْلٌ عَلى مَنْ أَنْشأ اللَّهُ، بِعِبادَتِهما اللَّهَ في الدُّنْيا، يَدْخُلُ عَلَى الأولى منهما في غُرْفَةٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ، عَلَى سَرِيرٍ مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلٍ باللؤلؤ عَلَيْهِ سَبْعُونَ زَوْجاً مِنْ سُنْدسٍ وَإِسْتَبْرقٍ، وإنّه لَيَضعُ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهَا، ثُمَّ يَنْظُرُ إلى يده مِنْ صَدْرِهَا مِنْ وَراءِ ثِيابِهَا وَجِلْدِهَا ولَحْمِها، وإنّه لَيَنْظُرُ إلى مُخّ ساقها كما يَنْظر أَحَدُكُمْ إلى السِّلْكِ في قَصَبَةِ اليَاقُوتَةِ، كَبِدُه لَهَا مِرْآةٌ، وَكَبِدُهَا لَهُ مِرْآةٌ، فَبَيْنَمَا هُوَ عِنْدَهَا لاَ يَملُّهَا وَلاَ تَمَلُّه، لاَ يَأْتيها مِنْ مَرَّةٍ إلاّ وَجَدَهَا عَذْرَاءَ، مَا يَفْتُرُ ذَكَرُهُ، وَلا يَشْتَكي قُبُلُهَا، إلاّ أَنَّهُ لاَ مَنيّ وَلا مَنِيَّةَ، فَبَيْنَما هُوَ كذَلِكَ إذْ نُودي: إنَّا قَدْ عَرَفْنَا أَنَّكَ لا تَمَلُّ وَلاَ تُمَلّ، إلاّ أَنّ لَكَ أَزْواجاً غَيْرَها فَيَخْرُجُ فَيأتيهِنَّ وَاحِدَةً وَاحِدَةً، كلّما جَاءَ وَاحِدَةً قالت: والله ما في الجَنّةِ أَحْسَنُ مِنْكَ، وَمَا فِي الجَنّةِ شَيْءٌ أَحبُّ إلَيَّ مِنْكَ.

قال: وإذا وَقَعَ أهلُ النّار في النارِ؛ وقَعَ فِيهَا خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ رَبِّكَ أوقَعَتْهُمْ أَعْمَالُهُمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ تَأخُذُ قَدَمَيْهِ لاَ تُجَاوِزُ ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إلى حَقْوَيْهِ[1]، ومِنْهُم مَنْ تَأْخُذُ جَسَدَهُ كُلَّهُ إلاّ وَجْهَهُ، وحَرَّمَ اللَّهُ صُورَتَهُ عَلَيْهَا».

قال رسول الله ﷺ: «فأقول: يَا رَبِّ، شَفِّعني فيمن وَقَعَ في النّارِ مِنْ أُمّتي، فيقولُ اللَّهُ عَزّ وجلّ: أَخرِجُوا مَنْ عَرَفْتُم، فَيَخْرُجُ أولَئِكَ حتى لاَ يَبْقَى مِنْهُمْ أحد، ثم يَأْذَنُ اللَّهُ في الشَّفاعة، فلا يَبْقَى نَبِيٌّ ولا شَهِيدٌ إلاّ شَفَعَ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزّ وجلّ: أَخرجُوا مَنْ وَجَدْتُمْ في قَلْبِهِ زِنَةَ الدِّينَارِ إيماناً، فَيَخْرُجُ أولئِكَ حَتّى لاَ يَبْقَى مِنْهُمْ أَحَدٌ، ثُمَّ يَشْفَعُ اللَّهُ فيقول: أَخْرِجُوا مَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ ثُلُثَي دِينَار ونِصْفاً، ثم يقول: وثُلُثَ دِينَارٍ، ثم يقول: وَسُدُسَ دينَارٍ، ثمَّ يقولُ: قيراط، ثم يقول: حَبّةَ مِنْ

(١) «حقويه»: مثنى حَقْو، وهو الْخَصْر.

خَرْدل، فيَخْرُجُ أولئكَ حَتَّى لا يَبْقى مِنْهُمْ أَحَدٌ، وحَتَّى لا يَبْقى في النَّارِ مَنْ عَمِلَ خَيْراً لِلَّهِ قطّ، حَتّى لا يَبْقى أَحَدٌ لَهُ شَفاعَةٌ إلاّ شُفِّع، حَتّى إنّ إبليس لَيَتَطاوَلُ لِمَا يَرى مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، رجاء أَنْ يَشْفَعَ لَه.

ثمّ يقول الله عَزَّ وَجَلّ: بَقِيتُ أنا، وأَنا أَرْحَمُ الرّاحِمين، فَيُدْخِلُ اللَّهُ يَدَهُ في جَهَنَّمَ، فَيُخْرِجُ مِنْها مَا لاَ يُحْصِيهِ غَيْرُهُ، كأَنَّهُمْ خَشَبٌ مُحْتَرِقٌ، فَيُنْبِتُهُمُ اللَّهُ عَلَى نَهْرٍ يُقالُ لَهُ نَهْرُ الحَيوان، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الحَبَّةُ في حَمِيلِ السَّيْلِ، فَمَا يَلي الشمس مِنْها أُخَيْضِرٌ، ومَا يلي الظِّل مِنْها أُصَيْفِرُ فَيَنْبُتُون نَباتَ الطَّرَاثِيثِ، حَتَّى يَكُونوا أَمْثالَ الدَّرْمَك[1]، مكْتوبٌ في رِقَابِهِمُ الجَهَنَّمِيُّونَ، عُتَقاءُ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجلّ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الجَنّة بذلك الكتاب ما عملوا لِلَّهِ خَيْراً قط فيبقون في الجَنَّة»[2].

فذكره إلى هُنا كانَ في أصل أبي بَكْر بن المقري، عن أبي يَعلَى، رحمه الله، هذا حديث مشهور رواه جماعة من الأئمة في كتبهم، كابن جرير في تفسيره، والطبرانيّ في المطولات، وغيرها، والحافظ البَيْهقيّ في كتاب «البَعْث والنشور»، والحافظ أبو موسى المديني في المطولات أيضاً، من طرق متعدّدة، عن إسماعيل بن رافع قاضي أَهْلِ المدينَةِ، وقد تُكلِّم فيه بسببه، وفي بعض سياقاته نَكَارَةٌ واختلاف، وقد بَيَّنت طُرقَه في جُزْءٍ مُفْرِدٍ.

قلت: وإسماعيل بن رافع المدنيّ ليس من الوضّاعين، وكأنّه جمع هذا الحديث من طرق وأماكنَ متفرّقة، فجمعه، وساقه سياقةً واحدةً، فكان يقصُّ به على أَهْلِ المدينة، وقد حضره جماعةٌ من أعيان الناس في عصره، ورواه عنه جماعة من الكبار؛ كأبي عاصم النّبيل، والوليد بن مُسلم، ومكي بن إبراهيم، ومحمد بن شُعَيب بن شابور، وعَبْدَة بن سُلَيْمان، وغيرهم، واختلف عليه فيه قتادَة، ويقول: عن محمّد بن زياد، عن محمد بن كعب، عن رجل، عن أبي هريرة، وتارة يُسْقِطُ الرَّجُل.

---

(١) «الدرمك»: التراب الناعم، والدقيق الأبيض.

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره (١٦/ ٢٥ و٢٠/١٣ ـ ١٤ و٢٤/٢٠ ـ ٢١)، والبيهقي في (البعث والنشور ٦٠٩)، وانظر: فتح الباري (١١/٣٦٨)، والقرطبي (١٢/٣٢٩)، وتاريخ بغداد (٤/١٢١)، وإتحاف السادة المتقين (١٠/٤٥١ ـ ٤٥٢).

وقد رواه إسحاق بن رَاهَوَيه، عن عَبْدَة بن سُلَيْمان، عن إسماعيل بن رافع، عن محمد بن يزيد، عن أبي زياد، عن رجُلٍ من الأنصار، عن محمد بن كعب، عن رجل من الأنصار، عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ، ومنهم من أسقط الرجُل الأول.

قال شيخنا الحافظُ المزيّ: وهذا أقربُ. قال: وقد رواه عن إسماعيل بن رافع الوليدُ بنُ سُليمانَ، وله عليه مُصنّف بَيّن شواهِدَه من الأحاديث الصحيحة، وقال الحافظ أبو موسى المدينيّ بعد إيراده له بتمامه: وهذا الحديثُ وإن كان فيه نَكارَةٌ وفي إسناده من تَتكلّم فيه، فعامّة ما فيه مُفرَّقاً من أسانيد ثابتة، ثم تَكلّم على غَريبه، قلت: ونحنُ نَتكلّم عليه فَصْلاً فَصْلاً، وبالله المُسْتَعانُ.

* * *

فصل

وأما النَّفَخَاتُ في الصُّورِ، فثلاث: نفخةُ الفزَع، ثم نفخة الصَّعْقِ، ثم نَفْخَة البَعْث، كما تقدّم بيانُ ذلك في حديث الصُّور بطوله.

٤٥٥ ـ وقد قال مسلم في صحيحه: حدّثنا أبوكُرَيْب، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْن أربعون» قالوا: يوماً؟ قال: أَبَيْتُ، قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أَبَيْتُ، قالوا: أربعون سَنَةً؟ قال: أبَيْتُ، قال: «ثُمَّ ينزلُ مِنَ السَّماءِ ماء، فَينبُتُونَ كما يَنْبتُ البَقْلُ». قال: «وليس مِنَ الإنسان شَيْءٌ إلاَ يَبْلَى إلاّ عَجْبُ الذَّنَبِ، ومنه يُركَّبُ الْخَلقُ يَوْمَ القِيامة»(١)، ورواه البخاري من حديث الأعمش.

وحديثُ الذَّنَب وأنَّهُ لا يَبْلَى وأنّ الخَلق يَبْدَأ منه، ومنه يركب يوم القيامة ثابتٌ من رواية أحمد، عن عبدالرّزاق، عن مَعْمَر، عن همام، عن أبي هريرة. ورواه مسلم عن محمد بن رافع، عن عبدالرزّاق.

٤٥٦ ـ ورواه أحمد أيضاً عن يحيى القطّان، عن محمد بن عَجْلان، عن عبدالرحمٰن بن هُرْمُز الأعرج، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «كُلّ ابن آدَمَ يَبْلَى، وَيأْكُلُهُ التُّرابُ إلاّ عَجْبَ الذَّنَبِ، منه خُلِق، ومنْهُ يُركَّب»(٢) انفرد به أحمد، وهو على شرط مسلم، ورواه أحمد أيضاً من حديث ابن هُشَيْم الهَجَرِيّ، عن ابن

(١) رواه مسلم (٢٩٥٥) في الفتن وأشراط الساعة، باب: ما بين النفختين، والبخاري (٤٨١٤) في التفسير، باب: ﴿ونفخ في الصور﴾.
«أبيت»: أي امتنعت عن القول بتعيين ذلك؛ لأنه ليس عندي في ذلك توقيف.
«عجب الذنب»: هو عظم لطيف في أصل الصلب، وهو رأس العصعص، وهو مكان رأس الذنب من ذوات الأربع.
(٢) رواه أحمد (٤٢٨/٢).

عباس، عن أبي هريرة، بنحوه(١).

٤٥٧ ـ وقال أحمد: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا ابن لَهِيعَة، حدثنا دَرّاج، عن أبي الهَيْثَم، عن أبي سعيد، عن رسول الله ﷺ قال: «يَأكُلُ التُّرَابُ كُلَّ شيءٍ مِنَ الإنسان إلاّ عَجْبَ الذنب» قيل: ومثلُ ما هو يا رسول الله؟ قال: «مِثْلُ حَبَّة خَرْدَلٍ، منه تَنْبتون»(٢).

وأما المقصود هنا إنما هو ذكر النَّفْخَتَيْن، وأنّ بينهما أربعينَ: إمّا يَوْماً، أو شَهْراً، أو سَنَةً، وهاتان النفختان هما ـ والله أعلمُ ـ نَفْخَةُ الصَّعْق، ونَفْخَةُ القِيام للبَعْث والنشور، بدليل إنزال الماء بينهما، وذكره عَجَب الذّنب الذي منه يُخْلَقُ الإنسان، وفيه يُرَكّب عند بعثه يوم القيامة، ويحتمل أن يكون المراد منهما ما بين نفخة الفزع ونفخة الصَّعق، وهو الذي يريد ذكره في هذا المقام، وعلى كلّ تقدير فلا بد من مدة بين نفختي الفزع والصعق.

وقد ذكر في حديث الصور أنه يكون فيها أمور عظام، من ذلك زلزلة الأرض وارتجاجها، ومَيَدانها بأهلها وتَكَفِّيها يميناً وشمالاً.

قال الله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَالَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ [الزلزلة: ١ ـ ٥].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١ ـ ٢].

وقال تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ * خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ * إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا * وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا * فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا * وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ [الواقعة: ١ ـ ٧](٣).

(١) رواه أحمد (٤٩٩/٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٣٢/١٠): رواه أحمد، وإسناده حسن.
(٢) رواه أحمد (٢٨/٣).
(٣) «وقعت الواقعة»: قامت القيامة بنفخة البعث. «كاذبة»: نفس كاذبة تنكر وقوعها.

ولما كانت هذه النفخة ـ يعني نفخة الفزع ـ أول مبادىء القيامة، كان اسم يوم القيامة صادقاً على ذلك كُلّه.

٤٥٨ ـ كما ثبت في صحيح البُخاري، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «وَلَتَقُومَنّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلانِ ثَوْبَهُما فَلاَ يَتَبايَعانِه، ولاَ يَطْوِيانِه، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَد انْصَرَف الرَّجُل بِلَبن لِقْحَتِه فَلا يَطْعَمُه، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يَلِيطُ حَوْضَهُ فَلاَ يَسْقِي فِيهِ، وَلَتَقُومَن السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَع أكْلَتَهُ إلى فيه فَلاَ يَطْعَمها»[(١)].

وهذا إنما يتجه على ما قبل نفخة الفزع بأنها الساعة كانت أول مبادئها، وتقدم في الحديث في صفة أهل آخر الزمان أنهم شِرَارُ الناس، وعليهم تقوم الساعة.

وقد ذكر إسماعيل بن رافع في حديث الصُّور المتقدم: أن السماء تَنْشَق فيما بين نَفْخ الفزع والصَّعْق، وأن نُجُومَها تتناثر، ويُخْسَفُ شَمْسُها وقَمَرُها، والظاهر ـ والله أعلم ـ أنَّ هذا إنما يكون بعد نفخة الصَّعْق حين ﴿تُبَدَّلُ الأرضُ غيرَ الأرض والسمواتُ وبَرَزُوا لِلَّهِ الواحدِ القَهّارِ * وَتَرى المُجْرِمِين يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ في الأَصْفادِ * سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ [الأنبياء: ٤٨ ـ ٥٠].

وقال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ * وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّت * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١ ـ ٥][(٢)].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ * وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ * يَقُولُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ المَفَرُّ * كَلاَّ لاَ وَزَرَ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ * يُنَبَّأُ

«خافضة رافعة»: هي خافضة للأشقياء رافعة للسعداء. «رُجّت»: زُلْزِلَتْ وحُرِّكَتْ تحريكاً شديداً. «بُسَّت»: فُتّتت كالسَّوِيق الملتُوت. «هباء منبثّاً» غباراً متفرّقاً منتشراً.

(١) سبق تخريجه برقم (١٠٩) وأوّله: «لا تقوم الساعة حتّى تقتتل فئتان عظيمتان...».

(٢) «انشقت»: انصدعت عند قيام الساعة، «أذنت لربها»: استمعت وانقادت له تعالى. «حقّت»: حَقَّ اللَّهُ عليها الاستماعَ والانقياد. «ألقت ما فيها»: لَفَظت ما في جوفها من الموتى. «تخلّت»: خَلَتْ منه غاية الخلوّ.

الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ * بَلِ الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ [القيامة: ٧ ـ ١٥][(١)].

وسيأتي تقرير أن هذا كله كائن بعد نفخة الصَّعْق، وأما زلزال الأرض وانشقاقها بسبب تلك الزلزلة، وفرارُ الناس إلى أقطارها وأرجائها، فمُناسِبٌ أنه بَعْدَ نفخة الفزع، وقبل الصَّعْق، قال الله تعالى إخباراً عن مُؤْمن آل فرعون أنه قال: ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ * يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَالَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ [غافر: ٣٢ ـ ٣٣].

وقال تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنس إِن اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمواتِ وَالأَرْضِ فَانْفُذُوا لاَ تَنْفُذُونَ إِلاّ بِسُلْطَانٍ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبَانِ * يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلاَ تَنْتَصِرانِ * فَبِأي آلاءِ ربكما تُكَذِّبانِ﴾ [الرحمن: ٣٣ ـ ٣٦][(٢)].

٤٥٩ ـ وقد تقدم الحديث في مُسند أحمد، وصحيح مسلم، والسنن الأربعة، عن أبي سَرِيحة حُذَيْفَة بن أَسِيد أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ السَّاعَةَ لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْا عشر آياتٍ» فذكرهُنَّ، إلى أن قال: «وآخِرُ ذلك نارٌ تخرُج من قعر عَدَن، تسوقُ الناس إلى المَحْشر».

وهذه النار تسوق الموجودين في آخر الزمان في سائر أقطار الأرض إلى أرض الشام منها، وهي بقعة المحشر والمنشر.

* * *

---

(١) «برق البصر»: دَهِش وتحيَّر فَزَعاً مما رأى. «خسف القمر»: ذهب ضَوْؤُه. «جُمِع الشمس والقمر»: في الطلوع من المغرب مُظْلِمَيْن. «أين المفرّ»: المهرب من العذاب أو الهول. «لا وزر»: لا ملجأ ولا منجى له من الله. «بصيرة»: حُجَّة بَيِّنة أو عين بصيرة.

(٢) «بسلطان»: بقوة وقَهْر. «شواظ»: لهب لا دُخَان فيه. «نحاس»: صفر مُذاب، أو دخان بلا لهب.

ذكر أمر هذه النار،
وحشرها الناس الى أرض الشام

٤٦٠ - ثبت في الصحيحين من حديث وهيب، عن عبدالله بن طاووس، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُحْشَرُ النَّاسُ على ثلاثِ طرائقَ: راغبينَ وراهبينَ، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعةٌ على بعير، وعشرةٌ على بعير، وتَحْشُرُ بَقِيَّتَهُم النَّارُ، تَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قالوا، وتبيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ باتُوا، وتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا، وتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا»[1].

٤٦١ - وروى أحمد عن عفان، عن حماد، عن ثابت، عن أنس: أن عبدالله بن سَلَام سأل رسول الله ﷺ عن أول أشراط السَّاعةِ؟ فقال: «نارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ المَشْرِقِ إلى المَغْرِب»[2] الحديث بطوله، وهو في الصحيح[3].

٤٦٢ - وروى الإمام أحمد عن حسن، وعفان، عن حمّاد بن سَلَمة، عن علي بن زيد، عن أوس بن خالد، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ ثلاثة أصنافٍ، صِنْفٌ مُشَاةٌ، وصِنْفٌ رُكْبَانٌ، وصِنْفٌ عَلَى وُجُوهِهِمْ» قالوا: يا رسول الله، وَكَيْفَ يَمْشُونَ على وُجُوهِهِم؟ قال: «إنَّ الذي أَمْشَاهُمْ على أَرْجُلِهِمْ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَمَا إِنَّهُمْ يَتَّقُونَ بِوُجُوهِهِم كُلَّ حَدَبٍ وشَوْكٍ»[4].

وقد رواه أبو داود الطَّيالِسي في مُسنده، عن حماد بن سَلَمة، بنحوٍ من هذا السّياق.

---

(١) رواه البخاري (٦٥٢٢) في الرقاق، باب: الحشر، ومسلم (٢٨٦١) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: فناء الدنيا.
«طرائق»: فِرَق.
(٢) رواه أحمد (٣/٢٧١).
(٣) رواه البخاري (٣٣٢٩) في أحاديث الأنبياء، باب: خَلْق آدم وذريته، وانظر حديث (٣٨٤).
(٤) رواه أحمد (٢/٣٥٤)، والطيالسي في مسنده (٢٥٦٦).

٤٦٣ - وقال الإمام أحمد: عن عبدالرزّاق، عن مَعْمَر، عن قَتادة، عن شَهْرِ بن حَوْشَب، عن عبدالله بن عمرو، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّها سَتكُونُ هِجْرَةٌ بعد هجرة، يَنْحازُ النَّاسُ إلى مُهاجَرِ إبراهيم، لا يَبْقَى في الأرض إلَّا شِرارُ أَهْلِها، تَلْفِظُهُم أَرَضُوهُمْ، وتَقْذَرُهُم نَفْسُ الرحمن، تَحْشُرُهُم النَّارُ مَعَ القِرَدَةِ والخنازير، تَبِيتُ مَعَهُمْ إذا باتوا، وتقيل معهم إذا قالُوا، وتأكُلُ مَنْ تخلّف»[1]، ورواه الطبرانيّ من حديث المُهَلَّب بن أبي صُفْرَة، عن عبدالله بن عمرو، نحوه.

٤٦٤ - وقال الحافظ أبو بكر البيهقيّ في كتابه «البعث والنُّشور»: أخبرنا أبو القاسم، عبدالرحمن بن عبدالله الخِرَقيّ بِبَغْدَاد، حدّثنا أبو الحسن علي بن الزبير القُرشيّ، قال: وأخبرنا أبو عبدالله الحافظ، حدّثنا أبو العبّاس محمد بن أحمد المحبوبي، حدّثنا سعيد بن مسعود، حدّثنا يزيدُ بن هارون، حدثنا الوليدُ بن عبدالله بن جُمَيْع، عن أبي الطُّفَيْل، عامر بن وَاثِلَة، عن أبي سَرِيحَة، حُذَيْفَة بن أَسِيد الغِفَارِيّ، وتلا هذه الآية: **﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً﴾** [الإسراء: ٩٧] قال أبو ذرّ: حدّثني الصادق المصدوق، ﷺ: «أنّ الناس يُحْشَرُون يوم القيامة ثلاثة أفْواجٍ، فوج طاعِمِين كاسِين راكِبين، وفوج يَمْشُون وَيسْعَوْن، وفوج تَسْحَبُهُم الملائكةُ على وُجوههم، قلنا: قد عرفنا هذين، فما بال الذين يمشون وَيَسْعَون؟ قال: يُلقي اللَّهُ الآفَةَ على الظَّهْرِ حتّى لا يَبْقَى ذاتُ ظَهْر، حتّى إن الرَّجُلَ لَيُعْطي الحَدِيقَةَ المُعْجَبَة بالشارف ذاتِ القَتَب»[2]. لفظ الحاكم.

وهكذا رواه الإمام أحمد عن يزيد بن هارون، ولم يذكر تلاوة أبي ذرّ للآية، وزاد في آخره «فلا يقدر عليها».

٤٦٥ - وفي مسند الإمام أحمد من حديث بَهْز، وغيره، عن أبيه حكيم بن معاوية، عن جدّه معاوية بن حَيدة القُشَيْرِيّ، عن رسول الله ﷺ أنه قال:

---

(١) رواه أحمد (٢/١٩٩).
(٢) رواه الحاكم (٢/٣٦٧) وصححه، وقال الذهبي: على شرط مسلم، ولكنه منكر، وقد قال ابنُ حبان في الوليد فحش تفرّده حتى بطل الاحتجاج به. وأحمد (٥/١٦٤ - ١٦٥).
«بالشارف ذات القتب»: الشارف: المُسِنّة من النُوق. والقتب: الرَّحل الصغير على قدر سَنام البعير.

«تُحْشَرُونَ ها هُنَا» وأومأ بيده إلى نَحْو الشام «مشاةً ورُكْبَاناً، وتُجَرّون على وجوهكم، وتُعْرَضُون على الله تعالى وعلى أفواهكم الفِدام، فأوّلُ ما يُعْرِبُ عن أحدكم فخِذُه وكفه»[١]، وقد رواه الترمذي عن أحمد بن مَنِيع، عن يزيد بن هارون، عن بَهْزِ بن حَكِيم، عن أبيه، عن جدّه بنحوه، وقال: حسن صحيح[٢].

فهذه السياقاتُ تدلّ على أن هذا الحشر هو حشرُ الموجودين في آخر الدنيا من أقطار الأرض إلى مَحلّة المَحْشر، وهي أرضُ الشام، وأنهم يكونون على أصناف ثلاثة، فصنف طاعمين كاسين راكبين، وقسم يمشون تارةً ويركبون أخرى، وهم يَعْتَقِبُونَ على البعير الواحد، كما تقدّم في الصحيحين: «اثنانِ على بعير، وثلاثةٌ على بعير» إلى أن قال: «وَعَشَرَةٌ على بعير، يَعْتَقِبُونَه مِن قِلّة الظَّهْر» كما تقدّم في الحديث، كما جاء مفسَّراً في الحديث الآخر: «وتَحْشُرُ بَقِيَّتَهُمُ النارُ، وهي التي تخرج من قَعْرِ عدَنَ، فتُحيط بالناس من ورائهم، تسوقهم من كلّ جانب، إلى أرض المحشر، ومن تخلّف منهم أكَلَتْهُ النار».

وهذا كلّه مما يدلّ على أن هذا في آخر الزمان حيثُ الأكلُ والشربُ والركوبُ على الظهر المشترى وغيره، وحيثُ تُهْلِكُ المُتخلّفين منهم النارُ، ولو كان هذا بعد نفخة البعث، لم يبق موتٌ، ولا ظَهْرٌ يشترَى، ولا أكلٌ، ولا شُرْبٌ، ولا أَيْشٌ[٣] في العَرَصَاتِ.

والعجبُ كلُّ العجبِ أن الحافظ أبا بكر البيهقيّ، بعد روايته لهذه الأحاديث حمل هذا الركوب على أنه يوم القيامة، وصحّح ذلك، وضعّف ما قلناه، واستدلّ على ما قاله بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ المتّقِين إلى الرَّحْمٰنِ وَفْداً * ونَسُوق المُجْرِمين إلى جَهَنَّمَ وِرْداً﴾ [مريم ٨٥ ـ ٨٦].

وكيف يصحّ ما ادّعاه في تفسير الآية بالحديث، وفيه أنّ: منهم اثنان على

(١) رواه أحمد (٥/٣)، والترمذي (٣١٤٣) في تفسير القرآن، باب: ومن سورة بني إسرائيل. «الفدام»: ما يُغطّى به الشيء. والمقصود: أنه يُمنع من الكلام. «يُعرب»: يتكلم.

(٢) هذه اللفظة ليست في سنن الترمذي، ولا في صحيح سنن الترمذي للألباني.

(٣) «أيش»: أي: أيّ شيء.

(٤) «العرصات»: جمع عَرْصة، هي البقعة الواسعة بين الدور لا بناء فيها.

بعير، وثلاثةٌ على بعير، وعشرة على بعير، وقد جاء التصريح بأن ذلك من قلة الظهر، هذا لا يلتئم مع هذا، والله أعلم، تلك نَجائِبُ من الجَنَّةِ يركَبُها المؤمن من العَرَصات إلى الجنّات على غير هذه الصفة، كما سيأتي تقريرُ ذلك في موضعه.

٤٦٦ ـ فأما الحديث الآخر الوارد من طرق أُخَر، عن جماعة من الصحابة، منهم ابن عباس وابن مسعود وعائشة، وغيرهم: «إنَّكُم مَحْشُورُونَ إلى الله حُفَاةً عُراةً غرلاً، كَمَا بَدَأْنَا أوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُه»[١] فذلك حَشْرٌ غيرُ هذا، هذا في يوم القيامة بَعْد نَفْخَة الْبَعث، يقوم الناسُ من قبورهم حُفَاةً عُراةً غُرْلاً، أي غيرَ مُخْتَتِنِينَ، وكذلك حَشْرُ الكافرين إلى جَهنَّم وِرْداً؛ أي عِطَاشاً.

وقوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُماً مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كلّما خبتْ زِدْنَاهُم سَعِيراً﴾[الإسراء: ٩٧]، فذلك حين يُؤْمر بهم إلى النار من مقام المَحْشَرِ، كما سيأتي شأن ذلك كلِّه في مواضعه، إن شاء الله تعالى، وبه الثقة، وعليه التُّكْلان.

وقد ذُكِر في حديث الصُّور: أنّ الأَمْواتَ لا يَشْعُرونَ بشيْءٍ مِمّا وَقَع مما ذُكِرَ بسبب نَفْخَةِ الفَزَع، وأنّ الذين استثنى اللّهُ منها إنّما هُم الشهداء؛ لأنهم أحياءٌ عِنْدَ رَبّهم يُرزَقُون، فهم يشعرون بهَوْلِها ولَا يَفْزَعُون منها، وكذلك لا يُصْعَقُون بسبب نَفْخة الصَّعْق.

وقد اختلف المفسرون في المستَثْنَيْنَ منها على أقوال: أحدها هذا كما جاء مُصَرّحاً به فيه، وقيل: بل هم جبريل، وميكائيلُ، وإسرافيل، ومَلَكُ الموت، وقيل: حَمَلَةُ العَرْش أيضاً، وقيل غير ذلك، فالله أعلم.

وقد ذكر في هذا الحديث ـ أعني حديثَ الصُّورِ ـ أنه يَطُولُ على أهل الدنيا مُدَّةُ ما بين نفخة الفزع ونفخة الصعق، وهم يشاهدون تلك الأهوال والأمور العظام.

* * *

(١) رواه البخاري (٦٥٢٦) في الرقاق، باب: الحشر، ومسلم (٢٨٦٠) (٥٨) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: فناء الدنيا.

نفخة الصعق

فيموت بسبب ذلك جميع الموجودين من أهل السموات، ومن في الأرض، من الإنس والجِنّ والملائكة، إلاّ مَنْ شاء الله، وقيل: حَملةُ العرش، وجبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، وقيل: الشهداء، وقيل غير ذلك.

قال تعالى: ﴿وَنُفِخ في الصُّور فَصَعِقَ مَنْ في السَّمٰواتِ وَمَن في الأَرْضِ إلاّ مَنْ شاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فيه أُخْرَى فَإذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُون﴾ [الزمر: ٦٨].

وقال تعالى: ﴿فَإذَا نُفِخَ في الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ * وَحُمِلَتِ الأَرْضُ والْجِبَالُ فَدُكَّتا دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الوَاقِعَةُ * وانْشَقَّتِ السَّماءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * والْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِها وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ * يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاَ تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٣ ـ ١٨].

وتقدّم في حديث الصُّور «أنّ الله تعالى يقول لإسرافيل: انفُخْ نَفْخَةَ الصَّعْقِ، فينفُخ فيُصْعَقُ من في السموات والأرض إلاّ من شاء اللَّهُ، فيقول الله تعالى لملك الموت، وهو أعلم؛ مَنْ بَقِيَ؟ فيقول: بقيتَ أنتَ الحَيّ الذي لا تموت، وبَقِيَتْ حَملة عَرْشِك، وبقي جبريلُ، وميكائيل، فيأمره الله بقبض روح جبريل، وميكائيل، ثم يأمره بقبض حملة العرش، ثم يأمره أن يموت، وهو آخِرُ من يموت من الخلائق».

٤٦٧ ـ وروى أبو بكر بنُ أبي الدُّنْيا من طريق إسماعيل بن رافع، عن محمد بن كعب، من قوله فيما بلغه، وعنه عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ: «أن الله تعالى يقول لملك الموت: أنتَ خَلْقٌ من خلقي، خلقتُك لما رأيت، فمتْ، ثم لا تَحْيا».

وقال محمد بن كعب فيما بلغه، «فيقول له: مُتْ مَوْتاً لا تَحيا بعده أبداً،

فيَصْرُخ بعد ذلك صَرْخَةً لَوْ سَمِعَها أَهْلُ السموات والأرض لمَاتُوا فَزَعاً»[1].

قال الحافظ أبو موسى المديني: لم يُتابع إسماعيل بن رافع على هذه اللفظة، ولم يَقُلْها أكثر الرواة.

قلت: وقد قال بعضهم في معنى هذا: مُت موتاً لا تحيا بعده أبداً، فيَصْرخُ يعني: ثم لا يكون بعد هذا مَلَكُ مَوْتٍ أبداً، لأنّه لا موتَ بعدَ هذا اليوم.

٤٦٨ ـ كما ثبت في الصحيح: «يُؤْتَى بالْمَوتِ يومَ القِيامة في صورة كَبْش أمْلَح، فَيُذْبَحُ بَيْنَ الجَنَّةِ والنَّارِ، ثم يقال: يا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ وَلاَ مَوْت، ويا أَهْلَ الجَنَّة خُلُودٌ وَلا مَوت»[2] وسيأتي الحديث، فملَك الموت وإن حَيِيَ بعد ذلك لا يكون مَلك مَوْتٍ بعدَها أبداً، والله أعلم.

وبتقدير صحة هذه اللفظة عن النبيّ ﷺ فظاهر ذلك أنه لا يَحْيا بعدَ هذا أبداً، وهذا التأويل بعيدٌ، وبتقدير صحة الحديث، والله أعلم بالصواب.

* * *

---

(١) في إسناده: إسماعيل بن رافع، ضعفه أحمد ويحيى وجماعة، وقال الدارقطني وغيره: متروك الحديث، وقال ابن عدي: أحاديثه كلها مما فيه نظر. (ميزان الاعتدال ١/٢٢٧).

(٢) رواه البخاري (٤٧٣٠) في التفسير، باب: ﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾، ومسلم (٢٨٤٩) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارون.
«أملح»: الأملح: هو الأبيض الخالص.

فصل

قال في حديث الصور: «فإذا لم يبقَ إلاّ اللَّهُ الواحد الأحدُ الفردُ الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كُفُواً أحدٌ، كان آخراً كما كان أوّلاً، طَوى السماوات والأرض كَطي الكتاب، ثم دَحاهُما، ثم تلَقَّفهما ثلاثَ مَرّاتٍ، وقال: أنا الجبّار، ثلاثاً، ثم يُنادي: لِمَن المُلكُ اليَوْمَ؟ ثلاثاً فلا يُجيبه أحد، ثم يقول مُجيباً لِنَفْسِه: «لله الواحدِ القهّار».

وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ والسَّموَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أول خَلْقٍ نُعِيدُه وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِين﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

وقال تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ * يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لاَ يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّه الواحِدِ القَهّارِ * الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لاَ ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [غافر: ١٥ - ١٧].

٤٦٩ - وثبت في الصحيحين من حديث الزهري، عن أبي سَلَمَة، عن أبي هريرة: أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «يَقْبِضُ اللَّهُ الأَرْضَ، ويَطْوِي السَّماءَ بِيَمِينِهِ، ثم يقول: أنا المَلِكُ، أنَا الجبّار، أيْنَ مُلُوكُ الأرض؟ أَيْنَ الجَبّارُونَ؟ أيْنَ المُتَكَبِّرُونَ»[1].

---

(١) رواه البخاري (٦٥١٩) في الرقاق: باب يقبض الله الأرض يوم القيامة، ومسلم (٢٧٨٧) في صفات المنافقين وأحكامهم، باب: صفة القيامة والجنة والنار.

٤٧٠ - وفيهما أيضاً من حديث عُبَيْد الله، عن نافع، عن ابن عمر؛ أنّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «إنّ اللَّهَ يَقْبِضُ يَوْمَ القِيَامَةِ الأرضين، وَتكُونُ السَّمواتُ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ: أنا المَلِكُ»[1].

٤٧١ - وفي مُسند الإمام أحمد، وصحيح مسلم، من حديث عُبَيْدالله بن مقسم، عن ابن عمر: أنّ رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ذاتَ يَوْمٍ على المِنْبَر: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ والأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُه يَوْمَ القِيَامَةِ والسَّموَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَه وَتَعَالَى عَمّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]، ورسول الله ﷺ يقول هكذا بِيَدِهِ، يُحرّكُها، يُقْبِلُ بها ويُدْبِرُ، «يُمَجِّدُ الرَّبُّ سُبحانه نَفْسَه: أنَا الجَبّارُ، أنا المُتَكَبِّرُ، أنا العزيزُ، أنا الكريم» فَوَخَفَ رسولُ الله ﷺ المنبرَ، حتى قُلْنَا لَيُخَرّق به[2].

وهذا لفظ أحمد.

وقد ذكرنا الأحاديث المتعلّقة بهذا المقام عند تفسير هذه الآية من كتابنا التفسير، بأسانيدها وألفاظها، بما فيه كفاية ولله الحمد.

* * *

---

(١) رواه البخاري (٧٤١٢) في التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿لما خلقت بيدي﴾، ومسلم (٢٧٨٨) في صفات المنافقين وأحكامهم، باب: صفة القيامة والجنة والنار.

(٢) رواه أحمد (٢/٧٢)، ومسلم (٢٧٨٨).

«وَخَفَ»: ضَرَب.

فصل

قال في حديث الصور: «ويُبدِّلُ اللّهُ الأرْضَ غيْرَ الأرْضِ فيبْسُطُها، سطحها، ويمُدُّها مدّ الأديم العُكاظِيّ، لا ترى فِيها عِوجاً ولا أمْتاً، ثم يزْجُر اللّهُ لائِق زجْرةً فإذا هُمْ في هذه الْمُبدَلةِ، وقد قال الله تعالى: ﴿يوْم تُبدَّلُ الأرْضُ الأرْضِ والسّمواتُ وبرزُوا لِلّهِ الواحِدِ القهّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

٤٧٢ ـ وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها: أنّ رسول الله ﷺ ل: أيْن يكُونُ النّاسُ يوْم تُبدَّلُ الأرْضُ والسموات؟ فقال: «في الظُّلْمةِ دون سر»(1).

وقد يكون المراد بذلك تبديلٌ آخرُ غيرُ هذا المذكور. وفي هذا الحديث، و أن تُبدَّل معالمُ الأرض فيما بين النفختين، نفخةِ الصّعْقِ، ونفْخةِ البعْث، فتسِيرُ بال وتُمْهدُ الأرْضُ، ويبْقى الجمِيعُ صعِيداً واحِداً لا اعْوِجاج فِيهِ ولا روابِي ولا ية.

قال الله تعالى: ﴿ويسْألُونك عنِ الجِبالِ فقُلْ ينْسِفُها ربِّي نسْفاً * فيذرُها قاعاً صفاً * لا ترى فِيها عِوجاً ولا أمْتاً﴾ [طه: ١٠٥ ـ ١٠٧](2). أي لا انخفاض فيها ارتفاع.

رواه مسلم (٢٧٩١) في صفات المنافقين وأحكامهم، باب: في البعث والنشور، بلفظ: قالت: سألتُ رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات﴾ فأين يكون الناس يومئذ؟ يا رسول الله. فقال: «على الصراط».
أما لفظ المصنف فقد رواه مسلم (٣١٥) في الحيض، باب: بيان صفة مني الرجل والمرأة، ضمن حديث طويل، عن ثوبان، عن رسول الله ﷺ.
«الجسر»: الصراط.

«ينسفها»: يقتلعها ويُفرِّقها بالرياح. «قاعاً»: أرضاً ملساء لا نبات ولا بناء فيها.
«صفصفاً»: أرض مستوية، أو لا نبات فيها. «عوجاً»: مكاناً منخفضاً. «أمتاً»: مكاناً مرتفعاً.

وقال تعالى: ﴿وترى الجِبال تحْسبُها جامِدةً وهِي تمُرُّ مرّ السّحابِ﴾ [النمل: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿وسُيِّرتِ الجِبالُ فكانتْ سراباً﴾ [النبأ: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿وتكُونُ الجِبالُ كالْعِهْنِ المنفُوش﴾ [القارعة: ٥](1).

وقال تعالى: ﴿وحُمِلتِ الأرْضُ والجِبالُ فدُكّتا دكّةً واحِدةً﴾ [الحاقة: ١٤].

وقال تعالى: ﴿ويوْم نُسيِّرُ الجِبال وترى الأرْض بارِزةً وحشرْناهُمْ فلمْ نُغادِرْ مِنْهُم أحداً * وعُرِضُوا على ربِّك صفّاً لقدْ جِئْتُمونا كما خلقْناكُمْ أوّل مرّةٍ بلْ زعمْتُمْ ألّنْ نجْعل لكُمْ موْعِداً﴾ [الكهف: ٤٧ ـ ٤٨].

* * *

(1) «كالعهن»: كالصوف.

فصل

قال في حديث الصور: «ثم يُنْزِلُ اللَّهُ ماءً مِنْ تَحْتِ الْعَرشِ، فتُمْطِر السَّماءُ أربعين يَوْماً؛ حتَّى يكون الماءُ قَدْر اثْنَي عَشَر ذِراعاً، ثمّ يأمر الله الأجسادَ أنْ تَنْبُتَ كَنَباتِ الطَّراثيثِ، وهي صِغارُ القِثاء، وكَنَباتِ البَقْل».

٤٧٣ ـ وتقدّم في الحديث الذي رواه الإمام أحمدُ ومسلم، قال: «يَوْمَ يُنْفَخُ في الصُّور فلا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إلّا أصغى لِيتاً وَرفع ليتاً، وأولُ من يسمعه رجل يَلِيطُ حَوْضَهُ فيُصْعَقُ، ولا يسمعه أحد إلّا صُعِقَ، ثم يُرسل الله مطراً كأنّه الطَّلُ، أو الظِّلّ، فتَنْبُتُ مِنْهُ أجسادُ الناسِ، ثم يُنْفَخُ فيه أخرى، فإذا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُون، ثم يقال: يا أيُّها الناسُ هَلُمُّوا إلى رَبكم»[1].

٤٧٤ ـ وقال البخاري: حدّثنا عُمَرُ بن حَفْص بن غِياث، حدّثنا أُبَيّ، حدّثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: «بَيْن النفختين أربَعُونَ» قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوماً؟ قال، أَبَيْتُ، قالوا: أربعون سنةً؟ قال: أَبَيْتُ، قالوا: أربعون شَهْراً؟ قال: أبيت، «ويَبْلَى كلُّ شَيْءٍ مِنَ الإنسان، إلَّا عَجْبَ الذّنب، فيه يُركّب الخلق»[2].

ورواه مسلم عن أبي كُرَيْب، عن أبي معاوية، عن الأعمش، به، مثلَه، وزاد بعد قوله في الثالثة: أبيتُ، قال: «ثمّ يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ مَاءٌ فَيَنْبُتُونَ كما يَنْبُتُ البَقْلُ» قال: «وليس شَيءٌ من الإنسان إلّا يَبْلَى إلّا عَظْماً واحِداً، وهو عَجْب الذَّنبِ، ومنه يُركب الْخَلق يوم القيامة».

٤٧٥ ـ وقال أبو بكر بن أبي الدُّنْيا في كتاب «أهوال القيامة»: حدّثنا أبو عمّار

---

(١) سبق تخريجه برقم (٢٩٨).

(٢) رواه البخاري (٤٨١٤) في التفسير، ومسلم (٢٩٥٥) في الفتن.

الحسين بن حُرَيْث المَرْوَزِيّ، حدثنا الفضل بن موسى، عن الحسين بن واقد، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، حدّثني أُبَيّ بن كَعْبٍ، قال: سِتُّ آياتٍ قَبْلَ يَوْمِ القيامة: بَيْنَما الناسُ في أَسْوَاقِهِمْ إذ ذهب ضوءُ الشمس، فبينما هم كذلك إذْ وقعت الجبالُ على وَجْه الأرض، فتحرَّكَتْ، واضْطَرَبَتْ في اختلال، وفَزِعَتِ الجِنّ إلى الإِنْس، والإنس إلى الجِنّ، واخْتَلَطَت الدَّوابُّ والطُّيورُ والوَحْشُ، فماجوا بعضهم في بعض، ﴿وإذَا الوحوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥]، قال: انْطَلَقَتْ ﴿وإذا العِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [التكوير: ٤][1] قال: أهملها أهْلُها، ﴿وإذا البِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦][2] قال: الجنُّ للإنس نحنُ نأتيكم بالخَبَر، فانطلقوا إلى البَحْر، فإذا هو نارٌ تأجَّجُ، فبينما هُمْ كذلك إذ تَصَدَّعَتِ الأَرْضُ صَدْعَةً وَاحِدةً، إلى الأَرْض السابعة السُّفْلَى، وإلى السَّماءِ السابعة العُلْيا، فبينما هم كذلك إذ جاءتهم رِيحٌ فأماتَتْهُمْ[3].

٤٧٦ ـ وقال ابن أبي الدُّنيا: حدّثنا هارون بن عُمَر القُرَشِيّ، حدثنا الوليد بن مُسْلم، حدثنا عبدالرحمٰن بن يزيد بن جابر، عن عطاء بن يزيد السَّكْسَكِيّ، قال: يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحاً طَيِّبَةً بَعْدَ قَبْض عِيسَى ابن مَرْيم، عليه الصلاة والسلام، وعند دنو من الساعة، فَتَقْبِضُ كُلَّ مُؤْمِن وَمُؤْمِنَةٍ، وتُبقي شَرارَ النَّاسِ يَتَهارَجونَ تَهارُجَ الحُمُر، عليهم تقوم الساعة، فبينما هم على ذلك إذ بعث الله على أهل الأرض الخوف، فتَرْجُفُ بهم أقدامُهم ومساكنُهم فتخرجُ الجِنّ والإنس والشياطينُ إلى سِيفِ البَحْرِ، فيمكثون كذلك ما شاء اللَّهُ، ثم يقول الجِنُّ والشياطين: هَلُمَّ نلتمس المَخرَج، فيأتون خَافِقَ المَغْرب، فيَجِدُونَه قَدْ شُدِّدَ عليه الحَفَظَةُ، ثم يرجعون إلى الناس، فبينما هُمْ كذلك إذ أَشْرَفت الساعةُ عَلَيْهِمْ، ويسمعون مُنَادِياً يُنادِي: يا أيُّها الناسُ ﴿أتى أمرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوه﴾ [النحل: ١] قال: فما المرأةُ بأشَدّ استماعاً من الوليد في حِجْرِها، ثمّ يُنْفَخُ في الصُّورِ فيُصْعَقُ مَنْ في السّماوات ومن في

---

(١) «العشار عطلت»: النوق الحوامل أُهملت بلا راع.

(٢) «سجرت»: أُوقِدَتْ فصارت ناراً تضطرم.

(٣) في إسناده: الحسين بن واقد؛ وثّقه ابن معين وغيره، واستنكر أحمد بعض حديثه، وقال ابن حجر: له أوهام. (ميزان الاعتدال ١/٥٤٩ وتقريب التهذيب ١/١٨٠). والربيع بن أنس: صدوق، له أوهام، رُمي بالتشيع. (تقريب التهذيب ١/٢٤٣).

الأرض، إلّا من شاء الله[1].

٤٧٧ ـ وقال أيضاً: حدّثنا هارون بنُ سُفْيانَ، حدّثنا محمد بن عمر، حدّثنا معاوية بن صالح، عن عبدالرحمٰن بن جُبَيْر بن نُفَيْر، عن أبيه، عن فضالة بن عُتْبَة، عن النبيِّ ﷺ. وحدّثنا هِشامُ بن سَعْد، عن سعيد بن أبي هلال، عن ابن حُجَيْرة، عن عُقْبَة بن عامر، عن النبي ﷺ قال: «تَطْلُعُ الساعةَ عليكم سحابةٌ سوداء مثل التُّرسِ من قِبَلِ المَغْرِب، فما تزال ترتفع، وترتفع؛ حتى تملأ السماء، ويُنادي منادٍ: يا أيُّها الناس، إنّ أَمْرَ اللّهِ قد أتى، فوالذي نفسي بِيَدِه، إنّ الرجلين لَيَنْشُرانِ الثَّوبَ فما يَطْويانه، وإنّ الرَّجل لَيَلوطُ حَوْضَه فما يَشْرَبُه، وإنّ الرَّجُلَ لَيَحْلِبُ لِقْحَتَهُ فما يَشْرَبُ مِنْها شَيْئاً»[2].

وقال محارب بن دِثَار: وإنَّ الطَّيرَ يَوْمَ القِيَامَةِ لَتَضْرِبُ بأذْنَابِها وتَرْمي ما في حَواصِلِها من هول ما تَرى، ليس عندها طَلِبَةٌ. رواه ابن أبي الدُّنْيا في «الأهوال».

٤٧٨ ـ وقال ابن أبي الدُّنيا: حدّثنا الحسن بن يحيى العَبْديّ، حدّثنا عبدالرزّاق، حدّثنا عبدالله بن يحيى، سمعت عبدالرحمٰن بن يزيد الصّنعانيّ، سمعت عبدالله بن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَرّه أَنْ يَنْظُرَ إلى يَوْمِ القِيامة فليقرأ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ و﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ و﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾[3]» رواه أحمدُ، والترمذيّ، من حديث عبدالله بن بجير.

* * *

---

(١) في إسناده: الوليد بن مسلم؛ مدلس. (ميزان الاعتدال ٤/٣٤٧).
وعبدالرحمٰن بن يزيد بن جابر، قال الذهبي: لم أر أحداً ذكره في الضعفاء، غير أبي عبدالله البخاري؛ فإنه ذكره في الكتاب الكبير في الضعفاء، فما ذكر له شيئاً يدل على ضَعْفِه أصلاً. (ميزان الاعتدال ٢/٥٩٨).

(٢) ورواه الحاكم (٤/٥٣٩) من طريق ابن حجيرة، عن عقبة بن عامر، قال: قال رسول الله... وصححه.

(٣) رواه أحمد (٢/٢٧، ٣٦، ١٠٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/١٣٤): رواه أحمد بإسنادين، ورجالهما ثقات، ورواه الطبراني بإسناد أحمد. ورواه الترمذي (٣٣٣٣) في تفسير القرآن، باب: ومن سورة إذا الشمس كورت، وقال: حسن غريب.

نفخة البعث

وقال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ۞ وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۞ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [الزمر: ٦٨ ـ ٧٠].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً ۞ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً ۞ وَسُيِّرَتِ الجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً﴾ [النبأ: ١٨ ـ ٢٠].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٥٢].

وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۞ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٣ ـ ١٤].

وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ۞ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمٰنُ وَصَدَقَ المُرْسَلُونَ ۞ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۞ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس: ٥١ ـ ٥٤].

ذُكِرَ في حديث الصُّورِ نَفْخَةُ الصَّعْق، ووفاة الخلائق كُلّها، وبقاء الحيّ القَيُّوم الذي لا يموتُ، الذي كان قبل كلِّ شيء، وهو الآخِرُ بَعْدَ كلّ شيء، وأنّه يُبَدِّل السَّمواتِ والأرضَ فيما بين النفختين، ثم يأمر بإنزال الماء الذي تتخلّق منه الأجساد في قبورها، وتتركب في أجداثها، كما كانت في حياتها؛ في هذه الدار من غير أرْواحٍ.

ثم يقول الله تعالى: «لِتَحْيَ حَمَلَةُ عَرْشِي فَيَحْيَوْنَ، ويأمرُ إسرافيل فيأخذ

الصُّور فيضعُهُ على فِيهِ، ثُمَّ يقول: ليحيَ جبريلُ وميكائيلُ، فيُحْيِيانِ، ثم يدعو اللَّهُ بالأرواحِ فيُؤتى بها، تتوهَّجُ أرواحُ المؤمنين نوراً، والأخرى ظُلْمَةً، فيقبِضُها جميعاً فيُلقيها في الصُّور، ثم يأمُرُ إسرافيل أنْ ينفخ نفخةَ البعثِ، فينفُخُ، فتخرجُ الأرواح كأنها النَّحلُ، قد ملأت ما بيْن السَّماءِ والأرضِ، فيقول اللَّهُ عزَّ وجلَّ: وعِزَّتي وجلالي لتَرْجِعَنَّ كُلُّ روحٍ إلى الجَسَدِ الذي كانت تَعْمُرُه في الدنيا، فتدخلُ الأرواح في الأرض على الأجساد، فتدخلُ في الخياشيم، ثم تمشي في الأجساد مَشْيَ السُّمِ في اللَّديغ، ثم تُشقّ الأرضُ عنكُمْ» قال رسول الله ﷺ: «وأنا أوّل من تنشقّ عنه الأرْضُ، فتخرجُونَ منها سِراعاً إلى رَبِّكُمْ تَنْسِلُون ﴿مُهْطِعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يومٌ عسِرٌ﴾ [القمر: ٨] حُفاةً عُراةً غُرْلاً».

وقد قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِراعاً كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [المعارج: ٤٣ ـ ٤٤][1].

وقال تعالى: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ * يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ [ق: ٤١ ـ ٤٢].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الأَرْضُ عنهم سِراعاً ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ * خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ * مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر: ٦ ـ ٨].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ * فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ * عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر: ٨ ـ ١٠].

وقال تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وفِيهَا نُعِيدكم ومِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٥٥].

---

(١) «نصب»: أحجار عظّموها في الجاهلية. «يوفضون»: يسرعون. «خاشعة»: ذليلة. «ترهقهم»: تغشاهم.

وقال تعالى: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ ومِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿واللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتاً * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً﴾ [نوح: ١٧ ـ ١٨].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً﴾ [النبأ: ١٨].

٤٧٩ ـ وقال ابن أبي الدُّنيا: حدّثنا عبدالله بن عثمان، حدثنا ابن المبارك، حدثنا سفيان، عن سَلَمة بن كُهَيْل، عن أبي الزَّعْراء، عن عبدالله بن مسعود، قال: يُرْسَلُ ريحٌ فِيهَا صِرٌّ بارِدَةٌ زَمْهَرير باردة، فلا تَذَرُ على الأرض مُؤمناً إلّا لُفِتَ بتِلْكَ الرِّيح، ثم تقوم الساعةُ على الناس، فيقوم ملكٌ بَيْنَ السَّماء والأرضِ بالصُّور، فينفخُ فيه، فلا يبقى خلق في السماء والأرض إلّا مات، ثم يكون بين النفختين ما شاء الله أن يكون، فيُرسل الله ماءً من تحت العَرْش فَتَنْبُتُ جُسْمَانُهم ولُحْمانُهم من ذلك الماء، كما تُنبت الأرض من الثَّرَى، ثم قرأ ابن مسعود: ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ [فاطر: ٩].

ثم يقوم ملك بين السماء والأرض بالصُّور، فينفخُ فيه، فَتَنْطَلِقُ كُلُّ رُوحٍ إلى جَسَدها، فتَدْخُل فِيهِ، وتَقُومُونَ، فتَحْيَوْنَ قياماً لربِّ العَالمِينَ[1].

٤٨٠ ـ وعن وهب بنُ منبّه، قال: يَبْلَوْنَ في القُبور، فإذَا سَمِعُوا الصَّرْخَة عادتِ الأرواحُ إلى الأبدان، والمفاصلُ بعضها إلى بعض، فإذا سمعوا الصرخة الثانية وثب القومُ قياماً على أرْجُلِهِم، يَنْفُضُون التُّرابَ عن رؤوسهم، يقول المؤمنون: سُبْحَانَكَ ما عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ.

* * *

---

(١) رواه ابن جرير في تفسيره (٢٢/١١٩)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/٧ ـ ٨) لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

«صِرّ»: الصِّرّ: شدة البرد.

ذكر أحاديث البعث

٤٨١ ـ قال سفيان الثوريّ، عن سلمة بن كُهَيْل، عن أبي الزَّعْراء، عن عبدالله قال: يُرْسَلُ رِيحٌ فِيهَا صِرّ باردة، زَمْهَرِيرٌ بَارِدَةٌ، فلا يبقى على الأرض مُؤْمِنٌ إلّا لُفِتَ بِتِلْكَ الرِّيح، ثم تقوم الساعة على الناس، ثمّ يقوم ملك بين السماء والأرض بالصّور، فينفخ فيه، فلا يبقى خَلْقٌ في السماء والأرض إلّا مات، ثم يكون بين النفختين ما شاء الله أن يكون، ثُمّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَاءً من تحت العرش، فَتَنْبتُ جُسْمَانُهم ولُحْمانُهُمْ، من ذلك الماء، كما تَنْبُتُ الأرضُ مِنَ الثَّرى، ثم قرأ ابن مسعود: ﴿**واللَّهُ الَّذي أرسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فأحْيَيْنَا به الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها كذَلِكَ النُّشُورُ**﴾ [فاطر: ٩]. ثُم يقوم ملك بين السماء والأرض بالصُّور، فينفخُ فيه، فتنطلِقُ كلُّ نفس إلى جسدها، فتدخُل فيه، ويقومون، فيجيئون قياماً لِرَبِّ العالمين[1].

٤٨٢ ـ وقال ابن أبي الدُّنيا: أخبرنا أبو خَيْثَمَة، حدثنا يزيدُ بن هارون، حدثنا حمّاد بنُ سَلمة، عن يعلى بن عطاء، عن وَكِيع بن عُدُس، عن عمه أبي رَزِين، قال: قلت: يا رسول الله، كيف يُحْيِي اللَّهُ المَوْتى؟ ما آيةُ ذلك في خَلْقِه؟ قال: «يا أبا رَزِين، أما مَرَرْتَ بِوَادِي أَهْلِكَ مَحلاً ثُمّ مَرَرْتَ بِه يَهْتَزّ خَضِراً؟» قلت: بَلَى، قال: «فكذلكَ يُحْيِي اللَّهُ المَوْتَى، وذلك آيتُه في خَلْقِه»[2]. وقد رواه أحمد، عن عبدالرحمن بن مهدي، وغُنْدَر، كلاهما عن شُعْبَةَ، عن يعلى بن عطاء، به، نحوه، أو مثلَه.

٤٨٣ ـ وقد رواه أحمد من وجه آخر، فقال: حَدّثنا عليّ بن إسحاق، حدثنا

(١) سبق تخريجه برقم (٤٧٩).
(٢) رواه أحمد (٤/١٢).
«محلاً»: المحل: الجدب.

عبدالله بن المُبارك، أخبرنا عبدالرحمٰن بن يزيد بن جابر، عن سليمان بن موسى، عن أبي رَزِين العُقَيْليّ، قال: أَتَيْتُ رسولَ الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، كَيْفَ يُحْيي الله المَوْتَى؟ قال: «أَمَررتَ بأَرْضٍ مِنْ أَرْضِكَ مُجْدِبَةً، ثُمَّ مَررْتَ بِهَا مُخْصِبَةً؟» قال: قلت: نعم، قال: «كذلك النُّشُور».

وقال: قلت: يا رسول الله، ما الإيمان؟ قال: «أنْ تَشْهَدَ أنْ لَا إله إلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وأنّ محمداً عبدُه ورسولُه، وأن يكون اللَّهُ ورسولُه أحَبّ إلَيْكَ مما سِواهُما، وَأَنْ تُحْرَق بالنار أحبُّ إلَيْكَ مِنْ أَنْ تُشْرِكَ باللَّهِ، وأنْ تُحِبَّ غَيْرَ ذِي نَسَبٍ لا تُحِبُّه إلا لله عزّ وجَلّ، فإذا كنت كذَلِكَ فَقَدْ دَخَلَ حُبُّ الإيمانِ في قَلْبِك، كما دَخَلَ حُبُّ الماءِ للظّمآنِ في اليَوْمِ القَائِظِ».

قلت: يا رسول الله، كيف لي بأن أعلمَ أنّي مُؤمن؟ قال: «ما من أمّتي أو هذه الأمة عبدٌ يَعْمَلُ حَسَنَة، فيَعْلَمُ أنها حَسَنَةٌ، وأن الله عز وجل جازيه بها خيراً، ولا يَعْمَلُ سَيِّئَةً فيَعْلَم أنّها سَيِّئة، ويستغفر الله عز وجل منها، ويَعْلَم أنّه لا يَغْفِرُ إلّا هُوَ إلا وَهُوَ مُؤْمِن»[1] تفرّد به أحمد.

* * *

(١) رواه أحمد (٤/١١ ـ ١٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٥٣): رواه أحمد، وفي إسناده سليمان بن موسى، وقد وثقه ابن معين وأبو حاتم وضعفه آخرون.
«القائظ»: الشديد الحرّ.

حديث أبي رزين في البعث

٤٨٤ - أخبرني شيخُنا الحافظ أبو الحجاج، يوسف بن عبدالرحمٰن المِزّيّ - تغمّدهُ الله برحمته - وغيرُ واحدٍ من المشايخ، قراءةً عليهم، وأنا أسمع، قالوا: أخبرنا فخرُ الدين عليّ بن عبدالواحد البخاريّ، وغيرُ واحدٍ، قالوا: أخبرنا حنبل بن عبدالله المكي، أخبرنا أبو القاسم هبةُ الله بن الحسين الشيبانيّ، أخبرنا أبو علي الحسن بن علي بن المذهب التميميّ، أخبرنا أبو بكر، أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك القُطَيعيّ، أخبرنا عبدالله ابن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله في مُسند أبيه، قال: كتب إليّ إبراهيمُ بنُ حمزة بن محمد بن حمزة بن مُصْعَب بن الزُّبَيْر الزُّبَيْريّ، كتبتُ إليكَ بهذا الحديث، وقد عَرَضْتُهُ، وسمعته[1] على ما كتبتُ به إليك، فحدِّث بذلك عني، حدثني عبدالرحمٰن بن المُغيرة الحزامي، حدّثني عبدالرحمٰن بن عيّاش النخعي[2] الأنصاريّ القُبَائيّ، من بني عمرو بن عوف، عن دِلْهَم بن الأَسْوَدِ بن عبدالله بن حاجب بن عامر بن المُنْتَفِق العُقَيْليّ، عن أبيه، عن عمّه لَقِيطِ بن عامر. قال دَلْهَم: وحدّثنيه أبو الأسود، عن عاصم بن لَقِيط أنّ لَقِيطاً خرج وافداً إلى رسول الله ﷺ ومعه صاحبٌ له، يقال له: نَهِيك بن عاصم بن مالك المُنْتَفِق، قال لقيط: فخرجتُ أنا وصاحبي حتّى قَدِمْنا على رسول الله ﷺ لانسلاخ رجب، فأتينا رسول الله ﷺ، فوافيناه حين انصرف من صلاة الغَدَاةِ، فقام في الناس خطيباً فقال:

«أيها الناس، ألَا إنّي قَدْ خبأْتُ لَكُمْ صَوْتي منذ أَرْبَعةِ أيام، ألَا لأُسْمِعنّكُمْ، ألَا فَهلْ مِن امْرئٍ بَعَثَهُ قَوْمُهُ؟» فقالوا: اعلَم لَنا ما يَقُولُ رسول الله ﷺ، ألَا ثُمَّ لَعلّه أن يُلْهِيهُ حَدِيثُ نَفْسِه، أو حديث صَاحِبِه، أو يُلْهِيه الضّلال، ألَا إنّي مسؤول: هلْ بَلَّغْت. ألا اسْمَعُوا تعيشوا، ألَا اجْلِسُوا، ألَا اجْلسُوا». قال: فجلس الناس، وقُمْتُ أنا وصاحبي، حتّى إذا فَرَغَ لَنا فُؤادُه وبَصَرُه، قلت: يا رسول الله، ما عِنْدَكَ مِنْ عِلْمِ

(١) كذا في المطبوع، وفي المسند: وجمعته.

(٢) كذا في المطبوع، وفي المسند: السمعي، وهو موافق لما في تقريب التهذيب.

الغيب؟ فضحك لَعَمْرُ الله، وهزَّ رَأْسَهُ، وعلم أنّي أبتغي لِسَقَطِهِ، فقال: «ضَنَّ رَبُّك عز وجل بمفاتيح خَمْسٍ مِنَ الغَيْب، لَا يَعْلَمُها إلّا اللّهُ» وأشار بيَدِهِ، قلت: وما هن؟ قال: «عِلْمُ المَنِيَّةِ، قد علم متى منِيَّةُ أحدكم، ولا تعلمونه، وعلم المنيّ حِينَ يكونُ في الرَّحِم قَدْ عَلِمَه ولا تعلمون، وعلم ما في غد ما أنت طَاعِمٌ غداً ولا تعلمه، وعلم يوم الغَيْث يُشْرِفُ عليكم، أَزِلِين، مُشْتَئِسين، فيَظَلُّ يَضْحَك، وقد علم أنّ غِيَرَكُمْ[1] إلى قريب».

قال لقيط: قلت: لن نَعْدَمَ من ربٍّ يَضْحَكُ خيراً، وعلم يوم الساعة، قلت: يا رسول الله، عَلّمنا مِمّا تُعلِّم الناسَ، وَمَا تَعْلَم، فإنّا مِنْ قَبِيلٍ لَا يُصَدِّقُونَ تَصْدِيقنا أَحَدٌ مِنْ مذْحِج التي تربو[2] عَلَيْنَا، وخَثْعَمَ التي توالينا، وَعشيرَتِنا التي نَحْنُ منها، قال: «تَلْبَثُونَ ما لَبِثْتُم ثم يُتوفّى نَبيّكم ﷺ ثم تَلْبَثُونَ ما لَبِثْتم، ثم تُبْعَثُ الصَّائحَةُ، لَعَمْرُ إلٰهِكَ ما تَدَعُ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ شَيْءٍ إلّا مَاتَ، والملائكةُ الذين مع ربك عز وجل، فأَصْبَح رَبُّك عز وجل يطوف في البلاد قد خَلَتْ عَلَيْه البلاد، فأرسل ربك عزّ وجل السحاب، تَهْضِب[3] مِنْ عِنْد العرش، فلَعَمْرُ إلٰهك ما تدعُ على ظهرها من مَصْرَعِ قتيل، ولا مَدْفَنِ مَيِّت إلّا شقّت القَبْر عنهُ حَتّى تُخْلِفَهُ مِنْ عند رأسه، فيستوي جالساً، يقول ربك: مَهْيَمْ لما كان فيه، فيقول: يا رب، أمس، اليوم، لعهده بالحياة يَحْسَبُه حَدِيثاً بأَهْلِه».

فقلت: يا رسول الله كيف يَجْمَعُنا بعدما تُفَرِّقُنا الرياحُ والبِلَى والسِّباعُ؟ قال: «أنبئُك بمثل ذلك في آلاءِ اللّهِ، الأرْضُ أَشْرَفْتَ عَلَيْها وهي مَدَرَةٌ[4] باليةٌ، فقلت: لا تحيا أبداً، ثم أرسل ربك عز وجل عليها السماء فلم تَلْبَثْ عليك إلّا أياماً حَتّى أَشْرَفْتَ عليها، وهي شربة واحدة، ولعمر إلٰهك لَهُو قادِرٌ على أَنْ يَجْمَعَكُم من الماء، على أن يجمع نبات الأرض، فتخرجون من الأصواء[5] ومن مصارعكم، فتنظرون إليه، ويَنْظُرُ إليكم.

(١) «غيركم»: غيثكم وسقياكم بالمطر. (٢) «تربو»: ترتفع.

(٣) «تهضب»: تمطر. (٤) «مدرة»: قطعة الحجر.

(٥) «الأصواء»: جمع الصُّوَّة، وهي ما غَلُظ وارتفع من الأرض، وما نُصِب من الحجارة ليستدلّ به على الطريق.

قال: قلت: يا رسول الله، كيف ونحن مِلْءُ الأرض، وهو شخص واحد يَنْظُر إلينا، ونَنْظُر إلَيْه؟ قال: أنبئك بمثل ذلك في آلاء الله عز وجل الشمس، والقمر، آية منه صغيرة ترونهما ويريانكم ساعةً واحدةً لا تضامون في رؤيتهما، ولعمر إلهك لهو أقدر على أن يراكم وترونه منهما».

قال: قلت: يا رسول الله، فما يفعل ربنا إذا لقينا؟ قال: «تُعْرَضُون عليه باديةً له صَفَحَاتُكُمْ، لا تَخْفَى عليه منكم خافية، فيأْخُذُ ربُّك عز وجل بيده غَرْفَةً من الماءِ، فَيَنْضَحُ قبلكُمْ بها، فلعَمْرُ إلهك ما تخطىء وَجْهَ أحدكم منها قطرة، فأما المؤمن فتَدَعُ وَجْهَهُ مِثْل الرَّيْطَةِ[1] البَيْضاءِ، وأما الكافِرُ فَتَخْطِمه[2] بمثل الحُمَم الأسود، أَلاَ ثُمَّ يصرف نَبِيُّكم ﷺ ويصرف الصالحون على إثْرِه، فتسلكون جِسْراً من النار، يَطَأُ أحَدُكُم الجمرة يقول حَسّ، يقول ربك عز وجل أو أنَّه، فتَطَّلِعُون على حَوْض الرسول على أظمأ والله ناهِلةٍ عليها قطُّ ما رأيتها، فلَعَمْرُ إلَهك ما يَبْسطُ واحدٌ مِنْكُم يَدَه إلا وقع عليها قَدَحٌ يُطَهِّرُهُ مِنَ الطَّوْف[3] والبَوْل والأذى، وتُحْبَسُ الشَّمْسُ والقَمَرُ ولا ترون منهما واحداً، قال: قلت: يا رسول الله، فبم تُبْصِر؟ قال: «مثل لَعَمْرُك ساعتِك هذه، وذلك مع طلوع الشمس في يوم أشرقَتْ فِيه الأرْضُ وَاجَهَتْه الجبَالُ.

قال: قلت: يا رسول الله، فبم نُجْزَى مِنْ سَيئَاتِنا وحَسنَاتِنَا؟ قال: «الحَسَنَةُ بعَشر أمثالها، والسيئةُ بمثلها، إلا أنْ يَعْفُو» قال: قلت: يا رسول الله، ما الجنة؟ وما النار؟ قال: «وإلهك إن للنار لَسَبْعَة أبواب، ما مِنْهن بابان إلا يَسِيرُ الراكب بينهما سبعين عاماً، وأما الجنة فلها ثمانية أبواب، ما مِنْهُنَّ بابَان إلا يسيرُ الراكب بينهما سبْعين عاماً»، قال: قلت: يا رسول الله، فعلى ما نطّلعُ من الجنّة؟ قال: «على أنْهَارٍ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى، وَأَنْهارٍ مِنْ كَأْسٍ ما بِهَا مِنْ صُدَاع، وَلاَ نَدامَةٍ، وأنهارٍ من لَبَن لم يَتَغيَّرْ طَعْمُهُ، وماء غَيْر آسِنٍ[4] وفاكهةٍ، لَعَمْرُ إلهك ما تَعْلَمُون، وَخَيْرٍ مِنْ

(١) «الريطة»: كل ملاءة غير ذات لِفْقَيْن، كلها نسيج واحد وقطعة واحدة.
(٢) «تخطمه»: تضرب أنفه.
(٣) «الطوف»: الغائط.
(٤) «آسن»: متغيّر الرائحة.

مِثْلِه مَعَه، وَأَزْوَاجٍ مُطَهَّرَةٍ» قلت: يا رسول الله، ولنا فيها أزواج؟ أو مِنْهُنَّ مُصْلِحَات، قال: «الصالحاتُ للصالحين، تَلَذُّونَهُن مِثْل لَذّاتِكُم في الدُّنيا، وَتَلَذَّذْنَ بكم، غير أن لا توالد».

قال لقيط: فقلت: أقصى ما نحنُ بالغونَ ومُنْتهون إليه؟ فلم يجبه النبيُّ ﷺ - قلت: يا رسول الله، على ما أُبَايِعُكَ؟ فبسط رسول الله ﷺ يده، وقال: «على إقام الصَّلاة، وإيتاءِ الزَّكاة، وزِيال[1] الشِّرْكِ، وأن لا تُشْرِك بالله غيره».

قال: قلت: وأنَّ لَنَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ؟ فقبض يده وبسط أصابعه، وظَنَّ أنّي مُشْتَرِط شيئاً لا يُعْطِينيه، قال: قلت: نَحُلّ مِنْها حَيْثُ شِئْنا، ولا يَجْني على امْرىء إلا نَفْسُهُ، فبسط يده وقال: «ذلك لك، تَحُلّ حَيْثُ شِئْتَ ولا تَجْني عَلَيْكَ إلّا نَفْسُك» قال: فانصرفنا، فقال: «ها إنَّ ذَين، ها إنَّ ذَينِ لَعَمْرُ إلهك، أن حدثت إنَّهُم مِنْ أتقى الناس في الأولى والأخرى» فقال له كعب بن الخدرية، أحدُ بني بكر بن كِلاب: منهم يا رسول الله بنو المنتفق أهل ذلك.

قال: فانصرفنا، وأقبلتُ عليه، فقلت: يا رسول الله، هل لأحَدٍ مِمَّن مضى من خيرٍ في جَاهِليتِهِمْ؟ قال: فقال رجل من عُرْض[2] قُرَيْش: والله إن أباك المُنْتَفِق لفي النار، قال: فكأنَّهُ وقع حَرٌّ بَيْن جِلْدِي وَوَجْهي وَلَحْمي مما قال لأبي على رؤوس الناس، وَهَمَمْتُ أن أقول: وأبوك يا رسول الله، ثم إذا الأخرى أجْمَلُ، فقلت: يا رسول الله، وأهلك؟ قال: «وأهلي، لَعَمْرُ الله ما أتَيْتَ عليه من قَبْر عامِريّ، أو قُرَشيّ من مُشركٍ فَقُلْ: أرْسَلني إلَيْكَ مُحمد فأبَشِّرُك بما يَسُوؤك، تُجَرّ على بَطْنِكَ وَوَجْهك في النَّار».

قال: قلت: يا رسول الله، ما فَعل بهم ذلك؟ وقد كانوا على عَمَلٍ لا يُحْسِنُون إلَّا إيَّاه، وقد كانوا يحسبونهم مصلحين؟ قال: «ذلك بأن الله عز وجل بعث في آخر كل سَبْع أممٍ نبيّاً، فمن عصى نَبِيَّه كان من الضالين، ومن أطاع نبيَّه كان من المُهتدين»[2].

(١) «زيال»: مفارقة.
(٢) رواه أحمد (٤/١٣ - ١٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٣٤٠): رواه عبدالله والطبراني =

وقد رواه أبو داود[1] في رواية أبي سعيد بن الأعرابي، عن أبي داود، عن الحسن بن علي، عن إبراهيم بن حمزة، به، قال شيخنا: لعله من زيادات ابن الأعرابي.

٤٨٥ ـ وقال الوليد بن مسلم: وقد جمع أحاديثَ وآثاراً في مجلد تشهد لحديث الصور في مُتفرقاته، أخبرنا سعيد بن بشير، عن قتادة، في قوله: ﴿**وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ**﴾ [ق: ٤١] قال: ملك قام على صخرة بيت المقدس، ينادي: أيَّتُها العظامُ البالية، والأوصال المُتَقَطِّعة، إنّ الله يَأْمُرُكُمْ أن تَجْتَمِعُوا لفَصْل القَضاء[2].

٤٨٦ ـ وبه عن قتادة قال: لا يُفَتَّرُ عن أهل القبور عَذابُ القَبْر إلا فيما بَيْن نفخة الصعق، ونفخة البعث، فلذلك يقول الكافر حين يُبْعَثُ: ﴿**يَا وَيْلَنَا، مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا**﴾ [يس: ٥٢]؟ يعني تلك الفترة، فيقول له المؤمن: ﴿**هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ**﴾.

٤٨٧ ـ وقال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثني علي بن الحسن بن أبي مريم، عن محمد بن الحسن، حدثني صَدَقة بن بكر السعدي، حدثني مُفَدى بن سُلَيْمان، قال: كان أبو محكم الجسري يجتمع إليه إخوانُه، وكان حكيماً، وكان إذا تلا هذه الآية: ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا؟ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ**﴾ [يس: ٥١ ـ ٥٢]، بكى، ثم قال: إن القيامة لمعاريض صفة ذهبت فظاعَتُها بأوهام العقول، أما والله لَئِن كان القومُ في رَقْدَةٍ مثل ظاهرِ قولهم، لمَا دَعَوْا بالوَيْل عند أول وَهْلَةٍ مِنْ بَعْثِهِم، ولم يُوقفوا بَعْدُ مَوْقِفَ عَرْضٍ ولا مُساءَلةٍ، إلّا وَقَدْ عَايَنُوا خَطراً عَظيماً، وحققت عليهم القيامة بالجلائل من أمرها، ولَئِنْ كانُوا في أطْوَل الإقامةِ في البَرْزَخ كانوا

= بنحوه، وأحد طريقي عبدالله إسناده متصل، ورجالها ثقات، والإسناد الآخر وإسناد الطبراني مرسل عن عاصم بن لقيط: إن لقيطاً.

(١) رواه أبو داود (٣٢٦٦) في الأيمان والنذور، باب: ما جاء في يمين النبي ﷺ ما كانت.

(٢) رواه ابن جرير من حديث كعب. (الدر المنثور ٧/٦١١).

يَأْلَمُون ويُعَذَّبون في قبورهم، فما دَعَوْا بالويل عند انقطاع ذلك عنهم إلا وقد نُقِلُوا إلى طامَّةٍ هي أعظمُ مِنْه، ولو أنَّ الأمر على ذلك لما استصغر القوم ما كان فيه فسمّوه رُقاداً، إن في القرآن لَدَليلاً على ذلك، حين يقول: ﴿**فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى**﴾ [النازعات: ٣٤]. قال: ثم يبكي حتى يَبلَّ لِحْيَتَه.

٤٨٨ ـ وقال الوليد بن مسلم: حدثني عبدالله بن العلاء، حدثني بشر بن عبدالله الْحضرمي؛ سمعتُ أبا إدريس الْخَولاني يقول: اجتمع الناسُ إلى سائحٍ بين العراق والشام في الجاهِليَّة، فقام فيهم، فقال: أيُّها الناسُ، إنكم مَيّتون ثم مَبعوثون للإدانة والحساب، وقام رجل، فقال: والله لقد رأيتُ رجُلاً لا يَبْعَثُه اللَّهُ أبداً وقع عن راحِلته في مَوْسمٍ من مواسم العرب، فَوطِئَتْهُ الإبلُ بأخفافها، والدَّوابُّ بحوافرها، والرجّالةُ بأرْجلِها، حتى رُمَّ فلم يبق منه أُنْمُلة، فقال السائح: بَيْد أنّك من قوم سَخيفةٍ أحلامُهم، ضعيفٍ يقينهم، قليل عِلْمُهُم، لو أنَّ الضَّبُع نيَّبَتْ[1] تلك الرِّمة فأكلتها، ثم ثلطتْها[2]، ثم غدت عليه النارُ فأكَلَتْهُ وبَعرتَهُ، ثم غدت عليه الجلالة فالْتَقطَتْهُ، ثم أوقدَتْه تَحتَ قِدْرِ أهْلِها، ثم نَسَفَتِ الرِّياحُ رَمادَهُ، لأَمرَ اللَّهُ يَوْمَ القيامَةِ كُلَّ شَيْءٍ أخذَ مِنْهُ شَيْئاً أنْ يَرُدَّهُ فَرَدَّهُ، ثم بعثه للإدانة والثواب.

٤٨٩ ـ وقال الوليد بن مسلم: حدثني عبدالرحمٰن بن يزيد بن جابر؛ أن شيخاً من شيوخ الجاهلية القُساةِ قال: يا محمد، ثَلاثٌ بَلَغَني أنك تَقُولُهنّ، لا يَنْبَغي لذي عَقل أنْ يُصَدِّقكَ فِيهنَّ: إنك تقولُ أن العربَ تاركةٌ ما كانت تَعْبُدُ هي وآباؤها، ولَتَظْهَرُن على كُنوز كِسْرَى وقَيْصَر، وأنّا سَنُبْعَثُ بَعْدَ أنْ نُرمَّ[3]، فقال رسول الله ﷺ: «أجل، والذي نَفْسي بيده، لَتَتْرُكَنَّ العَرَبُ ما كانت تَعْبُد هي وإياؤُها، وَلَتَظْهَرُنْ على كُنُوزِ كِسْرَى وَقَيْصَر، وَلَتَمُوتَنّ وَلتُبْعَثُنّ، ثُم لآخُذَنَّ بِيَدِكَ يَوْمَ القِيامَة فلأُذَكِّرنّكَ مَقالَتَكَ هَذِه»، قال: وَلا تُضِلّني في الْمَوتى، وَلا تَنْساني؟ قال: «ولا أُضِلُّكَ في الْمَوتى، ولا أنْساكَ».

(١) «نَيَّبَتْ»: أصابتها بأنيابها.

(٢) «ثلطتها»: أخرجتها غائطاً بعد هضمها.

(٣) «نرم»: نبلى.

قال: فبقي الشيخُ حتى قُبِضَ رسولُ الله ﷺ، ورأى ظهور المسلمين على كِسْرى وقَيْصر، فأسْلم، وحَسُن إسلامُه، وكان كثيراً ما يَسْتَمِع عُمر بن الخطَّاب رضي الله عنه، يجيئهُ في مسجدِ رسول الله ﷺ، لإعظامه ما كان واجهَ به رسول الله ﷺ، وكان عمرُ يأتيه، ويَسْكُن إلَيْه، ويقول: قد أسلمتَ، ووعدكَ رسول الله ﷺ أن يأخذ بيدك ولا يأخذ رسول الله ﷺ بيد أحدٍ إلّا أفْلح وسعد، إن شاءَ اللَّهُ[1].

٤٩٠ - وقال أبو بكر بن أبي الدُّنيا: حدثنا فُضَيْل بن عبدالوهاب، أخبرنا هاشم، عن أبي بِشْر، عن سعيد بن جُبَيْر، قال: جاء العاصُ بنُ وائل إلى رسول الله ﷺ بِعَظْمٍ حَائِل[2]، ففَتَّهُ، وقال: يا محمد، يَبْعَثُ اللَّهُ هذا؟ قال: «نعم، يُمِيتُك اللَّهُ، ثُمَّ يُحْيِيك، ثُمَّ يُدْخِلُك جهنَّم» ونزلَتْ: **﴿وَضَرَبَ لَنا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قالَ مَنْ يُحْيي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذي أنْشأَهَا أوَّلَ مرة وهو بكلِ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾** [يس: ٧٨ - ٧٩][3].

٤٩١ - وقال الضحاك في قوله تعالى: **﴿ولَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولى﴾** [الواقعة: ٦٢] قال: خَلْقُ آدَمَ وخَلْقُكُم، لولا تُصدِّقون قال: فهلَّا تُصدِّقون؟

٤٩٢ - وعن أبي جعفر الباقر، قال: كان يقال: عجباً لِمَنْ يُكَذِّبُ بالنّشر، وَهُو يُنْشر في كل يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ. رواه ابن أبي الدنيا.

٤٩٣ - وقال أبو العالية في قوله: **﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْه﴾** [الروم: ٢٧]. قال: إعادته أهْوَنُ عليه من ابتدائه، وكُلٌّ عليه يسيرٌ. رواه ابن أبي الدُّنيا.

٤٩٤ - وقال الإمامُ أحمد: حدثنا عبدالرزّاق، حدّثنا مَعْمَر، عن همام، عن

---

(١) في إسناده: الوليد بن مسلم، وهو مدلس. (ميزان الاعتدال ٤/٣٤٧)، وعبدالرحمن بن يزيد بن جابر، قال الفلّاس: ضعيف الحديث، حدث عن مكحول أحاديثَ مناكير عند أهل الكوفة. (ميزان الاعتدال ٢/٥٩٩). ثم إنَّ الشيخ الجاهلي: مبهم.

(٢) «حائل»: بالٍ.

(٣) رواه الحاكم (٢/٤٢٩) وصححه، وابن جرير وابن المنذر، وابن أبي حاتم والإسماعيلي في «معجمه» وابن مردويه والبيهقي في «البعث»، والضياء في «المختارة» عن ابن عباس. (الدر المنثور ٧/٧٤).

أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: كَذَّبني عَبْدِي، ولَمْ يَكُنْ لَهُ ذلك، وشتمني، وَلَم يَكُنْ لَهُ ذَلِك. أمّا تَكْذِيبُه إيّايَ فقوله: فَلْيُعِدْنا كما بَدأنا. وأمّا شَتْمُهُ إيّاي فقوله: اتَّخذ اللَّهُ وَلداً. وأنا الأحَدُ الصَّمَدُ الّذِي لَم يلِدْ ولم يولد ولم يكن له كُفُواً أحد»[1].

وهو ثابت في الصحيحين، وفيهما قصة الذي أوصى إلى بنيه إذا مات أن يحرقوه، ثم يذْرُوا نِصْف رَمَاده في البر، وَنِصْفَهُ في البَحْرِ، وقال: وَاللَّهِ لَئِن قَدَرَ اللَّهُ عليَّ ليُعذِّبني عذاباً لا يُعذِّبُه أحداً من العَالَمينَ. وذلك أنه لم يَدَّخرْ له عند الله حسنةً واحدةً. فلما فعل ذلك بَنُوهُ. فإذا الرّجلُ قائمٌ، فقال له ربُّه: ما حَملك على هذا؟ قال: خشيتُك، وأنت أعلَمُ. قال رسول الله ﷺ: **«فما تلافاهُ أنْ غَفَرَ له»**.

٤٩٥ - وعن صالح المُرّي قال: دَخلتُ المقابرَ نِصْفَ النهار، فنظرتُ إلى القبور كأنَّهُم قوم صُمُوت، فقلت: سُبْحانَ مَنْ يُحْيِيكُم، وَيَنْشُرُكُمْ مِنْ بَعْد طُول البلى. فهتف بي هاتفٌ من نفس تِلكَ الحُفرِ **﴿وَمِنْ آياتِهِ أنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأرْضُ بِأَمْرِهِ ثم إذا دَعَاكُمْ دَعْوةً مِنَ الأرض إذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾** [الروم: ٢٥] قال: فخرجتُ والله مغْشِيّاً عليَّ[2].

* * *

---

(١) رواه أحمد (٢/٣١٧).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب (الهواتف رقم ٤٧)، وابن رجب في (أهوال القبور ص ٢٨٩).

ذكر أسماء يوم القيامة

وما أدراك ما يومُ القيامـة؟ يَومُ الْحَسـرةِ والندامـة، يوم يَجـد كُل عَـاملٍ عَمَلَهُ أمامَه، يوم الدَّمْدَمةِ، يوم الزّلزلة، يَـوْمُ الصاعقـة، يوم الـواقعة، يـوم الراجفـة، يوم الرادفة، يـوم الغاشيـة، يوم الـداهية، يـوم الآزفة، يـوم الحاقـة، يوم الـطامة، يَـوْمُ الصاخّة، يوم التلاق، يومِ الفراق، يوم المشاقّ، يوم الإشفاق، يوم القِصَاص، يـومَ لات حين مَناصٍ، يوم التَّنادِ، يوم الأَشْهاد، يوم المَعادِ، يوم المِرْصادِ، يوم المنايلة، يومُ المناقشة، يوم الحساب، يوم المآب، يوم العذاب، يوم الفرار لو وُجِـدَ الفرار، يوم القَرارِ إمّا في الجنة وإما في النار، يومُ القضاء، يـوم الجزاء، يـوم البُكَاء، يـوم البَلَاء، يوم تَمُـورُ السَّماء مَـوْراً وتَسِيرُ الجِبَـالُ سَيْراً، يَـوْمُ الْحَشرِ، يـومُ النّشر، يـوم الْجَمـع، يـوم البَعْث، يـوم العَـرْض، يـوم الْـوَزن، يـومُ الْحَقّ، يـومُ الحُكم، يـوم الفَصْـل، يَوم عَقِيمٌ، يَـوْم عَسِيرٌ، يَـوْم قَمْـطَرِيـر، يَـوْمٌ عَصِيبٌ، يـومُ النُّشُـور، يـومُ المَصيـر، يومُ الـدِّين، يومُ اليَقِين، يـومُ النَّفْخَةِ، يـومُ الصَّيْحَةِ، يـوم الرَّجْفَـةِ، يـوم السَّكْرةِ، يَومُ الفَزَعِ ، يومُ الجَزَع، يومُ القَلَق، يوم الغرق، يوم العَرَق، يَوْمُ الميقَات، يَوْم تَخْرُج الأمواتُ، وَتَظْهَرُ العَوْراتُ، يومُ الانْشِقَاقِ، يومُ الانْكِدَارِ، يـوم الانْفِطَارُ، يومُ الافْتِقار، يومُ الخُروج، يومُ الانْصِدَاع، يومُ الانقطاع، يومٌ معلومٌ، يوم مَـوْعُودٌ، يَوْمٌ مَشْهُودٌ، يَوْمَ تُبْلَى السرائر، يوم تَخْرُجُ الضَّمائِر، ﴿**يَوْمَ لَا تَجْزِي نَفْسٌ عن نفس شَيْئاً**﴾ [البقرة: ١٢٣] ﴿**يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً**﴾ [الانفطار: ١٩]، يومٌ يُدْعَى فيه إلى النار، يوم تُسْجَرُ فيه النار، يَوْمٌ تَتَقَلَّبُ فيه القلـوب والأبصار، ﴿**يوم لَا يَنْفَعُ الـظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُم، وَلَهُمُ اللّعْنَةُ وَلَهُم سُوءُ الـدَّارِ**﴾ [غافـر: ٥٢]، يـومٌ تُقَلّب فيه الـوجوهُ والأبصـارُ في النار، يـوم البُرُوزِ، يـومُ الصُّدور إلى الله بـدون أمس، يومٌ لا ينفَعُ المالُ، يـومٌ لا يُرتَجَى فيه إلَّا المَغْفِرة.

قال: وأهولُ أسمائه وأبشع ألقابه يومُ الخلود، ومـا أدراك ما يـومُ الخلود، يومُ

الانقـطاع لعِقَابِـه، ولا يُكْشَفُ فيه عن كَـافرٍ مـا بِهِ. فنعـوذُ بالله، ثم نعـوذ بـالله من بلائه، وسوء قضائه، بكَرمِه ورَحْمَتِه.

* * *

ذكر أن يوم القيامة وهو يوم النفخ في الصور

لبعث الأجساد من قبورها يكون في يوم الجمعة

وقد ورد في ذلك أحاديث:

٤٩٦ ـ قال الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه، عن يزيد بن عبدالله بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم، عن أبي سَلَمَة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وفِيهِ أُهْبِطَ، وفيه تِيب عليه، وفيه مات، وفيه تقومُ الساعة، وما من دابة إلّا وهي مُصيخَةٌ من حين تُصبِحُ حتّى تَطْلُعَ الشمس، شَفقاً مِنَ السَّاعَةِ، إلّا الجنّ والإنس، وفيها ساعة لا يُصَادِفُها عَبْدٌ مؤمن، وهو يُصَلِّي يَسْأَلُ الله شيئاً إلّا أعطاه إيّاه»(١).

ورواه أبو داود، واللفظ له، والترمذيّ من حديث مالك، وأخرجه النسائيّ عن قُتَيْبَةَ، عن بكر بن مُضر، عن ابن الهاد، به نحوه، وهو أتمّ.

٤٩٧ ـ وقد رواه الطبرانيُّ في مُعْجَمه الكبير، من طريق آدم بن عليّ، عن ابن عمر مرفوعاً: «ولا تَقُومُ الساعةُ إلّا في الأذانِ»(٢) يعني أذانَ الفَجْرِ.

٤٩٨ ـ وقال الإمام محمد بن إدريس الشافعيّ رضي الله عنه في مُسْنَدِهِ: حدّثنا إبراهيمُ بن محمد، حدثني موسى بن عُبَيْدة، حَدثني أبو الأزهر معاوية بن

---

(١) رواه مالك في الموطأ (١٠٨/١)، وأبو داود (١٠٤٦) في الصلاة، باب: فضل يوم الجمعة، والترمذي (٤٩١) في الصلاة، باب: ما جاء في الساعة التي تُرجى في يوم الجمعة، وقال: حسن صحيح، والنسائي (١١٣/٣ و١١٥) في الجمعة، باب: الساعة التي يُستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة.

«مصيخة»: مستمعة، مصغية.

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٣٢/١٠): رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح غير آدم بن علي، وهو ثقة.

إسحاق بن طلحة، عن عُبيدالله بن عُمَيْر؛ أنّه سمع أنس بن مالك يقول: أتى جبريلُ بمرآةٍ بَيْضَاءَ فيها نُكْتَةٌ(١) إلى النبيِّ ﷺ فقال ﷺ: «ما هذه؟» قال: هذه الجُمُعَة فضلت بِهَا أنْتَ وأمّتُك، فالنَّاسُ لَكُمْ تَبَعٌ، اليَهُودُ والنصارى، ولكم فيها خيرٌ، وفيها ساعةٌ لا يُوافقُها عَبْدٌ مُؤْمِن يدعو الله بخيرٍ إلا استُجيبَ له، وهو عندنا يومُ المَزِيد. فقال رسول الله ﷺ: «وما يومُ المَزِيد؟» فقال: إنّ رَبَّك اتَّخَذَ في الفِرْدَوْسِ وَادِياً أبْيض(٢)، فيه كُثُبُ المِسْك، فإذا كانَ يومُ الجُمعة أنْزَلَ اللَّهُ ما شاء مِنْ ملائكَتِهِ، وحَوْلَهُ مَنابِرُ مِنْ نُورٍ، عَلَيْهَا مَقَاعِدُ النَّبِيِّينَ، وحَفَّ تِلْكَ المَنابِرَ بمَنابِرَ مَنَ الذَّهبِ مُكَلَّلة بالياقوتِ والزبرجد، عليها الشُّهَدَاءُ، والصِّدِّيقُونَ، فجَلَسُوا مِنْ ورائهم، على تلك الكُثُب، فيقول الله تعالى: أنا رَبُّكُمْ، قد صَدَقْتُم وعدي، فاسألوني أُعْطِكُمْ، فيقولون: رَبّنا، نسألك رِضوَانك، فيقول: قد رَضيتُ عنكم ولكم عليّ ما تمنّيْتُم، ولَدَيَّ مَزِيدٌ، فهمْ يُحِبُّونَ يومَ الجُمُعة لما يُعْطِيهِمْ فِيهِ رَبُّهُمْ من الخير، وهو اليومُ الذي استوى فيه رَبُّكُم على العرْشِ، وفيه خَلَقَ آدمَ، وفيه تقوم الساعة(٣).

ثم رواه الشافعيّ عن إبراهيم بن محمد أيضاً: حدّثني أبو عِمْران إبراهيم بن الْجَعد، عن أنس شبيهاً به، قال: وزاد فيه أشياءَ، قلت: وسيأتي ذكرُ هذا الحديث إن شاء اللَّهُ تعالى في صِفَةِ الجَنَّةِ(٤) بشواهِده وأسانِيدِهِ، وبالله المُسْتَعان.

٤٩٩ ـ وقال الإمام أحمد بن حنبل: حدّثنا حُسَيْنُ بن علي الجُعْفِيّ، عن عبدالرحمن بن يزيدَ بن جابر، عن أبي الأشعث الصَّنْعاني، عن أوس بن أوس الثَّقفيّ، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أفضل أيّامكم يومُ الجمعة، فيه خُلِقَ آدمُ، وفيه قُبِضَ، وفيه النَّفْخَةُ، وفيه الصَّعْقَةُ، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه، فإنّ صلاتكم

---

(١) كذا في المطبوع، وفي مسند الشافعي: وكتة.

(٢) كذا في المطبوع، وفي مسند الشافعي: أفيح.

(٣) رواه الشافعي في مسنده (١٢٦/١ ـ ١٢٧)، وفي كتابه (الأم ٢٠٨/١ ـ ٢٠٩)، وذكره السيوطي في (اللمعة في خصائص الجمعة رقم ١١٣).

«الفردوس»: البستان الذي فيه الكرم والأشجار. «كُثُب»: جمع كثيب، وهو التل.

(٤) لابن كثير ص (١٣٢)، صدر عن دار ابن كثير سنة (١٤١٠هـ).

مَعْرُوضَةٌ عليّ» قالوا: يا رسول الله، كيف تُعْرَض عليك صلاتنا؟ وقد أرَمْتَ ـ يعني بليتَ ـ قال: «إنَّ الله حَرَّمَ علىَ الأرض أنْ تأكُلَ أجْسادَ الأنبياءِ»[1] رواه أبو داود، والنّسائيّ، وابن ماجه، من حديث الحسين بن علي الجُعْفِيّ مثله، وفي رواية لابن ماجه، عن شدّاد بن أوس، قال شيخنا: وذلك وَهم.

٥٠٠ ـ وقال أحمد أيضاً: حدثنا أبو عامر، عبدالملك بن عمرو، حدثنا زُهَيْر؛ يعني ابن محمد، عن عبدالله بن محمد بن عَقِيل، عن عبدالرحمٰن بن يزيد الأنصاريّ، عن أبي لُبابة بن عبد المُنْذِر؛ أنّ رسول الله ﷺ قال: «سَيِّدُ الأيّامِ يوم الجُمُعْةِ، وأعْظَمُها عِنْدَهُ، وأعظمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ يَوْم الفِطْر، ويَوْم الأَضْحَى، وفيه خمسُ خِلال: خلَقَ اللَّهُ فيه آدَم، وأَهْبَطَ الله فيه آدَم، وفيه توفّى اللَّهُ آدَمَ، وفيه ساعة لا يَسْأل الله العَبْدُ فِيهَا شيئاً إلّا آتاه اللَّهُ إيّاه، ما لم يَسْأل حراماً، وفيه تقومُ السّاعةُ، ما مِنْ ملَك مُقرّب ولا سمَاء ولا أرْضٍ ولا جِبَال إلّا وَهُو يُشْفِقُ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ»[2]، ورواه ابن ماجه، عن أبي بكر بن أبي شَيْبَة، عن يحيى بن أبي بُكَيْر، عن زهير، به.

٥٠١ ـ وقد روى الطبرانيّ، عن ابن عمر مرفوعاً: «أنّ السّاعةَ تَقُوم وَقْتَ الأذانِ لِلْفَجرِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ»[3].

وقد حكى أبو عبدالله القُرْطبيُّ في «التذْكرة»: إنَّ ذلِك يكون يوم جمعةٍ للنصف من شهر رمضانَ. وهذا غريبٌ يحتاجُ إلى دليل.

٥٠٢ ـ وقال أبو بكر بن أبي الدُّنيا: حدثنا أحمد بن كثير، حدّثنا فرط بن

---

(١) رواه أحمد (٤/٨)، وأبو داود (١٠٤٧) في الصلاة، باب: فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة، والنسائي (٣/٩١) في الجمعة، باب: إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة، وابن ماجه (١٠٨٥) في إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: في فضل الجمعة. ورواه أيضاً برقم (١٦٣٦) في الجنائز، باب: ذكر وفاته ودفنه ﷺ. ورواه البيهقي (٣/٢٤٩)، وابن خزيمة (١٧٣٣)، والحاكم (١/٢٧٨ و٤/٥٦٠).

(٢) رواه أحمد (٣/٤٣٠)، وابن ماجه (١٠٨٤) في إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: في فضل الجمعة، وأبو نعيم في الحلية (١/٣٦٦).

(٣) سبق تخريجه برقم (٤٩٧).

حُرَيْث؛ أبو سهل، عن رجل من أصحاب الحسن، قال: قال الحسنُ: يومان وَلَيْلَتانِ لم تَسْمعِ الخلائقُ بِمِثْلِهِنّ، لَيْلَة تَبِيتُ مع أهل القبور، ولم تَبِتْ لَيلةً قَبْلَها، ولَيْلةٌ صَبِيحَتُها يَوم القِيامة. وَيَوْمَ يَأْتِيك البَشِيرُ من الله تعالى: إمّا بالْجَنَّةِ وإمّا بالنار، ويومُ تُعْطَى كِتَابك إمّا بِيَمِينِك، وإمّا بِشِمَالِكَ[1].

وهكذا رُوي عن عامر بن قَيْس، وهَرِم بن حَيان، وغيرهما: أنّهم كانوا يستعظمون الليلة التي يُسْفِرُ صَبَاحها عَنْ يَوْم القِيَامةِ.

٥٠٣ ـ وقال ابن أبي الدُّنْيا: حدّثنا أحمد بن إبراهيم بن كثير العَبْدِيّ، حدّثني محمد بن سابق، حدثنا مالك بن مِغْوَل، عن حُمَيْد، قال: بينما الحسن في يوم من رجب في المسجد، وفي يده قُلَيْلَةٌ، وهُوَ يَمُصّ ماءَها؛ ثمَّ يَمُجُّه في الحصى، إذ تَنَفّس تَنَفُّساً شَديداً، ثم بكى، حتّى أرْعِدَ مَنْكِباهُ، ثمّ قال: لو أن بالقلوب حياة؟ لو أنّ بالقلوب صَلاحاً؟ لأبكيتكم من ليلةٍ صَبِيحَتُها يومُ القيامة، أي ليلة تمخَّضُ عَنْ صَبِيحَة يوم القيامة، ما سمع الخلائقُ بِيَوْمٍ قَطُّ أكثر فيه حُزْنُ نادِمٍ[2].

* * *

---

(١) أورده ابن رجب في (أهوال القبور ص ٣٢٥).

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٢/١٤٣)، وأحمد في الزهد (رقم ١٤٥٠).

ذكر أنّ أوّل من تنشق عنه الأرض يوم القيامة

رسول الله صلى الله عليه وسلم

٥٠٤ ـ قال مُسلم بن الحجّاج: حدثني الحكَمُ بن موسى؛ أبو صالح، حدثنا هِقْلٌ، يعني ابن زياد، عن الأوزاعيِّ، حدثني أبو عمّار، حدثني عبدالله بن فَرُّوخ، حدثني أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة، وأول مَن يَنْشَقّ عَنْهُ القَبْر، وأول شافعٍ وأول مُشفّع»(١).

٥٠٥ ـ وقال هُشَيْم، عن علي بن زَيْد، عن أبي نضْرَة، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سَيِّد ولد آدم يومَ القيامة، ولا فَخْر، وأنا أوَّلُ مَنْ تَنْشَقّ عَنْهُ الأَرْضُ يَوْم القِيَامة، ولا فَخْر، وأنَا أول شَافع يَوْمَ القِيامة ولا فَخْر»(٢).

٥٠٦ ـ وقال أبو بكر بن أبي الدُّنيا: حدثنا أبو خيثمة، حدثنا حُجَيْن بن المُثنَّى، حدثنا عبدالعزيز بن عبدالله بن أبي سَلمة، عن عبدالله بن الفَضْل الهاشمي، عن عبدالرحمن الأعرج، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُنْفَخُ في الصور فيصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى فأكونُ أول مَنْ بُعِث، فإذا موسَى آخِذٌ بالعَرْش، فلا أَدْرِي أفاق قَبْلي؟ أم حُوسِبَ بصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطُورِ، أَمْ بُعِثَ قَبْلي؟»(٣) وهو في الصحيح بقريب من هذا السياق.

٥٠٧ ـ والحديث في صحيح مسلم: «أنا أول مَنْ تَنْشَقُ عَنْهُ الأَرْضُ، فَأَجِد

(١) رواه مسلم (٢٢٧٨) في الفضائل، باب: تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق.
(٢) رواه أحمد (٢/٣)، والترمذي (٣١٤٨) في تفسير القرآن، باب: ومن سورة بني إسرائيل، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٤٣٠٨) في الزهد، باب: ذكر الشفاعة.
(٣) سبق تخريجه في الصحيح بنحوه.

مُوسى بَاطِشاً بِقائِمَةِ العَرْش، فلا أدْرِي أفاق قبلي؟ أمْ جُوزِيَ بِصَعْقَةِ الطُور»(١)؟ فذِكْرُ مُوسى في هذا السياق فيه نظر. ولعله من بعض الرواة دَخَل عليه حديثٌ في حديث، فإن الترديد هاهنا فيه لا يظهر، لا سيّما في قوله: «أم جُوزِي بِصَعْقَة الطُّور».

٥٠٨ ـ وقال ابن أبي الدُّنيا: حدثنا إسحاق بن إسماعيل، حدثنا سُفْيانُ، هو ابن عُيَيْنَة، عن عمرو، وهو ابن دينار، عن عطاء، وابن جُدْعَان، عن سعيد بن المُسَيّب، قال: كَانَ بين أبي بكر وبين يَهُودِيّ مُنَازَعَةٌ، فقال: والذي اصطفى موسى على البَشَر، فَلَطَمَه أبو بكر، فأتى رسولَ الله ﷺ، فقال له رسولُ الله ﷺ: «يا يَهُوديّ، أنا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ، فأجِدُ مُوسَى مُتَعلِّقاً بِالْعَرْش، فلا أَدْرِي هَلْ كَانَ قَبْلي، أَوْ جُوزِيَ بالصَّعْقة» وهذا مرسل من هذا الوجه، والحديث في الصحيحين من غير وجه، بألفاظ مختلفة، وفي بعضها: أن المُقاوِلَ لهذا اليَهُودِّي إنما هو رجلٌ من الأنصار، لا الصدِّيقُ، فالله أعلم.

٥٠٩ ـ ومن أحسنها سياقاً: «إذا كانَ يَوْمُ القِيَامة فإن النَّاس يُصْعَقُونَ، فأكُونُ أوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فأجِدُ موسى بَاطِشاً بِقَائِمةٍ مِنْ قوائم العَرْش، فلا أدْري أَصُعِقَ فأفَاقَ قَبْلي، أَمْ جُوزي بصَعْقة الطُّور»، وهذا كما سيأتي بيانه يقتضي أن هذا الصَّعْقَ يكونُ في عَرَصَات القِيامةِ، وهو صَعْقٌ آخرُ غيرُ المذكور في القرآن، وكأنّ سَبَبَ هذا الصعق في هذا الحديث تَجَلِّي الرب تعالى، إذا جاء لِفَصْل القَضَاءِ يُصْعَقُ النَّاسُ كما خرَّ موسى صَعقاً يوم الطُّور، والله أعلم.

٥١٠ ـ وقال أبو بكر بن أبي الدُّنيا: حدثنا إسحاق بن إسماعيل، حدثنا جرير، عن عطاء بن السائب، عن الحسن، قال: قال رسول الله ﷺ: «كأنّي أراني

(١) رواه مسلم (٢٣٧٣) في الفضائل، باب: من فضائل موسى ﷺ.
(٢) في إسناده: عطاء، وهو ابن السائب، تغيّر بأخرة، وساء حفظه. وقال يحيى: حديثه ضعيف إلا ما كان عن شعبة وسفيان. (ميزان الاعتدال ٣/٧٠).
وعلي بن زيد بن جُدْعَان؛ ضعيف. قال ابن خزيمة: لا أحتج به لسوء حفظه. (ميزان الاعتدال ٣/١٢٧).

أنْفُضُ رأسي من التُّرابِ، فألْتَفِتُ، فلا أرى أحداً إلا موسى مُتَعلِّقاً بالْعَرْش، فلا أدري ممن استَثْنى اللَّهُ أنْ لاَ تُصِيبهُ النَّفْخَةُ، أو بُعِثَ قبلي»[1].

وهذا مرسل أيضاً، وهو أضعف.

٥١١ ـ وقال الحافظ أبو بكر البَيْهقي: حدثنا أبو عبدالله الحافظ، وأبو سعيد ابن أبي عمرو، قالا: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا محمد بن إسحاق الصّنعْاني، حدثنا عمرو بن محمد الناقد، حدثنا عمرو بن عثمان، حدثنا موسى بن أعين، عن مَعْمَر بن راشد، عن محمد بن عبدالله بن أبي يعقوب، عن بشر بن شَغاف، عن عبدالله بن سلاَم، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سَيِّدُ ولد آدم، فمن دُونَه»[2] لم يخرجوه، وإسناده لا بأس به.

٥١٢ ـ وقال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثنا أبو سلمةَ المَخْزُومي، حدثنا عبدالله بن نافع، عن عاصم بن عمر، عن أبي بكر بن عمر بن عبدالرحمن، عن سالم بن عبدالله، وقال غير أبي سلمة عن ابن سلمة، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أوّلُ مَنْ تَنْشَق عنه الأرضُ، ثم أبو بكر، ثم عمر، ثم أذْهَبُ إلى أهل البَقِيع، فَيُحْشَرونَ مَعِي، ثمّ أنْتَظِرُ أهْلَ مَكَّةَ فَيُحْشَرون، فأُحْشَرُ بين الحَرَمَيْن»[3].

٥١٣ ـ وقال أيضاً: حدثنا الحكَمُ بن موسى، حدثنا سعيدُ بن مَسْلَمة، عن إسماعيل بن أُمية، عن نافع، عن ابن عمر، قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد وأبو بكر عن يمينه، وعمر عن يساره، وهو مُتَّكِيءٌ عليهما، قال: «هكذا نُبْعَثُ يَوْمَ

(١) في إسناده: عطاء بن السائب، لا يحتج به. والحسن: مدلس، وقال أحمد: ليس في المرسل أضعف من مُرْسَل الحسن وعطاء؛ كانا يأخذان عن كل أحد. (ميزان الاعتدال ٣/٧٠).

(٢) في إسناده: معمر بن راشد، ثقة ثبت فاضل، إلا أن في روايته عن ثابت والأعمش وهشام بن عروة شيئاً، وكذا فيما حدث به بالبصرة. (تقريب التهذيب ٢/٢٦٦).

(٣) رواه الترمذي (٣٦٩٢) في المناقب، باب: في مناقب عمر، وقال: غريب، وعاصم بن عمر ليس بالحافظ، والحاكم (٢/٤٦٥ ـ ٤٦٦) وصححه، وتعقبه الذهبي بقوله: عبدالله ضعيف. وعاصم بن عمر، **قال** البخاري: منكر الحديث، وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به، وقال النسائي: متروك. (ميزان الاعتدال ٢/٣٥٥).

القِيامَةِ»[1].

٥١٤ ـ وقال ابن أبي الدُّنيا: حدَّثني محمد بنُ الحُسَيْن، حدثنا قُتَيْبَةُ بن سعيد، حدثنا الليثُ بن سَعد، عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن بَقِيّة بن وَهْب: أن كَعْب الأحبار قال: مَا مِنْ فَجْرٍ يَطْلُعُ إلا نَزَل سَبْعُون ألفاً من الملائكة، حتى يحفُّوا بالقَبْر، يضْرِبون بأجْنِحَتهِمْ، ويُصَلُّون على النبيِّ ﷺ، حتى إذا أمسوا عَرَجُوا، وَهَبط مِثْلُهُمْ فَصَنَعُوا مِثْل ذلك، حتى إذا انشقت الأرضُ خرج ﷺ في سبعين ألفاً من الملائكة يُوقِّرونه ﷺ[2].

٥١٥ ـ وأخبرنا هارون بن عمر القرشي، حدثنا الوليد بنُ مسلم، حدثنا مروان بن سالم، عن يوسف بن سيف، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُحْشَرُ الناس رِجالاً وأحشرُ راكباً على البُراقِ، وبلال بَيْن يَدَيَّ، على نَاقةٍ حمراءَ، فإذا بَلَغْنَا مَجْمَع الناس نَادَى بلال بالأذان، فإذا قال أشهدُ أن لا إله إلا اللَّهُ، أشهدُ أن محمداً رسول الله، صدّقه الأولُون والآخرون»[3]. وهذا مرسل من هذا الوجه.

* * *

(١) رواه الترمذي (٣٦٦٩) في المناقب، باب: في مناقب أبي بكر وعمر، وقال: سعيد بن مسلمة ليس عندهم بالقوي، وابن ماجه (٩٩) في المقدمة، باب: فضل أبي بكر الصديق، والحاكم (٣/١٧) وتعقبه الذهبي بقوله: سعيد ضعيف. وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال (٢/١٥٨) في ترجمة سعيد بن مسلمة الأموي، وقال ابن معين فيه: ليس بشيء، وقال البخاري: ضعيف، وقال ابن عدي: أرجو أنه لا يترك.

(٢) رواه إسماعيل القاضي، وابن بشكوال، والبيهقي في الشعب، والدارمي، وابن المبارك، (القول البديع ص ٤٨).

(٣) في إسناده: الوليد بن مسلم القرشي؛ مدلس. (ميزان الاعتدال ٤/٣٤٧).

ذكر بعث الناس

حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا، وأول من يُكْسَى في الناس

٥١٦ ـ قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن عبد ربه، حدثنا بَقِيَّةُ، حدثنا الزبيدي، عن الزهري، عن عُروة، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ قال: «يُبْعَثُ الناس يوم القِيامة حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا» فقالت عائشة: يا رسول الله، كيف بالعَوْرَات؟ فقال رسول الله ﷺ: «لِكُلِّ امرىء مِنْهم يومئذ شَأْنٌ يُغْنيه»[1]، وأخرجاه في الصحيحين[2] من حديث حاتم بن أبي صَغِيرة، عن عبدالله بن أبي مُلَيْكة، عن القاسم بن محمد بن أبي بكر، عن عائشة بنحوه.

٥١٧ ـ وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا شُعْبَةُ، حدثنا المُغيرةُ بن النُّعْمان شَيْخٌ من النَّخَع، قال: سمعتُ سعيد بن جُبَير يحدّث، قال: سمعتُ ابن عباس، قال: قام فينا رسولُ الله ﷺ بموعظة، فقال: «يا أيُّها الناس، إنكم محشورون إلى الله حُفاةً عُراةً غُرْلًا، ﴿كما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُه وَعْداً عَلَيْنا إنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] ألا وإنّ أَوَّلَ الْخَلْقِ يُكْسَى يَوْم القِيامة إبراهيمُ، وإنه سَيُجَاءُ بأناسٍ من أُمَّتي فَيُعْدَلُ بِهِمْ ذات الشمال، فلأقُولَن: أصحابي، فَلَيُقَالَنّ لي: إنك لا تَدْرِي ما أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فلأقُولن كما قال العَبْدُ الصالح: ﴿وكُنْتُ عليهم شهيداً ما دُمْتُ فيهمْ فلَمَّا تَوَفَّيتني كُنْتَ أنْتَ الرقيب عَلَيهم وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهيد﴾، إلى قوله: ﴿العزيز الحكيم﴾ [المائدة: ١١٧ ـ ١١٨]. فيقال: إن هؤلاءِ لم يزالوا مُرْتَدين على أعقابهم مُنْذُ فارقْتهم»[3].

---

(١) رواه أحمد (٦/٩٠).

(٢) رواه البخاري (٦٥٢٧) في الرقاق، باب: الحشر، ومسلم (٢٨٥٩) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: فناء الدنيا، وبيان الحشر يوم القيامة.

(٣) رواه أحمد (١/٢٥٣).

أخرجاه في الصحيحين[1] من حديث شُعْبَة. ورواه أحمد، عن سفيان بن عُيينة.

٥١٨ ـ وهو في الصحيحين من حديث عمرو بن دينار، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس، مرفوعاً: «إنكم محشورون إلى الله عز وجل حُفَاةً عُراةً غُرْلًا»[2].

٥١٩ ـ ورواه البيهقي من حديث هلال بن خَبَّان، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «تُحْشَرُون حُفَاةً عُراةً غُرلًا» فقالت زوجته: أَيَنْظُر بَعْضُنَا إلى عَوْرَةِ بَعْضٍ؟ فقال: «يا فُلانَةُ، لِكُلِّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شأْنٌ يُغنيه»[3].

٥٢٠ ـ وقال الحافظ أبو بكر البَيْهَقِيّ: حدّثنا أبو بكر أحمد بن الحَسن القاضي، وأبو سعيد محمد بن موسى، قالا: حدّثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا العباس بن محمد الدُّوريّ، حدثنا مُؤَمَّلُ بْنُ إسماعيل، حدّثنا عبدالسلام بن حرب، عن أبي خالد الدَّالانيّ، عن المِنْهال بن عمرو، عن عبدالله بن الحارث، عن أبي هريرة، قال: يُحْشَرُ الناسُ يوم القيامة حُفَاةً عُراةً غُرلًا، قياماً أربعين سَنَة، شَاخِصةً أبصارهُمْ إلى السماء، قال: فيُلْجِمُهم العَرَقُ مِنْ شِدَّةِ الكَربِ، ثم يقول: اكسوا إبراهيمَ، فَيُكْسى قُبْطِيَّتَيْن مِن قَباطي الجَنَّةِ، ثم ينادى مُحمَّد ﷺ. قال: فيشربُ وَيَغْتسِلُ، وقد تقطّعت أعناق الإبل يَوْمَئِذٍ من العَطَش، قال: ثم قال رسول الله ﷺ: «فأُكْسَى من حُلَلِ الجَنَّةِ فأقُومُ عن شمال، أو على يمين الكُرْسِيِّ، لَيْسَ أحَدٌ مِنَ الخَلائِقِ يَقُومُ ذَلِك المَقَامَ يَوْمَئِذٍ غيري، فيُقال: سَلْ تُعْطَ، واشفع تشفع» فقام رجل، فقال: أترْجو لِوالِدَيْك شيئاً؟ فقال: «إني لشافع لهما، أُعْطِيتُ أو منعت، ولا أرجو لهما شيئاً»[4]. قال البَيْهَقِيّ: قد يكون هذا قبل نزول النهي عن

---

(١) رواه البخاري (٦٥٢٦) في الرقاق، ومسلم (٢٨٦٠) (٥٨) في الجنة وصفة نعيمها.

(٢) رواه البخاري (٦٥٢٤) في الرقاق، ومسلم (٢٨٦٠) (٥٧) في الجنة وصفة نعيمها.

(٣) رواه البيهقي في (شعب الإيمان ٣٥٩).

(٤) في إسناده: مؤمل بن إسماعيل؛ صدوق سيء الحفظ. (تقريب التهذيب ٢/٢٩٠). وعبدالسلام بن حرب: له مناكير. (تقريب التهذيب ١/٥٠٥). وأبو خالد الدالاني: يخطىء كثيراً، وكان يدلّس. (تقريب التهذيب ٢/٤١٦). والمنهال بن عمرو: صدوق، ربما وهم. (تقريب التهذيب ٢/٢٧٨).

الاستغفار للمشركين، والصلاة على المنافقين.

٥٢١ - وقال القُرطبيّ: وروى ابن المبارك، عن سُفيان، عن عمرو بن قيس، عن المِنْهال بن عمرو، عن عبدالله بن الحارث، عن عليّ قال: أوَّلُ مَنْ يُكْسَى الخَليل قبطيتين، ثم محمد حُلَّةَ حِبرَةٍ، عن يمين العرش[1].

٥٢٢ - وقال أبو عبدالله القُرطبِيّ في كتاب «التذكرة»: وروى أبو نُعَيم الحافظ، يعني الأصبهانيّ، من حديث الأسود، وعَلْقَمة، وأبي وائل، عن عبدالله بن مسعود، في حديثٍ: أنّ رسول الله ﷺ قال: «أوَّلُ مَنْ يُكْسَى إبراهيم، يقول الله تعالى: اكسُوا خَليلي، فيُؤْتَى بريطَتَيْن بَيْضاوَيْن، فيَلْبَسُهما، ثم يَقْعُدُ مُسْتَقْبِلَ العَرْش، ثم أُوتَى بكُسْوَتي، فألْبَسُها فأقومُ عن يمينه قياماً لا يَقومُه أحَدٌ غَيْري، يَغْبِطُني فيه الأولون والآخِرُون»[2].

٥٢٣ - قال القرطبيّ: وقال الحَلِيْمي في «منهاج الدين» له: ورَوى عمادُ بن كَثيرٍ، عن أبي الزُّبَيْر، عن جابر قال: إنّ المؤذِّنينَ والملبِّين يخرجون يوم القيامة، يؤَذِّنُ المُؤذِّنُ، ويُلبِّي المُلبِّي، وأوّل مَنْ يُكْسَى مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ إبراهيمُ، ثم محمد، ثم النَبِيُّونَ، ثم المُؤذِّنونَ[3]. وذكَر تمامه.

ثم شرع القُرْطُبيّ يذكر المناسبة في تقديم إبراهيمَ عليه السلام في ذلك: من ذلك أنه أوّل من لَبِس السَّراويلَ مُبالَغَةً في السَّتْر، وأنّه جُرِّد يَوْمَ أُلْقِيَ في النَّارِ، والله أعلم.

٥٢٤ - وروى البيهقي من حديث إسماعيل بن أبي أُوَيْس، حدّثني أبي، عن محمد بن عَيّاش، عن عطاء بن يَسارٍ، عن سَوْدَةَ زَوْج النبيّ ﷺ قالت: قال النبي ﷺ: «يُبْعَثُ النَّاسُ حُفَاةً عُراةً غُرْلاً، قَدْ أَلْجَمَهُمُ العَرَقُ، فَبَلَغَ شُحُومَ الآذان» قلت: يا رسول الله واسوءتاه! يَنظُر بَعْضُنا إلى بَعْضٍ؟! قال: «شُغِلَ النَّاسُ عَنْ ذَلِكَ، لكلِّ

(١) رواه ابن المبارك في زيادات الزهد ص(١٠٦).
(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٤/٢٣٨)، والدارمي (٢/٣٢٥)، وأحمد (١/٣٩٨).
(٣) ذكره القرطبي في التذكرة (١/٣٥٢).

امرىءٍ منهم يومئذٍ شأنٌ يُغْنِيه»[1]. إسناد جيّد، وليس هو في المُسْنَد ولا في الكتب.

٥٢٥ - وقد قال أبو بكر بن أبي الدُّنيا: حدّثنا سَعيدُ بن سليمان، عن عبدالحميد بن سليمان، حدّثني محمد بن أبي موسى، عن عطاء بن يسار، عن أمّ سَلَمة، قالت: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «يُحْشَرُ النَّاسُ حُفَاةً عُراةً كما بُدِئوا» قالت أم سَلَمة: يا رسول الله، هل يَنْظُرُ بَعْضُنا إلى بَعْضٍ؟! قال: «شُغِلَ النَّاسُ» قلت: وما شَغَلَهُمْ؟ قال: «نَشْرُ الصُّحُفِ فِيهَا مَثَاقِيلُ الذَّر، وَمَثَاقِيلُ الْخَرْدَلِ»[2].

٥٢٦ - وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدّثنا عمرو بن شبة[3]، حدّثنا الْحُسَيْنُ بن حفص، حدثنا سفيان، يعني الثوريّ، عن زبيد[4]، عن مُرَّة، عن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «إنم محشورون حُفَاة عُراةً غُرلاً»[5]. قال البزار: أحْسِبُ أن عمر بن شبة غَلِط فيه، فدخل عليه من حديث في إسناد حديث، وإنما هذا الحديث عن سفيان الثَّوْرِيِّ، عن مُغِيرَة بن النُّعمان، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس، قال: وليس لسفيان الثوري عن زبيد، عن مرة، عن عبدالله بن مسعود حديث مُسْنَد.

وهكذا رواه ابن أبي الدُّنيا، عن عمر بن شبة، به، مثله، وزاد: «وأول مَن يُكسى يوم القيامةِ إبراهيم عليه الصلاة والسلام».

٥٢٧ - وقال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثنا أبو عمارٍ الحُسَيْنُ بن حُرَيْث، حدثنا الفضل بن موسى، عن عائذ بن شُرَيْح، عن أنس قال: سألت عائشةُ رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، كيفَ يُحْشَرُ الرِّجالُ؟ فقال: «حُفَاةً عُراةً» ثم انتظرت

(١) وراه الحاكم (٢/٥١٥) وصححه على شرط مسلم، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٣٣٣): رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح، غير محمد بن عياش وهو ثقة.
(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٣٣٣): ورواه الطبراني في الأوسط والكبير، ورجاله رجال الصحيح، غير محمد بن موسى بن أبي عياش؛ وهو ثقة.
(٣) في المطبوع: شيبة.
(٤) في المطبوع: رشيد.
(٥) رواه البزار في كشف الأستار (٣٤٢٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٣٣٢): رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح؛ غير عمر بن شبة وهو ثقة.

ساعَة، ثمّ قالت: يا رسول الله، كيفَ تُحْشَرُ النِّسَاء؟ قال: «كـذلك، حُفَـاةً عُراةً»، قالت: واسوأتاه من يوم القيامة، قال: «وعن أيِّ ذلك تسألين؟ إنه قد نزل عليَّ آيةٌ لَا يُضرُّك كَانَ عَلَيْكِ ثِيَابٌ أَمْ لا»، قالت: أي آيةٍ يا رسول الله؟ قال: ﴿لِكُلِّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[1].

٥٢٨ ـ وقال الحافظ أبـو يَعْلَى المَـوْصِلِيّ، حـدثنا رَوْحُ بن حـاتم، حـدثنا هُشَيْم، عن الكوثر؛ وهو ابن حكيم، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «يحْشَرُ الناسُ كما وَلَدَتْهُمْ أمهـاتُهُمْ حُفَاةً عُـراةً غُرلاً». فقـالت عائشـة: النساء بأبي أنْتَ وأُمِّي؟ فقال: «نعم»، فقالت: واسوأتـاه! فقال رسـول الله ﷺ: «وَمِنْ أيِّ شَيْءٍ عَجِبْتَ يَا بِنْتَ أَبي بَكر؟» فقالت: عَجِبْتُ من حديثك يُحْشَرُ الـرِّجالُ والنِّساءُ حُفَـاةً عُراةً غُـرلاً يَنْظُر بَعْضُهُمْ إلى بَعْض، قـال: فضَربَ على مَنْكِبِهـا، فقال: «يـا بِنْتَ أبي قُحَافَةَ، شُغِلَ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّظر، وبَشِمُوا أبصارهم، موقـوفون أربعين سَنَةً لا يأكلون، ولا يشربون، ساهين بأبصارهم إلى السماء أرْبَعِينَ سنةً، فمنهم من يبلغ العرقُ قَدَمَيْه، ومنهم من يبلغ ساقيـه، ومنهم من يبلغ بَطْنَـه، ومنهم من يُلْجِمُه العَـرَقُ من طُول الـوقوف، ثم يتـرحَّم الله بعد ذلـك على العباد، فيـأمر المـلائكـة المقربين؛ فيحملون عرشه من السماوات إلى الأرض؛ حتى يوضع عرشه في أرض بَيْضاءَ لم يُسْفَكْ عليها دم، ولم تُعْمَلَ فيها خطيئة، كأنها الفِضَّة البَيْضَاء.

ثم تقـوم الملائكـة حافِّين مَنْ حَـوْل الْعرش، وذلـك أول عَيْن نَظَرتْ إلى الله تعالى، فيأمرُ مُناديـاً يُنادي بِصَـوْتٍ يسمعُه الثَّقَـلان من الجنِّ والإنس: أيْنَ فُلَانُ بْنُ فُلان بنِ فُلَان بن فُلان، فَيَشْرَئِبُّ النَّاسُ لذلـك الصوت، ويخـرج ذلك المنـادي من المـوقف، فيُعَرِّفُـه اللَّهُ النَّاس، ثمّ يقـال: يُخْرَجُ مَعَـهُ حَسناتُه، فيُعَـرِّفُ اللَّهُ أهـلَ المـوقف تِلْكَ الحَسـنَاتِ، فـإذا وقف بين يدي ربّ العـالمين، قيل: أيْنَ أصحـابُ المظالم؟ فيجيئون رَجُلاً رَجُلاً، فيقال له: ظَلَمْتَ فُلاناً كذَا وكذَا، فيقـول: نعم، يا رَبّ، فذلك اليومُ الذي تَشْهَدُ عليهم أَلْسِنَتُهُمْ وأيـديهم وأرجلُهم بما كانوا يعملون،

(١) ورواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٤/٥٠٥ ـ ٥٠٦).
وعائذ بن شريح: قال أبو حاتم: في حديثه ضعف. وقال ابن طاهر: ليس بشيء. (ميزان الاعتدال ٢/٣٦٣).

فتُؤخذ حسناتُه، فتُدْفَعُ إلى من ظلمه، يوم لا دِينارَ ولا دِرْهَمَ إلاّ أَخْذٌ مِنَ الحَسَنَاتِ، وردٌّ إلى السَّيئات، فلا يـزالُ أهل المـظالم يَسْتَوْفُـونَ مِنْ حَسَنَاتِـه حتّى لا تَبْقَى لَـهُ حَسنةٌ ثم يقومُ مَنْ بقي، مِمَّن لم يأخُذْ شَيْئاً.

فيقولون: ما بَالُ غَيْرِنا استـوفَى، وبَقِينَا؟ فيقـال لهم: لا تَعْجَلُوا، فيُؤْخـذُ مِن سيئاتهم فتُرَدّ عليه، حتّى لا يبقى أحد ظَلَمَـهُ بمَظلمـةٍ، فيُعَرِّفُ اللَّهُ أهـلَ الموقف أجمعين ذلـك، فإذا فـرغ من حسابـه قيل: ارجـع إلى أُمِّكَ الهَـاوِيةِ، فـإنّه لا ظُلْمَ اليوم، إنّ اللّه سَريعُ الحِسَاب، ولا يَبْقى يومئذ مَلَكٌ ولا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، ولَا صِدِّيقٌ ولا شَهِيدٌ، ولَا بَشرٌ إلَّا ظَنَّ بِمَا رَأَى من شِدَّة الحساب أنّه لا يَنْجُـو، إلاّ مَنْ عَصَمهُ اللَّهُ تعالى»[1].

هذا حديث غريب من هذا الوجه، ولبعضه شاهـد في الصحيح، كما سيأتي بيانه قريباً إن شاء الله تعالى، وبه الثقة، وعليه التكلان.

٥٢٩ ـ قال الحافظ: فأما الحديث الذي حدّثنا أبو عبدالله الحافظ، أخبرنا أبو محمد عبدالله بن إسحاق بن الخراسانيّ العَدْلُ، حـدّثنا محمـدُ بن الهَيْثَم القاضي، حـدّثنا ابن أبي مَرْيم، حـدّثنـا يحيى بن أيـوبَ، عن ابن الهـاد، عن محمـد بن إبراهيم، عن أبي سَلَمَة، عن أبي سعيد الخُدْرِيّ: أنّه لما حضره الموت دعا بثِيابٍ جُدُد، فلبِسها، ثم قال: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقـول: «إنّ المسلمَ يُبْعَثُ في ثيابه التي يَمُـوت فيها»[2] فهـذا حـديث أورده أبـو داود في كتـاب السنن، عن الحسن بن عليّ، عن ابن أبي مريم.

ثم شرع البيهقيّ يُجيب على هذا الحديث لمعارضتـه الأحاديثَ المتقـدّمة في بعث الناس حُفاةً عُـراةً غُرْلاً بثلاثةِ أجْوبةٍ:

أحدها: أنها تَبْلَى بعد قيامهم من قبورهم، فـإذا وافَوُا المـوقف يكونـون عُرَاةً، ثم يُكْسَوْنَ من ثِيَاب الْجَنَّة.

(١) عزاه في الإتحاف (١٠/٤٥٦) لابن مردويه.
(٢) رواه أبو داود (٣١١٤) في الجنائز، باب: ما يستحب من تطهير ثياب الميت عند الموت، والحـاكم (١/٣٤٠) وصححه، ووافقه الذهبي، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/٣٨٤).

الثاني: إذا كُسِيَ الأنبياءُ ثم الصدِّيقون، ثم مَنْ بعدهم على مراتبهم، فتكونُ كِسْوَةُ كُلِّ إنسانٍ من جِنْس ما يَمُوتُ فيه، ثم إذا دَخلُوا الجَنَّةَ أُلْبِسُوا من ثِيابِ الجَنَّة.

الثالث: أن المراد بالثياب ها هنا الأعمال، أي يُبْعَثُ في أعماله التي مات فيها من خير أو شَرّ.

قال الله تعالى: ﴿**وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ**﴾ [الأعراف: ٢٦] وقال: ﴿**وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ**﴾ [المدثر: ٤] قال قتادة: عَمَلَكَ فَأَخْلِصْهُ.

٥٣٠ ـ ثم اسْتَشْهَدَ البَيهقيّ على هذا الجواب الأخير بما رواه مسلم، من حديث الأعمش، عن أبي سُفْيانَ، [عن جابر]، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيهِ»[1].

٥٣١ ـ قال: وروينا عن فَضالَةَ بنِ عُبَيْد، عن رَسُول الله ﷺ: أنَّه قال: «مَنْ مات عَلى مَرْتَبَةٍ مِنْ هَذِهِ المَراتِبِ بُعِثَ عَلَيْهَا يَوْمَ القِيامَة»[2].

٥٣٢ ـ وقد قال أبو بكر بن أبي الدنيا: أخبرنا أحمدُ بنُ إبراهيم بن كثير، حدّثنا زيدُ بن الحُبَابِ، عن معاوية بن صالح، أخبرني سعيد بن هانيء، عن عمرو بن الأسود، قال: أوصاني مُعاذ بامرأته، وخرج، فماتت، فدفنّاها، فجاء وقد رفَعْنَا أَيْدِينا مِنْ دَفْنِها، فقال: في أيِّ شَيْءٍ كَفَّنْتُموها؟ قلنا: في ثِيابِهَا، فأمر بها فَنُبِشَتْ، وكَفَّنَهَا في ثِيابٍ جُدُدٍ، وقال: أَحْسِنُوا أَكْفانَ مَوْتَاكُمْ فإنَّهم يُحْشَرُون فيها[3].

٥٣٣ ـ وقال أيضاً: حدّثني محمد بن الحُسَيْن، حدّثنا يحيى بن إسحاق عن

---

(١) رواه مسلم (٢٨٧٨) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت، وما بين حاصرتين مستدرك منه.

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١١٣): رواه الطبراني في الكبير، ورجاله ثقات في أحد السندين.

(٣) رواه ابن أبي شيبة. (شرح الصدور ص ٢٦٣).

سيّار بن نصر، عن الوليد أبي ثَرْوانَ، عن ابن عَيّاش، قال: تُحْشَرُ الموتى في أكفانهم. وكذا روي عن أبي العَالِيَةَ.

٥٣٤ ـ وعن صالح المُرِّيّ، قال: بلغني أنّهم يخرجون من قبورهم في أكفانٍ دَسِمَةٍ، وأبدان بَالِيَةٍ، مُتَغَيِّرَة وجوهُهم، شعِثة رؤوسُهُم، نَهِكَةٌ أجْسامُهُمْ، طائرةٌ قلوبُهُمْ من صدورهم وحناجرهم، لا يَدْرِي القومُ مَوْئِلَهُمْ إلا عِنْد انصرافهم من الموقف، فمُنْصَرَفٌ به إلى الجنة ومنصرَف به إلى النّارِ. ثم صاح بأعلى صوته: يا سوء مُنْصَرَفاهُ إنْ أنت لَمْ تَغَمَّدنا مِنْك بِرَحْمَةٍ واسعةٍ، لما قَدْ ضَاقَتْ صدُورنا من الذُّنُوب العِظَام، والجرائم التي لا غافر لها غَيْرُك.

والحمد لله ربِّ العالمين

* * *

* *

*